جامع البيان
عن تأويل آي القرآن

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

تأليف

الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفاسير

الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء الخامس والعشرون

ضبط وتعليق

محمود شاكر الحرستاني

تصحيح

علي عاشور

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

بيروت ـ لبنان ـ شارع دكاش ـ هاتف: ٢٧٢٦٥٢ ـ ٢٧٢٦٥٥ ـ ٢٧٢٧٨٢ ـ ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ ـ ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

٤١ ـ فصلت مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إلى الله يردّ العالمون به علم الساعة، فإنه لا يعلم ما قيامها غيره **﴿وَما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أكمامِها﴾** يقول: وما تظهر من ثمرة شجرة من أكمامها التي هي متغيبة فيها، فتخرج منها بارزة **﴿وَما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى﴾** يقول: وما تحمل من أنثى من حمل حين تحمله، ولا تضع ولدها إلا بعلم من الله، لا يخفى عليه شيء من ذلك. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: **﴿وَما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أكمامها﴾** قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿مِنْ أكمَامِها﴾** قال: حين تطلعُ.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿وَما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَراتٍ مِنْ أكمَامِها﴾** قال: من طلعها والأكمام جمع كُمة[1]، وهو كل ظرف لماء أو غيره، والعرب تدعو قشر الكفرّاة كُمّاً.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾** فقرأت ذلك قرّاء المدينة: **﴿مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾** على الجماع، وقرأت قرّاء الكوفة «مِنْ ثَمَرَةٍ» على لفظ الواحدة، وبأيّ القراءتين قرىء ذلك فهو عندنا صواب لتقارب معنييهما مع شهرتهما في القراءة.

وقوله: **﴿وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ أيْنَ شُرَكائي﴾** يقول تعالى ذكره: ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين به في الدنيا الأوثان والأصنام: أين شركائي الذين كنتم تشركونهم في عبادتكم إياي؟ **﴿قالُوا آذَنَّاكَ﴾**

---

(١) لعل الأصل: جمع كم، بلا تاء، لأن الأكمام جمع «كم» لا جمع كمة. وانظر «اللسان» كم.

يقول: أعلمناك ﴿ما مِنَّا مِنْ شَهِيد﴾ يقول: قال هؤلاء المشركون لربهم يومئذٍ: ما منا من شهيد يشهد أن لك شريكاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿آذَنَّاكَ﴾ يقول: أعلمناك.

حدثني محمد، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿آذَنَّاكَ ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ قالوا: أطعناك ما منا من شهيد على أن لك شريكاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وضلّ عن هؤلاء المشركين يوم القيامة آلهتهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا، فأخذ بها طريق غير طريقهم، فلم تنفعهم، ولم تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله الذي حلّ بهم.

وقوله: ﴿وَظَنُّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ يقول: وأيقنوا حينئذٍ ما لهم من ملجأ: أي ليس لهم ملجأ يلجأون إليه من عذاب الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَظَنُّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾: استيقنوا أنه ليس لهم ملجأ.

واختلف أهل العربية في المعنى الذي من أجله أبطل عمل الظنّ في هذا الموضع، فقال بعض أهل البصرة: فعل ذلك، لأن معنى قوله: ﴿وَظَنُّوا﴾: استيقنوا. قال: و﴿ما﴾ ها هنا حرف وليس باسم، والفعل لا يعمل في مثل هذا، فلذلك جعل الفعل ملغىً. وقال بعضهم: ليس يلغى الفعل وهو عامل في المعنى إلا لعلة. قال: والعلة أنه حكاية، فإذا وقع على ما لم يعمل فيه كان حكايةً وتمنياً، وإذا عمل فهو على أصله.

وقوله: ﴿لاَ يَسأَمُ الإنسانُ مِنْ دُعاءِ الخَيرِ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يملّ الكافر بالله من دعاء الخير، يعني من دعائه بالخير، ومسألته إياه ربَّه. والخير في هذا الموضع: المال وصحة الجسم، يقول: لا يملّ من طلب ذلك ﴿وَإنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ يقول: وإن ناله ضرّ في نفسه من سُقم أو جهد في

معيشته، أو احتباس من رزقه ﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ يقول: فإنه ذو يأس من روح الله وفرجه، قنوط من رحمته، ومن أن يكشف ذلك الشرّ النازل به عنه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**لا يَسأَمُ الإنسانُ مِنْ دُعاءِ الخَيْرِ**﴾ يقول: الكافر ﴿**وَإنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ**﴾: قانط من الخير.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**لا يَسأَمُ الإنسانُ**﴾ قال: لا يملّ. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «لا يَسأَمُ الإنسانُ مِنْ دُعاءِ بالخَيْرِ».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولئن نحن كشفنا عن هذا الكافر ما أصابه من سقم في نفسه وضرّ، وشدّة في معيشته وجهد، رحمة منا، فوهبنا له العافية في نفسه بعد السقم، ورزقناه مالاً، فوسّعنا عليه في معيشته من بعد الجهد والضرّ ﴿**لَيَقُولَنَّ هَذَا لي**﴾ عند الله، لأن الله راضٍ عني برضاه عملي، وما أنا عليه مقيم، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**لَيَقُولَنَّ هَذَا لي**﴾: أي بعملي، وأنا محقوق بهذا ﴿**وَما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً**﴾ يقول: وما أحسب القيامة قائمة يوم تقوم ﴿**وَلَئِنْ رُجِعْتُ إلى رَبِي**﴾ يقول: وإن قامت أيضاً القيامة، ورددت إلى الله حياً بعد مماتي ﴿**إنَّ لي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى**﴾ يقول: إن لي عنده غنىً ومالاً. كما:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**إنَّ لي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى**﴾ يقول: غنى ﴿**فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِما عَمِلُوا**﴾ يقول تعالى ذكره: فلنخبرنّ هؤلاء الكفار بالله، المتمنين عليه الأباطيل يوم يرجعون إليه بما عملوا في الدنيا من المعاصي، واجترحوا من السيئات، ثم لنجازينّ جميعهم على ذلك جزاءهم ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾ وذلك العذاب الغليظ تخليدهم في نار جهنم، لا يموتون فيها ولا يحيون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا نحن أنعمنا على الكافر، فكشفنا ما به من ضرّ، ورزقناه غنىً وسعةً، ووهبنا له صحة جسم وعافية، أعرض عما دعوناه إليه من طاعته، وصدّ عنه ﴿**وَنأَى بجانِبِهِ**﴾ يقول: وبعد من إجابتنا إلى ما دعوناه إليه، ويعني بجانبه بناحيته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**أعْرَضَ وَنأَى بِجانِبِهِ**﴾ يقول: أعرض: صدّ بوجهه، ونأى بجانبه: يقول: تباعد.

وقوله: ﴿**وَإذَا مَسَّه الشَّرُّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ**﴾ يعني بالعريض: الكثير. كما:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ**﴾ يقول: كثير، وذلك قول الناس: أطال فلان الدعاء: إذا أكثر، وكذلك أعرض دعاءه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿**قُلْ**﴾ يا محمد للمكذّبين بما جئتهم به من عند ربِّك من هذا القرآن ﴿**أرَأَيْتُمْ**﴾ أيها القوم ﴿**إنْ كانَ**﴾ هذا الذي تكذّبون به ﴿**مِنْ عِنْدِ اللّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ**﴾ ألستم فِي فِراقٍ للَحقّ وبعدٍ من الصواب، فجعل مكان التفريق الخبر، فقال: ﴿**مَنْ أضَلُّ مِمَّنْ هُوَ في شِقاقٍ بَعَيدٍ**﴾ إذا كان مفهوماً معناه.

وقوله: ﴿**مَنْ أضَلُّ مِمَّنْ هُوَ في شِقاقٍ بَعَيدٍ**﴾ يقول: قل لهم من أشدّ ذهاباً عن قصد السبيل، وأسلك لغير طريق الصواب، ممن هو في فراقٍ لأمر الله وخوفٍ له، بعيد من الرشاد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ

﴿...بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: سنُري هؤلاء المكذّبين، ما أنزلنا على محمد عبدنا من الذكر، آياتنا في الآفاق.

واختلف أهل التأويل في معنى الآيات التي وعد الله هؤلاء القوم أن يريهم، فقال بعضهم: عنى بالآيات في الآفاق وقائع النبيّ ﷺ بنواحي بلد المشركين من أهل مكة وأطرافها، وبقوله: ﴿**وفِي أَنفُسِهِمْ**﴾ فتح مكة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أبي قيس، عن المنهال، في قوله: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ**﴾ قال: ظهور محمد ﷺ على الناس.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ**﴾ يقول: ما نفتح لك يا محمد من الآفاق ﴿**وفِي أَنفُسِهِمْ**﴾ في أهل مكة، يقول: نفتح لك مكة.

وقال آخرون: عنى بذلك أن يريهم نجوم الليل وقمره، وشمس النهار، وذلك ما وعدهم أنه يريهم في الآفاق. وقالوا: عنى بالآفاق: آفاق السماء، وبقوله: ﴿**وفِي أَنفُسِهِمْ**﴾ سبيل الغائط والبول.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وفِي أَنفُسِهِمْ**﴾ قال: آفاق السموات: نجومها وشمسها وقمرها اللاتي يجرين، وآيات في أنفسهم أيضاً.

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الأوّل، وهو ما قاله السديّ، وذلك أن الله عزّ وجلّ وعد نبيه ﷺ أن يُري هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذّبين آيات في الآفاق، وغير معقول أن يكون تهدّدهم بأن يريهم ما هم راؤوه، بل الواجب أن يكون ذلك وعداً منه لهم أن يريهم ما لم يكونوا رأوه قبل من ظهور نبيّ الله ﷺ على أطراف بلدهم وعلى بلدهم، فأما النجوم والشمس والقمر، فقد كانوا يرونها كثيراً قبل وبعد ولا وجه لتهدّدهم بأنه يريهم ذلك.

وقوله: ﴿**حتى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: أُري هؤلاء المشركين وقائعنا بأطرافهم وبهم حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا إلى محمد، وأوحينا إليه من الوعد له بأنا مظهرو ما بعثناه به من الدين على الأديان كلها، ولو كره المشركون.

وقوله: ﴿أوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أنَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: أَوَ لم يكف بربك يا محمد أنه شاهد على كل شيء مما يفعله خلقه، لا يعزب عنه علم شيء منه، وهو مجازيهم على أعمالهم، المحسن بالإحسان، والمسيء جزاءه.

وفي قوله: ﴿أنَّهُ﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون في موضع خفض على وجه تكرير الباء، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: أَوَ لم يكف بربك بأنه على كلّ شيء شهيد؟ والآخر: أن يكون في موضع رفع رفعاً، بقوله: يكف، فيكون معنى الكلام: أَوَ لم يكف بربك شهادته على كل شيء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ألا إن هؤلاء المكذّبين بآيات الله في شكّ من لقاء ربهم، يعني أنهم في شكّ من البعث بعد الممات، ومعادهم إلى ربهم، كما:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿ألا إنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ﴾ يقول: في شكّ.

وقوله: ﴿ألا إنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا أن الله بكل شيء مما خلق محيط علماً بجميعه، وقُدرةً عليه، لا يعزب عنه علم شيء منه أراده فيفوته، ولكن المقتدر عليه العالم بمكانه.

آخر تفسير سورة حم السجدة، والحمد لله وحده

(٤٢) سورة الشورى مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾.

قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في معاني حروف الهجاء التي افتتحت بها أوائل ما افتتح بها من سور القرآن، وبيَّنا الصواب من قولهم في ذلك عندنا بشواهده المغنية عن إعادتها في هذا الموضع، إذ كانت هذه الحروف نظيرة الماضية منها. وقد ذكرنا عن حُذيفة في معنى هذه خاصة قولاً، وهو ما:

حدثنا به أحمد بن زهير، قال: ثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي، قال: ثنا أبو المُغيرة عبد القدوس بن الحجاج الحمصي، عن أرطاة بن المنذر قال: جاء رجل إلى ابن عباس، فقال له وعنده حُذيفة بن اليمان، أخبرني عن تفسير قول الله: ﴿حمٓ عسق﴾، قال: فأطرق ثم أعرض عنه، ثم كرّر مقالته فأعرض فلم يجبه بشيء وكره مقالته، ثم كرّرها الثالثة فلم يجبه شيئاً، فقال له حُذيفة: أنا أنبئك بها، قد عرفت بم كرهها نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله أو عبدالله ينزل على نهر من أنهار المشرق، تبنى عليه مدينتان يشقّ النهر بينهما شقاً، فإذا أذن الله في زوال مُلكهم، وانقطاع دولتهم ومدتهم، بعث الله على إحداهما ناراً ليلاً، فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت، كأنها لم تكن مكانها، وتصبح صاحبتها متعجبة، كيف أفلتت، فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كلّ جبار عنيد منهم، ثم يخسف الله بها وبهم جميعاً، فذلك قوله: ﴿حمٓ عسٓق﴾ يعني: عزيمة من الله وفتنة وقضاء حم، عين: يعني عدلاً منه، سين: يعني سيكون، وقاف: يعني واقع بهاتين المدينتين.

وذُكر عن ابن عباس أنه كان يقرأه «حم. سق» بغير عين، ويقول: إن السين: عمر كل فرقة كائنة وإن القاف: كل جماعة كائنة ويقول: إن علياً إنما كان يعلم العين بها. وذُكر أن ذلك في مصحف عبد الله على مثل الذي ذكر عن ابن عباس من قراءته من غير عين.

وقوله: ﴿**كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا يوحِي إليك يا محمد وإلى الذين من قبلكَ من أنبيائه. وقيل: إن حم عين سين ق أوحيت إلى كلّ نبيّ بُعث، كما أُوحيت إلى نبينا ﷺ، ولذلك قيل: ﴿**كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وإلى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ العَزِيزُ**﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿**الحَكِيمُ**﴾ في تدبيره خلقه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لَهُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لِلّهِ مُلك ﴿**مَا فِي السَّمَواتِ وَمَا فِي الأرْضِ**﴾ من الأشياء كلها ﴿**وَهُوَ العَلِيُّ**﴾ يقول: وهو ذو علوّ وارتفاع على كلّ شيء، والأشياء كلها دونه، لأنهم في سلطانه، جارية عليهم قُدرته، ماضية فيهم مشيئته ﴿**العَظِيمُ**﴾ الذي له العظمة والكبرياء والجبرية.

وقوله: ﴿**تكادُ السَّمَوَاتُ يَتفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ**﴾ يقول تعالى ذكره: تكاد السموات يتشققن من فوق الأرضين، من عظمة الرحمن وجلاله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**تكادُ السَّمَوَاتُ يَتفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ**﴾ قال: يعني من ثقل الرحمن وعظمته تبارك وتعالى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**تكادُ السَّمَوَاتُ يَتفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ**﴾: أي من عظمة الله وجلاله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة مثله.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**تَكادُ السَّمَواتُ يَتفَطَّرْنَ**﴾ قال: يتشقَّقن في قوله: مُنْفَطِرٌ بِهِ قال: منشقّ به.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿**يَتفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ**﴾ يقول: يتصدّعن من عظمة الله.

حدثنا محمدبن منصور الطوسي، قال: ثنا حسين بن محمد، عن أبي معشر، عن محمد بن قيس، قال: جاء رجل إلى كعب فقال: يا كعب أين ربنا؟ فقال له الناس: دقّ الله

تعالى، أفتسأل عن هذا؟ فقال كعب: دعوه، فإن يك عالماً ازداد، وإن يك جاهلاً تعلم. سألت أين ربنا، وهو على العرش العظيم متكىء، واضع إحدى رجليه على الأخرى، ومسافة هذه الأرض التي أنت عليها خمسمائة سنة ومن الأرض إلى الأرض مسيرة خمس مئة سنة، وكثافتها خمس مئة سنة، حتى تمّ سبع أرضين، ثم من الأرض إلى السماء مسيرة خمس مئة سنة، وكثافتها خمس مئة سنة، والله على العرش متكىء، ثم تفطر السموات. ثم قال كعب: اقرأوا إن شئتم ﴿**تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ**...﴾ الآية.

وقوله: ﴿**وَالمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: والملائكة يصلون بطاعة ربهم وشكرهم له من هيبة جلاله وعظمته، كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**وَالمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**﴾ قال: والملائكة يسبحون له من عظمته.

وقوله: ﴿**وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأرْضِ**﴾ يقول: ويسألون ربهم المغفرة لذنوب من في الأرض من أهل الإيمان به، كما:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأرْضِ**﴾ قال: للمؤمنين. يقول الله عزّ وجلّ: ألا إن الله هو الغفور لذنوب مؤمني عباده، الرحيم بهم أن يعاقبهم بعد توبتهم منها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا**﴾ يا محمد من مشركي قومك ﴿**مِنْ دُونِ اللّهِ**﴾ آلهة يتولونها ويعبدونها ﴿**اللّهُ حَفِيظٌ عَلَيهِمْ**﴾ يُحصِي عليهم أفعالهم، ويحفظ أعمالهم، ليجازيهم بها يوم القيامة جزاءهم ﴿**وَما أنْتَ عَلَيهِمْ بِوَكِيلٍ**﴾ يقول: ولست أنت يا محمد بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم، وإنما أنت منذر، فبلغهم ما أرسلت به إليهم، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وهكذا ﴿أَوْحَيْنا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ بلسان العرب، لأن الذين أرسلتك إليهم قوم عرب، فأوحينا إليك هذا القرآن بألسنتهم، ليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره، لأنا لا نرسل رسولاً إلا بلسان قومه، ليبين لهم ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى﴾ وهي مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يقول: ومن حول أمّ القرى من سائر الناس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى﴾ قال: مكة.

وقوله: ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ﴾ يقول عزّ وجلّ: وتنذر عقاب الله في يوم الجمع عباده لموقف الحساب والعرض. وقيل: وتنذر يوم الجمع، والمعنى: وتنذرهم يوم الجمع، كما قيل: يخوّف أولياءه، والمعنى: يخوّفكم أولياءه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ﴾ قال: يوم القِيامَةِ.

وقوله: ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ يقول: لا شكّ فيه.

وقوله: ﴿فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ يقول: منهم فريق في الجنة، وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله ﷺ ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ يقول: ومنهم فريق في الموقدة من نار الله المسعورة على أهلها، وهم الذين كفروا بالله، وخالفوا ما جاءهم به رسوله. وقد:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي قبيل المعافريّ، عن شفيّ الأصبحيّ، عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: «هَلْ تَدْرُونَ ما هَذَا؟» فقلنا: لا، إلا أن تخبرنا يا رسول الله، قال: «هَذَا كِتابٌ مِنْ رَبّ العالَمِينَ، فِيهِ أسْماءُ أهْلِ الجَنَّةِ، وأسماءُ آبائِهِمْ وَقَبائِلِهِمْ»، ثُمَّ أُجْمِلَ، على آخِرِهِم، «فَلا يُزادُ فِيهِمْ وَلا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أبَداً، وَهَذَا كِتابُ أهْلِ النَّارِ بِأسْمائِهِمْ وأسْماءِ آبائِهِمْ»، ثُمَّ أُجْمِلَ[1] على آخِرِهِم، «فَلا يُزَادُ وَلا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أبَداً»، قال أصحاب رسول الله ﷺ: ففيم إذن نعمل إن كان هذا أمر قد فُرغ منه؟ فقال رسول الله ﷺ: «بَلْ سَدِّدُوا وَقارِبُوا، فإنَّ صَاحِبَ الجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بعَمَلِ الجَنَّةِ وَإنْ عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ، وَصَاحِبُ النَّارِ يُخْتَمُ له بعَمَلِ النَّارِ وَإنْ عَمِلَ أيّ عَمَلٍ، فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ العِبادِ» ثم قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما: «فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ الخَلْقِ، فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» قالوا: سبحان الله، فلم نعمل وننصب؟ فقال رسول الله ﷺ: «العَمَلُ إلى خَوَاتِمِهِ».

---

(١) أجمل: أي ذكر جملة عددهم في آخر الكتاب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث وحيوة بن شريح، عن يحيى بن أبي أسيد، أن أبا فراس حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: إن الله تعالى ذكره لما خلق آدم نفضه نفض المزود، فأخرج منه كلّ ذرية، فخرج أمثال النغف، فقبضهم قبضتين، ثم قال: شقي وسعيد، ثم ألقاهما، ثم قبضهما فقال: ﴿**فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾.

قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي شُبُويه، حدثه عن ابن حجيرة أنه بلغه أن موسى قال: يا ربّ خلقك الذين خلقتهم، جعلت منهم فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير، لوما أدخلتهم كلهم الجنة قال: يا موسى ارفع زرعك، فرفع، قال: قد رفعت، قال: ارفع، فرفع، فلم يترك شيئاً، قال: يا ربّ قد رفعت، قال: ارفع، قال: قد رفعت إلا ما لا خير فيه، قال: كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة إلا ما لا خير فيه. وقيل: ﴿**فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾ فرفع، وقد تقدّم الكلام قبل ذلك بقوله: ﴿**لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾ بالنصب، لأنه أريد به الابتداء، كما يقال: رأيت العسكر مقتول أو منهزم، بمعنى: منهم مقتول، ومنهم منهزم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولو أراد الله أن يجمع خلقه على هدى، ويجعلهم على ملة واحدة لفعل، و﴿**لجعلهم أمة واحدة**﴾ يقول: أهل ملة واحدة، وجماعة مجتمعة على دين واحد ﴿**وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ**﴾ يقول: لم يفعل ذلك فيجعلهم أمة واحدة، ولكن يُدخل من يشاء، من عباده في رحمته، يعني أنه يُدخله في رحمته بتوفيقه إياه للدخول في دينه، الذي ابتعث به نبيه محمداً ﷺ ﴿**وَالظَّالِمُونَ ما لَهُمْ مِنْ وَلِيّ وَلا نَصِيرٍ**﴾ يقول: والكافرون بالله ما لهم من وليّ يتولاهم يوم القيامة، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله حين يعاقبهم، فينقذهم من عذابه، ويقتصّ لهم ممن عاقبهم، وإنما قيل هذا لرسول الله ﷺ تسلية له عما كان يناله من الهمّ بتولية قومه عنه، وأمراً له بترك إدخال المكروه على نفسه من أجل إدبار من أدبر عنه منهم، فلم يستجب لما دعاه إليه من الحقّ، وإعلاماً له أن أمور عباده بيده، وأنه الهادي إلى الحقّ من شاء، والمضلّ من أراد دونه، ودون كلّ أحد سواه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله أولياء من دون الله يتولونهم ﴿فاللّهُ هُوَ الوَلِيّ﴾ يقول: فالله هو وليّ أوليائه، وإياه فليتخذوا ولياً لا الآلهة والأوثان، ولا ما لا يملك لهمّ ضرّاً ولا نفعاً، ﴿وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى﴾ يقول: والله يحيي الموتى من بعد مماتهم، فيحشرهم يوم القيامة ﴿وَهُوَ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول: والله القادر على إحياء خلقه من بعد مماتهم وعلى غير ذلك، إنه ذو قدرة على كلّ شيء.

وقوله: ﴿وَما اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إلى اللّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما اختلفتم أيها الناس فيه من شيء فتنازعتم بينكم، فحكمه إلى الله. يقول: فإن الله هو الذي يقضي بينكم ويفصل فيه الحكم. كما.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَما اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إلى اللّهِ﴾ قال ابن عمرو في حديثه: فهو يحكم فيه، وقال الحارث: فالله يحكم فيه.

وقوله: ﴿ذَلِكُمُ اللّهُ رَبّي عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ﴾ يقول لنبيه ﷺ: قل لهؤلاء المشركين بالله هذا الذي هذه الصفات صفاته ربي، لا آلهتكم التي تدعون من دونه، التي لا تقدر على شيء ﴿عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ﴾ في أموري، وإليه فوّضت أسبابي، وبه وثقت ﴿وَإلَيْهِ أُنِيبُ﴾ يقول: وإليه أرجع في أموري وأتوب من ذنوبي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿فَاطِرُ السّمَوَاتِ وَالأرْضِ﴾، خالق السموات السبع والأرض. كما:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿فاطِرُ السّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ قال: خالق.

وقوله: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْوَاجاً﴾ يقول تعالى ذكره: زوّجكم ربكم من أنفسكم أزواجاً. وإنما قال جلّ ثناؤه: ﴿مِنْ أنْفُسِكُمْ﴾ لأنه خلق حوّاء من ضلع آدم، فهو من الرجال.

﴿**وَمِنَ الأنْعامِ أزْوَاجاً**﴾ يقول جلّ ثناؤه: وجعل لكم من الأنعام أزواجاً من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ذكوراً وإناثاً، ومن كل جنس من ذلك ﴿**يَذْرَؤُكُم فِيهِ**﴾: يقول: يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم، ويعيشكم فيما جعل لكم من الأنعام.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿**يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ**﴾ في هذا الموضع، فقال بعضهم: معنى ذلك: يخلقكم فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ**﴾ قال: نسل بعد نسل من الناس والأنعام.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**يَذْرَؤُكُمْ**﴾ قال: يخلقكم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد، في قوله: ﴿**يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ**﴾ قال: نسلاً بعد نسل من الناس والأنعام.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، أنه قال في هذه الآية: ﴿**يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ**﴾ قال: يخلقكم.

وقال آخرون: بل معناه: يعيشكم فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْوَاجاً وَمِنَ الأنْعام أزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ**﴾ يقول: يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ**﴾ قال: يعيشكم فيه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ**﴾ قال: عيش من الله يعيشكم فيه.

وهذان القولان وإن اختلفا في اللفظ من قائليهما فقد يحتمل توجيههما إلى معنى واحد، وهو أن يكون القائل في معناه يعيشكم فيه، أراد بقوله ذلك: يحييكم بعيشكم به كما يحيي من لم

يخلق بتكوينه إياه، ونفخه الروح فيه حتى يعيش حياً. وقد بيَّنت معنى ذرء الله الخلق فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادته.

وقوله: ﴿لَيس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فيه وجهان: أحدهما أن يكون معناه: ليس هو كشيء، وأدخل المثل في الكلام توكيداً للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف، وهما بمعنى واحد، كما قيل:

مَا إنْ نَدِيتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ(١)

فأدخل على «ما» وهي حرف جحد «إن» وهي أيضاً حرف جحد، لاختلاف اللفظ بهما، وإن اتفق معناهما توكيداً للكلام، وكما قال أوس بن حَجَر:

وَقَتْلَى كَمِثْلِ جُذوعِ النَّخِيلْ ... تَغَشَّاهُمْ مُسْبِلٌ مُنْهَمِرْ(٢)

ومعنى ذلك: كجذوع النخيل، وكما قال الآخر:

سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ إذَا أَبْصَرْتَ فَضْلَهُمُ ... ما إنْ كَمِثْلِهِمِ فِي النَّاسِ مِنَ أحَدِ(٣)

والآخر: أن يكون معناه: ليس مثله شيء، وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام، كقول الراجز:

وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنِ(٤)

---

(١) هذا مصراع أول من بيت للنابغة الذبياني وعجزه:

إِذَنْ فَلاَ رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي

انظر «**مختار الشعر الجاهلي**» بشرح مصطفى السقا الحلبي ورواية الشطر الأول:

مَا قُلْتُ مِنْ سيء مِمَّا أُتِيتَ بِهِ

قال شارحه: يقول: إذا كنت قلت هذا الذي بلغك، فشلت بدي حتى لا أطيق رفع السوط على خفته. وروى في «**اللسان**» و «**التاج**» كرواية المؤلف، قال الزبيدي: يقال ما نديني من فلان شيء أكرهه، أي ما بلني ولا أصابني. وما نديت له كفى بشر وما نديت بشيء ومحل الشاهد في البيت عند المؤلف قوله «ما إن» حيث أدخل حرف النفي «ما» على حرف النفي «إن» لاختلاف لفظهما، توكيداً للكلام. وهو نظير إدخال كاف التشبيه، على كلمة «مثل» التي تفيد التشبيه، في قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾، لتوكيد الكلام، لاختلاف اللفظين.

(٢) وهذا الشاهد من كلام أوس بن حجر التميمي، وهو شاعر جاهلي مشهور، شاهد كالشاهد السابق، أدخل فيه أداة التشبيه «الكاف» على أختها في المعنى «مثل» لاختلاف لفظهما، توكيداً للكلام، وهو نظير «ما» في قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾.

(٣) لم أقف على قائل هذا البيت. وقد استشهد به المؤلف على إدخال أداتي التشبيه (الكاف، ومثل) معاً على شيء واحد، فهو في معنى الشاهدين قبله.

(٤) هذا بيت من عدة أبيات من مشطور الرجز، ينسبان إلى خطام المجاشعي، ونسبهما الجوهري في «**الصحاح**» والصقلي في شرحه لأبيات الإيضاح للفارسي، إلى هميان بن قحافة، وبيت الشاهد آخرها بيتاً انظر الأبيات في هامش (ص ـ ٢٨٢) من الجزء الأول من سر صناعة الإعراب لابن جنى طبعة شركة مصطفى البابي الحلبي =

فأدخل على الكاف كافاً توكيداً للتشبيه، وكما قال الآخر:

تَنْفِي الغَيادِيقُ عَلى الطَّرِيقِ ... قَلَّصَ عَنْ كَبَيْضَةٍ فِي نِيقِ[(١)]

فأدخل الكاف مع «عن»، وقد بيَّنا هذا في موضع غير هذا المكان بشرح هو أبلغ من هذا الشرح، فلذلك تجوّزنا في البيان عنه في هذا الموضع.

وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ يقول جلّ ثناؤه واصفاً نفسه بما هو به، وهو يعني نفسه: السميع لما تنطق به خلقه من قول، البصير لأعمالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولا يعزب عنه علم شيء منه، وهو محيط بجميعه، محصٍ صغيره وكبيره ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من خير أو شرّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿لَهُ مَقالِيدُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾: له مفاتيح خزائن السموات والأرض وبيده مغاليق الخير والشرّ ومفاتيحها، فما يفتح من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿لَهُ مَقالِيدُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ قال: مفاتيح بالفارسية.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿لَهُ مَقالِيدُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ قال: مفاتيح السموات والأرض. وعن الحسن بمثل ذلك.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿لَهُ مَقالِيدُ السَّمَوَاتِ

= وأولاده وفيه: الصاليات: الأثافي التي توضع عليها القدور وقد صليت النار حتى اسودت. ويؤثفين: يجعلن أثافي للقدر، وهي جمع أثفية، يقال أثفى القدر يثفيها: جعل لها أثافي. ومحل الشاهد قوله «ككما» فإن الكاف الأولى حرف، والثانية اسم بمعنى مثل. والمعنى: لم يبق إلا حجارة منصوبة كمثل الأثافي. واستشهد به المؤلف على دخول الكاف على الكاف لتوكيد الكلام.

(١) لم أقف على قائل البيت. ولم يتضح لي معناه تماماً، ولعل فيه تحريفاً من الناسخ، وموضع الشاهد فيه واضح، وهو دخول «عن» على الكاف في قوله «كبيضة» فإما أن تكون الكاف زائدة، أي عن بيضة؛ وإما أن تكون الكاف اسماً بمعنى مثل في محل جر.

والأرْضِ﴾ قال: خزائن السموات والأرض.

وقوله: **﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾** يقول: يوسع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه، ويبسط له، ويكثر ماله ويغنيه. ويقدر: يقول: ويقتر على من يشاء منهم فيضيقه ويفقره **﴿إنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** يقول: إن الله تبارك وتعالى بكل ما يفعل من توسيعه على من يوسع، وتقتيره على من يقتر، ومن الذي يصلحه البسط عليه في الرزق، ويفسده من خلقه، والذي يُصلحه التقتير عليه ويفسده، وغير ذلك من الأمور، ذو علم لا يخفى عليه موضع البسط والتقتير وغيره، من صلاح تدبير خلقه. يقول تعالى ذكره: فإلى من له مقاليد السموات والأرض الذي صفته ما وصفت لكم في هذه الآيات أيها الناس فارغبوا، وإياه فاعبدوا مخلصين له الدين لا الأوثان والآلهة والأصنام، التي لا تملك لكم ضرّاً ولا نفعاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾** ربكم أيها الناس **﴿مِنَ الدّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾** أن يعمله **﴿وَالَّذِي أوْحَينا إلَيْكَ﴾** يقول لنبيه محمد ﷺ: وشرع لكم من الدين الذي أوحينا إليك يا محمد، فأمرناك به **﴿وَما وَصَّيْنا بِهِ إبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أنْ أقِيمُوا الدّينَ﴾** يقول: شرع لكم من الدين، أن أقيموا الدين «فأن» إذ كان ذلك معنى الكلام، في موضع نصب على الترجمة بها عن «ما» التي في قوله: **﴿ما وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾**. ويجوز أن تكون في موضع خفض ردّاً على الهاء التي في قوله: **﴿بِهِ﴾**، وتفسيراً عنها، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً، أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه. وجائز أن تكون في موضع رفع على الاستئناف، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: شرع لكم من الدين ما وصى به، وهو أن أقيموا الدين. وإذ كان معنى الكلام ما وصفت، فمعلوم أن الذي أوصى به جميع هؤلاء الأنبياء وصية واحدة، وهي إقامة الدين الحق، ولا تتفرّقوا فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿ما وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾** قال: ما أوصاك به وأنبياءه، كلهم دين واحد.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾** قال: هو الدين كله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾** بعث نوح حين بعث بالشريعة بتحليل الحلال، وتحريم الحرام **﴿وَما وَصَّينا بِهِ إبْرَاهِيمَ وَموسَى وَعِيسَى﴾**.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾** قال: الحلال والحرام.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّين ما وَصَّى بِهِ نُوحاً. . .﴾** إلى آخر الآية، قال: حسبك ما قيل لك.

وعنى بقوله: **﴿أنْ أقِيمُوا الدِّينَ﴾** أن اعملوا به على ما شرع لكم وفرض، كما قد بينا فيما مضى قبل في قوله: **﴿أقِيمُوا الصَّلاةَ﴾**. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿أنْ أقِيمُوا الدِّينَ﴾** قال: اعملوا به.

وقوله: **﴿وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾** يقول: ولا تختلفوا في الدين الذي أُمِرتُم بالقيام به، كما اختلف الأحزاب من قبلكم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾** تعلّموا أن الفرقة هلكة، وأن الجماعة ثقة.

وقوله: **﴿كَبُرَ على المُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إلَيْهِ﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: كبر على المشركين بالله من قومك يا محمد ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لله، وإفراده بالألوهية والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿كَبُرَ على المُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إلَيْهِ﴾** قال: أنكرها المشركون، وكبر عليهم شهادة أن لا إله إلا الله، فصادمها إبليس وجنوده، فأبى الله تبارك وتعالى إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها.

وقوله: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ يقول: الله يصطفي إليه من يشاء من خلقه، ويختار لنفسه، وولايته من أحبّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ يقول: ويوفق للعمل بطاعته، واتباع ما بعث به نبيه عليه الصلاة والسلام من الحقّ من أقبل إلى طاعته، وراجع التوبة من معاصيه. كما:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾: من يقبل إلى طاعة الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما تفرّق المشركون بالله في أديانهم فصاروا أحزاباً، إلا من بعد ما جاءهم العلم، بأن الذي أمرهم الله به، وبعث به نوحاً، هو إقامة الدين الحقّ، وأن لا تتفرّقوا فيه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَما تَفَرَّقُوا إلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ﴾ فقال: إياكم والفرقة فإنها هَلكة ﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ يقول: بغياً من بعضكم على بعض وحسداً وعداوة على طلب الدنيا ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إلى أجَلٍ مُسَمّىً﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولولا قول سبق يا محمد من ربك لا يعاجلهم بالعذاب، ولكنه أخر ذلك إلى أجل مسمى، وذلك الأجل المسمى فيما ذُكر: يوم القيامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إلى أجَلٍ مُسَمّىً﴾ قال: يوم القيامة.

وقوله: ﴿لقضي بينهم﴾ يقول: لفرغ ربك من الحكم بين هؤلاء المختلفين في الحقّ الذي بعث به نبيه نوحاً من بعد علمهم به، بإهلاكه أهل الباطل منهم، وإظهاره أهل الحق عليهم.

وقوله: ﴿وإنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يقول: وإن الذين أتاهم الله من بعد هؤلاء

المختلفين في الحقّ كتابه التوراة والإنجيل ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ يقول: لفي شكّ من الدين الذين وصّى الله به نوحاً، وأوحاه إليك يا محمد، وأمركما بإقامته مريب. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ قال: اليهود والنصارى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (١٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: فإلى ذلك الدين الذي شَرَع لكم، ووصّى به نوحاً، وأوحاه إليك يا محمد، فادع عباد الله، واستقم على العمل به، ولا تَزِغ عنه، واثبتْ عليه كما أمرك ربك بالاستقامة. وقيل: فلذلك فادع، والمعنى: فإلى ذلك، فوضعت اللام موضع إلى، كما قيل: ﴿بأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾. وقد بيَّنا ذلك في غير موضع من كتابنا هذا.

وكان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك، في قوله: ﴿فَلِذَلكَ فادْعُ﴾ إلى معنى هذا، ويقول: معنى الكلام: فإلى هذا القرآن فادع واستقم. والذي قال من هذا القول قريب المعنى مما قلناه، غير أن الذي قلنا في ذلك أولى بتأويل الكلام، لأنه في سياق خبر الله جلّ ثناؤه عما شرع لكم من الدين لنبيه محمد ﷺ بإقامته، ولم يأت من الكلام ما يدلّ على انصرافه عنه إلى غيره.

وقوله: ﴿وَلا تَتَّبِعْ أهْوَاءَهُم﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تتبع يا محمد أهواء الذين شكُّوا في الحقّ الذي شرعه الله لكم من الذين أورثوا الكتاب من بعد القرون الماضية قبلهم، فتشك فيه، كالذي شكوا فيه ﴿وقُلْ آمَنْتُ بِمَا أنْزَلَ اللّهُ مِنْ كِتابٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وقل لهم يا محمد: صدّقتُ بما أنزل الله من كتاب كائناً ما كان ذلك الكتاب، توراة كان أو أنجيلاً أو زبوراً أو صحف إبراهيم، لا أكذّب بشيء من ذلك تكذيبكم ببعضه معشر الأحزاب، وتصديقكم ببعض.

وقوله: ﴿وأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللّهُ رَبُّنا وَرَبُّكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وقل لهم يا محمد: وأمرني ربي أن أعدل بينكم معشر الأحزاب، فأسير فيكم جميعاً بالحقّ الذي أمرني به وبعثني بالدعاء إليه. كالذي:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾** قال: أمر نبيّ الله ﷺ أن يعدل، فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه. والعدل ميزان الله في الأرض، به يأخذ للمظلوم من الظالم، وللضعيف من الشديد، وبالعدل يصدّق الله الصادق، ويكذّب الكاذب، وبالعدل يردّ المعتدي ويوبخه.

ذُكر لنا أن نبيّ الله داود عليه السلام: كان يقول: ثلاث من كنّ فيه أعجبني جداً: القصد في الفاقة والغنى، والعدل في الرضا والغضب، والخشية في السرّ والعلانية وثلاث من كنّ فيه أهلكه: شحّ مطاع، وهوىً متبع، وإعجاب المرء بنفسه. وأربع من أُعطِيَهُنّ فقد أُعطي خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن صابر، وزوجة مؤمنة.

واختلف أهل العربية في معنى اللام التي في قوله: **﴿وأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾** فقال بعض نحويي البصرة: معناها: كي، وأمرت كي أعدل وقال غيره: معنى الكلام: وأمرت بالعدل، والأمر واقع على ما بعده، وليست اللام التي في لأعدل بشرط قال: **﴿وأُمِرْتُ﴾** تقع على «أن» وعلى «كي» واللام أمرت أن أعبد، وكي أعبد، ولأعبد. قال: وكذلك كلّ ما طالب الاستقبال، ففيه هذه الأوجه الثلاثة.

والصواب من القول في ذلك عندي أن الأمر عامل في معنى لأعدل، لأن معناه: وأمرت بالعدل بينكم.

وقوله: **﴿اللّهُ رَبُّنا وَرَبُّكُمْ﴾** يقول: الله مالكنا ومالككم معشر الأحزاب من أهل الكتابين التوراة والإنجيل **﴿لَنا أعمالُنا ولَكُمْ أعمالُكُمْ﴾** يقول: لنا ثواب ما اكتسبناه من الأعمال، ولكم ثواب ما اكتسبتم منها.

وقوله: **﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾** يقول: لا خصومة بيننا وبينكم. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى والحارث، قال: ثنا الحسن، قال ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾** قال: لا خصومة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عزّ وجلّ: **﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾**: لا خصومة بيننا وبينكم، وقرأ: **﴿وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالتي هِيَ أحْسَنُ...﴾** إلى آخر الآية.

وقوله: **﴿اللّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنا﴾** يقول: الله يجمع بيننا يوم القيامة، فيقضي بيننا بالحق فيما اختلفنا فيه **﴿وإلَيْهِ المَصِيرُ﴾** يقول: وإليه المعاد والمرجع بعد مماتنا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: والذين يخاصمون في دين الله الذي ابتعث به نبيه محمداً ﷺ من بعد ما استجاب له الناس، فدخلوا فيه من الذين أورثوا الكتاب ﴿حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ﴾ يقول: خصومتهم التي يخاصمون فيه باطلة ذاهبة عند ربهم ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ يقول: وعليهم من الله غضب، ولهم في الآخرة عذاب شديد، وهو عذاب النار.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود خاصموا أصحاب رسول الله ﷺ في دينهم، وطمعوا أن يصدّوهم عنه، ويردّوهم عن الإسلام إلى الكفر. ذكر الرواية عمن ذكر ذلك عنه:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُحاجُونَ فِي اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ ولَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ قال: هم أهل الكتاب كانوا يجادلون المسلمين، ويصدّونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله. وقال: هم أهل الضلالة كان استجيب لهم على ضلالتهم، وهم يتربصون بأن تأتيهم الجاهلية.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَالَّذِينَ يُحاجُونَ في اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ قال: طمع رجال بأن تعود الجاهلية.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد، أنه قال في هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُحاجُونَ فِي اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ قال: بعد ما دخل الناس في الإسلام.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَالَّذِينَ يُحاجُونَ في الله مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ داحضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال: هم اليهود والنصارى، قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُحاجُونَ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ. . .﴾ الآية، قال: هم اليهود والنصارى حاجوا أصحاب نبيّ الله ﷺ، فقالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن أولى بالله منكم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَالَّذِينَ يُحاجُونَ فِي اللّهِ...**﴾ إلى آخر الآية، قال: نهاه عن الخصومة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**اللّهُ الَّذِي أنْزَلَ**﴾ هذا ﴿**الكِتابَ**﴾ يعني القرآن ﴿**بالحَقّ والمِيزَانَ**﴾ يقول: وأنزل الميزان وهو العدل، ليقضي بين الناس بالإنصاف، ويحكم فيهم بحكم الله الذي أمر به في كتابه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثنا الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**أنْزَلَ الكِتابَ بالحَقّ والمِيزَانَ**﴾ قال: العدل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**الَّذِي أنْزَلَ الكِتابَ بالحَقّ والمِيزَانَ**﴾ قال: الميزان: العدل.

وقوله: ﴿**وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: وأيّ شيء يدريك ويعلمك، لعل الساعة التي تقوم فيها القيامة قريب، ﴿**يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِها**﴾: يقول: يستعجلك يا محمد بمجيئها الذين لا يوقنون بمجيئها، ظناً منهم أنها غير جائية ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا**﴾ يقول: والذين صدّقوا بمجيئها، ووعد الله إياهم الحشر فيها، ﴿**مشفقون منها**﴾: يقول: وَجِلون من مجيئها، خائفون من قيامها، لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم فيها ﴿**وَيَعْلَمُونَ أنّها الحَقُّ**﴾ يقول: ويوقنون أن مجيئها الحقّ اليقين، لا يمترون في مجيئها ﴿**ألاَ إنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السَّاعَةِ**﴾ يقول تعالى ذكره: ألا إن الذين يخاصمون في قيام الساعة ويجادلون فيه ﴿**لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ**﴾ يقول: لفي جَور عن طريق الهدى، وزيغ عن سبيل الحقّ والرشاد، بعيد من الصواب.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ

ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره: الله ذو لطف بعباده، يرزق من يشاء فيوسع عليه ويقتّر على من يشاء منهم ﴿**وَهُوَ القَوِيُّ**﴾ الذي لا يغلبه ذو أيدٍ لشدّته، ولا يمتنع عليه إذا أراد عقابه بقدرته ﴿**العَزِيزُ**﴾ في انتقامه إذا انتقم من أهل معاصيه ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ**﴾ يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حرثه: يقول: نزد له في عمله الحسن، فنجعل له بالواحدة عشراً، إلى ما شاء ربنا من الزيادة ﴿**وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنيا نُؤْتِهِ مِنها**﴾ يقول: ومن كان يريد بعمله الدنيا ولها يسعى لا للآخرة، نؤته منها ما قسمنا له منها ﴿**وما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**﴾ يقول: وليس لمن طلب بعمله الدنيا، ولم يرد الله به في ثواب الله لأهل الأعمال التي أرادوه بأعمالهم في الدنيا حظّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ...**﴾ إلى ﴿**وَما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَصِيبٍ**﴾ قال: يقول: من كان إنما يعمل للدنيا نؤته منها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ له فِي حَرْثِهِ، وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا...**﴾ الآية، يقول: من آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيباً في الآخرة إلا النار، ولم نزده بذلك من الدنيا شيئاً إلا رزقاً قد فرغ منه وقسم له.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ**﴾ قال: من كان يريد الآخرة وعملها نزد له في عمله ﴿**وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنيا نُؤْتِهِ مِنها...**﴾ إلى آخر الآية، قال: من أراد الدنيا وعملها آتيناه منها، ولم نجعل له في الآخرة من نصيب الحرث العمل، من عمل للآخرة أعطاه الله، ومن عمل للدنيا أعطاه الله.

حدثني محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ**﴾ قال: من كان يريد عمل الآخرة نزد له في عمله.

وقوله: ﴿**وَما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**﴾ قال: للكافر عذاب أليم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ

ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره أم لهؤلاء المشركين بالله شركاء في شركهم وضلالتهم **﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدّينِ ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللّهُ﴾** يقول: ابتدعوا لهم من الدين ما لم يبح الله لهم ابتداعه **﴿وَلَوْلا كَلِمَةُ الفَصلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾** يقول تعالى ذكره: ولولا السابق من الله في أنه لا يعجل لهم العذاب في الدنيا، وأنه مضى من قيله إنهم مؤخرون بالعقوبة إلى قيام الساعة، لفرغ من الحكم بينكم وبينهم بتعجيلنا العذاب لهم في الدنيا، ولكن لهم في الآخرة من العذاب الأليم، كما قال جلّ ثناؤه: **﴿وَإنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** يقول: وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم مُوجِع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ترى يا محمد الكافرين بالله يوم القيامة **﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾** يقول: وَجِلين خائفين من عقاب الله على ما كسبوا في الدنيا من أعمالهم الخبيثة. **﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾** يقول: والذين هم مشفقون منه من عذاب الله نازل بهم، وهم ذائقوه لا محالة.

وقوله: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ﴾** يقول تعالى ذكره: والذين آمنوا بالله وأطاعوه فيما أمر ونهى في الدنيا في روضات البساتين في الآخرة. ويعني بالروضات: جمع روضة، وهي المكان الذي يكثر نبته، ولا تقول العرب لمواضع الأشجار رياض ومنه قول أبي النجم.

والـنَّـغْـضَ مِـثْـلَ الأَجْـرَبِ الـمُـدَّجَّـلِ   حَـدَائِـقَ الـرَّوْضِ الـتـي لَـمْ تُـحْـلَـلِ[1]

---

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز، لأبي النجم الفضل بن قدامة العجلي والأرجوزة بتمامها في مجلة المجمع العلمي (مجلد ٨/ ٤٧٢) وروى البيت الأول منهما وفسره ابن قتيبة في كتابه «**المعاني الكبير**»، طبع الهند (٣٣٢ ـ ٣٣٣) والنغض من أسماء الظليم، لأنه يحرك رأسه إذا عدا. والمدجل: المهنوء بالقطران. وشبهه بالأجرب، لأنه قد أسن وذهب ريشه من أرفاغه. وفي «**اللسان**» دجل: شدة طلي الجرب بالقطران. والمدجل: المهنوء بالقطران. ونغض برأسه ينغض نغضاً: حركه. وإنما سمى الظليم نغضاً: لأنه إذا عجل في مشيته ارتفع وانخفض. ا هـ. والنغض منصوب بالفعل «راعت» في البيت قبله، أي راقبته ونظرت إليه. والحدائق: جمع حديقة، وهي القطة من الزرع؛ وكل بستان كان عليه حائط فهو حديقة. وما لم يكن عليه حائط، لم يقل له حديقة. وقال الزجاج: الحدائق البساتين والشجر المتلف. و «**حدائق الروض**»: ما أعشب منه والتف. يقال: روضة بني فلان ما هي إلا حديقة. وإذا لم يكن فيها عشب فهي روضة «**اللسان**» حدق

يعني بالروض: جمع روضة. وإنما عنى جلّ ثناؤه بذلك: الخبر عما هم فيه من السرور والنعيم. كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ**﴾ إلى آخر الآية. قال في رياض الجنة ونعيمها.

وقوله: ﴿**لَهمْ ما يَشاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ يقول للذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم في الآخرة ما تشتهيه أنفسهم، وتلذّه أعينهم، ذلك هو الفضل الكبير، يقول تعالى ذكره: هذا الذي أعطاهم الله من هذا النعيم، وهذه الكرامة في الآخرة: هو الفضل من الله عليهم، الكبير الذي يفضل كلّ نعيم وكرامة في الدنيا من بعض أهلها على بعض.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتكم أيها الناس أني أعددته للذين آمنوا وعملوا الصالحات في الآخرة من النعيم والكرامة، البشرى التي يبشر الله عباده الذين آمنوا به في الدنيا، وعملوا بطاعته فيها ﴿**قُلْ لا أسألُكمْ عَلَيْهِ أجْراً**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للذين يمارونك في الساعة من مشركي قومك: لا أسألكم أيها القوم على دعايتكم إلى ما أدعوكم إليه من الحقّ الذي جئتكم به، والنصيحة التي أنصحكم ثواباً وجزاءً، وعوضاً من أموالكم تعطونَنيه ﴿**إلاّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبى**﴾.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿**إلاّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبى**﴾ فقال بعضهم: معناه: إلا أن تودّوني في قرابتي منكم، وتصلوا رحمي بيني وبينكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب ويعقوب، قالا: ثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ قال: لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله ﷺ وبينهم قرابة، فقال: «قُل لا أسألكم عليه أجراً أن

ونصب قوله حدائق بقوله «تبقلت من أول التبقل» وهو بيت في أول الأرجوزة. والتي لم تحلل التي لم توطأ ولم ترعها الحيوانات، فيقل نبتها.

تودّوني في القرابة التي بيني وبينكم».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو أسامة، قال: ثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس، في قوله: ﴿**قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ قال: سئل عنها ابن عباس، فقال ابن جبير: هم قربى آل محمد، فقال ابن عباس: عجلتَ، إن رسول الله ﷺ لم يكن بطن من بطون قريش إلا وله فيهم قرابة، قال: فنزلت ﴿**قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبى**﴾ قال: «إلا القرابة التي بيني وبينكم أن تصلوها».

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ قال: كان لرسول الله ﷺ قرابة في جميع قريش، فلما كذّبوه وأبَوْا أن يبايعوه قال: «يا قوم إذا أبيتم أن تبايعوني فاحفظوا قرابتي فيكم لا يكن غيركم من العرب أولى بحفظي ونُصرتي منكم».

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبى**﴾ يعني محمداً ﷺ، قال لقريش: لا أسألكم من أموالكم شيئاً، ولكن أسألكم أن لا تؤذوني لقرابة ما بيني وبينكم، فإنكم قومي وأحقّ من أطاعني وأجابني.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن عكرمة، قال: إن النبيّ ﷺ كان واسطاً في قريش، كان له في كلّ بطن من قريش نسب، فقال: «لا أسألُكُمْ على ما أدْعُوكُمْ إلَيْهِ إلاَّ أنْ تَحْفَظُوني في قَرَابَتِي، ﴿**قُل لا أسألُكُمْ عَلَيه أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ في القُرْبَى**﴾».

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن أَبي مالك، قال: كان رسول الله ﷺ واسط النسب من قريش ليس حيّ من أحياء قريش إلاَّ وقد ولدوه قال: فقال الله عزّ وجلّ: ﴿**قُلْ لا أسألُكُم عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبى**﴾: «إلا أن تودّوني لقرابتي منكم وتحفظوني».

حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: ثنا عبثر، قال: ثنا حصين، عن أبي مالك في هذه الآية: ﴿**قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ قال: كان رسول الله ﷺ من بني هاشم وأمه من بني زهرة وأم أبيه من بني مخزوم، فقال: «احفظوني في قرابتي».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا حرمي، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني عمارة، عن عكرمة، في قوله: ﴿**قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ قال: تعرفون قرابتي، وتصدّقونني بما جئت به، وتمنعوني.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾** وإن الله تبارك وتعالى أمر محمداً ﷺ أن لا يسأل الناس على هذا القرآن أجراً إلا أن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة، وكلّ بطون قريش قد ولدته وبينه وبينهم قرابة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾** أن تتبعوني، وتصدقوني وتصلوا رحمي.

حدثنا محمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾** قال لم يكن بطن من بطون قريش إلا لرسول الله ﷺ فيهم ولادة، فقال: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودّوني لقرابتي منكم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَودَّةَ فِي القُرْبَى﴾** يعني قريشاً. يقول: إنما أنا رجل منكم، فأعينوني على عدوّي، واحفظوا قرابتي، وإن الذي جئتكم به لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القُربى، أن تودّوني لقرابتي، وتعينوني على عدوي.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبى﴾** قال: يقول: إلا أن تودّوني لقرابتي كما تَوادّون في قرابتكم وتواصلون بها، ليس هذا الذي جئت به يقطع ذلك عني، فلست أبتغي على الذي جئت به أجراً آخذه على ذلك منكم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن عطاء بن دينار، في قوله: **﴿قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾** يقول: لا أسألكم على ما جئتكم به أجراً، إلا أن تودّوني في قرابتي منكم، وتمنعوني من الناس.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾** قال: كل قريش كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ قرابة، فقال: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودّوني بالقرابة التي بيني وبينكم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قل لمن تبعك من المؤمنين: لا أسألكم على ما جئتكم به أجراً إلا أن تودّوا قرابتي.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا إسماعيل بن أبان، قال: ثنا الصباح بن يحيى المريّ، عن السديّ، عن أبي الديلم قال: لما جيء بعليّ بن الحسين رضي الله عنهما أسيراً، فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم، وقطع قربى الفتنة، فقال له عليّ بن الحسين رضي الله عنه: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أقرأت آل حم؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم، قال: ما قرأت ﴿**قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾؟ قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا مالك بن إسماعيل، قال: ثنا عبد السلام، قال: ثنا يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا، فكأنهم فخروا، فقال ابن عباس، أو العباس، شكّ عبد السلام: لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأتاهم في مجالسهم، فقال: «يا مَعْشَرَ الأنْصارِ أَلَمْ تَكُونُوا أذِلَّةً فأعَزَّكُمُ اللّهُ بِي؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «أَلَمْ تَكُونُوا ضُلاَّلاً فَهَداكُمُ اللّهُ بِي؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «أفَلاَ تُجِيبُونِي؟» قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: «ألا تقولونَ: أَلَمْ يُخْرِجْكَ قَوْمُكَ فآوَيْناكَ، أوَ لَمْ يُكَذِّبوكَ فَصَدَّقْناكَ، أوَ لَمْ يَخْذُلُوكَ فَنَصَرْناكَ؟» قال: فما زال يقول حتى جثوا على الركب، وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله، قال: فنزلت ﴿**قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾.

حدثني يعقوب، قال: ثنا مروان، عن يحيى بن كثير، عن أبي العالية، عن سعيد بن جُبير، في قوله: ﴿**قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ قال: هي قُربى رسول الله ﷺ.

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ومحمد بن خلف قالا: ثنا عبيد الله قال أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق قال: سألت عمرو بن شعيب، عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيه أجراً إلاَّ الموَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ قال: قُربى النبيّ ﷺ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قل لا أسألكم أيها الناس على ما جئتكم به أجراً إلا أن تَوَدَّدوا إلى الله، وتتقرّبوا بالعمل الصالح والطاعة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن داود ومحمد بن داود أخوه أيضاً قالا: ثنا عاصم بن علي، قال: ثنا قزعة بن سويد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ: «قُلْ لا أسألُكُمْ على ما أَتَيْتُكُمْ بِهِ مِنَ البَيِّناتِ وَالهُدَى أجْراً إلاَّ أنْ تَوَدَّدُوا للّهِ، وتَتَقَرَّبُوا إلَيْهِ بطاعَتِهِ».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور بن زاذان، عن

الحسن أنه قال في هذه الآية ﴿**قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيه أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ قال: القُربى إلى الله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿**قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ قال: إلا التقرّب إلى الله، والتودّد إليه بالعمل الصالح.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الحسن: في قوله: ﴿**قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ قل لا أسألكم على ما جئتكم به، وعلى هذا الكتاب أجراً، إلا المودّة في القربى، إلا أن تودّدوا إلى الله بما يقرّبكم إليه، وعمل بطاعته.

قال بشر: قال يزيد: وحدثنيه يونس، عن الحسن، حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبى**﴾ إلا أن تودّدوا إلى الله فيما يقرّبكم إليه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إلا أن تصلوا قرابتكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا قرة، عن عبد الله بن القاسم، في قوله: ﴿**إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ قال: أمرت أن تصل قرابتك.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال: معناه: قل لا أسألكم عليه أجراً يا معشر قريش، إلا أن تودّوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم.

وإنما قلت: هذا التأويل أولى بتأويل الآية لدخول «في» في قوله: ﴿**إلاَّ المَوَدَةَ فِي القُرْبَى**﴾، ولو كان معنى ذلك على ما قاله من قال: إلا أن تودّوا قرابتي، أو تقربوا إلى الله، لم يكن لدخول «في» في الكلام في هذا الموضع وجه معروف، ولكان التنزيل: إلا مودّة القربى إن عُنِيَ به الأمر بمودّة قرابة رسول الله ﷺ، أو إلا المودّة بالقُرْبَى، أو ذا القربَى إن عُنِيَ به التودّد والتقرّب. وفي دخول «في» في الكلام أوضح الدليل على أن معناه: إلا مودّتي في قرابتي منكم، وأن الألف واللام في المودّة أدخلتا بدلاً من الإضافة، كما قيل: ﴿**فَإنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى**﴾. وقوله: «إلا» في هذا الموضع استثناء منقطع. ومعنى الكلام: قل لا أسألكم عليه أجراً، لكني أسألكم المودّة في القُربى، فالمودّة منصوبة على المعنى الذي ذكرت. وقد كان بعض نحويي البصرة يقول: هي منصوبة بمضمر من الفعل، بمعنى: إلا أن أذكر مودّة قرابتي.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يعمل حسنة، وذلك أن يعمل عملاً يطيع الله فيه من المؤمنين ﴿نَزِدْ لَهُ فيها حُسْناً﴾ يقول: نضاعف عمله ذلك الحسن، فنجعل له مكان الواحد عشراً إلى ما شئنا من الجزاء والثواب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ قال: يعمل حسنة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً﴾ قال: من يعمل خيراً نزد له. الاقْتراف: العمل.

وقوله: ﴿إنَّ اللّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يقول: إن الله غفور لذنوب عباده، شكور لحسناتهم وطاعتهم إياه. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿إنَّ اللّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للحسنات يضاعفها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إنَّ اللّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ قال: غفر لهم الذنوب، وشكر لهم نعماً هو أعطاهم إياها، وجعلها فيهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: أم يقول هؤلاء المشركون بالله: ﴿افْتَرَى﴾ محمد ﴿على اللّهِ كَذِباً﴾ فجاء بهذا الذي يتلوه علينا اختلاقاً من قِبَل نفسه. وقوله: ﴿فَإنْ يَشأِ اللّهُ﴾ يا محمد يطبع على قلبك، فتنس هذا القرآن الذي أُنزل إليك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿أمْ يَقُولُونَ افْتَرَى على الله كَذِباً، فإنْ يَشأ اللّهُ يَختِم على قَلْبكَ﴾ فينسيك القرآن.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿فإنْ يَشأ اللّهُ يَخْتِمْ على قَلْبِكَ﴾** قال: إن يشأ الله أنساك ما قد أتاك.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قول الله عزّ وجلّ: **﴿فإنْ يَشأ اللّهُ يَخْتِمْ على قَلْبِكَ﴾** قال: يطبع.

وقوله: **﴿ويَمْحُ اللّهُ الباطِلَ﴾** يقول: ويذهب الله بالباطل فيمحقه **﴿ويُحِقُّ الحَقَّ بكَلِماتِهِ﴾** التي أنزلها إليك يا محمد فيثبته.

وقوله: **﴿وَيَمْحُ اللّهُ الباطِلَ﴾** في موضع رفع بالابتداء، ولكنه حُذفت منه الواو في المصحف، كما حُذفت من قوله: **﴿سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ﴾** ومن قوله: **﴿وَيَدْعُ الإنْسانُ بالشَّرِّ﴾** وليس بجزم على العطف على يختم.

وقوله: **﴿إنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾** يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما في صدور خلقه، وما تنطوي عليه ضمائرهم، لا يخفى عليه من أمورهم شيء، يقول لنبيه ﷺ: لو حدّثت نفسك أن تفتري على الله كذباً، لطبعت على قلبك، وأذهبت الذي آتيتك من وحيي، لأني أمحو الباطل فأذهبه، وأحقّ الحقّ، وإنما هذا إخبار من الله الكافرين به، الزاعمين أن محمداً افترى هذا القرآن من قِبل نفسه، فأخبرهم أنه إن فعل لفعل به ما أخبر به في هذه الآية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والله الذي يقبل مراجعة العبد إذا رجع إلى توحيد الله وطاعته من بعد كفره **﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ﴾** يقول: ويعفو أن يعاقبه على سيئاته من الأعمال، وهي معاصيه التي تاب منها **﴿وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ﴾** اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة «يَفْعَلُونَ» بالياء، بمعنى: ويعلم ما يفعل عباده، وقرأته عامة قرّاء الكوفة **﴿تَفْعَلُونَ﴾** بالتاء على وجه الخطاب.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قَرَأة الأمصار متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، غير أن الياء أعجب إليّ، لأن الكلام من قبل ذلك جرى على الخبر، وذلك قوله: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ﴾** ويعني جلّ ثناؤه بقوله: **﴿وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ﴾** ويعلم ربكم أيها الناس ما تفعلون من خير وشرّ، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو مجازيكم على كل ذلك جزاءه، فاتقوا الله في أنفسكم، واحذروا أن تركبوا ما تستحقون به منه العقوبة.

حدثنا تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا إسحاق بن يوسف، عن شريك عن إبراهيم بن مهاجر، عن إبراهيم النخعي، عن همام بن الحارث، قال: أتينا عبد الله نسأله عن هذه الآية: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئاتِ وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ**﴾ قال: فوجدنا عنده أناساً أو رجالاً يسألونه عن رجل أصاب من امرأة حراماً، ثم تزوّجها، فتلا هذه الآية ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئاتِ وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويجيب الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه لبعضهم دعاء بعض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثام، قال: ثنا الأعمش، عن شقيق بن سلمة، عن سلمة بن سبرة، قال: خطبنا معاذ، فقال: أنتم المؤمنون، وأنتم أهل الجنة، والله إني لأرجو أن من تصيبون من فارس والروم يدخلون الجنة، ذلك بأن أحدهم إذا عمل لأحدكم العمل قال: أحسنت رحمك الله، أحسنت غفر الله لك، ثم قرأ: ﴿**وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ**﴾.

وقوله: ﴿**وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ يقول تعالى ذكره: ويزيد الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع إجابته إياهم دعاءهم، وإعطائه إياهم مسألتهم من فضله على مسألتهم إياه، بأن يعطيهم ما لم يسألوه. وقيل: إن ذلك الفضل الذي ضمن جلّ ثناؤه أن يزيدهموه، هو أن يشفعهم في إخوان إخوانهم إذا هم شفعوا في إخوانهم، فشفعوا فيهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابيّ، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن إبراهيم النخعيّ في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ**﴾ قال: يُشَفَّعون في إخوانهم، ويزدهم من فضله، قال: يشفعون في إخوان إخوانهم.

وقوله: ﴿**والكافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: والكافرون بالله لهم يوم القيامة عذاب شديد على كفرهم به.

واختلف أهل العربية في معنى قوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فقال بعضهم: أي استجاب فجعلهم هم الفاعلين، فالذين في قوله رفع، والفعل لهم. وتأويل الكلام على هذا المذهب: واستجاب الذين آمنوا وعملوا الصالحات لربهم إلى الإيمان به، والعمل بطاعته إذ دعاهم إلى ذلك.

وقال آخر منهم: بل معنى ذلك: ويجيب الذين آمنوا. وهذا القول يحتمل وجهين: أحدهما الرفع، بمعنى: ويجيب الله الذين آمنوا. والآخر ما قاله صاحب القول الذي ذكرنا.

وقال بعض نحويي الكوفة: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يكون «الذين» في موضع نصب بمعنى: ويجيب الله الذين آمنوا. وقد جاء في التنزيل: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ والمعنى: فأجاب لهم ربهم، إلا أنك إذا قلت استجاب، أدخلت اللام في المفعول وإذا قلت أجاب حذفت اللام، ويكون استجابهم، بمعنى: استجاب لهم، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ والمعنى والله أعلم: وإذا كالوا لهم، أو وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾. قال: ويكون «الذين» في موضع رفع إن يجعل الفعل لهم، أي الذين آمنوا يستجيبون لله، ويزيدهم على إجابتهم، والتصديق به من فضله. وقد بيّنا الصواب في ذلك من القول على ما تأوّله معاذ ومن ذكرنا قوله فيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾.

ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل قوم من أهل الفاقة من المسلمين تمنوا سعة الدنيا والغنى، فقال جلّ ثناؤه: ولو بسط الله الرزق لعباده، فوسعه وكثره عندهم لبغوا، فتجاوزوا الحدّ الذي حدّه الله لهم إلى غير الذي حدّه لهم في بلاده بركوبهم في الأرض ما حظره عليهم، ولكنه ينزل رزقهم بقدر لكفايتهم الذي يشاء منه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال أبو هانيء: سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون: إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصفّة ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللّهُ الرّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الأرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بقَدَرٍ ما يَشاءُ﴾ ذلك بأنهم قالوا: لو أن لنا، فتمنوا.

حدثنا محمد بن سنان القزاز، قال: ثنا أبو عبد الرحمن المقري، قال: ثنا حيوة، قال: أخبرني أبو هانيء، أنه سمع عمرو بن حريث يقول: إنما نزلت هذه الآية، ثم ذكر مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿ولَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوا فِي الأَرْضِ﴾** الآية... قال: كان يقال: خير الرزق ما لا يُطغيك ولا يُلهيك.

وذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال: «أَخْوَفُ ما أخافُ على أُمَّتِي زَهْرَةُ الدُّنيا وكَثْرَتُها». فقال له قائل: يا نبي الله: هل يأتي الخير بالشرّ؟ فقال النبي ﷺ: «هَلْ يَأْتِي الخَيْرُ بالشَّرِّ؟» فأنزل الله عليه عند ذلك، وكان إذا نزل عليه كرب[1] لذلك، وتربّد وجهه، حتى إذا سرّي عن نبي الله ﷺ قال: «هَلْ يَأْتِي الخَيْرُ بالشَّرّ» يقولها ثلاثاً: «إنَّ الخَيْرَ لا يأتِي إلاَّ بالخَيْرِ»، يقولها ثلاثاً. وكان ﷺ وتر الكلام: «ولكنه والله ما كان ربيع قط إلا أحبط أو ألمّ فأما عبد أعطاه الله مالاً، فوضعه في سبيل الله التي افترض وارتضى، فذلك عبد أريد به خير، وعزم له على الخير، وأما عبد أعطاه الله مالاً فوضعه في شهواته ولذّاته، وعدل عن حقّ الله عليه، فذلك عبد أريد به شرّ، وعزم له على شرّ».

وقوله: **﴿إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾** يقول تعالى ذكره: إن الله بما يصلح عباده ويفسدهم من غنى وفقر وسعة وإقتار، وغير ذلك من مصالحهم ومضارّهم، ذو خبرة، وعلم، بصير بتدبيرهم، وصرفهم فيما فيه صلاحهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والله الذي ينزل المطر من السماء فيغيثكم به أيها الناس **﴿مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا﴾** يقول: من بعد ما يئس من نزوله ومجيئه **﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾** يقول: وينشر في خلقه رحمته، ويعني بالرحمة: الغيث الذي ينزله من السماء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: أنه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: أجدبت الأرض، وقنط الناس، قال: مطروا إذن.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا﴾** قال: يئسوا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال: ذُكر لنا أن رجلاً أتى عمر بن

---

(١) في «**اللسان**» كرب وفي الحديث: كان إذا أتاه الوحي كرب له، أي أصابه الكرب فهو مكروب.

الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين قحط المطر، وقنط الناس قال: مطرتم ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ**﴾.

وقوله: ﴿**وَهُوَ الوَلِيّ الحَمِيدُ**﴾ يقول: وهو الذي يليكم بإحسانه وفضله، الحميد بأياديه عندكم، ونعمه عليكم في خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ (٢٩)﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيها الناس أنه القادر على إحيائكم بعد فنائكم، وبعثكم من قبوركم من بعد بلائكم، خلقه السموات والأرض، وما بثّ فيهما من دابة. يعني وما فرّق في السموات والأرض من دابة. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَما بَثَّ فِيهِما مِنْ دَابَّةٍ**﴾ قال: الناس والملائكة ﴿**وَهُوَ على جَمْعِهِمْ إذَا يَشاءُ قَدِيرٌ**﴾ يقول: وهو على جمع ما بثّ فيهما من دابة إذا شاء جمعه، ذو قدرة لا يتعذّر عليه، كما لم يتعذر عليه خلقه وتفريقه، يقول تعالى ذكره: فكذلك هو القادر على جمع خلقه بحشر يوم القيامة بعد تفرّق أوصالهم في القبور.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ (٣٠) وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١)﴾.

يقول تعالى ذكره: وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة في الدنيا في أنفسكم وأهليكم وأموالكم ﴿**فَبِما كَسَبَتْ أيْدِيكُمْ**﴾ يقول: فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترمتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم ويعفو لكم ربكم عن كثير من إجرامكم، فلا يعاقبكم بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا أيوب، قال: قرأت في كتاب أبي قلابة، قال: نزلت: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ**﴾ وأبو

بكر رضي الله عنه يأكل، فأمسك فقال: يا رسول الله إني لراءٍ ما عملت من خير أو شر؟ فقال: «أرأيْتَ ما رأيْتَ مِمَّا تَكْرَهُ فَهُوَ مِنْ مَثاقِيلِ ذَرِّ الشَّرِّ، وَتَدَّخِرُ مَثاقِيلَ الخَيْرِ حتى تُعْطاهُ يَوْمَ القِيامَةِ»، قال: قال أبو إدريس: فأرى مصداقها في كتاب الله، قال: ﴿**وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ**﴾.

قال أبو جعفر: حدّث هذا الحديث الهيثم بن الربيع، فقال فيه أيوب عن أبي قلابة، عن أنس، أن أبا بكر رضي الله عنه كان جالساً عند النبيّ ﷺ، فذكر الحديث، وهو غلط، والصواب عن أبي إدريس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ...**﴾ الآية «ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «لا يُصِيبُ ابْنَ آدَمَ خَدْشُ عُودٍ، وَلا عَثْرَةُ قَدَمٍ، وَلا اخْتِلاجُ عِرْقٍ إلاَّ بِذَنْبٍ، وَما يَعْفُو عَنْهُ أكْثَرُ».

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أيديكم...**﴾ الآية، قال: يعجل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم ولا يؤاخذون بها في الآخرة.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: وما عوقبتم في الدنيا من عقوبة بحدّ حُددتموه على ذنب استوجبتموه عليه فبما كسبت أيديكم: يقول: فبما عملتم من معصية الله ﴿**وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ**﴾ فلا يوجب عليكم فيها حدّاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن ﴿**وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ...**﴾ الآية، قال: هذا في الحدود. وقال قتادة: بلغنا أنه ما من رجل يصيبه عثرة قدم ولا خدش عود أو كذا وكذا إلا بذنب، أو يعفو، وما يعفو أكثر.

وقوله: ﴿**وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ**﴾ يقول: وما أنتم أيها الناس بمفيتي ربكم بأنفسكم إذا أراد عقوبتكم على ذنوبكم التي أذنبتموها، ومعصيتكم إياه التي ركبتموها هرباً في الأرض، فمعجزيه، حتى لا يقدر عليكم، ولكنكم حيث كنتم في سلطانه وقبضته، جارية فيكم مشيئته ﴿**وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ**﴾ يليكم بالدفاع عنكم إذا أراد عقوبتكم على معصيتكم إياه ﴿**ولا نَصِيرٍ**﴾ يقول: ولا لكم من دونه نصير ينصركم إذا هو عاقبكم، فينتصر لكم منه، فاحذروا أيها الناس معاصيه، واتقوه أن تخالفوه فيما أمركم أو نهاكم، فإنه لا دافع لعقوبته عمن أحلها به.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله أيها الناس عليكم بأنه القادر على كلّ ما يشاء، وأنه لا يتعذّر عليه فعل شيء أراده، السفن الجارية في البحر. والجواري: جمع جارية، وهي السائرة في البحر. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**الجَوَارِ في البَحْرِ**﴾ قال: السفن.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَمِنْ آياتِهِ الجَوارِ في البَحْرِ**﴾ قال: الجواري: السفن.

وقوله: ﴿**كالأعْلامِ**﴾ يعني كالجبال: واحدها علم ومنه قول الشاعر:

كــأنّــه عَــلَــمٌ فِــي رأسِــهِ نــارُ[1]

يعني: جَبَل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**كالأعْلامِ**﴾ قال: كالجبال.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: الأعلام: الجبال.

وقوله: ﴿**إنْ يَشأْ يُسْكِنِ الرّيح فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ**﴾ يقول تعالى ذكره: إن يشأ الله الذي قد أجرى هذه السفن في البحر أن لا تجري فيه، أسكن الريح التي تجري بها فيه، فثبتن في

(١) هذا عجز بيت لخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمي، من قصيدة ترثي بها أخاها صخراً (معاهد التنصيص للعباسي) وصدره:

وَإنَّ صَـخْـراً لَـتَـأْتَـم الـهُـداةُ بِـهِ

وقد استشهد به المؤلف عند قوله تعالى: ﴿وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام﴾ على أن الأعلام في البيت جمع علم بالتحريك، وهو الجبل. وقد كان العرب يوقدون النار في أعالي الجبال، لهداية الغريب والجائع ونحوهما.

موضع واحد، ووقفن على ظهر الماء لا تجري فتتقدّم ولا تتأخر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَمِنْ آياتِهِ الجَوارِ فِي البَحْرِ كالأعْلام، إنْ يَشأْ يُسْكِنِ الرّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ﴾** سفن هذا البحر تجري بالريح فإذا أمسكت عنها الريح ركدت، قال الله عزّ وجلّ: **﴿إنَّ فِي ذلك لآياتٍ لكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾**.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿إنْ يَشأْ يُسْكِنِ الرّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ﴾** لا تجري.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ﴾** يقول: وقوفاً.

وقوله: **﴿إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾** يقول: إن في جري هذه الجواري في البحر بقُدرة الله لعظة وعبرة وحجة بينة على قُدرة الله على ما يشاء، لكل ذي صبر على طاعة الله، شكور لنِعمه وأياديه عنده.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أو يوبق هذه الجواري في البحر بما كسبت ركبانها من الذنوب، واجترموا من الآثام، وجزم يوبقهنّ، عطفاً على **﴿يُسْكِنِ الرّيحَ﴾** ومعنى الكلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره، **﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾** ويعني بقوله: **﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾** أو يهلكهنّ بالغرق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾** يقول: يهلكهنّ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾**: أو يهلكهنّ.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿أو يُوبِقْهُنّ﴾ قال: يغرقهن بما كسبوا. وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾: أي بذنوب أهلها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ قال: بذنوب أهلها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبوا﴾ قال: يوبقهنّ بما كسبت أصحابهنّ.

وقوله: ﴿وَيَعْفُواْ عَنْ كَثِيرٍ﴾ يقول: ويصفح تعالى ذكره عن كثير من ذنوبكم فلا يعاقب عليها.

وقوله: ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِنا﴾ يقول جلّ ثناؤه: ويعلم الذين يخاصمون رسوله محمداً ﷺ من المشركين في آياته وعبره وأدلته على توحيده.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة «وَيَعْلَمُ الَّذِينَ» رفعاً على الاستئناف، كما قال في سورة براءة: ﴿وَيَتُوبُ اللّهُ على مَنْ يَشاءُ﴾ وقرأته قرّاء الكوفة والبصرة ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ﴾ نصباً كما قال في سورة آل عمران ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ على الصرف وكما قال النابغة:

فَإنْ يَهْلِكْ أبو قابُوسَ يَهْلِكْ ... رَبِيعُ النَّاسِ والشَّهْرُ الحَرَامُ
وَنُمْسِكَ بَعْدَهُ بِذنابِ عَيْشٍ ... أجَبِّ الظَّهْرِ لَهُ سَنامُ[1]

(١) البيتان للنابغة الذبياني من مقطوعة يخاطب بها عصام بن شهبرة الجرمي حاجب النعمان، ويسأله عما بلغه من مرضه «**مختار الشعر الجاهلي**» بشرح مصطفى السقا (ص ـ ١٩١) وقوله: «ربيع الناس» جعل النعمان بمنزلة الربيع في الحصب، لكثرة عطائه. وهو موضع الأمن من كل مخافة لمستجير وغيره، مثل الشهر الحرام. و«أجب الظهر» لا سنام له. ويجوز في الظهر: الرفع والنصب والجر. يقول: نبقى بعده في شدة من العيش وسوء حال. وذناب الشيء: ذنبه. والشاهد في البيتين في قوله «ونأخذ» فإنه يجوز فيه الرفع على الاستئناف، والنصب بتقدير «أن»، والجزم بالعطف على يهلك «**فرائد القلائد**» للعيني. وقال الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٢٩٢) وقوله ﴿ويعفوا عن كثير ويعلم الذين﴾ مردودة على الجزم إلا أنه صرف (النصب على الصرف مذهب للفراء في العطف على المجزوم كما في الآية، وفي المفعول معه، وفي خبر المبتدأ إذا كان ظرفاً) قال: والجزم إذا صرف عنه معطوفه نصب، كقوله الشاعر: =

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: ﴿**ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: ما لهم من محيد من عقاب الله إذا عاقبهم على ذنوبهم، وكفرهم به، ولا لهم منه ملجأ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط عن السديّ، قوله: ﴿**ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ**﴾: ما لهم من ملجأ.

وقوله: ﴿**فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الحَياةِ الدُّنْيا**﴾ يقول تعالى ذكره: فما أعطيتم أيها الناس من شيء من رياش الدنيا من المال والبنين، فمتاع الحياة الدنيا، يقول تعالى ذكره: فهو متاع لكم تتمتعون به في الحياة الدنيا، وليس من دار الآخرة، ولا مما ينفعكم في معادكم ﴿**وَما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وأبْقَى**﴾ يقول تعالى ذكره: والذي عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة، خير مما أوتيتموه في الدنيا من متاعها وأبقى، لأن ما أوتيتم في الدنيا فإنه نافد، وما عند الله من النعيم في جنانه لأهل طاعته باقٍ غير نافد ﴿**لِلَّذِينَ آمنوا**﴾: يقول: وما عند الله للذين آمنوا به، وعليه يتوكلون في أمورهم، وإليه يقومون في أسبابهم، وبه يثقون، خير وأبقى مما أوتيتموه من متاع الحياة الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما عند الله للذين آمنوا ﴿**وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ**﴾، وكبائر فواحش الإثم، قد بيَّنا اختلاف أهل التأويل فيها وبيّنا الصواب من القول عندنا فيها في سورة النساء، فأغنى ذلك عن إعادته ها هنا. ﴿**وَالفَوَاحِشَ**﴾ قيل: إنها الزنى:

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**والفَوَاحِشَ**﴾ قال:

= «فإن يهلك........ البيتين».

والرفع جائز في المنصوب على الصرف. وقد قرأ بذلك قوم، فرفعوا ويعلم الذين يجادلون. ومثله مما استؤنف فرفع: «ويتوب الله من بعد ذلك على من يشاء» في براءة. ولو جزم «ويعلم» جازم كان مصيباً. ا هـ.

الفواحش: الزنى واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**كَبائِرَ الإِثْمِ**﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة على الجماع كذلك في النجم، وقرأته عامة قرّاء الكوفة «كَبِيرَ الإِثْمِ» على التوحيد فيهما جميعاً وكأن من قرأ ذلك كذلك، عنى بكبير الإثم: الشرك، كما كان الفرّاء يقول: كأني أستحب لمن قرأ كبائر الإثم أن يخفض الفواحش، لتكون الكبائر مضافة إلى مجموع إذ كانت جمعاً، وقال: ما سمعت أحداً من القرّاء خفض الفواحش.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء على تقارب معنييهما، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: ﴿**وَإِذَا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا ما غضبوا على من اجترم إليهم جرماً، هم يغفرون لمن أجرم إليهم الجرم ذنبه، ويصفحون عنه عقوبة ذنبه.

وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ وأقامُوا الصَّلاةَ**﴾ يقول تعالى ذكره: والذين أجابوا لربهم حين دعاهم إلى توحيده، والإقرار بوحدانيته والبراءة من عبادة كل ما يعبد دونه ﴿**وأقامُوا الصَّلاةَ**﴾ المفروضة بحدودها في أوقاتها ﴿**وأمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ يقول: وإذا حزبهم أمر تشاوروا بينهم، ﴿**ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ يقول: ومن الأموال التي رزقناهم ينفقون في سبيل الله، ويؤدّون ما فرض عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة على من تجب عليه نفقته. وكان ابن زيد يقول: عنى بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ...**﴾ الآية الأنصار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وقرأ ﴿**وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُون كَبائِرَ الإِثْم والفَوَاحِشَ وَإِذَا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**﴾ قال: فبدأ بهم ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ**﴾ الأنصار ﴿**وأقامُوا الصَّلاةَ**﴾ وليس فيهم رسول الله ﷺ ﴿**وأمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ ليس فيهم رسول الله ﷺ أيضاً.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والذين إذا بغى عليهم باغٍ، واعتدى عليهم هم ينتصرون.

ثم اختلف أهل التأويل في الباغي الذي حمد تعالى ذكره، المنتصر منه بعد بغيه عليه، فقال بعضهم: هو المشرك إذا بغى على المسلم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرني ابن وهب قال: قال ابن زيد: ذكر المهاجرين صنفين، صنفاً عفا، وصنفاً انتصر، وقرأ ﴿**وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ والفَوَاحِشَ وَإذَا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**﴾ قال: فبدأ بهم ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ...**﴾ إلى قوله: ﴿**ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ وهم الأنصار. ثم ذكر الصنف الثالث فقال: ﴿**وَالَّذِينَ إذَا أصابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ**﴾ من المشركين. وقال آخرون: بل هو كل باغٍ بغى فحمد المنتصر منه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**وَالَّذِينَ إذَا أصابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ**﴾ قال: ينتصرون ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا.

وهذا القول الثاني أولى في ذلك بالصواب، لأن الله لم يخصص من ذلك معنى دون معنى، بل حمد كلّ منتصر بحقّ ممن بغى عليه.

فإن قال قائل: وما في الانتصار من المدح؟ قيل: إن في إقامة الظالم على سبيل الحقّ وعقوبته بما هو له أهل تقويماً له، وفي ذلك أعظم المدح.

وقوله: ﴿**وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها**﴾ وقد بيَّنا فيما مضى معنى ذلك، وأن معناه: وجزاء سيئة المسيء عقوبته بما أوجبه الله عليه، فهي وإن كانت عقوبة من الله أوجبها عليه، فهي مَساءة له. والسيئة: إنما هي الفعلة من السوء، وذلك نظير قول الله عزّ وجلّ ﴿**وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إلاَّ مِثْلَها**﴾ وقد قيل: إن معنى ذلك: أن يجاب القائل الكلمة القزعة بمثلها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: قال لي أبو بشر: سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله: ﴿**وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها**﴾ قال: يقول أخزاه الله، فيقول: أخزاه الله.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها**﴾ قال: إذا شتمك بشتيمة فاشتمه مثلها من غير أن تعتدي. وكان ابن زيد يقول في ذلك بما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في: ﴿**وَالَّذِينَ إذَا أصَابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ**﴾ من المشركين ﴿**وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها فَمَنْ عَفا وأصْلَحَ...**﴾ الآية، ليس

أمركم أن تعفوا عنهم لأنه أحبهم ﴿**وَلَمَنِ انْتَصَر بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ**﴾، ثم نسخ هذا كله وأمره بالجهاد، فعلى قول ابن زيد هذا تأويل الكلام: وجزاء سيئة من المشركين إليكم، سيئة مثلها منكم إليهم، وإن عفوتم وأصلحتم في العفو، فأجركم في عفوكم عنهم إلى الله، إنه لا يحبّ الكافرين وهذا على قوله كقول الله عزّ وجلّ ﴿**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ ما اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللّهَ**﴾، وللذي قال من ذلك وجه. غير أن الصواب عندنا: أن تحمل الآية على الظاهر ما لم ينقله إلى الباطن ما يجب التسليم له، وأن لا يحكم لحكم في آية بالنسخ إلا بخبر يقطع العذر، أو حجة يجب التسليم لها، ولم تثبت حجة في قوله: ﴿**وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها**﴾ أنه مراد به المشركون دون المسلمين، ولا بأن هذه الآية منسوخة، فنسلم لها بأن ذلك كذلك.

وقوله: ﴿**فَمَنْ عَفا وأصْلَحَ فَأجْرُهُ على اللّهِ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: فمن عفا عمن أساء إليه إساءته إليه، فغفرها له، ولم يعاقبه بها، وهو على عقوبته عليها قادر ابتغاء وجه الله، فأجر عفوه ذلك على الله، والله مثيبه عليه ثوابه ﴿**إنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ يقول: إن الله لا يحبّ أهل الظلم الذين يتعدّون على الناس، فيسيئون إليهم بغير ما أذن الله لهم فيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولمن انتصر ممن ظلمه من بعد ظلمه إياه ﴿**فَأُولَئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ**﴾ يقول: فأولئك المنتصرون منهم لا سبيل للمنتصر منهم عليهم بعقوبة ولا أذى، لأنهم انتصروا منهم بحقّ، ومن أخذ حقه ممن وجب ذلك له عليه، ولم يتعدّ، لم يظلم، فيكون عليه سبيل.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنيّ بذلك، فقال بعضهم: عني به كلّ منتصر ممن أساء إليه، مسلماً كان المسيء أو كافراً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا معاذ، قال: ثنا ابن عون، قال: كنت أسأل عن الانتصار ﴿**وَلَمن انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ...**﴾ الآية، فحدثني عليّ بن زيد بن جدعان، عن أمّ محمد امرأة أبيه، قال ابن عون: زعموا أنها كانت تدخل على أمّ المؤمنين قالت: قالت أمّ المؤمنين: دخل رسول الله ﷺ، وعندنا زينب بنت جحش، فجعل يصنع بيده شيئاً، ولم

يفطن لها، فقلت بيده حتى فطّنته لها، فأمسك، وأقبلت زينب تقحم لعائشة[١]، فنهاها، فأبت أن تنتهي، فقال لعائشة: «سُبيها» فسبتها وغلبتها وانطلقت زينب فأتت علياً، فقالت: إن عائشة تقع بكم وتفعل بكم، فجاءت فاطمة، فقال لها: «إنها حِبَّة أبيك وربّ الكَعْبَة»، فانصرفت وقالت لعليّ: إني قلت له كذا وكذا، فقال كذا وكذا قال: وجاء عليّ إلى النبيّ ﷺ فكلّمه في ذلك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلَمَنِ انْتَصَر بَعْدَ ظُلْمِهِ...**﴾ الآية، قال: هذا في الخمش[٢] يكون بين الناس.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ**﴾ قال: هذا فيما يكون بين الناس من القصاص، فأما لو ظلمك رجل لم يحلّ لك أن تظلمه.

وقال آخرون: بل عُني به الانتصار من أهل الشرك، وقال: هذا منسوخ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلَمَنِ انْتَصَر بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ**﴾ قال: لمن انتصر بعد ظلمه من المؤمنين انتصر من المشركين وهذا قد نسخ، وليس هذا في أهل الإسلام، ولكن في أهل الإسلام الذي قال الله تبارك وتعالى: ﴿**ادْفَعْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فإذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كأنَّهُ وَلِيٌ حَمِيمٌ**﴾.

والصواب من القول أن يقال: إنه معنيّ به كلّ منتصر من ظالمه، وأن الآية محكمة غير منسوخة للعلة التي بينت في الآية قبلها.

وقوله: ﴿**إنَّمَا السَّبِيلُ على الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ**﴾ يقول تبارك وتعالى: إنما الطريق لكم أيها الناس على الذين يتعدّون على الناس ظلماً وعدواناً، بأن يعاقبوهم بظلمهم لا على من انتصر ممن ظلمه، فأخذ منه حقه.

وقوله: ﴿**وَيَبْغُونَ فِي الأرْضِ بغَيْرِ الحَقّ**﴾ يقول: ويتجاوزون في أرض الله الحدّ الذي أباح لهم ربهم إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيفسدون فيها بغير الحقّ ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ**﴾ يقول:

---

(١) في «**النهاية**» لابن الأثير في حديث عائشة: أقبلت زينب تقحم لها، أي تتعرض لشتمها وتدخل عليها فيه؛ كأنها أقبلت تشتمها من غير روية ولا تثبت.

(٢) المقصود بالخمش: ما كان دون القتل والدية من قطع أو جدع أو جرح أو ضرب أو نهب ونحو ذلك. من أنواع الأذى التي لا قصاص فيها انظر «**النهاية**» لابن الأثير.

فهؤلاء الذين يظلمون الناس، ويبغون في الأرض بغير الحقّ، لهم عذاب من الله يوم القيامة في جهنم مؤلم موجع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولمن صبر على إساءة من أساء إليه، وغفر للمسيء إليه جرمه إليه، فلم ينتصر منه، وهو على الانتصار منه قادر ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه ﴿**إنَّ ذلكَ لِمنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ يقول: إن صبره ذلك وغفرانه ذنب المسيء إليه، لمن عزم الأمور التي ندب إليها[١] عباده، وعزم عليهم العمل به ﴿**وَمَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيّ مِنْ بَعْدِهِ**﴾ يقول: ومن خذله الله عن الرشاد، فليس له من وليّ يليه، فيهديه لسبيل الصواب، ويسدّده من بعد إضلال الله إياه ﴿**وَتَرَى الظّالِمِينَ لَمَّا رأَوُا العَذَابَ**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وترى الكافرين بالله يا محمد يوم القيامة لما عاينوا عذاب الله يقولون لربهم: ﴿**هَلْ**﴾ لنا يا ربّ ﴿**إلى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ**﴾ وذلك كقوله: ﴿**وَلَو تَرَى إذِ المُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أبْصَرْنا وَسِمعْنا...**﴾ الآية، استعتب المساكين في غير حين الاستعتاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**هَلْ إلى مَرَدّ مِنْ سَبِيلٍ**﴾ يقول: إلى الدنيا.

واختلف أهل العربية في وجه دخول «إن» في قوله: ﴿**إنَّ ذَلكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ مع دخول اللام في قوله: ﴿**وَلَمَنْ صَبَر وَغَفَرَ**﴾ فكان نحويّ أهل البصرة يقول في ذلك: أما اللام التي في قوله: ﴿**وَلَمَنْ صَبَرَ وغَفَرَ**﴾ فلام الابتداء، وأما إن ذلك فمعناه والله أعلم: إن ذلك منه من عزم الأمور، وقال: قد تقول: مررت بالدار الذراع بدرهم: أي الذراع منها بدرهم، ومررت ببرّ قفيز بدرهم، أي قفيز منه بدرهم. قال: وأما ابتداء «إن» في هذا الموضع، فمثل ﴿**قُلْ إنَّ المَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإنَّهُ مُلاقِيكُمْ**﴾ يجوز ابتداء الكلام، وهذا إذا طال الكلام في هذا الموضع.

وكان بعضهم يستخطىء هذا القول ويقول: إن العرب إذا أدخلت اللام في أوائل الجزاء أجابته بجوابات الأيمان بما، ولا، وإنّ واللام: قال: وهذا من ذاك، كما قال: ﴿**لئن أُخْرِجُوا لا**

(١) كذا في الأصول. ولعل فيه تحريفاً من الناسخ، وأصل العبارة: الذي ندب إليه، بدليل ما بعده.

يَخْرَجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾ فجاء بلا وباللام جواباً للام الأولى. قال: ولو قال: لئن قمت إني لقائم لجاز ولا حاجة به إلى العائد، لأن الجواب في اليمين قد يكون فيه العائد، وقد لا يكون ألا ترى أنك تقول: لئن قمت لأقومنّ، ولا أقوم، وإني لقائم فلا تأتي بعائد. قال: وأما قولهم: مررت بدار الذراع بدرهم وببرّ قفيز بدرهم، فلا بدّ من أن يتصل بالأوّل بالعائد، وإنما يحذف العائد فيه، لأن الثاني تبعيض للأوّل مررت ببرّ بعضه بدرهم، وبعضه بدرهم فلما كان المعنى التبعيض حذف العائد. قال: وأما ابتداء «إن» في كل موضع إذا طال الكلام، فلا يجوز أن تبتدىء إلا بمعنى: قل إن الموت الذي تفرّون منه، فإنه جواب للجزاء، كأنه قال: ما فررتم منه من الموت، فهو ملاقيكم. وهذا القول الثاني عندي أولى في ذلك بالصواب للعلل التي ذكرناها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره: وترى يا محمد الظالمين يعرضون على النار **﴿خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾** يقول: خاضعين متذللين. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، : الخشوع: الخوف والخشية لله عزّ وجلّ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ: **﴿لَمَّا رأَوُا العَذَابَ. . .﴾** إلى قوله: **﴿خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾** قال: قد أذلهم الخوف الذي نزل بهم وخشعوا له.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿خاشِعِينَ﴾** قال: خاضعين من الذلّ.

وقوله: **﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾** يقول: ينظر هؤلاء الظالمون إلى النار حين يعرضون عليها من طرف خفيّ.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: **﴿مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾** فقال بعضهم: معناه: من طرف ذليل. وكأن معنى الكلام: من طرف قد خَفِي من ذِلَّةٍ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس، قوله: ﴿وَتَراهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيها خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ...﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ يعني بالخفيّ: الذليل.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله عزّ وجلّ: ﴿مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ قال: ذليل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم يسارقون النظر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ قال: يسارقون النظر.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ قال: يسارقون النظر.

واختلف أهل العربية في ذلك، فقال بعض نحويي البصرة في ذلك: جعل الطرف العين، كأنه قال: ونظرهم من عين ضعيفة، والله أعلم. قال: وقال يونس: إن ﴿مِنْ طَرْفٍ﴾ مثل بطرفٍ، كما تقول العرب: ضربته في السيف، وضربته بالسيف.

وقال آخر منهم: إنما قيل: ﴿مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ لأنه لا يفتح عينيه، إنما ينظر ببعضها.

وقال آخرون منهم: إنما قيل: ﴿مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ لأنهم ينظرون إلى النار بقلوبهم، لأنهم يُحشرُون عُمياً.

والصواب من القول في ذلك، القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ومجاهد، وهو أن معناه: أنهم ينظرون إلى النار من طرف ذليل، وصفه الله جلّ ثناؤه بالخفاء للذلة التي قد ركبتهم، حتى كادت أعينهم أن تغور، فتذهب.

وقوله: ﴿وَقالَ الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ الخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُم وأهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: وقال الذين آمنوا بالله ورسوله: إن المغبونين الذين غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة في الجنة. كما:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ وأهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ﴾ قال: غبنوا أنفسهم وأهليهم في الجنة.

وقوله: ﴿ألا إنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا إن الكافرين يوم القيامة في

عذاب لهم من الله مُقيم عليهم، ثابت لا يزول عنهم، ولا يَبيد، ولا يخفّ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولم يكن لهؤلاء الكافرين حين يعذّبهم الله يوم القيامة أولياء يمنعونهم من عذاب الله ولا ينتصرون لهم من ربهم على ما نالهم به من العذاب من دون الله **﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾** يقول: ومن يخذله عن طريق الحقّ فما له من طريق إلى الوصول إليه، لأن الهداية والإضلال بيده دون كلّ أحد سواه.

وقوله: **﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾** يقول تعالى ذكره للكافرين به: أجيبوا أيها الناس داعيَ الله وآمنوا به واتبعوه على ما جاءكم به من عند ربكم، **﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللّهِ﴾**: يقول: لا شيء يردّ مجيئه إذا جاء الله به، وذلك يوم القيامة **﴿ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾** يقول جلّ ثناؤه: مالكم أيها الناس من معقل تحترزون فيه، وتلجأون إليه، فتعتصمون به من النازل بكم من عذاب الله على كفركم به، كان في الدنيا **﴿وَما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾** يقول: ولا أنتم تقدرون لما يحلّ بكم من عقابه يومئذٍ على تغييره، ولا على انتصار منه إذا عاقبكم بما عاقبكم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ﴾** قال: من مَحْرَز. وقوله: **﴿مِنْ نَكِيرٍ﴾** قال: ناصر ينصركم.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾** تلجأون إليه **﴿وَما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾** يقول: من عزّ تعتزون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فإن أعرض هؤلاء المشركون يا محمد عما أتيتهم به من الحقّ، ودعوتهم إليه من الرشد، فلم يستجيبوا لك، وأبَوْا قبوله منك، فدعهم، فإنا لن نرسلك إليهم رقيباً عليهم، تحفظ عليهم أعمالهم وتحصيها ﴿**إنْ عَلَيْكَ إلاَّ البَلاغُ**﴾ يقول: ما عليك يا محمد إلا أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم من الرسالة، فإذا بلغتهم ذلك، فقد قضيت ما عليك ﴿**وَإنَّا إذَا أذَقْنا الإنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِها**﴾ يقول تعالى ذكره: فإنا إذا أغنينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة، وذلك هو الرحمة التي ذكرها جلّ ثناؤه، فرح بها: يقول: سرّ بما أعطيناه من الغِنى، ورزقناه من السَّعة وكثرة المال، ﴿**وَإنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ**﴾ يقول: وإن أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش ﴿**بِما قَدَّمَتْ أيْدِيهِمْ**﴾ يقول: بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته إياه، جحد نعمة الله، وأيس من الخير ﴿**فإنَّ الإنْسانَ كَفُورٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: فإن الإنسان جحود نعم ربه، يعدّد المصائب، ويجحد النعم. وإنما قال: ﴿**وَإنْ تُصْبِهُمْ سَيِّئَةٌ**﴾ فأخرج الهاء والميم مخرج كناية جمع الذكور، وقد ذكر الإنسان قبل ذلك بمعنى الواحد، لأنه بمعنى الجمع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لله سلطان السموات السبع والأرضين، يفعل في سلطانه ما يشاء، ويخلق ما يحبّ خلقه، يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الإناث دون الذكور، بأن يجعل كل ما حملت زوجته من حمل منه أنثى ﴿**وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ**﴾ يقول: ويهب لمن يشاء منهم الذكور، بأن يجعل كلّ حمل حملته امرأته ذكراً لا أنثى فيهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**أوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإناثاً**﴾ قال: يخلط بينهم يقول: التزويج: أن تلد المرأة غلاماً، ثم تلد جارية، ثم تلد غلاماً، ثم تلد جارية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ**﴾ قادر والله ربنا على ذلك أن يهب للرجل ذكوراً ليست معهم أنثى، وأن يهب للرجل ذكراناً وإناثاً، فيجمعهم له جميعاً، ﴿**وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً**﴾ لا يولد له.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**يَهَبُ لَمَنْ يَشاءُ إناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ**﴾ ليست معهم إناث ﴿**أوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإناثاً**﴾

قال: يهب لهم إناثاً وذكراناً، ويجعل من يشاء عقيماً لا يُولدَ له.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً﴾** يقول: لا يُلْقِح.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً﴾** لا يلد واحداً ولا اثنين.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد الله، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ﴾** ليس فيهم أنثى **﴿أوْ يُزَوّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإناثاً﴾** تلد المرأة ذكراً مرّة وأنثى مرّة **﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً﴾** لا يُولد له. وقال ابن زيد: في معنى قوله: **﴿أوْ يُزَوّجُهُمْ﴾** ما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: في قوله: **﴿أوْ يُزَوّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإناثاً﴾** قال: أو يجعل في الواحد ذكراً وأنثى توأماً، هذا قوله: **﴿أوْ يُزَوّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإناثاً﴾**.

وقوله: **﴿إنَّهُ عَلِيم قَدِيرٌ﴾** يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما يخلق، وقُدرة على خلق ما يشاء لا يعزب عنه علم شيء من خلقه، ولا يعجزه شيء أراد خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه ربه إلا وحياً يوحي الله إليه كيف شاء، أو إلهاماً[1]، وإما غيره **﴿أوْ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ﴾** يقول: أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما كلم موسى نبيه ﷺ **﴿أوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾** يقول: أو يرسل الله من ملائكته رسولاً، إما جبرائيل، وإما غيره **﴿فَيُوحِيَ بإذْنِهِ ما يَشاءُ﴾** يقول: فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء، يعني: ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر ونهي، وغير ذلك من الرسالة والوحي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

(١) كذا في الخط، ولعله إما إلقاء أو إلهاماً إلخ.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللّهُ إلاَّ وَحْياً**﴾ يوحي إليه ﴿**أوْ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ**﴾ موسى كلمه الله من وراء حجاب، ﴿**أوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بإذْنِهِ ما يَشاءُ**﴾ قال: جبرائيل يأتي بالوحي.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**أوْ يُرْسِلَ رَسُولاً**﴾ فيوحي، فقرأته عامة قرّاء الأمصار ﴿**فَيُوحِيَ**﴾ بنصب الياء عطفاً على ﴿**يُرْسِلَ**﴾، ونصبوا ﴿**يُرْسِلَ**﴾ عطفاً بها على موضع الوحي، ومعناه، لأن معناه وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي إليه أو يرسل إليه رسولاً فيوحيَ بإذنه ما يشاء. وقرأ ذلك نافع المدني «فيُوحِي» بإرسال الياء بمعنى الرفع عطفاً به على «يُرْسِلُ»، وبرفع «يُرْسِلُ» على الابتداء.

وقوله: ﴿**إنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ يقول تعالى ذكره إنه يعني نفسه جلّ ثناؤه: ذو علوّ على كل شيء وارتفاع عليه، واقتدار. حكيم: يقول: ذو حكمة في تدبيره خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**وكَذلكَ أوْحَينا إلَيكَ رُوحاً مِنْ أمْرِنا**﴾ وكما كنا نوحي في سائر رسلنا، كذلك أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن، روحاً من أمرنا: يقول: وحياً ورحمة من أمرنا.

واختلف أهل التأويل في معنى الروح في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى به الرحمة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن الحسن في قوله: ﴿**رُوحاً مِنْ أمْرِنا**﴾ قال: رحمة من أمرنا.

وقال آخرون: معناه: وحياً من أمرنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**وكَذلكَ أوْحَينا إلَيكَ رُوحاً مِنْ أمْرِنا**﴾ قال: وحياً من أمرنا.

وقد بيَّنا معنى الروح فيما مضى بذكر اختلاف أهل التأويل فيها بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي ما الكِتابُ وَلا الإيمَانُ﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ماكنت تدري يا محمد أيّ شيء الكتاب ولا الإيمان اللذين أعطيناكهما ﴿وَلَكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً﴾ يقول: ولكن جعلنا هذا القرآن، وهو الكتاب نوراً، يعني ضياءً للناس، يستضيئون بضوئه الذي بيّن الله فيه، وهو بيانه الذي بيَّن فيه، مما لهم فيه في العمل به الرشاد، ومن النار النجاة ﴿نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا﴾ يقول: نهدي بهذا القرآن، فالهاء في قوله «به» من ذكر الكتاب.

ويعني بقوله: ﴿نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ﴾: نسدّد إلى سبيل الصواب، وذلك الإيمان بالله ﴿مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا﴾ يقول: نهدي به من نشاء هدايته إلى الطريق المستقيم من عبادنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿ما كُنْتَ تَدْرِي ما الكِتابُ وَلا الإيمانُ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿وَلَكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا﴾ يعني بالقرآن. وقال جلّ ثناؤه ﴿وَلَكِنْ جَعَلْناهُ﴾ فوحد الهاء، وقد ذكر قبل الكتاب والإيمان، لأنه قصد به الخبر عن الكتاب. وقال بعضهم: عنى به الإيمان والكتاب، ولكن وحد الهاء، لأن أسماء الأفعال يجمع جميعها الفعل، كما يقال: إقبالك وإدبارك يعجبني، فيوحدوهما اثنان.

وقوله: ﴿وَإنَّكَ لَتَهْدِي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإنك يا محمد لتهدي إلى صراط مستقيم عبادنا، بالدعاء إلى الله، والبيان لهم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَإنَّكَ لَتَهْدي إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال تبارك وتعالى ﴿وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ﴾ داعٍ يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَإنَّكَ لَتَهْدي إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: لكل قوم هاد.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَإنَّكَ لَتَهْدِي إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يقول: تدعو إلى دين مستقيم، ﴿صِراطِ اللّهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّمَّواتِ وما في الأرْضِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم، وهو الإسلام، طريق الله الذي دعا إليه عباده، الذي لهم مُلك جميع ما في السموات وما في الأرض، لا شريك له في ذلك. والصراط الثاني: ترجمة عن الصراط الأوّل.

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿ألا إلى اللّهِ تَصِيرُ الامُورُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ألا إلى الله أيها الناس تصير أموركم في الآخرة، فيقضي بينكم بالعدل.

فإن قال قائل: أو ليست أمورهم في الدنيا إليه؟ قيل: هي وإن كان إليه تدبير جميع ذلك، فإن لهم حكاماً ووُلاة ينظرون بينهم، وليس لهم يوم القيامة حاكم ولا سلطان غيره، فلذلك قيل: إليه تصير الأمور هنالك وإن كانت الأمور كلها إليه وبيده قضاؤها وتدبيرها في كل حال.

آخر تفسير سورة حم عسق والحمد لله

(٤٣) سورة الزخرف مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾.

قد بيَّنا فيما مضى قوله: ﴿حمٓ﴾ بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿**وَالكِتابِ المُبِينِ**﴾ قسَم من الله تعالى أقسم بهذا الكتاب الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ فقال: ﴿**وَالكِتابِ المُبِينِ**﴾لمن تدبَّره وفكَّر في عبره، وعظاته، هداه، ورشده، وأدلته على حقيته، وأنه تنزيل من حكيم حميد، لا اختلاق من محمد ﷺ ولا افتراء من أحد ﴿**إنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً**﴾ يقول: إنا أنزلناه قرآناً عربياً بلسان العرب، إذ كنتم أيها المنذرُون به من رهط محمد ﷺ عرباً ﴿**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ يقول: لتعقلوا معانيه وما فيه من مواعظ، ولم ينزله بلسان العجم، فيجعله أعجمياً، فتقولوا: نحن عرب، وهذا كلام أعجميّ لا نفقه معانيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**حمٓ * والكِتابِ المُبِينِ**﴾ هو هذا الكتاب المبين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**حمٓ * والكتابِ المبين**﴾ مبين والله بركته، وهداه ورشده.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن هذا الكتاب أصل الكتاب الذي منه نسخ هذا الكتاب عندنا لعليّ: يقول: لذو علوّ ورفعة، حكيم: قد أحكمت آياته، ثم فصلت فهو ذو حكمة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن هشام الدستوائي، عن القاسم بن أبي بزة، قال: ثنا عروة بن عامر، أنه سمع ابن عباس يقول: أوّل ما خلق الله القلم، فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق، قال: والكتاب عنده، قال: ﴿**وإنه في أمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم**﴾.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت أبي، عن عطية بن سعد في قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وإنَّهُ في أمّ الكِتابِ لَدَيْنا لِعَلِيّ حَكِيمٌ**﴾ يعني القرآن في أمّ الكتاب الذي عند الله منه نسخ.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت مالكاً يروي عن عمران، عن عكرمة ﴿**وإنَّهُ فِي أُمّ الكِتاب لَدَينا**﴾ قال: أمّ الكتاب القرآن.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**وَإنَّهُ في أمّ الكِتاب لَدَينا**﴾ قال: أمّ الكتاب: أصل الكتاب وجملته.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَإنَّهُ فِي أُمّ الكِتابِ**﴾: أي جملة الكتاب أي أصل الكتاب.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَإنَّهُ فِي أُمّ الكِتابِ**﴾ يقول: في الكتاب الذي عند الله في الأصل.

وقوله: ﴿**لَدَيْنا لَعَلِيّ حَكِيمٌ**﴾ وقد ذكرنا معناه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**لَدَيْنا لَعَلِيّ حَكِيمٌ**﴾ يخبر عن منزلته وفضله وشرفه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿**أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾**﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: أفنضرب عنكم ونترككم أيها المشركون فيما تحسبون، فلا نذكركم بعقابنا من أجل أنكم قوم مشركون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً﴾ قال: تكذّبون بالقرآن ثم لا تعاقبون عليه.

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا سفيان، عن إسماعيل، عن أبي صالح، قوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً﴾ قال: بالعذاب.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صفحاً﴾ قال: أفنضرب عنكم العذاب.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ﴾ يقول: أحسبتم أن نصفح عنكم ولما تفعلوا ما أُمرتم به.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أفنترك تذكيركم بهذا القرآن، ولا نذكركم به، لأن كنتم قوماً مسرفين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ﴾: أي مشركين، والله لو كان هذا القرآن رفع حين ردّه أوائل هذه الأمة لهلكوا، فدعاهم إليه عشرين سنة، أو ما شاء الله من ذلك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً﴾ قال: لو أن هذه الأمة لم يؤمنوا لضرب عنهم الذكر صفحاً، قال: الذكر ما أنزل عليهم مما أمرهم الله به ونهاهم صفحاً، لا يذكر لكم منه شيئاً.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوّله: أفنضرب عنكم العذاب فنترككم ونعرض عنكم، لأن كنتم قوماً مسرفين لا تؤمنون بربكم.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية، لأن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك خبره عن الأمم السالفة قبل الأمم التي توعدها بهذه الآية في تكذيبها رسلها، وما أحلّ بها من نقمته، ففي ذلك دليل على أن قوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً﴾ وعيد منه للمخاطبين به من أهل الشرك، إذ سلكوا في التكذيب بما جاءهم عن الله رسولهم مسلك الماضين قبلهم.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة «إنْ كُنتُم» بكسر الألف من «إن» بمعنى: أفنضرب عنكم الذكر صفحاً إذ كنتم قوماً مسرفين. وقرأه بعض قرّاء أهل مكة والكوفة وعامة قرّاء البصرة «أن» بفتح الألف من «أن»، بمعنى: لأن كنتم.

واختلف أهل العربية في وجه فتح الألف من أن في هذا الموضع، فقال بعض نحويي البصرة: فتحت لأن معنى الكلام: لأن كنتم. وقال بعض نحويي الكوفة: من فتحها فكأنه أراد شيئاً ماضياً، فقال: وأنت تقول في الكلام: أتيت أن حرمتني، تريد: إذ حرمتني، ويكسر إذا أردت: أتيت إن تحرمني. ومثله: ﴿لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ﴾ و﴿إِنْ صَدُّوكُمْ﴾ بكسر وبفتح.

﴿فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ على آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفاً﴾ قال: والعرب تنشد قول الفرزدق:

أَتَجْزَعُ أَنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا جِهاراً ولَمْ تَجْزَعْ لِقَتْلِ ابنِ حازِمِ[1]

قال: وينشد:

أَتَجْزَعُ أَنْ بانَ الخَلِيطُ المُوَدِّعُ وَحَبْلُ الصَّفا مِنْ عَزَّةَ المُتَقَطِّعُ[2]

قال: وفي كل واحد من البيتين ما في صاحبه من الكسر والفتح.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الكسر والفتح في الألف في هذا الموضع قراءتان مشهورتان في قَرَأة الأمصار صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، وذلك أن العرب إذا تقدم «أن» وهي بمعنى الجزاء فعل مستقبل كسروا ألفها أحياناً، فمحضوا لها الجزاء، فقالوا: أقوم إن قمت، وفتحوها أحياناً، وهم ينوون ذلك المعنى، فقالوا: أقوم أن قمت بتأويل، لأن قمت، فإذا كان الذي تقدمها من الفعل ماضياً لم يتكلّموا إلا بفتح الألف من «أن» فقالوا: قمتُ أن قمتَ، وبذلك جاء التنزيل، وتتابع شعر الشعراء.

---

(١) البيت من شواهد النحويين ومن شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٢٩٤) قال عند قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم﴾ قرأ الأعمش: «إن كنتم» بالكسر. وقرأ عاصم والحسن «أن كنتم» بفتح أن، كأنهم أرادوا شيئاً ماضياً، وأنت تقول في الكلام: أأسبك أن حرمتني، وتكسر إذا أردت: أأسبك إن تحرمني؟ ومثله: ﴿لا يجر منكم شنآن قوم إن صدوكم﴾ تكسر إن وفتح ومثله «فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا البيت». والعرب تنشد. قول الفرزدق:

«أتجزع إن أذنا فقتيبة....

البيت». بالفتح والكسر. ورواية البيت في شرح شواهد المغني للسيوطي: «أتغضب» في مكان «أتجزع» قال: وضمير تغضب راجع إلى قيس. والحز: القطع. وابن خازم: عبد الله بن خازم بمعجمتين، كما ضبطه الدارقطني وغيره أمير خراسان، وليها سنتين، ثم ثار به أهل خراسان، فقتلوه، وحملوا رأسه إلى عبد الملك بن مروان. وقتيبة بن مسلم الباهلي، من أكبر قواد المسلمين، وفاتحي بلاد الشرق، وهو الذي افتتح خوارزم وسمرقند وبخارى. وقتل سنة سبع وتسعين رحمه الله. والظاهر أن قول المؤلف «أتيت أن حرمتني». فيه تصحيف من الناسخ لقول الفراء في «**معاني القرآن**» «أأسبك حرمتني».

(٢) البيت لكثير عزة، وهو من شواهد الفراء أورده بعد الشاهد السابق، قال: أنشدوني

«أتجزع أن بان»...... البيت.

ثم قال: وفي كل واحد من البيتين، ما في صاحبه من الفتح والكسر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنَ نَبِيّ**﴾ يا محمد في القرون الأوّلين الذين مضوا قبل قرنك الذي بعثت فيه كما أرسلناك في قومك من قريش ﴿**وما يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إلاّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ**﴾ يقول وما كان يأتي قرناً من أولئك القرون وأمة من أولئك الأمم الأوّلين لنا من نبيّ يدعوهم إلى الهدى وطريق الحق، إلاّ كان الذين يأتيهم ذلك من تلك الأمم نبيهم الذي أرسله إليهم يستهزئون سخرية منهم بهم كاستهزاء قومك بك يا محمد. يقول: فلا يعظمنّ عليك ما يفعل بك قومك، ولا يشقنّ عليك، فإنهم إنما سلكوا في استهزائهم بك مسلك أسلافهم، ومنهاج أئمتهم الماضين من أهل الكفر بالله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فأهلكنا أشدّ من هؤلاء المستهزئين بأنبيائهم بطشاً إذا بطشوا فلم يعجزونا بقواهم وشدّة بطشهم، ولم يقدروا على الامتناع من بأسنا إذ أتاهم، فالذين هم أضعف منهم قوّة أحرى أن لا يقدروا على الامتناع من نقمنا إذا حلّت بهم ﴿**وَمَضَى مَثَلُ الأوَّلِينَ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: ومضى لهؤلاء المشركين المستهزئين بك ولمن قبلهم من ضربائهم مَثَلُنا الذي مثّلناه لهم في أمثالهم من مكذّبي رسلنا الذين أهلكناهم، يقول: فليتوقع هؤلاء الذين يستهزئون بك يا محمد من عقوبتنا مثل الذي أحللناه بأولئك الذين أقاموا على تكذيبك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَمَضَى مَثَلُ الأولِينَ**﴾ قال: عقوبة الأوّلين.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**مَثَلُ الأوَّلِينَ**﴾ قال: سُنتهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى

جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين من قومك: من خلق السموات السبع والأرضين، فأحدثهنّ وأنشأهنّ؟ ليقولنّ: خلقهنّ العزيز في سلطانه وانتقامه من أعدائه، العليم بهنّ وما فيهنّ من الأشياء، لا يخفى عليه شيء **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مَهْداً﴾** يقول: الذي مهَّد لكم الأرض، فجعلها لكم وطاء توطئونها بأقدامكم، وتمشون عليها بأرجلكم **﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً﴾** يقول: وسهَّل لكم فيها طرقاً تتطرّقونها من بلدة إلى بلدة، لمعايشكم ومتاجركم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً﴾** أي طرقاً.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مَهْداً﴾** قال: بساطاً **﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً﴾** قال: الطرق **﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾** يقول: لكي تهتدوا بتلك السبل إلى حيث أردتم من البُلدان والقُرى والأمصار، لولا ذلك لم تطيقوا براح أفنيتكم ودوركم، ولكنها نعمة أنعم بها عليكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ﴾** يعني: ما نزّل جلّ ثناؤه من الأمطار من السماء بقدر: يقول: بمقدار حاجتكم إليه، فلم يجعله كالطوفان، فيكون عذاباً كالذي أنزل على قوم نوح، ولا جعله قليلاً، لا ينبت به النبات والزرع من قلّته، ولكنه جعله غيثاً مغيثاً، وَحَياً للأرض الميتة محيياً **﴿فَأَنْشَرْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾** يقول جلّ ثناؤه: فأحيينا به بلدة من بلادكم ميتاً، يعني مجدبة لا نبات بها ولا زرع، قد درست من الجدوب، وتعفنت من القحوط **﴿كَذلكَ تُخرَجُونَ﴾** يقول تعالى ذكره: كما أخرجنا بهذا الماء الذي نزّلناه من السماء من هذه البلدة الميتة بعد جدوبها وقحوطها النبات والزرع، كذلك أيها الناس تُخرجون من بعد فنائكم ومصيركم في الأرض رفاتاً بالماء الذي أنزله إليها لإحيائكم من بعد مماتكم منها أحياء كهيئتكم التي كنتم بها قبل مماتكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً**

بِقَدَرٍ... ﴾ الآية، كما أحيا الله هذه الأرض الميتة بهذا الماء كذلك تبعثون يوم القيامة وقيل: أنشرنا به، لأن معناه: أحيينا به، ولو وصفت الأرض بأنها أحييت، قيل: نشرت الأرض، كما قال الأعشى:

حتى يقولَ النَّاسُ مِمَّا رأَوْا يا عَجَباً لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ[(١)]

وقوله: ﴿**وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّها**﴾ يقول تعالى ذكره: والذي خلق كلّ شيء فزوّجه، أي[(٢)] خلق الذكور من الإناث أزواجاً، والإناث من الذكور أزواجاً ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الفُلْكِ**﴾ وهي السفن ﴿**والأنعامِ**﴾ وهي البهائم ﴿**ما تَرْكَبُونَ**﴾ يقول: جعل لكم من السفن ما تركبونه في البحار إلى حيث قصدتم واعتمدتم في سيركم فيها لمعايشكم ومطالبكم، ومن الأنعام ما تركبونه في البرّ إلى حيث أردتم من البلدان، كالإبل والخيل والبغال والحمير.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: كي تستووا على ظهور ما تركبون.

واختلف أهل العربية في وجه توحيد الهاء في قوله: ﴿**على ظُهُورِهِ**﴾ وتذكيرها، فقال بعض نحويّي البصرة: تذكيره يعود على ما تركبون، وما هو مذكر، كما يقال: عندي من النساء من يوافقك ويسرّك، وقد تذكَّر الأنعام وتؤنث. وقد قال في موضع آخر: ﴿**مِمَّا في بُطُونِهِ**﴾ وقال في موضع آخر: ﴿**بُطُونِها**﴾. وقال بعض نحويّي الكوفة: أضيفت الظهور إلى الواحد، لأن ذلك الواحد في معنى جمع بمنزلة الجند والجيش. قال: فإن قيل: فهلا قلت: لتستووا على ظهره، فجعلت الظهر واحداً إذا أضفته إلى واحد. قلت: إن الواحد فيه معنى الجمع، فردّت الظهور إلى المعنى، ولم يقل ظهره، فيكون كالواحد الذي معناه ولفظه واحد. وكذلك تقول: قد كثر نساء

---

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ويمدح عامر بن الطفيل، في المنافرة التي جرت بينهما (ديوان ١٣٩) وعلقمة بن علاثة صحابي، قدم على النبي ﷺ، وهو شيخ، فأسلم وبايع. والبيت: من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢٢٠ ـ ١) عند قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿فأنشرنا به بلدة ميتا﴾ قال: أحيينا. ونشرت الأرض: حييت، قال الأعشى:

«حتى يقول...... البيت»

وفي «**اللسان**» نشر: ونشر الله الميت ينشره نشراً ونشوراً. وأنشره، أحياه فنشر هو، قال الأعشى:

«حتى يقول الناس..... البيت» اهـ.

(٢) في الأصل: أن ولعله من تحريف الناسخ.

الجند، وقلت: ورفع الجند أعينه ولم يقل عينه. قال: وكذلك كلّ ما أضفت إليه من الأسماء الموصوفة، فأخرجها على الجمع، وإذا أضفت إليه اسماً في معنى فعل جاز جمعه وتوحيده، مثل قولك: رفع العسكر صوتَه، وأصواته أجود وجاز هذا لأن الفعل لا صورة له في الاثنين إلاّ الصورة في الواحد.

وقال آخر منهم: قيل: لتستووا على ظهوره، لأنه وصف للفلك، ولكنه وحد الهاء، لأن الفلك بتأويل جمع، فجمع الظهور ووحد الهاء، لأن أفعال كل واحد تأويله الجمع توحد وتجمع مثل: الجند منهزم ومنهزمون، فإذا جاءت الأسماء خرج على الأسماء لا غير، فقلت: الجند رجال، فلذلك جمعت الظهور ووحدت الهاء، ولو كان مثل الصوت وأشباهه جاز الجند رافع صوته وأصواته.

قوله: ﴿**ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: ثم تذكروا نعمة ربكم التي أنعمها عليكم بتسخيره ذلك لكم مراكب في البرّ والبحر ﴿**إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ**﴾ فتعظموه وتمجدوه، وتقولوا تنزيهاً لله الذي سخر لنا هذا الذي ركبناه من هذه الفلك والأنعام، مما يصفه به المشركون، وتشرك معه في العبادة من الأوثان والأصنام ﴿**وَما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ**﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب وعبيد بن إسماعيل الهباري، قالا: ثنا المحاربيّ، عن عاصم الأحول، عن أبي هاشم عن أبي مجلِّز، قال: ركبت دابة، فقلت: ﴿**سُبْحانَ الَّذي سَخَّرَ لَنا هَذَا وَما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ**﴾، فسمعني رجل من أهل البيت قال أبو كُرَيب والهباريّ: قال المحاربيّ: فسمعت سفيان يقول: هو الحسن بن عليّ رضوان الله تعالى عليهما، فقال: أهكذا أمرت؟ قال: قلت: كيف أقول؟ قال: تقول الحمد لله الذي هدانا للإسلام، الحمد لله الذي منّ علينا بمحمد عليه الصلاة والسلام، الحمد لله الذي جعلنا في خير أمة أُخرجت للناس، فإذا أنت قد ذكرت نعماً عظاماً، ثم تقول بعد ذلك ﴿**سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هَذَا وَما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ**﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي هاشم، عن أبي مجلِّز، أن الحسن بن عليّ رضي الله عنه، رأى رجلاً ركب دابة، فقال: الحمد لله الذي سخر لنا هذا، ثم ذكر نحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**لِتَسْتَوُوا على ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ**﴾ يعلمكم كيف تقولون إذا ركبتم في الفلك تقولون: ﴿**بِسْمِ اللهِ مَجْراها وَمُرْساها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ وإذا ركبتم الإبل قلتم: ﴿**سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هَذَا وَما كُنَّا لَهُ**

مُقْرِنِينَ وإنَّا إلى رَبنَا لمُنْقَلِبُونَ﴾ ويعلمكم ما تقولون إذا نزلتم من الفلك والأنعام جميعاً تقولون: اللهمّ أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه أنه كان إذا ركب قال: اللهمّ هذا من منّك وفضلك، ثم يقول: **﴿سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هَذَا وَما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإنَّا إلى رَبّنَا لمُنْقَلِبُونَ﴾**.

وقوله: **﴿وَما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾** وما كنا له مُطِيقين ولا ضابطين، من قولهم: قد أقرنت لهذا: إذا صرت له قرناً وأطقته، وفلان مقرن لفلان: أي ضابط له مُطِيق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس **﴿وَما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾** يقول: مُطِيقين.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: **﴿مُقْرِنِينَ﴾** قال: الإبل والخيل والبغال والحمير.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾**: أي مطيقين، لا والله لا في الأيدي ولا في القوّة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿وَما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾** قال: في القوّة.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿وَما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾** قال: مطيقين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله جلّ ثناؤه: **﴿سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هَذَا وَما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾** قال: لسنا له مطيقين، قال: لا نطيقها إلاَّ بك، لولا أنت ما قوينا عليها ولا أطقناها.

وقوله: **﴿وَإنَّا إلى رَبّنا لَمُنْقَلِبُون﴾** يقول جلّ ثناؤه: وليقولوا أيضاً: وإنا إلى ربنا من بعد مماتنا لصائرون إليه راجعون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (١٥) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧)﴾.

يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء المشركون لله من خلقه نصيباً، وذلك قولهم للملائكة: هم بنات الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: **﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءاً﴾** قال: ولداً وبنات من الملائكة.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءاً﴾** قال: البنات.

وقال آخرون: عنى بالجزء هاهنا: العدل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءاً﴾**: أي عِدلاً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءاً﴾**: أي عِدلاً.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك، لأن الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك قوله: **﴿أمِ اتَّخَذَ مِما يخْلُقُ بَناتٍ وأصْفاكُمْ بالبَنِينَ﴾** توبيخاً لهم على قولهم ذلك، فكان معلوماً أن توبيخه إياهم بذلك إنما هو عما أخبر عنهم من قيلهم ما قالوا في إضافة البنات إلى الله جلّ ثناؤه.

وقوله: **﴿إنَّ الإنسانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾** يقول تعالى ذكره: إن الإنسان لذو جحد لنِعم ربه التي أنعمها عليه مبين: يقول: يبين كفرانه نعمه عليه، لمن تأمله بفكر قلبه، وتدبر حاله.

وقوله: **﴿أمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَناتٍ﴾** يقول جلّ ثناؤه موبخاً هؤلاء المشركين الذين وصفوه بأن الملائكة بناته: اتخذ ربكم أيها الجاهلون مما يخلق بنات، وأنتم لا ترضون لأنفسكم،

وأصفاكم بالبنين: يقول: وأخلصكم بالبنين، فجعلهم لكم ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَن مَثَلاً**﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا بشر أحد هؤلاء المشركين الجاعلين لله من عباده جزءاً بما ضرب للرحمن مثلاً: يقول: بما مثل لله، فشبهه شبهاً، وذلك ما وصفه به من أن له بنات. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَن مَثَلاً**﴾ قال: ولداً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمَن مَثَلاً**﴾ بما جعل لله.

وقوله: ﴿**ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً**﴾ يقول تعالى ذكره: ظلّ وجه هذا الذي بشِّر بما ضرب للرحمن مثلاً من البنات مسوداً من سوء ما بشر به ﴿**وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ يقول: وهو حزين. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾: أي حزين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أو من ينبت في الحلية ويزين بها ﴿**وَهُوَ فِي الخِصَام**﴾ يقول: وهو في مخاصمة من خاصمه عند الخصام غير مبين، ومن خصمه ببرهان وحجة، لعجزه وضعفه، جعلتموه جزء الله من خلقه وزعمتم أنه نصيبه منهم، وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر منه وهو ما ذكرت.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله: ﴿**أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾، فقال بعضهم: عُنِي بذلك الجواري والنساء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾ قال: يعني المرأة.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن علقمة، عن مرثد، عن مجاهد، قال: رخص للنساء في الحرير والذهب، وقرأ ﴿**أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَام غَيرُ مُبِين**﴾ قال: يعني المرأة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: قال ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث،

قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيرُ مُبِينٍ﴾ قال: الجواري جعلتموهنّ للرحمن ولداً، كيف تحكمون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيرُ مُبِينٍ﴾ قال: الجواري يسفههنّ بذلك، غير مبين بضعفهنّ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ يقول: جعلوا له البنات وهم إذا بشّر أحدهم بهنّ ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم. قال: وأما قوله: ﴿وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيرُ مُبِينٍ﴾ يقول: قلما تتكلم امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها إلاّ تكلمت بالحجة عليها.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيرُ مُبِينٍ﴾ قال: النساء.

وقال آخرون: عُنِي بذلك أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَوْ مَنْ يَنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ...﴾ الآية، قال: هذه تماثيلهم التي يضربونها من فضة وذهب يعبدونها هم الذين أنشأُوها، ضربوها من تلك الحلية، ثم عبدوها ﴿وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيرُ مُبِينٍ﴾ قال: لا يتكلم، وقرأ فإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الجواري والنساء، لأن ذلك عقيب خبر الله عن إضافة المشركين إليه ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، وقلة معرفتهم بحقه، وتحليتهم إياه من الصفات والبخل، وهو خالقهم ومالكهم ورازقهم، والمنعم عليهم النعم التي عددها في أوّل هذه السورة ما لا يرضونه لأنفسهم، فاتباع ذلك من الكلام ما كان نظيراً له أشبه وأولى من اتباعه ما لم يجر له ذكر.

واختلف القرّاء في قراءة قوله: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض المكيين والكوفيين «أَوْ مَنْ يَنْشَأُ» بفتح الياء والتخفيف من نشأ ينشأ. وقرأته عامة قرّاء الكوفة ﴿يُنَشَّأُ﴾ بضم الياء وتشديد الشين من نُشِّأته فهو يَنَشَّأ.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان في قرأة الأمصار،

متقاربتا المعنى، لأن المنشأ من الإنشاء ناشىء، والناشىء منشأ، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وقد ذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله «أوْ مَنْ لا يُنَشَّأُ إلاَّ فِي الْحِلْيَةِ»، وفي «من» وجوه من الإعراب الرفع على الاستئناف والنصب على إضمار يجعلون كأنه قيل: أو من ينشأ في الحلية يجعلون بنات الله. وقد يجوز النصب فيه أيضاً على الردّ على قوله: أم اتخذ مما يخلق بنات أو من ينشأ في الحلية، فيردّ «من» على البنات، والخفض على الردّ على «ما» التي في قوله: ﴿وَإذَا بُشّرَ أحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ للرَّحْمَن مَثَلاً﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩)﴾.

يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء المشركون بالله ملائكته الذين هم عباد الرحمن.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة «الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ» بالنون، فكأنهم تأوّلوا في ذلك قول الله جلّ ثناؤه: ﴿إنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ فتأويل الكلام على هذه القراءة: وجعلوا ملائكة الله الذين هم عنده يسبحونه ويقدّسونه إناثاً، فقالوا: هم بنات الله جهلاً منهم بحقّ الله، وجرأة منهم على قيل الكذب والباطل. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة ﴿وَجَعَلوا المَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمَنِ إناثاً﴾ بمعنى: جمع عبد. فمعنى الكلام على قراءة هؤلاء: وجعلوا ملائكة الله الذين هم خلقه وعباده بنات الله، فأنثوهم بوصفهم إياهم بأنهم إناث.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان في قرأة الأمصار صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، وذلك أن الملائكة عباد الله وعنده.

واختلفوا أيضاً في قراءة قوله: ﴿أشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة «أُشْهِدُوا خَلْقَهُمْ» بضم الألف، على وجه ما لم يسمّ فاعله، بمعنى: أأشهد الله هؤلاء المشركين الجاعلين ملائكة الله إناثاً، خلق ملائكته الذين هم عنده، فعلموا ما هم، وأنهم إناث، فوصفوهم بذلك، لعلمهم بهم، وبرؤيتهم إياهم، ثم رُدّ ذلك إلى ما لم يسمّ فاعله. وقُرىء بفتح الألف، بمعنى: أشهدوا هم ذلك فعلموه؟

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: ﴿سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ستكتب شهادة هؤلاء القائلين: الملائكة بنات الله في الدنيا، بما شهدوا به عليهم، ويُسألون عن شهادتهم تلك في الآخرة أن يأتوا ببرهان على حقيقتها، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلاً.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أوثاننا التي نعبدها من دونه، وإنما لم يحلّ بنا عقوبة على عبادتنا إياها لرضاه منا بعبادتناها. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿لَوْ شاءَ الرَّحْمَنُ ما عَبَدْناهُمْ﴾** للأوثان يقول الله عزّ وجلّ **﴿ما لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾** يقول: ما لهم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم، وإنما يقولونه تخرّصاً وتكذّباً، لأنهم لا خبر عندهم مني بذلك ولا بُرْهان. وإنما يقولونه ظناً وحسباناً **﴿إنْ هُمْ إلاَّ يَخْرُصُونَ﴾** يقول: ما هم إلاَّ متخرّصون هذا القول الذي قالوه، وذلك قولهم **﴿لوْ شاءَ الرَّحْمَنُ ما عَبَدْناهُمْ﴾**. وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك، ما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثنا الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿إنْ هُمْ إلاَّ يَخْرُصُونَ﴾** ما يعلمون قُدرة الله على ذلك.

وقوله: **﴿أمْ آتيناهُمْ كِتاباً مِنْ قَبْلِهِ﴾** يقول تعالى ذكره ما[1] آتينا هؤلاء المتخرّصين القائلين لو شاء الرحمن ما عبدنا الآلهة كتاباً بحقيقة ما يقولون من ذلك، من قبل هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد **﴿فهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾** يقول: فهم بذلك الكتاب الذي جاءهم من عندي من قبل هذا القرآن، مستمسكون يعملون به، ويدينون بما فيه، ويحتجون به عليك.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ما آتينا هؤلاء القائلين: لو شاء الرحمن ما عبدنا هؤلاء الأوثان بالأمر بعبادتها، كتاباً من عندنا، ولكنهم قالوا: وجدنا آباءنا الذين كانوا قبلنا يعبدونها، فنحن نعبدها كما كانوا يعبدونها وعنى جلّ ثناؤه بقوله: **﴿بَلْ[2] وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ﴾** بل وجدنا آباءنا على دين وملة، وذلك هو عبادتهم الأوثان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) ما: ساقطة من المطبوعة.

(٢) التلاوة: (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة).

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿**على أُمَّةٍ**﴾: مِلَّة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**إنَّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ**﴾ يقول: وجدنا آباءنا على دين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إنَّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ**﴾ قال: قد قال ذلك مشركو قريش: إنا وجدنا آباءنا على دين.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط عن السديّ ﴿**قالُوا إنَّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ**﴾ قال: على دين.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**على أُمَّةٍ**﴾ فقرأته عامة قرّاء الأمصار ﴿**على أُمَّةٍ**﴾ بضم الألف بالمعنى الذي وصفت من الدين والملة والسنة. وذُكر عن مجاهد وعمر بن عبد العزيز أنهما قرآه «على إمَّةٍ» بكسر الألف. وقد اختُلف في معناها إذا كُسرت ألفها، فكان بعضهم يوجه تأويلها إذا كُسرت على أنها الطريقة وأنها مصدر من قول القائل: أممت القوم فأنا أؤمهم إمَّة. وذُكر عن العرب سماعاً: ما أحسن عمته وإمته وجلسته إذا كان مصدراً. ووجهه بعضهم إذا كُسرت ألفها إلى أنها الإمة التي بمعنى النعيم والمُلك، كما قال عديّ بن زيد:

ثُمَّ بَعْدَ الفَلاحِ وَالمُلْكِ والإمْـ ... ـةِ وَارَتْهُمْ هُناكَ القُبورُ[1]

وقال: أراد إمامة الملك ونعيمه. وقال بعضهم: (الأُمَّة بالضم، والإمَّة بالكسر بمعنى واحد).

والصواب من القراءة في ذلك الذي لا أستجيز غيره: الضمّ في الألف لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه. وأما الذين كسروها فإني لا أراهم قصدوا بكسرها إلاَّ معنى الطريقة والمنهاج،

---

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي «**اللسان**» أمم. وهو من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**»، عند قوله تعالى: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ (الورقة ٢٩٤) قال: قرأها القراء بضم الألف من «أمة»، وكسرها مجاهد، وعمر بن عبد العزيز، وكأن الإمة: الطريقة، والمصدر من أممت القوم؛ فإن العرب تقول: ما أحسن إمته وعمته وجلسته، إذا كان مصدراً والأمة أيضاً: الملك والنعيم. قال عدي:

«ثم بعد الفلاج..... البيت».

فكأنه أراد إمامة الملك ونعيمه. ا هـ. وفي «**اللسان**»: والأمة (بالضم) والكسر الدين. والإمة (بالكسر) لغة في الأمة (بالضم) وهي الطريقة والدين ا هـ.

على ما ذكرناه قبلُ، لا النعمة والملك، لأنه لا وجه لأن يقال: إنا وجدنا آباءنا على نعمة ونحن لهم متبعون في ذلك، لأن الاتباع إنما يكون في الملل والأديان وما أشبه ذلك لا في الملك والنعمة، لأن الاتباع في الملك ليس بالأمر الذي يصل إليه كلّ من أراده.

وقوله: ﴿وَإِنَّا على آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ يقول: وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه من دينهم مهتدون، يعني: لهم متبعون على منهاجهم. كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَإِنَّا على آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ يقول: وإنا على دينهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَإِنَّا على آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ يقول: وإنا متبعوهم على ذلك.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وهكذا كما فعل هؤلاء المشركون من قريش فعل من قبلهم من أهل الكفر بالله، وقالوا مثل قولهم، لم نرسل مِن قبلك يا محمد في قرية، يعني إلى أهلها رسلاً تنذرهم عقابنا على كفرهم بنا فأنذروهم وحذّروهم سخطنا، وحلول عقوبتنا بهم ﴿إلاَّ قالَ مُتْرَفوها﴾، وهم رؤساؤهم وكبراؤهم. كما:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿إلاَّ قالَ مُتْرَفُوها﴾ قال: رؤساؤهم وأشرافهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وكَذلكَ ما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إلاَّ قالَ مُتْرَفُوها﴾ قاداتهم ورؤوسهم في الشرك.

وقوله: ﴿إنَّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ﴾ يقول: قالوا: إنا وجدنا آباءنا على ملة ودين ﴿وَإِنَّا على آثارِهِمْ﴾ يعني: وإنا على منهاجهم وطريقتهم مقتدون بفعلهم نفعل كالذي فعلوا، ونعبد ما كانوا يعبدون يقول جلّ ثناؤه لمحمد ﷺ: فإنما سلك مشركو قومك منهاج من قبلهم من إخوانهم من أهل الشرك بالله في إجابتهم إياك بما أجابوك به، وردّهم ما ردّوا عليك من النصيحة، واحتجاجهم

بما احتجوا به لمُقامهم على دينهم الباطل. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَإِنَّا على آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾ قال بفعلهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَإِنَّا على آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾ فاتبعوهم على ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ قَلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴿**أوَ لَوْ جِئْتُكُمْ**﴾ أيها القوم من عند ربكم ﴿**بأَهْدَى**﴾ إلى طريق الحقّ، وأدلّ لكم على سبيل الرشاد ﴿**مِمَّا وَجَدْتُمْ**﴾ أنتم عليه آباءكم من الدين والمِلَّة، ﴿**قالُوا إنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ**﴾ يقول: فقال ذلك لهم، فأجابوه بأن قالوا له كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذّبة رسلها لأنبيائها: إنا بما أرسلتم به يا أيها القوم كافرون، يعني: جاحدون منكرون. وقرأ ذلك قرّاء الأمصار سوى أبي جعفر ﴿**قُلْ أوَ لَوْ جِئْتُكُمْ**﴾ بالتاء. وذُكر عن أبي جعفر القارىء أنه قرأه «قُلْ أوَ لَوْ جِئْناكُمْ» بالنون والألف. والقراءة عندنا ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجة عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فانتقمنا من هؤلاء المكذّبة رسلها من الأمم الكافرة بربها، بإحلالنا العقوبة بهم، فانظر يا محمد كيف كان عقبى أمرهم، إذ كذّبوا بآيات الله. ويعني بقوله: ﴿**عاقِبَةُ المُكَذّبِينَ**﴾ آخر أمر الذين كذّبوا رسل الله إلام صار، يقول: ألم نهلكهم فنجعلهم عبرة لغيرهم؟ كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فانْظُرْ كَيفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ**﴾ قال: شرّ والله، أخذهم بخسف وغرق، ثم أهلكهم فأدخلهم النار.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَإِذْ قالَ إبراهِيمُ لأبِيهِ وَقَوْمِهِ**﴾ الذين كانوا يعبدون ما يعبده مشركو قومك يا محمد ﴿**إنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**﴾ من دون الله، فكذّبوه، فانتقمنا منهم كما انتقمنا ممن قبلهم من الأمم المكذّبة رسلها. وقيل: ﴿**إنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**﴾ فوضع البراء وهو مصدر موضع النعت، والعرب لا تثني البراء ولا تجمع ولا تؤنث، فتقول: نحن البَرَاء والخلاء: لِما ذكرت أنه مصدر، وإذا قالوا: هو بريء منك ثنوا وجمعوا وأنّثوا، فقالوا: هما بريئان منك، وهم بريئون منك. وذُكر أنها في قراءة عبد الله: «إنَّنِي بَرِيءٌ» بالياء، وقد يجمع بريء: بَرَاء وأبْراء ﴿**إلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي**﴾ يقول: إني بريء مما تعبدون من شيء إلاَّ من الذي فطرني، يعني الذي خلقني ﴿**فإنَّهُ سَيَهْدِينِ**﴾ يقول: فإنه سيقوّمني للدين الحقّ، ويوفقني لاتباع سبيل الرشد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإذْ قالَ إبْرَاهِيمُ لأبيه وقومِهِ...**﴾ الآية، قال: كايدهم، كانوا يقولون: إن الله ربُّنا ﴿**وَلَئِنْ سَألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾، فلم يبرأ من ربه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: ﴿**إنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدونَ**﴾ يقول: إنني بريء مما تعبدون «إلاَّ الَّذِي خَلَقَنِي».

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**إلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي**﴾ قال: خلقني.

وقوله: ﴿**وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾ يقول تعالى ذكره: وجعل قوله: ﴿**إنَّنِي بَراءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي**﴾ وهو قول: لا إله إلا الله، كلمة باقية في عقبه، وهم ذرّيته، فلم يزل في ذرّيته من يقول ذلك من بعده.

واختلف أهل التأويل في معنى الكلمة التي جعلها خليل الرحمن باقية في عقبه، فقال بعضهم: بنحو الذي قلنا في ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد ﴿**وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾ قال: لا إله إلا الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً**﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، والتوحيد لم يزل في ذرّيته من يقولها من بعده.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾ قال: التوحيد والإخلاص، ولا يزال في ذرّيته من يوحد الله ويعبده.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَجَعَلها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾ قال: لا إله إلا الله.

وقال آخرون: الكلمة التي جعلها الله في عقبه اسم الإسلام.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾ فقرأ ﴿**إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العالَمِينَ**﴾ قال: جعل هذه باقية في عقبه، قال: الإسلام، وقرأ ﴿**هُوَ سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ**﴾ فقرأ ﴿**وَاجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لك**﴾.
وبنحو ما قلنا في معنى العقب قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**فِي عَقِبِهِ**﴾ قال: ولده.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾ قال: يعني من خلَفه.

حدثني محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**فِي عَقِبِهِ**﴾ قال: في عقب إبراهيم آل محمد ﷺ.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا ابن أبي فديك، قال: ثنا ابن أبي ذئب، عن ابن شهاب أنه كان يقول: العقب: الولد، وولد الولد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ﴿**فِي عَقِبِهِ**﴾ قال: عقبه: ذرّيته.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: ليرجعوا إلى طاعة ربهم، ويثوبوا إلى عبادته، ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي يتوبون، أو يذكرون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ﴾ يا محمد ﴿هَؤُلاءِ﴾ المشركين من قومك ﴿وآباءَهُمْ﴾ من قبلهم بالحياة، فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم ﴿حتى جاءَهُمُ الحَقُّ﴾ يعني جلّ ثناؤه بالحق: هذا القرآن: يقول: لم أهلكهم بالعذاب حتى أنزلت عليهم الكتاب، وبعثت فيهم رسولاً مبيناً. يعني بقوله: ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾: محمداً ﷺ، والمبين: أنه يبين لهم بالحجج التي يحتجّ بها عليهم أنه لله رسول محقّ فيما يقول ﴿وَلَمَّا جاءَهُمُ الحَقُّ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولما جاء هؤلاء المشركين القرآنُ من عند الله، ورسول من الله أرسله إليهم بالدعاء إليه ﴿قالُوا هَذَا سِحْرٌ﴾ يقول: هذا الذي جاءنا به هذا الرسول سحر يسحرنا به، ليس بوحي من الله ﴿وَإِنَّا بِهِ كافِرُونَ﴾ يقول: قالوا: وإنا به جاحدون، ننكر أن يكون هذا من الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿وَلَمَّا جاءَهُمُ الحَقُّ قالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كافِرُونَ﴾ قال: هؤلاء قريش قالوا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ: هذا سحر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش لما جاءهم القرآن من عند الله: هذا سحر، فإن كان حقاً فهلا نزل على رجل عظيم من إحدى هاتين القريتين مكة أو الطائف.

واختُلف في الرجل الذي وصفوه بأنه عظيم، فقالوا: هلاً نزل عليه هذا القرآن، فقال بعضهم: هلاً نزل على الوليد بن المُغيرة المخزومي من أهل مكة، أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي من أهل الطائف؟

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيم﴾** قال: يعني بالعظيم: الوليد بن المغيرة القرشيّ، أو حبيب بن عمرو بن عُمير الثقفي، وبالقريتين: مكة والطائف.

وقال آخرون: بل عُني به عُتْبةُ بن ربيعة من أهل مكة، وابن عبد ياليل، من أهل الطائف.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾** قال عتبة بن ربيعة من أهل مكة، وابن عبد ياليل الثقفي من الطائف.

وقال آخرون: بل عني به من أهل مكة: الوليد بن المُغيرة، ومن أهل الطائف: ابن مسعود[1].

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾** قال: الرجل: الوليد بن المغيرة، قال: لو كان ما يقول محمد حقاً أنزل عليّ هذا، أو على ابن مسعود الثقفي، والقريتان: الطائف ومكة، وابن مسعود الثقفي من الطائف اسمه عروة بن مسعود.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾** والقريتان: مكة والطائف قال: قد قال ذلك مشركو قريش، قال: بلغنا أنه ليس فخذ من قريش إلا قد ادّعته، وقالوا: هو منا، فكنا نحدّث أن الرجلين: الوليد بن المغيرة، وعروة الثقفي ابن مسعود، يقولون: هلا كان أُنزل على أحد هذين الرجلين.

(١) هو عروة بن مسعود الثقفي، كما تكرر في الروايات، لا أبو مسعود، كما في هذه الرواية؛ فلعلها من تحريف الناسخ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ قال: كان أحد العظيمين عروة بن مسعود الثقفي، كان عظيم أهل الطائف.

وقال آخرون: بل عني به من أهل مكة: الوليد بن المغيرة، ومن أهل الطائف: كنانة بن عَبدِ بن عمرو.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَقالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ قال: الوليد بن المغيرة القرشي، وكنانة بن عبد بن عمرو بن عمير، عظيم أهل الطائف.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال جلّ ثناؤه، مخبراً عن هؤلاء المشركين ﴿**وَقالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ إذ كان جائزاً أن يكون بعض هؤلاء، ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عُنُوا منهم في كتابه، ولا على لسان رسوله ﷺ، والاختلاف فيه موجود على ما بيَّنت.

وقوله: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ**﴾ يقول تعالى ذكره: أهؤلاء القائلون: لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يا محمد، يقسمون رحمة ربك بين خلقه، فيجعلون كرامته لمن شاؤوا، وفضله لمن أرادوا، أم الله الذي يقسم ذلك، فيعطيه من أحبّ، ويحرمه مَنْ شاء؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا بشر بن عمارة، عن أبي رَوْق، عن الضحاك عن ابن عباس، قال: لما بعث الله محمداً رسولاً، أنكرت العرب ذلك، ومن أنكر منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**أَكانَ للنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَينا إلى رَجُل مِنهُمْ أَنْ أَنْذِر النَّاسَ**﴾ وقال ﴿**وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلاَّ رِجالاً نُوحِي إِلَيهِمْ فاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ**﴾ يعني: أهل الكتب الماضية، أبشراً كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أتتكم، وإن كانوا بشراً فلا تنكرون أن يكون محمد رسولاً: قال: ثم قال: ﴿**وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلاَّ رِجالاً نُوحِي إِلَيهِمْ مِنْ أَهْلِ القُرَى**﴾: أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم قال: فلما كرّر الله عليهم الحجج قالوا، وإذ كان بشراً فغير محمد كان أحقّ بالرسالة فـ ﴿**لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ يقولون: أشرف من محمد ﷺ، يعنون الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان يسمى ريحانة قريش، هذا من مكة،

ومسعود بن عمرو بن عبيد الله الثقفي من أهل الطائف، قال: يقول الله عزّ وجلّ ردّاً عليهم ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ أنا أفعل ما شئت.

وقوله: ﴿نَحْن قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنيا﴾ يقول تعالى ذكره: بل نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا، فنجعل من شئنا رسولاً، ومن أردنا صدّيقاً، ونتخذ من أردنا خليلاً، كما قسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات، فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة، بل جعلنا هذا غنياً، وهذا فقيراً، وهذا ملكاً، وهذا مملوكاً ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الله تبارك وتعالى ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا﴾ فتلقاه ضعيف الحيلة، عيي اللسان، وهو مبسوط له في الرزق، وتلقاه شديد الحيلة، سليط اللسان، وهو مقتور عليه، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا﴾ كما قسم بينهم صورهم وأخلاقهم تبارك ربنا وتعالى.

وقوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾ يقول: ليستسخر هذا هذا في خدمته إياه، وفي عود هذا على هذا بما في يديه من فضل، يقول: جعل تعالى ذكره بعضاً لبعض سبباً في المعاش في الدنيا.

وقد اختلف أهل التأويل فيما عنى بقوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾ فقال بعضهم: معناه ما قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾ قال: يستخدم بعضهم بعضاً في السخرة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾ قال: هم بنو آدم جميعاً، قال: وهذا عبد هذا، ورفع هذا على هذا درجة، فهو يسخره بالعمل، يستعمله به، كما يقال: سخر فلان فلاناً.

وقال بعضهم: بل عنى بذلك: ليملك بعضهم بعضاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك،

في قوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾ يعني بذلك: العبيد والخدم سخر لهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾ مِلْكة.

وقوله: ﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ورحمة ربك يا محمد بإدخالهم الجنة خير لهم مما يجمعون من الأموال في الدنيا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يعني الجنة.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ﴾ يقول: الجنة خير مما يجمعون في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْلا أن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً﴾: جماعة واحدة.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي لم يؤمن اجتماعهم عليه، لو فعل ما قال جلّ ثناؤه، وما به لم يفعله من أجله، فقال بعضهم: ذلك اجتماعهم على الكفر. وقال: معنى الكلام: ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على الكفر، فيصيرَ جميعهم كفاراً ﴿لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرَّحمَنِ لبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِن فِضَّةٍ﴾

ذكر من قال ذلك.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يقول الله سبحانه: لولا أن أجعل الناس كلهم كفاراً، لجعلت للكفار لبيوتهم سقفاً من فضة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هوذة بن خليفة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال: لولا أن يكون الناس كفاراً أجمعون، يميلون إلى الدنيا، لجعل الله تبارك وتعالى الذي قال، ثم قال: والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها، وما فعل ذلك،

فكيف لو فعله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾**: أي كفاراً كلهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾** قال: لولا أن يكون الناس كفاراً.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾** يقول: كفاراً على دين واحد.

وقال آخرون: اجتماعهم على طلب الدنيا وترك طلب الآخرة. وقال: معنى الكلام: ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على طلب الدنيا ورفض الآخرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾** قال: لولا أن يختار الناس دنياهم على دينهم، لجعلنا هذا لأهل الكفر.

وقوله: **﴿لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرَّحْمَن لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ﴾** يقول تعالى ذكره: لجعلنا لمن يكفر بالرحمن في الدنيا سقفاً، يعني أعالي بيوتهم، وهي السطوح فضة. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ﴾** السُقُف: أعلى البيوت.

واختلف أهل العربية في تكرير اللام التي في قوله: **﴿لِمَنْ يَكْفُرُ﴾**، وفي قوله: **﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾**، فكان بعض نحويي البصرة يزعم أنها أدخلت في البيوت على البدل. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: إن شئت جعلتها في **﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾** مكرّرة، كما في **﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتالٍ فِيهِ﴾**، وإن شئت جعلت اللامين مختلفتين، كأن الثانية في معنى على، كأنه قال: جعلنا لهم على بيوتهم سقفاً. قال: وتقول العرب للرجل في وجهه: جعلت لك لقومك الأعطية: أي جعلته من أجلك لهم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: «سَقْفاً» فقرأته عامة قرّاء أهل مكة وبعض المدنيين وعامة البصريين «سَقْفاً» بفتح السين وسكون القاف اعتباراً منهم ذلك بقوله: **﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** وتوجيهاً منهم ذلك إلى أنه بلفظ واحد معناه الجمع. وقرأه بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة **﴿سُقُفاً﴾** بضم السين والقاف، ووجّهوها إلى أنها جمع سقيفة أو سقوف. وإذا وجهت إلى أنها جمع سقوف كانت جمع الجمع، لأن السقوف: جمع سَقْف، ثم تجمع السقوف سُقُفاً،

فيكون ذلك نظير قراءة من قرأه «فرُهُنٌ مَقْبُوضَةٌ» بضم الراء والهاء، وهي الجمع، واحدها رهان ورهون، وواحد الرهون والرهان: رَهْن. وكذلك قراءة من قرأ كُلُوا مِنْ ثُمُرِهِ بضم الثاء والميم، ونظير قول الراجز:

حــتــى إذَا ابــتَــلَّــتْ حَــلاقِــيــمُ الــحُــلُــقْ(١)

وقد زعم بعضهم أن السُّقُف بضم السين والقاف جمع سَقْف، والرُّهُن بضم الراء والهاء جمع رَهْن، فأغفل وجه الصواب في ذلك، وذلك أنه غير موجود في كلام العرب اسم على تقدير فعل بفتح الفاء وسكون العين مجموعاً على فُعُل، فيجعل السُّقُف والرُّهُن مثله.

والصواب من القول في ذلك عندي، أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، معروفتان في قرأة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: ﴿**وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ**﴾ يقول: ومراقي ودَرَجاً عليها يصعدون، فيظهرون على السقف والمعارج: هي الدرج نفسها، كما قال المثنى بن جندل:

يـــا رَبَّ الـــبَـــيْـــتِ ذي الـــمَـــعـــارِجِ(٢)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس

---

(١) البيت في «**اللسان**» حلق، ولم ينسبه، ولعله لرؤبة. قال: الحلق مساغ الطعام والشراب في المرىء، والجمع القليل: أحلاق والكثير: حلوق، وحلق. الأخيرة ككتب عزيزة. أنشد الفارسي:

حــتــى إذا ابــتــلــت حــلاقــيــم الــحــلــق

وفي «**معاني القرآن**» للفراء (الورقة ٢٩٥) قال عند قوله تعالى: ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمٰن لبيوتهم سقفا﴾: والسقف قرأها عاصم والأعشى «سقفا» (أي بضم السين والقاف). وإن شئت جعلت واحدها «سقيفة»، وإن شئت جعلت «سقوفا»، فيكون جمع الجمع، كما قال الشاعر:

حــتــى إذَا بُــلَّــتْ حَــلاقِــيــمُ الــحُــلُــقْ ... أهْــوَى لأدْنــى فَــقْــرَ عــلــى شَــفَــقْ

ومثله قراءة من قرأ: «كلوا من ثمره» (بضم الثاء والميم)، وهو جمع، وواحده: ثمار. وكقول من قرأ: «فرهن مقبوضة» واحدها «رهان» و«رهون» اهـ.

(٢) البيت نسبه المؤلف إلى المثنى بن جندل. ونسبه أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢٢٠ ـ ب) إلى جندل بن المثنى، وهو الصواب، وهو جندل بن المثنى الطهوي، كما في سمط اللآلي (٧٠٢). والمعارج: جمع معراج، وهي كما في «**اللسان**» عرج المصاعد والدرج. واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى: ﴿ومعارج عليها يظهرون﴾. قال أبو عبيدة: المعارج الدرج. قال جندل بن المثنى:

يـــا رب رب الـــبـــيـــت ذي الـــمـــعـــارج

﴿وَمَعارِجَ﴾ قال: معارج من فضة، وهي درج.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ﴾: أي دَرجاً عليها يصعدون.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ﴾ قال: المعارج: المراقي.

حدثنا محمد، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ﴾ قال: دُرُج عليها يُرفعون.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس قوله: ﴿وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ﴾ قال: درج عليها يصعدون إلى الغرف.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ﴾ قال: المعارج: درج من فضة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وجعلنا لبيوتهم أبواباً من فضة، وسُرُراً من فضة. كما:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، وسُرراً قال: سرر فضة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وسرُراً عَلَيْها يَتَّكِئُونَ﴾ قال: الأبواب من فضة، والسرر من فضة عليها يتكئون، يقول: على السرر يتكئون.

وقوله: ﴿وَزُخْرُفاً﴾ يقول: ولجعلنا لهم مع ذلك زخرفاً، وهو الذهب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿وَزُخْرُفاً﴾ وهو الذهب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَزُخْرُفاً﴾ قال: الذهب. وقال الحسن: بيت من زُخرف، قال: ذهب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَزُخْرُفاً﴾ الزخرف: الذهب، قال: قد والله كانت تكره ثياب الشهرة. وذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «إِيَّاكُمْ والحُمْرَةَ فإِنَّها مِنْ أَحَبِّ الزِّينَةِ إِلى الشَّيْطانِ».

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَزُخْرُفاً﴾ قال: الذهب.

حدثنا أحمد[1]، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَزُخْرُفاً﴾ قال: الذهب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَزُخْرُفاً﴾ لجعلنا هذا لأهل الكفر، يعني لبيوتهم سقفاً من فضة وما ذكر معها. قال: والزخرف سمي هذا الذي سمي السقف، والمعارج والأبواب والسرر من الأثاث والفرش والمتاع.

حُدثت عن الحسن، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَزُخْرُفاً﴾ يقول: ذهباً. والزخرف على قول ابن زيد: هذا هو ما تتخذه الناس في منازلهم من الفرش والأمتعة والآلات.

وفي نصب الزخرف وجهان: أحدهما: أن يكون معناه: لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومن زخرف، فلما لم يكرّر عليه من نصب على إعمال الفعل فيه ذلك، والمعنى فيه: فكأنه قيل: وزخرفاً يجعل ذلك لهم منه. والوجه الثاني: أن يكون معطوفاً على السرر، فيكون معناه: لجعلنا لهم هذه الأشياء من فضة، وجعلنا لهم مع ذلك ذهباً يكون لهم غنى يستغنون بها، ولو كان التنزيل جاء بخفض الزخرف لكان: لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومن زخرف، فكان الزخرف يكون معطوفاً على الفضة. وأما المعارج فإنها جُمعت على مفاعل، وواحدها معراج، على جمع مِعرج، كما يجمع المفتاح مفاتح على جمع مفتح، لأنهما لغتان: معرج، ومفتح، ولو جمع معاريج كان صواباً، كما يجمع المفتاح مفاتيح، إذ كان واحده معراج.

وقوله: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذلكَ لَمَّا مَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا﴾ يقول تعالى ذكره: وما كلّ هذه الأشياء التي ذكرت من السقف من الفضة والمعارج والأبواب والسرر من الفضة والزخرف، إلا متاع يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا ﴿وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وزين الدار الآخرة وبهاؤها

---

(١) يظهر أن هذا مكرر.

عند ربك للمتقين، الذين اتقوا الله فخافوا عقابه، فجدّوا في طاعته، وحذروا معاصيه خاصة دون غيرهم من خلق الله. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ خصوصاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن يُعْرِض عن ذكر الله فلم يخف سطوته، ولم يَخْشَ عقابه ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ يقول: نجعل له شيطاناً يغويه فهو له قرين: يقول: فهو للشيطان قرين، أي يصير كذلك، وأصل العشو: النظر بغير ثبت لعلة في العين، يقال منه: عشا فلان يعشو عشواً وعشوّاً: إذا ضعف بصره، وأظلمت عينه، كأن عليه غشاوة، كما قال الشاعر:

مَتى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ ... تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وَناراً تَأَجَّجا[١]

يعني: متى تفتقر فتأته يعنك. وأما إذا ذهب البصر ولم يبصر، فإنه يقال فيه: عَشِيَ فلان يَعْشَى عَشىً منقوص، ومنه قول الأعشى:

---

(١) هذا بيت مركب من شطرين من بيتين مختلفين؛ فصدره للحطيئة من قصيدة مدح بها بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن أنف الناقة التميمي. وعجزه من بيت لعبد بن الحر من قصيدة قالها وهو في حبس مصعب بن الزبير في الكوفة وبيت الحطيئة بتمامه كما في «**خزانة الأدب الكبرى**» للبغدادي (٣/ ٦٦٢).

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ ... تَجِدْ خَيرَ نارٍ عِنْدَها خَيرُ مُوقِدِ

وبيت عبد الله بن الحر بتمامه هو، كما في «**الخزانة**» (٣/ ٦٦٣).

مَتَى تَأْتِنا تُلْمِمْ بِنا فِي دِيارِنا ... تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً ناراً تَأَجَّجا

واستشهد المؤلف بالبيت عند قوله تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمٰن﴾. قال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢٢٠) أي تظلم عينه عنه، كأن عليها غشاوة. وقال الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٢٩٥) يريد: ومن يعرض عنه. ومن قرأها «ومن يعش» بفتح الشين، فمعناه: من يعم عنه. وقال القتيبي «**اللسان**» عشى معنى قوله ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمٰن﴾ أي يظلم بصره. قال: وهذا قول أبي عبيدة. ثم ذهب يرد قول الفراء ويقول: لم أر أحداً يجيزه: عشوت عن الشيء: أعرضت عنه. إنما يقال: تعاشيت عن الشيء: أي تغافلت عنه، كأني لم أره. وكذلك تعاميت. قال: وعشوت إلى النار: أي استدللت عليها ببصر ضعيف. وقال الأزهري يرد كلام ابن قتيبة: أغفل القتيبي موضع الصواب، واعترض مع غفلته على الفراء، والعرب تقول: عشوت إلى النار أعشو عشواً، أي قصدتها مهتدياً. وعشوت عنها: أي أعرضت عنها. فيفرقون بين إلى وعن موصولين بالفعل ا هـ.

رأتْ رَجُــلاً غــائِــبَ الــوَافِــدَيْــنِ   مُـخْـتَـلِـفَ الـخَـلْـقِ أعْـشَـى ضَـرِيـرَا[1]

يقال منه: رجل أعشى وامرأة عشواء. وإنما معنى الكلام: ومن لا ينظر في حجج الله بالإعراض منه عنه إلا نظراً ضعيفاً، كنظر من قد عَشِيَ بصره ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً﴾** يقول: إذا أعرض عن ذكر الله نقيض له شيطاناً **﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾**.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدّي، في قوله: **﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾** قال: يعرض.

وقد تأوّله بعضهم بمعنى: ومن يعمَ، ومن تأوّل ذلك كذلك، فيجب أن تكون قراءته «وَمَنْ يَعْشَ» بفتح الشين على ما بيَّنت قبل. ذكر من تأوّله كذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾** قال: من يعمَ عن ذكر الرحمن.

وقوله: **﴿وإنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾** يقول تعالى ذكره: وإن الشياطين ليصدّون هؤلاء الذين يعشون عن ذكر الله، عن سبيل الحقّ، فيزينون لهم الضلالة، ويكرّهون إليهم الإيمان بالله، والعمل بطاعته **﴿وَيحْسَبُونَ أنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾** يقول: ويظنّ المشركون بالله بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلالة، أنهم على الحقّ والصواب، يخبر تعالى ذكره عنهم أنهم من الذي هم عليه من الشرك على شكّ وعلى غير بصيرة. وقال جلّ ثناؤه: **﴿وإنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾** فأخرج ذكرهم مخرج ذكر الجميع، وإنما ذُكر قبل واحداً، فقال: **﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً﴾** لأن الشيطان وإن كان لفظه واحداً، ففي معنى جمع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة، ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة ٩٥) الضمير في رأت يعود على امرأة ذكرها من أول القصيدة، وسماها ليلى. والوافدان: العينان. ومختلف الخلق: غيرته السن والأحداث عما عهدته عليه من النضرة والقوة. والأعشى الذي به سوء في عينيه، أو هو الذي لا يبصر ليلاً، أو هو الأعمى. وهو الأقرب لقوله بعده «ضريراً» وفعله عشي يعشى عشاً، مثل عمي يعمى. وهو غير عشا إلى الشيء يعشو إذا نظر إليه وأقبل عليه؛ أو عشا عنه يعشو عشاً: إذا أعرض عنه، كما بيناه في الشاهد الذي قبله ا هـ.

يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿حتى إذَا جاءَنا﴾ فقرأته عامة قرّاء الحجاز سوى ابن محيصن، وبعض الكوفيين وبعض الشاميين «حتى إذَا جاءانا» على التثنية بمعنى: حتى إذا جاءنا هذا الذي عَشِيَ عن ذكر الرحمن، وقرينه الذي قيض له من الشياطين. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة وابن محيصن: ﴿حتى إذَا جاءَنا﴾ على التوحيد، بمعنى: حتى إذا جاءنا هذا العاشي من بني آدم عن ذكر الرحمن.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتا المعنى وذلك أنّ في خبر الله تبارك وتعالى عن حال أحد الفريقين عند مقدمه عليه فيما أقرنا فيه في الدنيا، الكفاية للسامع عن خبر الآخر، إذ كان الخبر عن حال أحدهما معلوماً به خبر حال الآخر، وهما مع ذلك قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: حتى إذَا جاءَانا هو وقرينه جميعاً.

وقوله: ﴿يا لَيتَ بَيني وَبَينَكَ بُعْدَ المَشرقَينِ﴾ يقول تعالى ذكره: قال أحد هذين القرينين لصاحبه الآخر: وددت أن بيني وبينك بعد المشرقين: أي بُعد ما بين المشرق والمغرب، فغلب اسم أحدهما على الآخر، كما قيل: شبه القمرين، وكما قال الشاعر:

أخَذْنا بآفاقِ السَّماءِ عَلَيْكُمُ ... لنَا قَمَرَاهَا والنُّجُومُ الطَّوَالِعُ[(١)]

وكما قال الآخر:

فَبَصْرَةُ الأزْدِ مِنَّا والعِرَاقُ لَنَا ... والمَوْصِلانِ وَمِنَّا مِصْرُ والحَرَمُ[(٢)]

---

(١) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوي ٥١٩) قال: وقمراها: الشمس والقمر، ثناهما تغليباً. ورواه المبرد في الكامل: «أخذنا بأطراف» في موضع، ورواه في آخر بآفاق. ١ هـ واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى: ﴿يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين﴾: أي بعدما بين المشرق والمغرب وأخذ كلامه من كلام الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٩٥) قال الفراء: يريد ما بين مشرق الشتاء ومشرق الصيف. ويقال إنه أراد المشرق والمغرب فقال: المشرقين، وهو أشبه الوجهين بالصواب؛ لأن العرب قد تجمع الاسمين، على تسمية أشهرهما فيقال: جاءك الزهدمان، وإنما أحدهما زهدم (أي والآخر: كردم العبسيان كما تقدم في شاهد سابق) وقال الشاعر:

«أخذنا بآفاق السماء.... البيت».

(٢) هذا الشاهد في معنى الذي قبله. استشهد به الفراء أيضاً في «**معاني القرآن**» كسابقه، على أن الشيئين المختلفي

يعني: الموصل والجزيرة، فقال: الموصلان، فغلب الموصل.

وقد قيل: عنى بقوله ﴿بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾: مشرق الشتاء، ومشرق الصيف، وذلك أن الشمس تطلع في الشتاء من مشرق، وفي الصيف من مشرق غيره وكذلك المغرب تغرب في مغربين مختلفين، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾.

وذُكر أن هذا قول أحدهما لصاحبه عند لزوم كل واحد منهما صاحبه حتى يورده جهنم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن سعيد الجريري، قال: بلغني أن الكافر إذا بُعث يوم القيامة من قبره، سفعَ بيده الشيطان، فلم يفارقه حتى يصيرهما الله إلى النار، فذلك حين يقول: يا ليت بيني وبينك بُعد المشرقين، فبئس القرين. وأما المؤمن فيوكَّل به مَلك فهو معه حتى قال: إما يفصل بين الناس، أو نصير إلى ما شاء الله.

وقوله: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ﴾ أيها العاشون عن ذكر الله في الدنيا ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ يقول: لن يخفف عنكم اليوم من عذاب الله اشتراككم فيه، لأن لكل واحد منكم نصيبه منه، و«أنَّ» من قوله ﴿أَنَّكُمْ﴾ في موضع رفع لما ذكرت أن معناه: لن ينفعكم اشتراككم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٤٠) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ (٤٢)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿أَفأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾: من قد سلبه الله استماع حججه التي احتجّ بها في هذا الكتاب فأصمه عنه، أو تهدي إلى طريق الهدى من أعمى الله قلبه عن إبصاره، واستحوذ عليه الشيطان، فزيَّن له الرَّدَى ﴿وَمَنْ كانَ في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ يقول: أو تهدي من كان في جور عن قصد السبيل، سالك غير سبيل الحقّ، قد أبان ضلاله أنه عن الحقّ زائل، وعن قصد السبيل جائر: يقول جلّ ثناؤه: ليس ذلك إليك، إنما ذلك إلى الله الذي بيده صرف قلوب خلقه كيف شاء، وإنما أنت منذر، فبلغهم النذارة.

اللفظ، قد يجمعان بلفظ واحد، فيقال البصرتان، للبصرة والكوفة، والموصلان للموصل والجزيرة. وكل هذا من باب تغليب الأشهر من اللفظين على الآخر. قال: وأنشدني رجل من طيىء:

«فبصرة الأزد منا...... البيت»

وقوله: ﴿فإمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فإنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنيين بهذا الوعيد، فقال بعضهم: عُنِي به أهل الإسلام من أمة نبينا عليه الصلاة والسلام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سوار بن عبد الله العنبري، قال: ثني أبي، عن أبي الأشهب، عن الحسن، في قوله: ﴿فإمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فإنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ قال: لقد كانت بعد نبيّ الله نقمة شديدة، فأكرم الله جلّ ثناؤه نبيه ﷺ أن يريه في أمته ما كان من النقمة بعده.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فإمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فإنَّا مِنهُمْ مُنتَقِمُونَ﴾ فذهب الله بنبيه ﷺ، ولم ير في أمته إلا الذي تقرّ به عينه، وأبقى الله النقمة بعده، وليس من نبيّ إلا وقد رأى في أمته العقوبة، أو قال ما لا يشتهي. ذُكر لنا أن النبيّ ﷺ أُري الذي لقيت أمته بعده، فما زال منقبضاً ما انبسط ضاحكاً حتى لقي الله تبارك وتعالى.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: تلا قتادة ﴿فإمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فإنَّا مِنهُمْ مُنتَقِمُونَ﴾ فقال: ذهب النبيّ ﷺ وبقيت النقمة، ولم يُرِ الله نبيه ﷺ في أمته شيئاً يكرهه حتى مضى، ولم يكن نبيّ قطُّ إلا رأى العقوبة في أمته، إلا نبيكم ﷺ. قال: وذُكر لنا أن النبيّ ﷺ أُري ما يصيب أمته بعده، فما رُئي ضاحكاً منبسطاً حتى قبضه الله.

وقال آخرون: بل عنى به أهل الشرك من قريش، وقالوا: قد رأى الله نبيه عليه الصلاة والسلام فيهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿فإمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فإنَّا مِنهُمْ مُنتَقِمُونَ﴾ كما انتقمنا من الأمم الماضية ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْناهُمْ﴾ فقد أراه الله ذلك وأظهره عليه وهذا القول الثاني أولى التأويلين في ذلك بالصواب وذلك أن ذلك في سياق خبر الله عن المشركين فلأن يكون ذلك تهديداً لهم أولى من أن يكون وعيداً لمن لم يجر له ذكر. فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك: فإن نذهب بك يا محمد من بين أظهر هؤلاء المشركين، فنخرجَك من بينهم ﴿فَإنَّا مِنهُمْ مُنتَقِمُونَ﴾، كما فعلنا ذلك بغيرهم من الأمم المكذّبة رسلها، ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْناهُمْ﴾ يا محمد من الظفر بهم، وإعلائك عليهم ﴿فَإنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ أن نظهرك عليهم، ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين بك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فتمسك يا محمد بما يأمرك به هذا القرآن الذي أوحاه إليك ربك، ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ومنهاج سديد، وذلك هو دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فاسْتَمْسِكْ بالَّذِي أُوحِيَ إلَيكَ إنَّكَ على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: أي الإسلام.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿فاسْتَمْسِكْ بالَّذِي أُوحِيَ إلَيكَ إنَّكَ على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

وقوله: ﴿وَإنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن الذي أوحي إليك يا محمد الذي أمرناك أن تستمسك به لشرف لك ولقومك من قريش ﴿وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾ يقول: وسوف يسألك ربك وإياهم عما عملتم فيه، وهل عملتم بما أمركم ربكم فيه، وانتهيتم عما نهاكم عنه فيه؟ وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: قوله: ﴿وَإنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ يقول: إن القرآن شرف لك.

حدثني عمرو بن مالك، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَإنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ قال: يقول للرجل: من أنت؟ فيقول: من العرب، فيقال: من أيّ العرب؟ فيقول: من قريش.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَإنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ وهو هذا القرآن.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَإنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ قال: شرف لك ولقومك، يعني القرآن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ قال: أو لم تكن النبوّة والقرآن الذي أنزل على نبيه ﷺ ذكراً له ولقومه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿**واسأَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا**﴾ ومن الذين أمر رسول الله ﷺ بمسألتهم ذلك، فقال بعضهم الذين أُمر بمسألتهم ذلك رسول الله ﷺ، مؤمنو أهل الكتابين: التوراة، والإنجيل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: في قراءة عبد الله بن مسعود «وَاسأَلِ الَّذِينَ أَرْسَلْنا إلَيْهِمْ قَبْلَكَ رُسُلَنا».

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَاسْأَلْ مَنْ أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا**﴾ إنها قراءة عبد الله: «سل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**واسأَلْ مَنْ أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا**﴾ يقول: سل أهل التوراة والإنجيل: هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد أن يوحدوا الله وحده؟ قال: وفي بعض القراءة: «واسأل الذين أرسلنا إليهم رسلنا قبلك». ﴿**أجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَة يُعْبَدُونَ**﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في بعض الحروف «واسأَلِ الَّذِينَ أرْسَلْنا إلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا» سل أهل الكتاب: أما كانت الرسل تأتيهم بالتوحيد؟ أما كانت تأتي بالإخلاص؟.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول: في قوله: ﴿**واسأَلْ مَنْ أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا**﴾ في قراءة ابن مسعود «سَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتاب مِنْ قَبْلِكَ» يعني: مؤمني أهل الكتاب.

وقال آخرون: بل الذي أمر بمسألتهم ذلك الأنبياء الذين جُمعوا له ليلة أُسري به ببيت المقدس.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**واسْئَلْ مَنْ أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ...**﴾ الآية، قال: جمعوا له ليلة أُسري به ببيت المقدس، فأمهم، وصلى بهم، فقال الله له: سلهم، قال: فكان أشدّ إيماناً ويقيناً بالله وبما جاءه من الله أن يسألهم، وقرأ ﴿**فإنْ كُنْتَ في**

شَكَ مِمَّا أَنزَلْنا إلَيكَ فاسأَل الَّذِينَ يَقرَءُونَ الكِتابَ مِن قَبلِكَ﴾ قال: فلم يكن في شكّ، ولم يسأل الأنبياء، ولا الذين يقرأون الكتاب. قال: ونادى جبرائيل ﷺ، فقلت في نفسي: «الآن يؤمنا أبونا إبراهيم» قال: «فدفع جبرائيل في ظهري»، قال: تقدم يا محمد فصلّ، وقرأ **﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرامِ...﴾** حتى بلغ **﴿لِنُرِيهُ مِنْ آياتِنا﴾**.

وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: عنى به: سل مؤمني أهل الكتابين.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يقال: سل الرسل، فيكون معناه: سل المؤمنين بهم وبكتابهم؟ قيل: جاز ذلك من أجل أن المؤمنين بهم وبكتبهم أهل بلاغ عنهم ما أتوهم به عن ربهم، فالخبر عنهم وعما جاؤوا به من ربهم إذا صحّ بمعنى خبرهم، والمسألة عما جاؤوا به بمعنى مسألتهم إذا كان المسؤول من أهل العلم بهم والصدق عليهم، وذلك نظير أمر الله جلّ ثناؤه إيانا بردّ ما تنازعنا فيه إلى الله وإلى الرسول، يقول: **﴿فإنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللّهِ وَالرَّسُولِ﴾**، ومعلوم أن معنى ذلك: فردّوه إلى كتاب الله وسنة رسوله، لأن الردّ إلى ذلك ردّ إلى الله والرسول. وكذلك قوله: **﴿وَاسْئَلْ مَنْ أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا﴾** إنما معناه: فاسأل كتب الذين أرسلنا من قبلك من الرسل، فإنك تعلم صحة ذلك من قِبَلِنا، فاستغني بذكر الرسل من ذكر الكتب، إذ كان معلوماً ما معناه.

وقوله: **﴿أجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾** يقول: أمرناهم بعبادة الآلهة من دون الله فيما جاؤوهم به، أو أتوهم بالأمر بذلك من عندنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿أجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾**؟ أتتهم الرسل يأمرونهم بعبادة الآلهة من دون الله؟ وقيل: **﴿آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾**، فأخرج الخبر عن الآلهة مخرج الخبر عن ذكور بني آدم، ولم يقل: تعبد، ولا يعبدن، فتؤنث وهي حجارة، أو بعض الجماد كما يفعل في الخبر عن بعض الجماد. وإنما فعل ذلك كذلك، إذ كانت تعبد وتعظم تعظيم الناس ملوكهم وسَرَاتهم، فأُجْرِي الخبر عنها مُجْرى الخبر عن الملوك والأشراف من بني آدم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا يا محمد موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه، كما

أرسلناك إلى هؤلاء المشركين من قومك، فقال لهم موسى: إني رسول ربّ العالمين، كما قلتَ أنت لقومك من قريش. إني رسول الله إليكم، ﴿فَلَمَّا جاءَهُمْ بآياتِنا إذَا هُمْ مِنْها يَضْحَكُونَ﴾ يقول: فلما جاء موسى فرعونَ وملأه بحججنا وأدلتنا على صدق قوله، فيما يدعوهم إليه من توحيد الله والبراءة من عبادة الآلهة، إذا فرعون وقومه مما جاءهم به موسى من الآيات والعِبَر يضحكون كما أن قومك مما جئتهم به من الآيات والعِبر يسخرون، وهذا تسلية من الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ عما كان يلقى من مشركي قومه، وإعلام منه له، أن قومه من أهل الشرك لن يَعْدُوا أن يكونوا كسائر الأمم الذين كانوا على منهاجهم في الكفر بالله وتكذيب رسله، وندب منه نبيه ﷺ إلى الاستنان في الصبر عليهم بسنن أولي العزم من الرسل، وإخبار منه له أن عقبى مردتهم إلى البوار والهلاك كسنته في المتمرّدين عليه قبلهم، وإظفاره بهم، وإعلائه أمره، كالذي فعل بموسى عليه السلام، وقومه الذين آمنوا به من إظهارهم على فرعون وملئه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما نري فرعون وملأه آية، يعني: حجة لنا عليه بحقيقة ما يدعوه إليه رسولنا موسى ﴿إلاَّ هِيَ أكبَرُ مِنْ أُختِها﴾ يقول: إلا التي نريه من ذلك أعظم في الحجة عليهم وأوكد من التي مضت قبلها من الآيات، وأدلّ على صحة ما يأمره به موسى من توحيد الله.

وقوله: ﴿وأخَذْناهُمْ بالعَذابِ﴾ يقول: وأنزلنا بهم العذاب، وذلك كأخذه تعالى ذكره إياهم بالسنين، ونقص من الثمرات، وبالجراد، والقُمّل، والضفادع، والدم.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: ليرجعوا عن كفرهم بالله إلى توحيده وطاعته، والتوبة مما هم عليه مقيمون من معاصيهم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وأخَذْناهُمْ بالعَذَاب لَعَلَّهُم يَرْجِعُونَ﴾ أي يتوبون، أو يذكرون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال فرعون وَمَلؤُه لموسى: ﴿يَا أيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ

عِنْدَكَ﴾ وعنوا بقولهم «بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ»: بعهده الذي عهد إليك أنا إن آمنا بك واتبعناك، كُشف عنا الرِّجْز. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عزّ وجلّ **﴿بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾** قال لئن آمنا ليُكْشَفنّ عنا العذاب.

إن قال لنا قائل: وما وجه قيلهم يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك، وكيف سموه ساحراً وهم يسألونه أن يدعو لهم ربه ليكشف عنهم العذاب؟ قيل: إن الساحر كان عندهم معناه: العالم، ولم يكن السحر عندهم ذماً، وإنما دعوه بهذا الاسم، لأن معناه عندهم كان: يا أيها العالم.

وقوله: **﴿إِنَّنا لَمُهْتَدُونَ﴾** يقول: قالوا: إنا لمتبعوك فمصدّقوك فيما جئتنا به، وموحدو الله فمبصرو سبيل الرشاد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يا أَيُّها السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنا لَمُهْتَدُونَ﴾** قال: قالوا يا موسى: ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك.

وقوله: **﴿فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ العَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾** يقول تعالى ذكره: فلما رفعنا عنهم العذاب الذي أنزلنا بهم، الذي وعدوا أنهم إن كشف عنهم اهتدوا لسبيل الحقّ، إذا هم بعد كشفنا ذلك عنهم ينكثون العهد الذي عاهدونا: يقول: يغدرون ويصرّون على ضلالهم، ويتمادون في غيهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾**: أي يغدرون.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾

يقول تعالى ذكره: **﴿وَنادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾** من القبط، فـ**﴿قالَ يا قَوْمِ أَلَيْسَ لي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأنهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾** يعني بقوله: **﴿مِنْ تَحْتِي﴾**: من بين يديّ في الجنان.

كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَهَذِهِ الأنهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي**﴾ قال: كانت لهم جنات وأنهار ماء.

وقوله: ﴿**أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ يقول: أفلا تبصرون أيها القوم ما أنا فيه من النعيم والخير، وما فيه موسى من الفقر وعيِّ اللسان، افتخر بملكه مصر عدوّ الله، وما قد مكّن له من الدنيا استدراجاً من الله له، وحسب أن الذي هو فيه من ذلك ناله بيده وحوله، وأن موسى إنما لم يصل إلى الذي يصفه، فنسبه من أجل ذلك إلى المهانة محتجاً على جهلة قومه بأن موسى عليه السلام لو كان محقاً فيما يأتي به من الآيات والعبر، ولم يكن ذلك سحراً، لأكسب نفسه من المُلك والنعمة، مثل الذي هو فيه من ذلك جهلاً بالله واغتراراً منه بإملائه إياه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل فرعون لقومه بعد احتجاجه عليهم بملكه وسلطانه، وبيان لسانه وتمام خلقه، وفضل ما بينه وبين موسى بالصفات التي وصف بها نفسه وموسى: أنا خير أيها القوم، وصفتي هذه الصفة التي وصفت لكم، ﴿**أَمْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ**﴾ لا شيء له من المُلك والأموال مع العلة التي في جسده، والآفة التي بلسانه، فلا يكاد من أجلها يبين كلامه؟

وقد اختُلف في معنى قوله: ﴿**أَمْ**﴾ في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناها: بل أنا خير، وقالوا: ذلك خبر، لا استفهام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**أَمْ أَنا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ**﴾ قال: بل أنا خير من هذا. وبنحو ذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة.

وقال بعض نحويي الكوفة، هو من الاستفهام الذي جعل بأم لاتصاله بكلام قبله. قال: وإن شئت رددته على قوله: ﴿**أَلَيْسَ لي مُلْكُ مِصْرَ**﴾؟ وإذا وجه الكلام إلى أنه استفهام، وجب أن يكون في الكلام محذوف استغني بذكر ما ذكر مما ترك ذكره، ويكون معنى الكلام حينئذٍ: أنا خير أيها القوم من هذا الذي هو مهين، أم هو؟

وذُكر عن بعض القرّاء أنه كان يقرأ ذلك «أما أنا خَيْرٌ».

حُدثت بذلك عن الفرّاء قال: أخبرني بعض المشيخة أنه بلغه أن بعض القرّاء قرأ كذلك، ولو كانت هذه القراءة قراءة مستفيضة في قَرَأة الأمصار لكانت صحيحة، وكان معناها حسناً، غير أنها خلاف ما عليه قرّاء الأمصار، فلا أستجيز القراءة بها، وعلى هذه القراءة لو صحّت لا كلفة له في معناها ولا مؤونة.

والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار. وأولى التأويلات بالكلام إذ كان ذلك كذلك، تأويل من جعل: أمْ أنا ﴿خَيْرٌ﴾؟ من الاستفهام الذي جعل بأم، لاتصاله بما قبله من الكلام، ووجهه إلى أنه بمعنى: أأنا خير من هذا الذي هو مهين؟ أم هو؟ ثم ترك ذكر أم هو، لما في الكلام من الدليل عليه. وعنى بقوله: ﴿مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾: من هذا الذي هو ضعيف لقلّة ماله، وأنه ليس له من الملك والسلطان ماله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أَمْ أنا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ**﴾ قال: ضعيف.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ**﴾ قال: المهين: الضعيف.

وقوله: ﴿**وَلا يَكادُ يُبِينُ**﴾ يقول: ولا يكاد يُبين الكلام من عِيّ لسانه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَلا يَكادُ يُبِينُ**﴾: أي عَيّ اللسان.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَلا يَكادُ يُبِينُ**﴾ الكلام.

وقوله: ﴿**فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ**﴾ يقول: فهلا أُلقي على موسى إن كان صادقاً أنه رسول ربّ العالمين أسورة من ذهب، وهو جمع سوار، وهو القُلْب الذي يجعل في اليد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس، قوله: ﴿أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾ يقول: أقلبة من ذهب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾: أي أقلبة من ذهب.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة والكوفة «فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَساوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ». وذُكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأه ﴿أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي ما عليه قَرَأة الأمصار، وإن كانت الأخرى صحيحة المعنى.

واختلف أهل العربية في واحد الأساورة، والأسورة، فقال بعض نحويِّي البصرة: الأسورة جمع إسوار قال: والأساورة جمع الأسورة وقال: ومن قرأ ذلك أساورة، فإنه أراد أساوير والله أعلم، فجعل الهاء عوضاً من الياء، مثل الزنادقة صارت الهاء فيها عوضاً من الياء التي في زناديق. وقال بعض نحويّي الكوفة: من قرأ أساورة جعل واحدها إسوار ومن قرأ أسورة جعل واحدها سوار وقال: قد تكون الأساورة جمع أسورة كما يقال في جمع الأسقية الأساقي، وفي جمع الأكرع الأكارع. وقال آخر منهم قد قيل في سوار اليد: يجوز فيه أُسوار وإسوار قال: فيجوز على هذه اللغة أن يكون أساورة جمعه. وحُكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: واحد الأساورة إسوار قال: وتصديقه في قراءة أبيّ بن كعب «فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أساوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ» فإن كان ما حُكي من الرواية من أنه يجوز أن يقال في سوار اليد إسوار، فلا مؤونة في جمعه أساورة، ولست أعلم ذلك صحيحاً عن العرب برواية عنها، وذلك أن المعروف في كلامهم من معنى الإسوار: الرجل الرامي، الحاذق بالرمي من رجال العجم. وأما الذي يُلبس في اليد، فإن المعروف من أسمائه عندهم سواراً. فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بالأساورة أن يكون جمع أسورة على ما قاله الذي ذكرنا قوله في ذلك.

وقوله: ﴿أَوْ جاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ يقول: أو هلا إن كان صادقاً جاء معه الملائكة مقترنين قد اقترن بعضهم ببعض، فتتابَعُوا يشهدون له بأنه لله رسول إليهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في العبارة على تأويله، فقال بعضهم: يمشون معاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ قال: يمشون معاً.

وقال آخرون: متتابعين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أَوْ جاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ**﴾: أي متتابعين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة مثله.

وقال آخرون: يقارن بعضهم بعضاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**أَوْ جاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ**﴾ قال: يقارن بعضهم بعضاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فاستخفّ فرعون خلقاً من قومه من القبط، بقوله الذي أخبر الله تبارك وتعالى عنه أنه قاله لهم، فقبلوا ذلك منه فأطاعوه، وكذّبوا موسى، قال الله: وإنما أطاعوا فاستجابوا لما دعاهم إليه عدوّ الله من تصديقه، وتكذيب موسى، لأنهم كانوا قوماً عن طاعة الله خارجين بخذلانه إياهم، وطبعه على قلوبهم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**فَلَمَّا آسَفُونا**﴾ يعني بقوله: آسفونا: أغضبونا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فَلَمَّا آسَفُونا**﴾ يقول: أسخطونا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿**فَلَمَّا آسَفُونا**﴾ يقول: لما أغضبونا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**فَلَمَّا آسَفُونا**﴾: أغضبونا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فَلَمَّا آسَفُونا**﴾ قال: أغضبوا ربهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**فَلَمَّا آسَفُونا**﴾ قال: أغضبونا.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**فَلَمَّا آسَفُونا**﴾ قال: أغضبونا، وهو على قول يعقوب: ﴿**يا أَسَفِي عَلَى يُوسُفَ**﴾ قال: يا حزَني على يوسف.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ**﴾ قال: أغضبونا، وقوله: ﴿**انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ**﴾ يقول: انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عجّلناه لهم، فأغرقناهم جميعاً في البحر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الكوفة غير عاصم «فَجَعَلْناهُمْ سُلُفاً» بضم السين واللام، توجيهاً ذلك منهم إلى جمع سليف من الناس، وهو المتقدّم أمام القوم. وحكى الفراء أنه سمع القاسم بن معن يذكر أنه سمع العرب تقول: مضى سليف من الناس. وقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وعاصم: ﴿**فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً**﴾ بفتح السين واللام. وإذا قُرىء كذلك احتمل أن يكون مراداً به الجماعة والواحد والذكر والأنثى، لأنه يُقال للقوم: أنتم لنا سلف، وقد يُجمع فيقال: هم أسلاف ومنه الخبر الذي رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ أَسْلافاً». وكان حُميد الأعرج يقرأ ذلك: «فَجَعَلْناهُمْ سُلَفاً» بضم السين وفتح اللام، توجيهاً منه ذلك إلى جمع سلفة من الناس، مثل أمة منهم وقطعة.

وأولى القراءات في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بفتح السين واللام، لأنها اللغة الجوداء، والكلام المعروف عند العرب، وأحقّ اللغات أن يُقرأ بها كتاب الله من لغات العرب أفصحها وأشهرها فيهم. فتأويل الكلام إذن: فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم من قوم فرعون في البحر مقدّمة يتقدمون إلى النار، كفار قومك يا محمد من قريش، وكفار قومك لهم بالأثر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً للآخِرِينَ**﴾ قال: قوم فرعون كفارهم سلفاً لكفار أمة محمد ﷺ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً﴾ في النار.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر: ﴿فَجَعلْناهُمْ سَلَفاً﴾ قال: سلفاً إلى النار.

وقوله: ﴿وَمَثَلاً للآخِرِينَ﴾ يقول: وعبرة وعظة يتعظ بهم مَنْ بعدهم من الأمم، فينتهوا عن الكفر بالله. وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَمَثَلاً للآخِرِينَ﴾ قال: عبرة لمن بعدهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَمَثَلاً للآخِرِينَ﴾: أي عظة للآخرين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَمَثَلاً للآخِرِينَ﴾: أي عظة لمن بعدهم.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً﴾ قال: عبرة.

وقوله: ﴿وَلما ضُربَ ابْنُ مَرْيَم مَثَلاً﴾ يقول تعالى ذكره: ولما شبه الله عيسى في إحداثه وإنشائه إياه من غير فحل بآدم، فمثَّله به بأنه خلقه من تراب من غير فحل، إذا قومك يا محمد من ذلك يضجون ويقولون: ما يريد محمد منا إلاَّ أن نتخذه إلهاً نعبده، كما عبدت النصارى المسيح.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إذَا قَوْمُكَ منهُ يَصِدُّونَ﴾ قال: يضجون قال: قالت قريش: إنما يريد محمد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: لما ذُكر عيسى بن

مريم جزعت قريش من ذلك، وقالوا: يا محمد ما ذكرت عيسى بن مريم[١]، وقالوا: ما يريد محمد إلاّ أن نصنع به كما صنعت النصارى بعيسى بن مريم، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿**ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلاّ جَدَلا**﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: لما ذُكر عيسى في القرآن قال مشركو قريش: يا محمد ما أردت إلى ذكر عيسى؟ قال: وقالوا: إنما يريد أن نحبه كما أحبَّت النصارى عيسى.

وقال آخرون: بل عنى بذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿**إنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أنْتُمْ لَهَا وَارِدُون**﴾ قيل المشركين عند نزولها: قد رضينا بأن تكون آلهتنا مع عيسى وعُزَير والملائكة، لأن كل هؤلاء مما يُعبد من دون الله، قال الله عزّ وجلّ: ﴿**ولَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾ وقالوا: آآلهتنا خير أم هو؟

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد قال، ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**ولَمَّا ضُربَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾ قال: يعني قريشاً لما قيل لهم ﴿**إنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أنْتُمْ لَهَا وَارِدُون**﴾ فقالت له قريش: فما ابن مريم؟ قال: ذاك عبد الله ورسوله، فقالوا: والله ما يريد هذا إلاّ أن نتخذه رباً كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم رباً، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿**ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلاّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**يَصِدُّونَ**﴾، فقرأته عامة قرّاء المدينة، وجماعة من قرّاء الكوفة: «يَصُدُّونَ» بضم الصاد. وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة والبصرة ﴿**يَصِدُّونَ**﴾ بكسر الصاد.

واختلف أهل العلم بكلام العرب في فرق ما بين ذلك إذا قُرىء بضم الصاد، وإذا قُرىء بكسرها، فقال بعض نحويِّي البصرة، ووافقه عليه بعض الكوفيين: هما لغتان بمعنى واحد، مثل يشُدّ ويشِدّ، ويَنُمُّ ويَنِمّ من النميمة. وقال آخر: منهم من كسر الصاد فمجازها يضجون، ومن ضمها فمجازها يعدلون. وقال بعض من كسرها: فإنه أراد يضجون، ومن ضمها فإنه أراد الصدود عن الحقّ.

حُدثت عن الفرّاء قال: ثني أبو بكر بن عياش، أن عاصماً ترك يصدّون من قراءة أبي عبد الرحمن، وقرأ يصدّون، قال: قال أبو بكر. حدثني عاصم، عن أبي رزين، عن أبي يحيى، أن

(١) كذا في الأصل، ولم يتم الكلام؛ ولعله اكتفى بدلالة ما بعده عليه.

ابن عباس لقي ابن أخي عبيد بن عمير، فقال: إن عمك لعربيّ، فما له يُلحِن في قوله: «إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ»، وإنما هي ﴿يَصِدُّونَ﴾.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، ولغتان مشهورتان بمعنى واحد، ولم نجد أهل التأويل فرّقوا بين معنى ذلك إذا قرىء بالضمّ والكسر، ولو كان مختلفاً معناه، لقد كان الاختلاف في تأويله بين أهله موجوداً وجود اختلاف القراءة فيه باختلاف اللغتين، ولكن لما لم يكن مختلف المعنى لم يختلفوا في أن تأويله: يضجون ويجزعون، فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فمصيب. ذكر ما قلنا في تأويل ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ قال: يضجون.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ يقول: يضجون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا أبو حمزة، عن المُغيرة الضبيّ، عن الصعب بن عثمان قال: كان ابن عباس يقرأ ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾، وكان يفسرها يقول: يضجون.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، عن ابن عباس ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ قال: يضجون.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة عن عاصم عن أبي رزين، عن ابن عباس بمثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ قال: يضجون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾: أي يجزعون ويضجون.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن عاصم بن أبي النَّجود، عن أبي صالح، عن ابن عباس أنه قرأها ﴿يَصِدُّون﴾: أي يضجون، وقرأ عليّ رضي الله عنه ﴿يَصِدُّونَ﴾.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿**إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾ قال: يضجون.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾ قال: يضجون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال مشركو قومك يا محمد: آلهتنا التي نعبدها خير أم محمد؟ فنعبد محمداً ونترك آلهتنا؟ وذُكر أن ذلك في قراءة أُبيّ بن كعب: ﴿**أآلِهَتُنا خَيْرٌ أمْ هَذَا**﴾. ذكر الرواية بذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور عن معمر، عن قتادة أن في حرف أبيّ بن كعب ﴿**وَقَالُوا أآلهَتُنا خَيْرٌ أمْ هَذا**﴾ يعنون محمداً ﷺ.

وقال آخرون: بل عني بذلك: آلهتنا خير أم عيسى؟

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**وَقالُوا أآلِهَتُنا خَيْرٌ أمْ هُوَ ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾ قال: خاصموه، فقالوا: يزعم أن كلّ من عبد من دون الله في النار، فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعُزير والملائكة هؤلاء قد عُبدوا من دون الله، قال: فأنزل الله براءة عيسى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أآلِهَتُنا خَيْرٌ**﴾ قال: عَبَدَ هؤلاء عيسى، ونحن نعبد الملائكة.

وقوله: ﴿**ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ...**﴾ إلى ﴿**فِي الأرْض يخْلُفُونَ**﴾.
وقوله تعالى ذكره: ﴿**ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلا جَدَلاً**﴾ يقول تعالى ذكره: ما مثلوا لك هذا المثل يا محمد ولا قالوا لك هذا القول إلاّ جدلاً وخصومةً يخاصمونك به ﴿**بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُون**﴾ يقول جل ثناؤه: ما بقومك يا محمد... هؤلاء المشركين في محاجتهم إياك بما يحاجونك به طلب الحق ﴿**بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾ يلتمسون الخصومة بالباطل.

وذُكر عن النبيّ ﷺ أنه قال: «ما ضَلَّ قَوْمٌ عَنِ الحَقّ إلاَّ أُوتُوا الجَدَلَ». ذكر الرواية بذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يعلى، قال: ثنا الحجاج بن دينار، عن أبي غالب عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدىً كانُوا عَلَيْهِ إلاَّ أُوتُوا الجَدَلَ، وقرأ: ﴿**ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلاَّ جَدَلاً...**﴾ الآية».

حدثني موسى بن عبد الرحمن الكندي وأبو كُرَيب قالا: ثنا محمد بن بشر، قال: ثنا حجاج بن دينار، عن أبي غالب، عن أبي أُمامة، عن رسول الله ﷺ بنحوه.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا أحمد بن عبد الرحمن، عن عباد بن عباد عن جعفر بن القاسم، عن أبي أُمامة «أن رسول الله ﷺ، خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن، فغضب غضباً شديداً، حتى كأنما صبّ على وجهه الخلّ، ثم قال ﷺ: «لا تَضْرِبُوا كِتابَ اللّهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فإنَّهُ ما ضَلَّ قَوْمٌ قَطُّ إلاَّ أُوتُو الجَدَلَ»، ثم تلا: ﴿**ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلاَّ جَدَلاً بَل هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾.

وقوله: ﴿**إنْ هُوَ إلاَّ عَبْدٌ أنْعَمْنا عَلَيْهِ**﴾ يقول تعالى ذكره: فما عيسى إلا عبد من عبادنا، أنعمنا عليه بالتوفيق والإيمان، وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل، يقول: وجعلناه آية لبني إسرائيل، وحجة لنا عليهم بإرسالناه إليهم بالدعاء إلينا، وليس هو كما تقول النصارى من أنه ابن الله تعالى، تعالى الله عن ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**إنْ هُوَ إلاَّ عَبْدٌ أنْعَمْنَا عَلَيْهِ**﴾ يعني بذلك عيسى ابن مريم، ما عدا ذلك عيسى ابن مريم، إن كان إلا عبداً أنعم الله عليه.

وبنحو الذي قلنا أيضاً في قوله: ﴿**وَجَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَنِي إسْرَائِيلَ**﴾ قالوا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن قتادة ﴿**مَثَلاً لِبَنِي إسْرَائِيلَ**﴾ أحسبه قال: آية لبني إسرائيل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَجَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَنِي إسْرَائِيل**﴾ أي آية.

قوله: ﴿**وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: ولو نشاء معشر بني آدم أهلكناكم، فأفنينا جميعكم، وجعلنا بدلاً منكم في الأرض ملائكة يخلفونكم فيها

يعبدونني وذلك نحو قوله تعالى ذكره: ﴿إِنْ يَشأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّها النَّاسُ وَيأْتِ بآخَرِينَ وكانَ اللَّهُ على ذلكَ قَدِيراً﴾ وكما قال: ﴿إِنْ يَشأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أن منهم من قال: معناه: يخلف بعضهم بعضاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ يقول: يخلف بعضهم بعضاً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ قال: يعمرون الأرض بدلاً منكم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿مَلائِكَةً فِي الأرْض يَخْلفُونَ﴾ قال: يخلف بعضهم بعضاً، مكان بني آدم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ لو شاء الله لجعل في الأرض ملائكة يخلف بعضهم بعضاً.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ قال: خلفاً منكم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: ﴿وإنَّهُ﴾ وما المعنيّ بها، ومن ذكر ما هي، فقال بعضهم: هي من ذكر عيسى، وهي عائدة عليه. وقالوا: معنى الكلام: وإن عيسى ظهوره علم يعلم به مجيء الساعة، لأن ظهوره من أشراطها ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا، وإقبال الآخرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، عن يحيى، عن ابن عباس، «وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ» قال: خروج عيسى بن مريم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن عاصم، عن أبي رزين، عن

ابن عباس بمثله، إلا أنه قال: نزول عيسى بن مريم.

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسيّ، قال: ثنا غالب بن قائد، قال: ثنا قيس، عن عاصم، عن أبي رزين، عن ابن عباس، أنه كان يقرأ «وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ» قال: نزول عيسى بن مريم.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن عطية، عن فضيل بن مرزوق، عن جابر، قال: كان ابن عباس يقول: ما أدري علم الناس بتفسير هذه الآية، أم لم يفطنوا لها؟ «وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ» قال: نزول عيسى ابن مريم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: «وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ» قال: نزول عيسى ابن مريم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن أبي مالك وعوف عن الحسن أنهما قالا في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعَةِ﴾ قالا: نزول عيسى ابن مريم وقرأها أحدهما «وإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ».

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعَةِ﴾ قال: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة «وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ» قال: نزول عيسى ابن مريم علم للساعة: القيامة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: «وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ» قال: نزول عيسى ابن مريم علم للساعة.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعَةِ﴾ قال: خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعَةِ﴾ يعني خروج عيسى ابن مريم ونزوله من السماء قبل يوم القيامة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعَةِ﴾ قال: نزول عيسى ابن مريم علم للساعة حين ينزل.

وقال آخرون: الهاء التي في قوله: ﴿وَإِنَّهُ﴾ من ذكر القرآن، وقالوا: معنى الكلام: وإن هذا القرآن لعلم للساعة يعلمكم بقيامها، ويخبركم عنها وعن أهوالها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: «وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ» هذا القرآن.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة قال: كان ناس يقولون: القرآن علم للساعة. واجتمعت قرّاء الأمصار في قراءة قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعَةِ﴾ على كسر العين من العلم. ورُوي عن ابن عباس ما ذكرت عنه في فتحها، وعن قتادة والضحاك.

والصواب من القراءة في ذلك: الكسر في العين، لإجماع الحجة من القرّاء عليه. وقد ذُكر أن ذلك في قراءة أُبيّ وإنه لذكر للساعة فذلك مصحح قراءة الذين قرأوا بكسر العين من قوله: ﴿لَعِلْمٌ﴾.

وقوله: ﴿فَلا تَمْتَرُنَّ بِها﴾ يقول: فلا تشكنّ فيها وفي مجيئها أيها الناس. كما:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿فَلا تَمْتَرُنَّ بِها﴾ قال: تشكون فيها.

وقوله: ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ يقول تعالى ذكره: وأطيعون فاعملوا بما أمرتكم به، وانتهوا عما نهيتكم عنه، ﴿وَهَذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ يقول: اتباعكم إياي أيها الناس في أمري ونهيي صراط مستقيم، يقول: طريق لا اعوجاج فيه، بل هو قويم.

وقوله: ﴿وَلايَصُدَّنَّكُمُ الشَّيطانُ﴾ يقول جل ثناؤه: ولا يعدلنكم الشيطان عن طاعتي فيما آمركم وأنهاكم، فتخالفوه إلى غيره، وتجوروا عن الصراط المستقيم فتضلوا ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوّ مُبِينٌ﴾ يقول: إن الشيطان لكم عدوّ يدعوكم إلى ما فيه هلاككم، ويصدّكم عن قصد السبيل، ليوردكم المهالك، مبين قد أبان لكم عداوته، بامتناعه من السجود لأبيكم آدم، وإدلائه بالغرور حتى أخرجه من الجنة حسداً وبغياً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولما جاء عيسى بني إسرائيل بالبيِّنات، يعني بالواضحات من الأدلة. وقيل: عُني بالبيِّنات: الإنجيل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَلَمَّا جاءَ عِيسَى بالبَيِّناتِ**﴾ أي بالإنجيل. وقوله: ﴿**قالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بالْحِكْمَةِ**﴾ قيل: عُني بالحكمة في هذا الموضع: النبوّة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**قالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بالْحِكْمَةِ**﴾ قال: النبوّة.

وقد بيَّنت معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده، وذكرت اختلاف المختلفين في تأويله، فأغنى ذلك عن إعادته.

وقوله: ﴿**وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ**﴾ يقول: ولأبين لكم معشر بني إسرائيل بعض الذي تختلفون فيه من أحكام التوراة. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ**﴾ قال: من تبديل التوراة.

وقد قيل: معنى البعض في هذا الموضع بمعنى الكلّ، وجعلوا ذلك نظير قول لبيد:

تَـرَّاكُ أمْكِـنَـةٍ إذَا لَـمْ أَرْضَـهـا ... أوْ يَـعْـتَـلِـقْ بَـعْـضَ النُّفُوسِ حِمامُـها[1]

قالوا: الموت لا يعتلق بعض النفوس، وإنما المعنى: أو يعتلق النفوس حمامها، وليس لما

---

(١) البيت للبيد «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة (الورقة ٢٢١) أنشده عند قوله تعالى: ﴿لأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾ قال: البعض هاهنا: كله. قال لبيد:

«تـــراك...... الـــبـــيـــت»

وفي شرح الزوزني للمعلقات السبع (ص ـ ١١٦) يقول: إني تراك أماكن إذا لم أرضها إلا أن يرتبط نفسي حمامها، فلا يمكنها البراح. وأراد ببعض النفوس هنا: نفسه. هذا أوجه الأقوال وأحسنها. ومن جعل بعض النفوس بمعنى كل النفوس، فقد أخطأ لأن بعضاً لا يفيد العموم والاستيعاب. وتحرير المعنى: إني لا أترك الأماكن أجتويها وأقليها، إلا أن أموت. وقال التبريزي في «**شرح القصائد العشر**» (ص ـ ١٦٠) يقول: أترك الأمكنة إذا رأيت فيها ما يكره إلا أن يدركني الموت. وأراد بالنفوس نفسه، ويعتلق: يحبس. والحمام: الموت. ويقال القدر. وقوله أو يعتلق مجزوم عطفاً على قوله: إذا لم أرضها ا هـ.

قال هذا القائل كبير معنى، لأن عيسى إنما قال لهم: ﴿وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾، لأنه قد كان بينهم اختلاف كثير في أسباب دينهم ودنياهم، فقال لهم: أبين لكم بعض ذلك، وهو أمر دينهم دون ما هم فيه مختلفون من أمر دنياهم، فلذلك خصّ ما أخبرهم أنه يبينه لهم. وأما قول لبيد: «أو يعتلق بعض النفوس»، فإنه إنما قال ذلك أيضاً كذلك، لأنه أراد: أو يعتلق نفسه حمامها، فنفسه من بين النفوس لا شكّ أنها بعض لا كلّ.

وقوله: ﴿فاتَّقُوا اللّهَ وأطِيعُونِ﴾ يقول: فاتقوا ربكم أيها الناس بطاعته، وخافوه باجتناب معاصيه، وأطيعون فيما أمرتكم به من اتقاء الله واتباع أمره، وقبول نصيحتي لكم.

وقوله: ﴿إنَّ اللّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُم فاعْبُدُوهُ﴾ يقول: إن الله الذي يستوجب علينا إفراده بالألوهية وإخلاص الطاعة له، ربي وربكم جميعاً، فاعبدوه وحده، لا تشركوا معه في عبادته شيئاً، فإنه لا يصلح، ولا ينبغي أن يُعبد شيء سواه.

وقوله: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ يقول: هذا الذي أمرتكم به من اتقاء الله وطاعتي، وإفراد الله بالألوهة، هو الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي لا يقبل من أحد من عباده غيره.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦)﴾.

اختلف أهل التأويل في المعنيين بالأحزاب، الذين ذكرهم الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى بذلك: الجماعة التي تناظرت في أمر عيسى، واختلفت فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى قال، ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فاخْتَلَفَ الأحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ قال: هم الأربعة الذين أخرجهم بنو إسرائيل يقولون في عيسى. وقال آخرون: بل هم اليهود والنصارى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿فاخْتَلَفَ الأحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ قال: اليهود والنصارى.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: فاختلف الفِرَق المختلفون في عيسى بن مريم من بين من دعاهم عيسى إلى ما دعاهم إليه من اتقاء الله والعمل بطاعته، وهم اليهود

والنصارى، ومن اختلف فيه من النصارى، لأن جميعهم كانوا أحزاباً مبتسلين[1]، مختلفي الأهواء مع بيانه لهم أمر نفسه، وقوله لهم: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره فالوادي السائل من القيح والصديد في جهنم للذين كفروا بالله، الذين قالوا في عيسى بن مريم بخلاف ما وصف عيسى به نفسه في هذه الآية ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ يقول: من عذاب يوم مؤلم، ووصف اليوم بالإيلام، إذ كان العذاب الذي يؤلمهم فيه، وذلك يوم القيامة. كما:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ قال: من عذاب يوم القيامة.

وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ يقول: هل ينظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في عيسى ابن مريم، القائلون فيه الباطل من القول، إلاَّ الساعة التي فيها تقوم القيامة فجأة ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: وهم لا يعلمون بمجيئها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: المتخالّون يوم القيامة على معاصي الله في الدنيا، بعضهم لبعض عدوّ، يتبرأ بعضهم من بعض، إلاَّ الذين كانوا تخالّوا فيها على تقوى الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ فكلّ خلة على معصية الله في الدنيا متعادون.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ فكل خُلَّة هي عداوة إلاَّ خُلَّة المتقين.

(١) كذا في الأصل. ولعل الصواب «متبسلين» بتقديم التاء على الباء. قال في «**اللسان**»: تبسل الرجل: عبس من الغضب أو الشجاعة أما ابتسل الرجل بتقديم الباء، فمعناه: أخذ على رقبته أجراً. ا هـ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن أبي إسحاق، أن علياً رضي الله عنه قال: خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين فقال: يا ربّ إن فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشرّ ويخبرني أني ملاقيك يا ربّ فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول: ليثن أحدكما على صاحبه فيقول: يا ربّ إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشرّ، ويخبرني أني ملاقيك، فيقول: نعم الخليل، ونعم الأخ، ونعم الصاحب قال: ويموت أحد الكافرين فيقول: يا ربّ إن فلاناً كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشرّ، وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك، فيقول: بئس الأخ، وبئس الخليل، وبئس الصاحب.

وقوله: ﴿**يا عِبادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه. ومعنى الكلام: الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدوّ إلاّ المتقين، فإنهم يقال لهم: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي، فإني قد أمنتكم منه برضاي عنكم، ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا فإن الذي قدمتم عليه خير لكم مما فارقتموه منها.

وذُكر أن الناس ينادون هذا النداء يوم القيامة، فيطمع فيها من ليس من أهلها حتى يسمع قوله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا بِآياتِنا وكانُوا مُسْلِمِينَ**﴾ فييأس منها عند ذلك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، قال سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد إلاّ فزع، فينادي منادٍ: يا عباد الله لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، فيرجوها الناس كلهم، قال: فيتبعها ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا بِآياتِنا وكانُوا مُسْلِمِينَ**﴾ قال: فييأس الناس منها غير المسلمين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ (٦٩) ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠)﴾.

وقوله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا بآياتِنا**﴾ يقول تعالى ذكره: يا عبادي الذين آمنوا وهم الذين صدّقوا بكتاب الله ورسله، وعملوا بما جاءتهم به رسلهم، وكانوا مسلمين، يقول: وكانوا أهل خضوع لله بقلوبهم، وقبول منهم لما جاءتهم به رسلهم عن ربهم على دين إبراهيم خليل الرحمن ﷺ، حنفاء لا يهود ولا نصارى، ولا أهل أوثان.

وقوله: ﴿**ادْخُلُوا الجَنَّةَ أَنْتُمْ وأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: ادخلوا الجنة أنتم أيها

المؤمنون وأزواجكم مغبوطين بكرامة الله، مسرورين بما أعطاكم اليوم ربكم.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿تُحْبَرُونَ﴾ وقد ذكرنا ما قد قيل في ذلك فيما مضى، وبيَّنا الصحيح من القول فيه عندنا بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، غير أنا نذكر بعض ما لم يُذكر هنالك من أقوال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**ادْخُلُوا الجَنَّةَ أَنْتُمْ وأزْوَاجُكُم تُحْبَرُونَ**﴾: أي تَنْعَمون.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**تُحْبَرُونَ**﴾ قال: تنعمون.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**تُحْبَرُونَ**﴾ قال: تكرمون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أَنْتُمْ وأزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ**﴾ قال: تنعمون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يُطاف على هؤلاء الذين آمنوا بآياته في الدنيا إذا دخلوا الجنة في الآخرة بصحاف من ذهب، وهي جمع للكثير من الصَّحْفة، والصَّحْفة: القصعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ**﴾ قال: القِصاع.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث بن إسحاق، عن جعفر، عن شعبة، قال: «إنّ أدنى أهل الجنة منزلة، من له قصر فيه سبعون ألف خادم، في يد كل خادم صحفة سوى ما في يد صاحبها، لو فتح بابه فضافه أهل الدنيا لأوسعهم».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القميّ، عن جعفر، عن سعيد، قال: «إن أخسّ أهل الجنة منزلاً من له سبعون ألف خادم، مع كل خادم صحفة من ذهب، لو نزل به جميع أهل الأرض لأوسعهم، لا يستعين عليهم بشيء من غيره، وذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَهُمْ ما يَشاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنا مَزِيدٌ﴾ ولهم ﴿فِيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي أيوب الأزديّ، عن عبد الله بن عمرو، قال: «ما أحد من أهل الجنة إلاّ يسعى عليه ألف غلام، كلّ غلام على عمل ما عليه صاحبه».

وقوله: ﴿وأكْوَابٍ﴾ وهي جمع كوب، والكوب: الإبريق المستدير الرأس، الذي لا أذن له ولا خرطوم، وإياه عنى الأعشى بقوله:

صَرِيفَيَّةٌ طَيِّبٌ طَعْمُها لَهَا زَبَدٌ بَيْنَ كُوب وَدَنّ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وأكْوَابٍ﴾ قال: الأكواب التي ليست لها آذان. ومعنى الكلام: يطاف عليهم فيها بالطعام في صِحاف من ذهب، وبالشراب في أكواب من ذهب، فاستغنى بذكر الصِّحاف والأكواب من ذكر الطعام والشراب، الذي يكون فيها لمعرفة السامعين بمعناه «وَفِيها ما تَشْتَهي[2] الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ» يقول تعالى ذكره: لكم في الجنة ما تشتهي نفوسكم أيها المؤمنون، وتلذّ أعينكم ﴿وأنْتُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ يقول: وأنتم فيها ماكثون، لا تخرجون منها أبداً. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن ابن سابط أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أُحبُّ الخيل، فهل في الجنة خيل؟ فقال: «إنْ يُدْخِلْكَ الجَنَّةَ إنْ شاءَ، فَلا تَشاءُ أنْ تَرْكَبَ فَرَساً مِنْ ياقُوتَةٍ حَمْرَاءَ تَطِيرُ بِكَ فِي أيّ الجَنَّةِ شِئْتَ إلاّ فَعَلْتَ»، فقال أعرابيّ: يا رسول الله إني أحبّ الإبل، فهل في الجنة إبل؟ فقال: «يا أعرابيّ إنْ يُدْخِلْكَ اللّهُ الجَنَّةَ

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة ديوانه طبع القاهرة (ص ـ ١٧) وصريفية، منسوبة إلى صريفون: موضع بالعراق مشهور بجودة خمره. وقيل نسبت إلى الصريف وهو اللبن ساعة يحلب. جعلها صريفية لأنها أخذت من الدن ساعتئذ أحضرت، كأنها أخذت قبل أن تمزج. والزبد: ما يعلوها عند تحريكها من الدن إلى الكوب من الفقاقيع. والكوب: الكوز الذي لا عروة له. أو هو الكوز المستدير الرأس الذي لا أذن له.

(٢) قراءة مشهورة متواترة بحذف الهاء.

إن شاءَ اللّهُ، فَفِيها ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّت عَيْناكَ».

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا عمر بن عبد الرحمن الأبار، عن محمد بن سعد الأنصاري، عن أبي ظبية السلفي، قال: إن السرب من أهل الجنة لتظلهم السحابة، قال: فتقول: ما أُمطِرُكُمْ؟ قال: فما يدعو داعٍ من القوم بشيء إلاّ أمطرتهم، حتى إن القائل منهم ليقول: أمطرينا كواعب أتراباً.

حدثنا ابن عرفة، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن عليّ بن أبي الوليد، قال: قيل لمجاهد في الجنة سماع؟ قال: إن فيها لشجراً يقال له العيص، له سماع لم يسمع السامعون إلى مثله.

حدثني موسى بن عبد الرحمن، قال: ثنا زيد بن حباب، قال: أخبرنا معاوية بن صالح، قال: ثني سليمان بن عامر، قال: سمعت أبا أُمامة، يقول: «إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الطائر وهو يطير، فيقع متفلقاً نضيجاً في كفه، فيأكل منه حتى تنتهي نفسه، ثم يطير، ويشتهي الشراب، فيقع الإبريق في يده، ويشرب منه ما يريد، ثم يرجع إلى مكانه.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**وَفِيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ**﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والشام: ﴿**ما تَشْتَهِيهِ**﴾ بزيادة هاء، وكذلك ذلك في مصاحفهم. وقرأ ذلك عامة قرّاء العراق «تَشْتَهِي» بغير هاء، وكذلك هو في مصاحفهم.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يقال لهم: وهذه الجنة التي أورثكموها الله عن أهل النار الذين أدخلهم جهنم بما كنتم في الدنيا تعملون من الخيرات ﴿**لَكُمْ فِيها**﴾ يقول: لكم في الجنة فاكهة كثيرة من كلّ نوع ﴿**مِنْها تَأْكُلونَ**﴾ يقول: من الفاكهة تأكلون ما اشتهيتم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿إنَّ المُجْرِمِينَ﴾ وهم الذين اجترموا في الدنيا الكفر بالله، فاجترموا به في الآخرة ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ﴾ يقول: هم فيه ماكثون، لا يُفتَّر عنهم، يقول: لا يخفف عنهم العذاب وأصل الفتور: الضعف ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ يقول: وهم في عذاب جهنم مبلسون، والهاء في فيه من ذكر العذاب. ويُذكر أن ذلك في قراءة عبدالله: «وَهُمْ فِيها مُبْلِسُونَ» والمعنى: وهم في جهنم مبلسون، والمبلس في هذا الموضع: هو الآيس من النجاة الذي قد قنط فاستسلم للعذاب والبلاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: أي مستسلمون.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ قال: آيسون. وقال آخرون بما:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلسونَ﴾ متغير حالهم.

وقد بيَّنا فيما مضى معنى الإبلاس بشواهده، وذكر المختلفين فيه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿وَما ظَلَمْناهُمْ وَلَكِنْ كانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بفعلنا بهم ما أخبرناكم أيها الناس أنا فعلنا بهم من التعذيب بعذاب جهنم ﴿وَلَكِنْ كانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ بعبادتهم في الدنيا غير من كان عليهم عبادته، وكفرهم بالله، وجحودهم توحيده.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ونادى هؤلاء المجرمون بعد ما أدخلهم الله جهنم، فنالهم فيها من البلاء ما نالهم، مالكاً خازن جهنم ﴿يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾ قال: ليمتنا ربك، فيفرغ من إماتتنا، فذكر أن مالكاً لا يجيبهم في وقت قيلهم له ذلك، ويدعهم ألف عام بعد ذلك، ثم يجيبهم، فيقول لهم: ﴿إنَّكُم ماكِثُونَ﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن أبي الحسن، عن ابن عباس **﴿وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾**، فأجابهم بعد ألف سنة **﴿إِنَّكُمْ ماكِثونَ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن رجل من جيرانه يقال له الحسن، عن نوف في قوله: **﴿وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾** قال: يتركهم مئة سنة مما تعدّون، ثم يناديهم فيقول: يا أهل النار إنكم ماكثون.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن عبد الله بن عمرو، قال: **﴿وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾** قال: فخلى عنهم أربعين عاماً لا يجيبهم، ثم أجابهم: **﴿إِنَّكُمْ ماكِثُونَ قالُوا رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فإِنْ عُدْنا فإِنَّا ظالِمُونَ﴾** فخلى عنهم مثلي الدنيا، ثم أجابهم: **﴿اخْسَئُوا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ﴾** قال: فوالله ما نبس القوم بعد الكلمة، إن كان إلا الزفيرُ والشهيق.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي أيوب الأزدي، عن عبد الله بن عمرو، قال: إن أهل جهنم يدعون مالكاً أربعين عاماً فلا يجيبهم، ثم يقول: **﴿إِنَّكُمْ ماكِثُونَ﴾**، ثم ينادون ربهم **﴿رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فإِنْ عُدْنا فإِنَّا ظالِمُونَ﴾** فيدعهم أو يخلي عنهم مثل الدنيا، ثم يردّ عليهم **﴿اخْسَئُوا فِيها وَلا تُكَلِّمُون﴾** قال: فما نبس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلا الزفيرُ والشهيق في نار جهنم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن الحسن، عن نوف **﴿وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾** قال: يتركهم مئة سنة مما تعدّون، ثم ناداهم فاستجابوا له، فقال: إنكم ماكثون.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط عن السديّ، في قوله: **﴿وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾** قال: مالك خازن النار، قال: فمكثوا ألف سنة مما تعدّون، قال: فأجابهم بعد ألف عام: إنكم ماكثون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله تعالى ذكره: **﴿وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾** قال: يميتنا، القضاء ها هنا الموت، فأجابهم **﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾**.

وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْناكُمْ بالحَقِّ﴾ يقول: لقد أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا محمداً بالحق. كما:

حدثني محمد، قال: ثنا أحمد، ثنا أسباط، عن السديّ، ﴿لَقَدْ جِئْناكُمْ بالْحَقِّ﴾، قال: الذي جاء به محمد ﷺ ﴿وَلَكِنَّ أكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولكن أكثركم لما جاء به محمد ﷺ من الحقّ كارهون.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أم أبرم هؤلاء المشركون من قريش أمراً فأحكموه، يكيدون به الحقّ الذي جئناهم به، فإنا محكمون لهم ما يخزيهم، ويذلهم من النكال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿أمْ أبْرَمُوا أمْراً فإنَّا مُبْرِمُونَ﴾ قال: مجمعون: إن كادوا شرّاً كدنا مثله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿أمْ أبْرَمُوا أمْراً فإنَّا مُبْرِمُونَ﴾ قال: أم أجمعوا أمراً فإنا مجمعون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أمْ أبْرَمُوا أمْراً فإنَّا مُبْرِمُونَ﴾ قال: أم أحكموا أمراً فإنا محكمون لأمرنا.

وقوله: ﴿أمْ يَحْسَبُونَ أنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنجْوَاهُمْ﴾ يقول: أم يظنّ هؤلاء المشركون بالله أنا لا نسمع ما أخفوا عن الناس من منطقهم، وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم، فلا نعاقبهم عليه لخفائه علينا.

وقوله: ﴿بَلى وَرُسُلُنا لَدَيهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم، وأخفوه عن الناس من سرّ كلامهم، وحفظتنا لديهم، يعني عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق، وتكلموا به من كلامهم.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في نفر ثلاثة تدارأوا في سماع الله تبارك وتعالى كلام عباده.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عمرو بن سعيد بن يسار القرشيّ، قال: ثنا أبو قتيبة، قال: ثنا عاصم بن محمد العمريّ، عن محمد بن كعب القرظي، قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها، قرشيان وثقفيّ، أو ثقفيان وقرشيّ، فقال واحد من الثلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال الأوّل: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع، قال الثاني: إن كان يسمع إذا أعلنتم، فإنه يسمع إذا أسررتم، قال: فنزلت **﴿أمْ يَحْسَبُونَ أنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنجوَاهُمْ بَلى وَرسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾**.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: **﴿بَلى وَرُسُلُنا لَدَيهِمْ يَكْتُبُونَ﴾** قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿بَلى وَرُسُلُنا لَدَيهِمْ يَكْتُبُونَ﴾** قال: الحفظَة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿بلى وَرُسُلنا لَدَيهِمْ يَكْتُبُونَ﴾**: أي عندهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: **﴿قُلْ إنْ كانَ للرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأنا أوَّلُ العابِدِينَ﴾** فقال بعضهم: في معنى ذلك: قل يا محمد إن كان للرحمن ولد في قولكم وزعمكم أيها المشركون، فأنا أوّل المؤمنين بالله في تكذيبكم، والجاحدين ما قلتم من أن له ولداً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿قُلْ إنْ كانَ للرَّحمَنِ وَلَدٌ﴾** كما تقولون **﴿فَأنا أوَّلُ العابِدِينَ﴾** المؤمنين بالله، فقولوا ما شئتم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿فأنا أوَّلُ العابِدِينَ﴾** قال: قل إن كان لله ولد في قولكم، فأنا أوّل من عبد الله ووحده وكذّبكم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قل ما كان للرحمن ولد، فأنا أوّل العابدين له بذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿قُلْ إنْ كانَ للرَّحْمَن وَلَدٌ فَأنا أوَّلُ العابِدِينَ﴾** يقول: لم يكن للرحمن ولد فأنا أوّل الشاهدين.

وقال آخرون: بل معنى ذلك نفي، ومعنى إن الجحد، وتأويل ذلك ما كان ذلك، ولا ينبغي أن يكون.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿قُلْ إنْ كانَ للرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأنا أوَّلُ العابِدِينَ﴾** قال قتادة: وهذه كلمة من كلام العرب **﴿إنْ كان للرَّحْمن وَلَدٌ﴾**: أي إن ذلك لم يكن، ولا ينبغي.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿قُلْ إنْ كانَ للرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأنا أوَّلُ العابِدِينَ﴾** قال: هذا الإنكاف[1] ما كان للرحمن ولد، نكف الله أن يكون له ولد، وَإن مثل «ما» إنما هي: ما كان للرحمن ولد، ليس للرحمن ولد، مثل قوله: **﴿وَإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ﴾** إنما هي: ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، فالذي أنزل الله من كتابه وقضاه من قضائه أثبت من الجبال، و«إن» هي «ما» إن كان ما كان تقول العرب: إن كان، وما كان الذي تقول. وفي قوله: **﴿فَأنا أوَّلُ العابِدِينَ﴾** أوّل من يعبد الله بالإيمان والتصديق أنه ليس للرحمن ولد على هذا أعبد الله.

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: سألت ابن محمد، عن قول الله: **﴿إنْ كانَ للرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾** قال: ما كان.

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا عمرو، قال: سألت زيد بن أسلم، عن قول الله: **﴿قُلْ إنْ كانَ للرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾** قال: هذا قول العرب معروف، إن كان: ما كان، إن كان هذا الأمر قط، ثم قال: وقوله: وإن كان: ما كان.

وقال آخرون: معنى «إن» في هذا الموضع معنى المجازاة، قالوا: وتأويل الكلام: لو كان للرحمن ولد، كنت أوّل من عبده بذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿قُلْ إنْ كانَ للرَّحْمَنِ وَلَدٌ**

---

(١) في «**النهاية**» لابن الأثير: إنكاف الله من سوء: أي تنزيهه وتقديسه. وأنكفته: نزهته.

﴿فَأَنا أَوَّلُ العابِدِينَ﴾ قال: لو كان له ولد كنت أوّل من عبده بأن له ولداً، ولكن لا ولد له.

وقال آخرون: معنى ذلك: قل إن كان للرحمن ولد، فأنا أوّل الآنفين ذلك، ووجهوا معنى العابدين إلى المنكرين الآبين، من قول العرب: قد عبِد فلان من هذا الأمر إذا أنِف منه وغضب وأباه، فهو يعبَد عَبداً، كما قال الشاعر:

ألا هَـوِيَـتْ أُمُّ الـوَلِـيـدِ وأصْـبَـحَـتْ لِمَا أبْصَرَتْ فِي الرأس مِنّي تَعَبَّدُ[1]

وكما قال الآخر:

مَتى ما يَشأْ ذُو الوُدّ يَصْرِمْ خَلِيلَهُ وَيَـعْـبَـدْ عَـلَـيْـهِ لا مَـحَـالـةَ ظَـالِـمَـا[2]

وقد حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب: ابن أبي ذئب، عن أبي قسيط، عن بعجة بن زيد الجهني، أن امرأة منهم دخلت على زوجها، وهو رجل منهم أيضاً، فولدت له في ستة أشهر، فذكر ذلك لعثمان بن عفان رضي الله عنه، فأمر بها أن تُرجم، فدخل عليه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾. وقال: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عامَيْنِ﴾ قال: فوالله ما عبِد عثمان أن بعث إليها تردّ. قال يونس، قال ابن وهب: عبد: استنكف.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى: ﴿إنْ﴾ الشرط الذي يقتضي الجزاء على ما ذكرناه عن السديّ، وذلك أن «إن» لا تعدو في هذا الموضع أحد معنيين: إما أن يكون الحرف الذي هو بمعنى الشرط الذي يطلب الجزاء، أو تكون بمعنى الجحد، وهب إذا وجهت إلى الجحد لم يكن للكلام كبير معنى، لأنه يصير بمعنى: قل ما كان للرحمن ولد، وإذا صار بذلك المعنى أوهم أهل الجهل من أهل الشرك بالله أنه إنما نفي بذلك عن الله عزّ وجلّ أن

---

(١) هذا شاهد لم أقف على قائله. استشهد به المؤلف عند قوله تعالى: ﴿فأنا أول العابدين﴾. قال أبو عبيدة في تفسير الآية «مجاز القرآن» (الورقة ٢٢١) مجازها إن كان للرحمٰن ولد: إن في موضع (ما) في قول بعضهم: ما كان للرحمٰن ولد. والفاء: مجازها مجاز الواو. يريد: ما كان وأنا أول العابدين. وقال آخرون: مجازها: إن كان في قولكم للرحمٰن ولد، فأنا أول العابدين: أي الكافرين بذاك، والجاحدين لما قلتم. وهو من عبدت تعبد. ا هـ. أي من باب علم يعلم. بمعنى أنف أو غضب أو كره الشيء. وتعبد في البيت: بمعنى تأنف أو تغضب، وهو كعبد بمعنى أنف وغضب قال في «اللسان» عبد وتعبد: كعبد.

(٢) وهذا الشاهد أيضاً لم أقف على قائله. وهو بمعنى الشاهد الذي قبله، استشهد به المؤلف على الآية نفسها، يريد أن قول الشاعر يعبد عليه هو مضارع عبد عليه كعلم: إذا غضب عليه. وفي «اللسان»: عبد والعبد (كسبب) طول الغضب. قال الفراء: عبد عليه، وأحن عليه، أي غضب. وقال الغنوي العبد: الحزن والوجد. قال الفرزدق:

أولَـئِـكَ قَـوْمِـي إنْ هَـجَـوْنِـي هَـجَـوْتُـهُـم وأعْـبَـدُ أنْ أهْـجُـو كُـلَـيْـبـا بِـدَارِمِ

أعبد أي آنف. ا هـ.

يكون له ولد قبل بعض الأوقات، ثم أحدث له الولد بعد أن لم يكن، مع أنه لو كان ذلك معناه لقدر الذين أمر الله نبيّه محمداً ﷺ أن يقول لهم: ما كان للرحمن ولد، فأنا أوّل العابدين أن يقولوا له صدقت، وهو كما قلت، ونحن لم نزعم أنه لم يزل له ولد. وإنما قلنا: لم يكن له ولد، ثم خلق الجنّ فصاهرهم، فحدث له منهم ولد، كما أخبر الله عنهم أنهم كانوا يقولونه، ولم يكن الله تعالى ذكره ليحتجّ لنبيه ﷺ وعلى مكذّبيه من الحجة بما يقدرون على الطعن فيه، وإذ كان في توجيهنا «إن» إلى معنى الجحد ما ذكرنا، فالذي هو أشبه المعنيين بها الشرط. وإذ كان ذلك كذلك، فبينة صحة ما نقول من أن معنى الكلام: قل يا محمد لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد فأنا أوّل عابديه بذلك منكم، ولكنه لا ولد له، فأنا أعبده بأنه لا ولد له، ولا ينبغي أن يكون له.

وإذا وجه الكلام إلى ما قلنا من هذا الوجه لم يكن على وجه الشكّ، ولكن على وجه الإلطاف في الكلام وحُسن الخطاب، كما قال جلّ ثناؤه **﴿قُلِ اللّهُ وأنا أوْ إيّاكُمْ لَعَلى هُدىً أوْ في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾**.

وقد علم أن الحقّ معه، وأن مخالفيه في الضلال المبين.

وقوله: **﴿سُبْحانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ﴾** يقول تعالى ذكره تبرئة وتنزيهاً لمالك السموات والأرض ومالك العرش المحيط بذلك كله، وما في ذلك من خلق مما يصفه به هؤلاء المشركون من الكذب، ويضيفون إليه من الولد وغير ذلك من الأشياء التي لا ينبغي أن تضاف إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾**: أي يكذّبون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فذر يا محمد هؤلاء المفترين على الله، الواصفيه بأن له ولداً يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم **﴿حتى يُلاقوا يَوْمَهُمُ الّذِي يُوعَدُونَ﴾** وذلك يوم يصليهم الله بفريتهم عليه جهنم، وهو يوم القيامة. كما:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**حتى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدونَ**﴾ قال: يوم القيامة.

وقوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إلَهٌ وفي الأرْضِ إلَه**﴾ يقول تعالى ذكره: والله الذي له الألوهة في السماء معبود، وفي الأرض معبود كما هو في السماء معبود، لا شيء سواه تصلح عبادته يقول تعالى ذكره: فأفردوا لمن هذه صفته العبادة، ولا تشركوا به شيئاً غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إلَهٌ وفي الأرْضِ إلَهٌ**﴾ قال: يُعبد في السماء، ويُعبد في الأرض.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إلَهٌ وفي الأرْضِ إلَهٌ**﴾: أي يعبد في السماء وفي الأرض.

وقوله: ﴿**وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ**﴾ يقول: وهو الحكيم في تدبير خلقه، وتسخيرهم لما يشاء، العليم بمصالحهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره، وتبارك الذي له سلطان السموات السبع والأرض، وما بينهما من الأشياء كلها، جارٍ على جميع ذلك حكمه، ماضٍ فيهم قضاؤه. يقول: فكيف يكون له شريكاً من كان في سلطانه وحكمه فيه نافذ ﴿**وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾ يقول: وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ويُحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب.

قوله: ﴿**وَإلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ يقول: وإليه أيها الناس تردّون من بعد مماتكم، فتصيرون إليه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ولا يملك عيسى وعزير والملائكة الذين يعبدهم هؤلاء المشركون بالساعة، الشفاعة عند الله لأحد، إلا من شهد بالحقّ، فوحد الله وأطاعه، بتوحيد علم منه وصحة بما جاءت به رسله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونه الشَّفاعَةَ﴾** قال: عيسى، وعُزير، والملائكة.

قوله: **﴿إلاَّ مَنْ شَهِدَ بالحَقّ﴾** قال: كلمة الإخلاص، وهم يعلمون أن الله حق، وعيسى وعُزير والملائكة يقول: لا يشفع عيسى وعُزير والملائكة إلاَّ من شهد بالحقّ، وهو يعلم الحق.

وقال آخرون: عني بذلك: ولا تملك الآلهة التي يدعوها المشركون ويعبدونها من دون الله الشفاعة إلاَّ عيسى وعُزير وذووهما، والملائكة الذين شهدوا بالحقّ، فأقرّوا به وهم يعلمون حقيقة ما شهدوا به.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دونِهِ الشَّفاعَةَ إلاَّ مَنْ شَهِدَ بالحَقّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**: الملائكة وعيسى وعُزير، قد عُبِدوا من دون الله ولهم شفاعة عند الله ومنزلة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿إلاَّ مَنْ شَهِدَ بالحَقّ﴾** قال: الملائكة وعيسى ابن مريم وعُزير، فإن لهم عند الله شهادة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد، إلاَّ من شهد بالحقّ، وشهادته بالحقّ: هو إقراره بتوحيد الله، يعني بذلك: إلاَّ من آمن الله، وهم يعلمون حقيقة توحيده، ولم يخصص بأن الذي لا يملك ملك الشفاعة منهم بعض من كان يعبد من دون الله، فذلك على جميع من كان تعبد قريش من دون الله يوم نزلت هذه الآية وغيرهم، وقد كان فيهم من يعبد من دون الله الآلهة، وكان فيهم من يعبد من دونه الملائكة وغيرهم، فجميع أولئك داخلون في قوله: ولا يملك الذين يدعو قريش وسائر العرب من دون الله الشفاعة عند الله. ثم استثنى جلّ ثناؤه بقوله: **﴿إلاَّ مَنْ شَهِدَ بالحَقّ وَهُم يَعْلَمُونَ﴾** وهم الذين يشهدون شهادة الحقّ فيوحدون الله، ويخلصون له الوحدانية، على علم منهم ويقين بذلك، أنهم يملكون الشفاعة عنده بإذنه لهم بها، كما قال جلّ ثناؤه: **﴿وَلا**

يَشفَعُونَ إلا لِمَن ارْتَضَى﴾ فأثبت جلّ ثناؤه للملائكة وعيسى وعُزير ملكهم من الشفاعة ما نفاه عن الآلهة والأوثان باستثنائه الذي استثناه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٨٧) وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨)﴾.

يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك: من خلقهم؟ ليقولنّ: اللّهُ خلقنا **﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾** فأيّ وجه يصرفون عن عبادة الذي خلقهم، ويحرمون إصابة الحقّ في عبادته.

وقوله: **﴿وَقِيله يا رَبّ إن هَؤُلاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤمِنُونَ﴾** اختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿وَقِيلِهِ﴾** فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة «وَقِيلَهُ» بالنصب. وإذا قرىء كذلك ذلك، كان له وجهان في التأويل: أحدهما العطف على قوله: **﴿أمْ يَحْسَبُونَ أنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ ونَجْوَاهُمْ﴾**، ونسمع قيله يا ربّ. والثاني: أن يضمر له ناصب، فيكون معناه حينئذٍ: وقال قوله: **﴿يا رَبّ إنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤمِنُونَ﴾** وشكا محمد شكواه إلى ربه. وقرأته عامة قرّاء الكوفة **﴿وَقِيلِهِ﴾** بالخفض على معنى: وعنده علم الساعة، وعلم قيله.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. فتأويل الكلام إذن: وقال محمد قيله شاكياً إلى ربه تبارك وتعالى قومه الذين كذّبوه، وما يلقى منهم: يا ربّ إن هؤلاء الذين أمرتني بإنذارهم وأرسلتني إليهم لدعائهم إليك، قوم لا يؤمنون. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿وَقِيلِهِ يا رَبّ إنَّ هَؤُلاء قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ﴾** قال: فأبرّ الله عزّ وجلّ قول محمد ﷺ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَقِيلِهِ يا رَبّ إنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ﴾** قال: هذا قول نبيكم عليه الصلاة والسلام يشكو قومه إلى ربه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَقِيلِهِ يا رَبّ﴾** قال: هو قول النبيّ ﷺ **﴿إنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، جواباً له عن دعائه إياه إذ قال: «يا ربّ إن هؤلاء قوم لا يؤمنون» ﴿فاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ يا محمد، وأعرض عن أذاهم ﴿وَقُلْ﴾ لهم ﴿سَلامٌ﴾ عليكم ورفع سلام بضمير عليكم أو لكم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة «فَسَوْفَ تَعْلَمونَ» بالتاء على وجه الخطاب، بمعنى: أمر الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ أن يقول ذلك للمشركين، مع قوله: ﴿سَلامٌ﴾، وقرأته عامة قرّاء الكوفة وبعض قرّاء مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بالياء على وجه الخبر، وأنه وعيد من الله للمشركين، فتأويله على هذه القراءة: ﴿فاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ يا محمد ﴿وقُلْ سَلامٌ﴾. ثم ابتدأ تعالى ذكره الوعيدَ لهم، فقال ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ما يلقون من البلاء والنكال والعذاب على كفرهم، ثم نسخ الله جلّ ثناؤه هذه الآية، وأمر نبيَّه ﷺ بقتالهم. كما:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قَتادة ﴿فاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ﴾ قال: اصفح عنهم، ثم أمره بقتالهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال الله تبارك وتعالى يعزّي نبيه ﷺ ﴿فاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

آخر تفسير سورة الزخرف

(٤٤) سورة الدخان مكيّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦﴾.

قد تقدم بياننا في معنى قوله: ﴿حم * والكِتابِ المُبِينِ﴾. وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيلَةٍ مُبارَكةٍ﴾ أقسم جلّ ثناؤه بهذا الكتاب، أنه أنزله في ليلة مباركة.

واختلف أهل التأويل في تلك الليلة، أيّ ليلة من ليالي السنة هي؟ فقال بعضهم: هي ليلة القدر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيلَةٍ مُباركَةٍ﴾: ليلة القدر، ونزلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة من رمضان، ونزلت التوراة لستّ ليال مضت من رمضان، ونزل الزَّبور لستّ عشرة مضت من رمضان، ونزل الإنجيل لثمان عشرة مضت من رمضان، ونزل الفُرقان لأربع وعشرين مضت من رمضان.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فِي لَيلَةٍ مُبارَكَةٍ﴾ قال: هي ليلة القدر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله عزّ وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ قال: تلك الليلة ليلة القدر، أنزل الله هذا القرآن من أمّ الكتاب في ليلة القدر، ثم أنزله على الأنبياء[1] في الليالي والأيام، وفي غير ليلة القدر.

---

(١) في «فتح القدير» للشوكاني (٤/ ٥٥٤): «وقال قتادة: أنزل القرآن كله في ليلة القدر من أم الكتاب، وهو اللوح المحفوظ، إلى بيت العزة في سماء الدنيا، ثم أنزله الله على نبيه ﷺ. في الليالي والأيام، في ثلاث وعشرين سنة».

وقال آخرون: بل هي ليلة النصف من شعبان.

والصواب من القول في ذلك قول من قال: عنى بها ليلة القدر، لأن الله جلّ ثناؤه أخبر أن ذلك كذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ خَلْقنا بهذا الكتاب الذي أنزلناه في الليلة المباركة عقوبتنا أن تحلّ بمن كفر منهم، فلم ينب إلى توحيدنا، وإفراد الألوهة لنا.

وقوله: ﴿فِيها يُفْرَق كُلُّ أَمْرٍ حَكِيم﴾ اختلف أهل التأويل في هذه الليلة التي يُفرق فيها كلّ أمر حكيم، نحو اختلافهم في الليلة المباركة، وذلك أن الهاء التي في قوله: ﴿فِيها﴾ عائدة على الليلة المباركة، فقال بعضهم: هي ليلة القدر، يُقْضَى فيها أمر السنة كلها من يموت، ومن يولد، ومن يعزّ، ومن يذل، وسائر أمور السنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا ربيعة بن كلثوم، قال: كنت عند الحسن، فقال له رجل: يا أبا سعيد، ليلة القدر في كلّ رمضان؟ قال: إي والله، إنها لفي كلّ رمضان، وإنها الليلة التي يُفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله كلّ أجل وأمل ورزق إلى مثلها.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا ربيعة بن كلثوم، قال: قال رجل للحسن وأنا أسمع: أرأيت ليلة القدر، أفي كل رمضان هي؟ قال: نعم والله الذي لا إله إلاّ هو، إنها لفي كل رمضان، وإنها الليلة التي يُفرق فيها كل أمر حكيم، يقضي الله كلّ أجل وخلق ورزق إلى مثلها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال عبد الحميد بن سالم، عن عمر مولى غفرة، قال: يقال: ينسخ لملك الموت من يموت ليلة القدر إلى مثلها، وذلك لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ﴾ وقال ﴿فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ قال: فتجد الرجل ينكح النساء، ويغرس الغرس واسمه في الأموات.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سلمة، عن أبي مالك، في قوله: ﴿فِيها يُفْرَق كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ قالَ: أمر السنة إلى السنة ما كان من خلق أو رزق أو أجل أو مصيبة، أو نحو هذا.

قال: ثنا سفيان، عن حبيب، عن هلال بن يساف، قال: كان يقال: انتظروا القضاء في شهر رمضان.

حدثنا الفضل بن الصباح، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن حصين، عن سعيد بن عبيدة

عن أبي عبد الرحمن في قوله: ﴿فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ قال: يدبر أمر السنة في ليلة القدر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ قال: في ليلة القدر كلّ أمر يكون في السنة إلى السنة: الحياة والموت، يقدر فيها المعايش والمصائب كلها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ﴾ ليلة القدر ﴿فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ كُنَّا نُحدَّثُ أنه يُفْرق فيها أمر السنة إلى السنة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: هي ليلة القدر فيها يُقضى ما يكون من السنة إلى السنة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، قال: سألت مجاهداً، فقلت: أرأيت دعاء أحدنا يقول: اللهمّ إن كان اسمي في السعداء، فأثبته فيهم، وإن كان في الأشقياء فامحه منهم، واجعله بالسعداء، فقال: حسن، ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر من ذلك، فسألته عن هذا الدعاء، قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ قال: يقضي في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو مصيبة، ثم يقدّم ما يشاء، ويؤخر ما يشاء فأما كتاب السعادة والشقاء فهو ثابت لا يغير. وقال آخرون: بل هي ليلة النصف من شعبان.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الفضل بن الصباح، والحسن بن عرفة، قالا: ثنا الحسن بن إسماعيل البجلي، عن محمد بن سوقة، عن عكرمة في قول الله تبارك وتعالى: ﴿فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ قال: في ليلة النصف من شعبان، يبرم فيه أمر السنة، وتنسخ الأحياء من الأموات، ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد، ولا ينقص منهم أحد.

حدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس، قال: ثنا أبي، قال: ثنا الليث، عن عقيل بن خالد، عن ابن شهاب، عن عثمان بن محمد بن المُغيرة بن الأخنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «تُقْطَعُ الآجالُ مِنْ شَعْبان إلى شَعْبان حتى إن الرَّجُلَ لَيَنْكِحُ وَيُولَدُ لَهُ وَقَدْ خَرَجَ اسْمُهُ فِي المَوْتَى».

حدثني محمد بن معمر، قال: ثنا أبو هشام، قال ثنا عبد الواحد، قال: ثنا عثمان بن حكيم، قال: ثنا سعيد بن جُبير، قال: قال ابن عباس: إن الرجل ليمشي في الناس وقد رُفع في الأموات، قال: ثم قرأ هذه الآية ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ قال: ثم قال: يفرق فيها أمر الدنيا من السنة إلى السنة.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك ليلة القدر لما قد تقدّم من بياننا عن أن المعنِيّ بقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْناهُ فِي لَيلَةٍ مُبارَكَةٍ﴾ ليلة القدر، والهاء في قوله: ﴿فِيها﴾ من ذكر الليلة المباركة. وعنى بقوله: ﴿فِيها يُفرَقُ كُلُّ أمْرٍ حَكِيمٍ﴾ في هذه الليلة المباركة يُقْضَى ويُفْصَل كلّ أمر أحكمه الله تعالى في تلك السنة إلى مثلها من السّنة الأخرى، ووضع حكيم موضع محكم، كما قال: ﴿آلم * تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الحَكِيمِ﴾ يعني: المحكم.

وقوله: ﴿أمْراً مِنْ عِنْدِنا إنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: في هذه الليلة المباركة يُفْرق كلّ أمر حكيم، أمراً من عندنا.

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: ﴿أمْراً﴾ فقال بعض نحويي الكوفة: نصب على إنا أنزلناه أمراً ورحمة على الحال. وقال بعض نحويي البصرة: نصب على معنى يفرق كل أمر فرقاً وأمراً. قال: وكذلك قوله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ قال: ويجوز أن تنصب الرحمة بوقوع مرسلين عليها، فجعل الرحمة للنبيّ ﷺ.

وقوله: ﴿إنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إنا كنا مرسلي رسولنا محمد ﷺ إلى عبادنا رحمة من ربك يا محمد ﴿إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ يقول: إن الله تبارك وتعالى هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون فيما أنزلنا من كتابنا، وأرسلنا من رسلنا إليهم، وغير ذلك من منطقهم ومنطق غيرهم، العليم بما تنطوي عليه ضمائرهم، وغير ذلك من أمورهم وأمور غيرهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾﴾.

اختلفتِ القرّاء في قراءة قوله: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة «رَبُّ السَّمَوَاتِ» بالرفع على إتباع إعراب الربّ إعراب السميع العليم. وقرأته عامة قرّاء الكوفة وبعض المكيين ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ خفضاً ردّاً على الرب في قوله جلّ جلاله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

ويعني بقوله: ﴿رَبِّ السَّمَوَات والأرْضِ وَما بَيْنَهُما﴾ يقول تعالى ذكره الذي أنزل هذا الكتاب

(١) كذا في الأصل. ولعل لفظة «على» زيادة من الناسخ.

يا محمد عليك، وأرسلك إلى هؤلاء المشركين رحمة من ربك، مالك السموات السبع والأرض وما بينهما من الأشياء كلها.

وقوله: ﴿إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ﴾ يقول: إن كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم من أن ربكم ربّ السموات والأرض، فإن الذي أخبرتكم أن الله هو الذي هذه الصفات صفاته، وأن هذا القرآن تنزيله، ومحمداً ﷺ رسوله حق يقين، فأيقنوا به كما أيقنتم بما توقنون من حقائق الأشياء غيره.

وقوله: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ يقول: لا معبود لكم أيها الناس غير ربّ السموات والأرض وما بينهما، فلا تعبدوا غيره، فإنه لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي لشيء سواه، يحي ويميت، يقول: هو الذي يحيي ما يشاء، ويميت ما يشاء مما كان حياً.

وقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الأَوَّلِين﴾ يقول: هو مالككم ومالك من مضى قبلكم من آبائكم الأوّلين، يقول: فهذا الذي هذه صفته، هو الربّ فاعبدوه دون آلهتكم التي لا تقدر على ضرّ ولا نفع.

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكّ يَلْعَبُون﴾ يقول تعالى ذكره ما هم بموقنين بحقيقة ما يقال لهم ويخبرون من هذه الأخبار، يعني بذلك مشركي قريش، ولكنهم في شكّ منه، فهم يلهون بشكهم في الذي يخبرون به من ذلك.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فارْتَقِبْ﴾ فانتظر يا محمد بهؤلاء المشركين من قومك الذين هم في شكّ يلعبون، وإنما هو افتعل، من رقبته: إذا انتظرته وحرسته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فارْتَقِبْ﴾: أي فانتظر.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ﴾ اختلف أهل التأويل في هذا الذي أمر الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ أن يرتقبه، وأخبره أن السماء تأتي فيه بدخان مبين: أي يوم هو؟ ومتى هو؟ وفي معنى

الدخان الذي ذُكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: ذلك حين دعا رسول الله ﷺ على قريش ربه تبارك وتعالى أن يأخذهم بسنين كسني يوسف، فأخذوا بالمجاعة، قالوا: وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذٍ في أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي، قال: ثنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، قال: دخلنا المسجد، فإذا رجل يقص على أصحابه. ويقول: ﴿**يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخان مُبِينٍ**﴾ تدرون ما ذلك الدخان؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة، فيأخذ أسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام؟ قال: فأتينا ابن مسعود، فذكرنا ذلك له وكان مضطجعاً، ففزع، فقعد فقال: إن الله عزّ وجلّ قال لنبيه ﷺ ﴿**قُلْ ما أسألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ وَما أنا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ**﴾ إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، سأحدثكم عن ذلك، إن قريشاً لما أبطأت عن الإسلام، واستعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ ألِيمٌ**﴾ فَقالُوا: ﴿**رَبَّنا اكْشِفْ عَنا العَذَابَ إنَّا مُؤْمِنُونَ**﴾ قال الله جلّ ثناؤه: ﴿**إنَّا كاشِفُوا العَذَابِ قَلِيلاً إنَّكُمْ عائِدُونَ يَوْمَ نَبْطِش البَطْشَةَ الكُبْرَى إنَّا مُنْتَقِمُونَ**﴾ قال: فعادوا يوم بدر فانتقم الله منهم.

حدثني عبد الله بن محمد الزهريّ، قال: ثنا مالك بن سُعَير، قال: ثنا الأعمش، عن مسلم، عن مسروق قال: كان في المسجد رجل يذكر الناس، فذكر نحو حديث عيسى، عن يحيى بن عيسى، إلا أنه قال: فانتقم يوم بدر، فهي البطشة الكبرى.

حدثنا ابن حميد، وعمرو بن عبد الحميد، قالا: ثنا جرير، عن منصور، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح، عن مسروق، قال: كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً وهو مضطجع بيننا، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن: إن قاصاً عند أبواب كندة يقص ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام، فقام عبد الله وجلس وهو غضبان، فقال: يا أيها الناس اتقوا الله، فمن علم شيئاً فليقل بما يعلم، ومن لا يعلم فليقل: الله أعلم. وقال عمرو: فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم، وما على أحدكم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم، فإن الله عزّ وجلّ يقول لنبيه محمد ﷺ: ﴿**قُلْ ما أسألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ وَما أنا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ**﴾ إن النبيّ ﷺ لما رأى من الناس إدباراً، قال: «اللهمّ سبعاً كسبع يوسف»، فأخذتهم سنة حصّت كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف، ينظر أحدهم إلى السماء فيرى دخاناً من الجوع، فأتاه أبو سفيان بن حرب فقال: يا محمد إنك جئت تأمر بالطاعة وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا،

فادع الله لهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ...﴾ إلى قوله: ﴿إنَّكُمْ عائِدُونَ﴾ قال: فكُشف عنهم ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ فالبطشة يوم بدر، وقد مضت آية الروم وآية الدخان، والبطشة واللزام.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق قال: قال عبد الله: خمس قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، قال: شهدت جنازة فيها زيد بن عليّ فأنشأ يحدّث يومئذٍ، فقال: إن الدخان يجيء قبل يوم القيامة، فيأخذ بأنف المؤمن الزكام، ويأخذ بمسامع الكافر، قال: قلت رحمك الله، إن صاحبنا عبد الله قد قال غير هذا، قال: إن الدخان قد مضى وقرأ هذه الآية ﴿فارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِين يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ ألِيمٌ﴾ قال: أصاب الناس جهد حتى جعل الرجل يرى ما بينه وبين السماء دخاناً، فذلك قوله: ﴿فارْتَقِبْ﴾ وكذا قرأ عبد الله إلى قوله: ﴿مُؤْمِنُونَ﴾ قالَ: ﴿إنَّا كاشِفُوا العَذابِ قَلِيلاً﴾ قلت لزيد فعادوا، فأعاد الله عليهم بدراً، فذلك قوله: ﴿وَإنْ عُدْتُمْ عُدْنا﴾ فذلك يوم بدر، قال: فقبل والله، قال عاصم: فقال رجل يردّ عليه، فقال زيد رحمة الله عليه: أما إن رسول الله ﷺ قد قال: «إنَّكُمْ سَيَجِيئُكُمْ رُوَاةٌ، فَمَا وَافَقَ القُرآنَ فَخُذُوا بِهِ، وَما كانَ غيرَ ذلكَ فَدَعُوهُ».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، عن ابن مسعود أنه قال: البطشة الكبرى يوم بدر، وقد مضى الدخان.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن عوف، قال: سمعت أبا العالية يقول: إن الدخان قد مضى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن عمرو، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: مضى الدخان لسنين أصابتهم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا أيوب، عن محمد، قال: نُبئت أن ابن مسعود كان يقول: قد مضى الدخان، كان سنين كسني يوسف.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ﴾ قال: الجدب وإمساك المطر عن كفار قريش، إلى قوله: ﴿إنَّا مُؤْمِنُونَ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ﴾

قال: كان ابن مسعود يقول: قد مضى الدخان، وكان سنين كسني يوسف ﴿**يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ**﴾: قد مضى شأن الدخان.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله ﴿**يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى**﴾ قال: يوم بدر.

وقال آخرون: الدخان آية من آيات الله، مرسلة على عباده قبل مجيء الساعة، فيدخل في أسماع أهل الكفر به، ويعتري أهل الإيمان به كهيئة الزكام، قالوا: ولم يأت بعد، وهو آتٍ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني واصل بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن فضيل، عن الوليد بن جميع، عن عبد الملك بن المُغيرة، عن عبد الرحمن بن البيلمان، عن ابن عمر، قال: يخرج الدخان، فيأخذ المؤمن كهيئة الزكمة، ويدخل في مسامع الكافر والمنافق، حتى يكون كالرأس الحنيذ.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن ابن جريج، عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: غدوت على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لمَ؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت.

حدثنا محمد بن بزيع، قال: ثنا بشر بن المفضل، عن عوف، قال: قال الحسن: إن الدخان قد بقي من الآيات، فإذا جاء الدخان نفخ الكافر حتى يخرج من كلّ سمع من مسامعه، ويأخذ المؤمن كزكمة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عثمان، يعني ابن الهيثم، قال: ثنا عوف، عن الحسن بنحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي سعيد، قال: يهيج الدخان بالناس. فأما المؤمن فيأخذه منه كهيئة الزكمة. وأما الكافر فيهيجه حتى يخرج من كلّ مسمع منه قال: وكان بعض أهل العلم يقول: فما مَثل الأرض يومئذٍ إلا كمَثل بيت أوقد فيه ليس فيه خصاصة.

حدثني عصام بن روّاد بن الجراح، قال: ثني أبي، قال: ثنا سفيان بن سعيد الثوري،

قال: ثنا منصور بن المعتمر، عن ربْعِيّ بن حِرَاش، قال: سمعت حُذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ: «أوَّلُ الآياتِ الدَّجالُ، وَنُزُولُ عِيسَى بْن مَرْيَمَ، وَنارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ أَبْيَنَ تَسُوقُ النَّاسَ إلى المَحْشَرِ تَقِيلُ مَعَهُمْ إذَا قالُوا، والدُّخان»، قال حُذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا رسول الله ﷺ الآية ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِين يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ «يَمْلأُ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ يَمْكُثُ أرْبَعِينَ يَوْماً وَلَيْلَةً أمّا المُؤْمِنُ فَيُصِيبُهُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكامِ. وأمَّا الكافِرُ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ السَّكْرانِ يَخْرُجُ مِنْ مَنْخِرَيْهِ وأُذُنَيْهِ ودُبُرِهِ».

حدثني محمد بن عوف، قال: ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، قال: ثني أبي، قال: ثني ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعريّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ رَبَّكُمْ أَنْذَرَكُمْ ثَلاثاً: الدُّخان يَأْخُذ المُؤْمِنَ كالزَّكْمَةِ، وَيأْخُذُ الكافِرَ فَيَنْتَفِخُ حتى يَخْرُجَ مِنْ كُلّ مَسْمَعٍ مِنْهُ، والثَّانِيَة الدَّابَّةُ، والثَّالِثَة الدَّجَّالُ».

وأولى القولين بالصواب في ذلك ما رُوي عن ابن مسعود من أن الدخان الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يرتقبه، هو ما أصاب قومه من الجهد بدعائه عليهم، على ما وصفه ابن مسعود من ذلك إن لم يكن خبر حُذيفة الذي ذكرناه عنه عن رسول الله ﷺ صحيحاً، وإن كان صحيحاً، فرسول الله ﷺ أعلم بما أنزل الله عليه، وليس لأحد مع قوله الذي يصح عنه قول، وإنما لم أشهد له بالصحة، لأن محمد بن خلف العسقلانيّ حدثني أنه سأل روّاداً عن هذا الحديث، هل سمعه من سفيان؟ فقال له: لا، فقلت له: فقرأته عليه، فقال: لا، فقلت له: فقرىء عليه وأنت حاضر فأقرّ به، فقال: لا، فقلت: فمن أين جئت به؟ قال: جاءني به قوم فعرضوه عليّ وقالوا لي: اسمعه منا فقرأوه عليّ، ثم ذهبوا، فحدّثوا به عني، أو كما قال فلما ذكرت من ذلك لم أشهد له بالصحة، وإنما قلت: القول الذي قاله عبد الله بن مسعود هو أولى بتأويل الآية، لأن الله جلّ ثناؤه توعَّد بالدخان مشركي قريش وأن قوله لنبيه محمد ﷺ: ﴿فارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ﴾ في سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه إياهم بشركهم بقوله: ﴿لا إلَهَ إلاَّ هُوَ يُحْيي ويُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الأوّلِينَ بَلْ هُمْ فِي شَكّ يَلْعَبُونَ﴾، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِين﴾ أمراً منه له بالصبر إلى أن يأتيهم بأسه وتهديداً للمشركين فهو بأن يكون إذ كان وعيداً لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون آخره عنهم لغيرهم، وبعد، فإنه غير منكر أن يكون أحلّ بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم، ويكون مُحِلاً فيما يستأنف بعد بآخرين دخاناً على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ عندنا كذلك، لأن الأخبار عن رسول الله ﷺ قد تظاهرت بأن ذلك كائن، فإنه قد كان ما رَوَى عنه عبد الله بن مسعود، فكلا الخبرين اللذين رُويا عن رسول الله ﷺ صحيح.

وإن كان تأويل الآية في هذا الموضع ما قلنا، فإذ كان الذي قلنا في ذلك أولى التأويلين،

فبين أن معناه: فانتظر يا محمد لمشركي قومك يوم تأتيهم السماء من البلاء الذي يحل بهم على كفرهم بمثل الدخان المبين لمن تأمله أنه دخان. ﴿**يغشَى الناسَ**﴾: يقول: يغشى أبصارهم من الجهد الذي يصيبهم ﴿**هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ يعني أنهم يقولون مما نالهم من ذلك الكرب والجهد: هذا عذاب أليم. وهو الموجع، وترك من الكلام «يقولون» استغناءً بمعرفة السامعين معناه من ذكرها.

وقوله: ﴿**رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ**﴾ يعني أن الكافرين الذين يصيبهم ذلك الجهد يضرعون إلى ربهم بمسألتهم إياه كشف ذلك الجهد عنهم، ويقولون: إنك إن كشفته آمنا بك وعبدناك من دون كلّ معبود سواك، كما أخبر عنهم جلّ ثناؤه ﴿**رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: من أيّ وجه لهؤلاء المشركين التذكر من بعد نزول البلاء بهم، وقد تولوا عن رسولنا حين جاءهم مدبرين عنه، لا يتذكرون بما يُتلى عليهم من كتابنا، ولا يتعظون بما يعظهم به من حججنا، ويقولون: إنما هو مجنون عُلِّم هذا[1] الكلام. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿**أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى**﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى**﴾ يقول: كيف لهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى**﴾ بعد وقوع هذا البلاء.

وبنحو الذي قلنا أيضاً في قوله: ﴿**ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ**﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

---

(١) في الأصل: «على» في موضع «علم». وهو تحريف من الناسخ.

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ**﴾ قال: تولوا عن محمد عليه الصلاة والسلام، وقالوا: معلم مجنون.

وقوله: ﴿**إِنَّا كاشِفُوا العَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عائِدُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنهم يستغيثون به من الدخان النازل والعذاب الحالّ بهم من الجهد، وأخبر عنهم أنهم يعاهدونه أنه إن كشف العذاب عنهم آمنوا ﴿**إنا كاشفوا العذاب**﴾: يعني الضرّ النازل بهم بالخصب الذي نحدثه لهم ﴿**قَلِيلاً إِنَّكُمْ عائِدُونَ**﴾ يقول: إنكم أيها المشركون إذا كَشَفْتُ عنكم ما بكم من ضرّ لم تفوا بما تعدون وتعاهدون عليه ربكم من الإيمان، ولكنكم تعودون في ضلالتكم وغيكم، وما كنتم قبل أن يكشف عنكم.

وكان قتادة يقول: معناه: إنكم عائدون في عذاب الله.

حدثنا بذلك ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر عنه. وأما الذين قالوا: عنى بقوله: ﴿**يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ**﴾ الدخان نفسه، فإنهم قالوا في هذا الموضع: عنى بالعذاب الذي قال ﴿**إِنَّا كاشِفُوا العَذَابِ**﴾: الدخان.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إِنَّا كاشِفُوا العَذَابِ قَلِيلاً**﴾ يعني الدخان.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إِنَّا كاشِفُوا العَذَابِ قَلِيلاً**﴾ قال: قد فعل، كشف الدخان حين كان.

قوله: ﴿**إِنَّكُمْ عائِدونَ**﴾ قال: كُشِف عنهم فعادوا.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**إِنَّكُمْ عائِدُونَ**﴾ إلى عذاب الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون إن كشفت عنكم العذاب النازل بكم، والضرّ الحالّ

بكم، ثم عدتم في كفركم، ونقضتم عهدكم الذي عاهدتم ربكم، انتقمت منكم يوم أبطش بكم بطشتي الكبرى في عاجل الدنيا، فأهلككم، وكشف الله عنهم، فعادوا، فبطش بهم جلّ ثناؤه بطشته الكبرى في الدنيا، فأهلكهم قتلاً بالسيف. وقد اختلف أهل التأويل في البطشة الكبرى، فقال بعضهم: هي بطشة الله بمشركي قريش يوم بدر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، عن ابن مسعود، أنه قال: البطشة الكبرى: يوم بدر.

حدثني عبد الله بن محمد الزهري، قال: ثنا مالك بن سعير، قال: ثنا الأعمش، عن مسلم، عن مسروق قال: قال يوم بدر، البطشة الكبرى.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا أيوب، عن محمد، قال: نبئت أن ابن مسعود كان يقول: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ يوم بدر.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن ليث، عن مجاهد ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ قال: يوم بدر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ قال: يوم بدر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن عوف قال: سمعت أبا العالية في هذه الآية ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ قال: يوم بدر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ قال: يعني يوم بدر.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا عثام بن عليّ، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: قلت: ما البطشة الكبرى فقال: يوم القيامة، فقلت: إن عبد الله كان يقول: يوم بدر قال: فبلغني أنه سُئل بعد ذلك فقال: يوم بدر.

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب قالا: ثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن إبراهيم بنحوه.

حدثنا بشر، ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي الخليل، عن مجاهد، عن أبيّ بن كعب، قال: يوم بدر.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الكُبْرَى﴾: يوم بدر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الكُبْرَى﴾ قال: هذا يوم بدر. وقال آخرون: بل هي بطشة الله بأعدائه يوم القيامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا خالد الحذّاء، عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: قال ابن مسعود: البطشة الكبرى: يوم بدر، وأنا أقول: هي يوم القيامة.

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، قال: ثنا الأعمش، عن إبراهيم، قال: مرّ بي عكرمة، فسألته عن البطشة الكبرى فقال: يوم القيامة قال: قلت: إن عبد الله بن مسعود كان يقول: يوم بدر، وأخبرني من سأله بعد ذلك فقال: يوم بدر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الكُبْرَى﴾ قال قتادة عن الحسن: إنه يوم القيامة.

وقد بيّنا الصواب في ذلك فيما مضى، والعلة التي من أجلها اخترنا ما أخترنا من القول فيه.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني تعالى ذكره: ولقد اختبرنا وابتلينا يا محمد قبل مشركي قومك مثال هؤلاء قوم فرعون من القبط. ﴿وَجاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ يقول: وجاءهم رسول من عندنا أرسلناه إليهم، وهو موسى بن عمران صلوات الله عليه. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ يعني موسى.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ قال: موسى عليه السلام، ووصفه جل ثناؤه بالكرم، لأنه كان كريماً عليه، رفيعاً عنده مكانه، وقد يجوز أن يكون وصفه بذلك، لأنه كان في قومه شريفاً وسيطاً.

وقوله: ﴿أَنْ أَدّوا إِلَيَّ عِبادَ اللّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وجاء قوم فرعون رسول من الله كريم عليه بأن ادفعوا إليّ، ومعنى «أدوا»: ادفعو إليّ فأرسلوا معي واتبعونِ، وهو نحو قوله: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فإن في قوله: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ﴾ نصب، وعباد الله نصب بقوله: ﴿أَدُّوا﴾ وقد تأوله قوم: أن أدّوا إليّ يا عباد الله، فعلى هذا التأويل عباد الله نصب على النداء. وبنحو الذي قلنا في تأويل ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أن أدُّوا إليَّ عِبادَ اللّهِ إنّي لَكُمْ رَسُولٌ أمِينٌ**﴾ قال: يقول: اتبعوني إلى ما أدعوكم إليه من الحقّ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**أنْ أدُّوا إليَّ عِبادَ اللّهِ**﴾ قال: أرسلوا معي بني إسرائيل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**أنْ أدُّوا إليَّ عِبادَ اللّهِ**﴾ قال: بني إسرائيل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أنْ أدُّوا إليَّ عِبادَ اللّهِ**﴾ يعني به بني إسرائيل، قال لفرعون: علام تحبس هؤلاء القوم، قوماً أحراراً اتخذتهم عبيداً، خلّ سبيلهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**أنْ أدُّوا إليَّ عِبادَ اللّهِ**﴾ قال: يقول: أرسل عباد الله معي، يعني بني إسرائيل، وقرأ «فَأرْسِلْ مَعَنا بَنِي إسْرَائِيلَ وَلا تُعذّبهم» قال: ذلك قوله: ﴿**أنْ أدُّوا إليَّ عِبادَ اللّهِ**﴾ قال: ردّهم إلينا.

وقوله: ﴿**إنّي لَكُمْ رَسُولٌ أمِينٌ**﴾ يقول: إني لكم أيها القوم رسول من الله أرسلني إليكم لا يدرككم بأسه على كفركم به، ﴿**أمين**﴾: يقول: أمين على وحيه ورسالته التي أوعدنيها إليكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وجاءهم رسول كريم، أن أدّوا إليّ عباد الله، وبأن لا تعلوا على الله.

وعنى بقوله: ﴿**أنْ لا تَعْلُوا على اللّهِ**﴾ أن لا تطغوا وتبغوا على ربكم، فتكفروا به وتعصوه، فتخالفوا أمره ﴿**إنّي آتِيكُمْ بِسُلْطانٍ مُبِين**﴾ يقول: إني آتيكم بحجة على حقيقة ما أدعوكم إليه، وبرهان على صحته، مبين لمن تأملها وتدبرها أنها حجة لي على صحة ما أقول لكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وأنْ لا تَعْلُوا على اللّهِ**﴾:

أي لا تبغوا على الله ﴿إِنّي آتِيكُمْ بِسُلْطانٍ مُبِين﴾: أي بعذر مبين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة بنحوه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وأنْ لا تَعْلُوا على اللّهِ﴾ يقول: لا تفتروا على الله.

وقوله: ﴿وَإِنّي عُذْتُ بِرَبّي وَرَبّكُمْ أنْ تَرْجُمُونِ﴾ يقول: وإني اعتصمت بربي وربكم، واستجرت به منكم أن ترجمون.

واختلف أهل التأويل في معنى الرجم الذي استعاذ موسى نبيّ الله عليه السلام بربه منه، فقال بعضهم: هو الشتم باللسان.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وإنّي عُذْتُ بِرَبّي وَرَبّكُمْ أنْ تَرْجُمُونِ﴾ قال: يعني رجم القول.

حدثني ابن المثنى، قال: ثنا عثمان بن عمر بن فارس، قال: ثنا شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله: ﴿وإنّي عُذْتُ بِرَبّي وَرَبّكُمْ أنْ تَرْجُمُونِ﴾ قال: الرجم: بالقول.

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا يحيى بن يمان، قال: ثنا سفيان، عن إسماعيل، عن أبي صالح ﴿وإنّي عُذْتُ بِرَبّي وَرَبّكُمْ أنْ تَرْجُمُونِ﴾ قال: أن تقولوا هو ساحر.

وقال آخرون: بل هو الرجم بالحجارة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَإنّي عُذْتُ بِرَبّي وَرَبّكُمْ أن تَرْجُمُونِ﴾: أي أن ترجمُون بالحجارة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿أنْ تَرْجُمُونِ﴾ قال: أن ترجمون بالحجارة.

وقال آخرون: بل عنى بقوله: ﴿أنْ تَرْجُمُونِ﴾: أن تقتلوني.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما دلّ عليه ظاهر الكلام، وهو أن موسى عليه السلام استعاذ بالله من أن يرجُمه فرعون وقومه، والرجم قد يكون قولاً باللسان، وفعلاً باليد. والصواب أن يقال: استعاذ موسى بربه من كل معاني رجمهم الذي يصل منه إلى المرجوم أذىً ومكروه،

شتماً كان ذلك باللسان، أو رجماً بالحجارة باليد.

وقوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نبيه موسى عليه السلام لفرعون وقومه: وإن أنتم أيها القوم لم تصدّقوني على ما جئتكم به من عند ربي، فاعتزلون: يقول: فخلوا سبيلي غير مرجوم باللسان ولا باليد. كما:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾: أي فخلُّواْ سبيلي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فدعا موسى ربه إذ كذّبوه ولم يؤمنوا به، ولم يؤدّ إليه عباد الله، وهموا بقتله بأن هؤلاء، يعني فرعون وقومه ﴿قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ عنى: أنهم مشركون بالله كافرون.

وقوله: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي﴾ وَفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذُكر عليه منه، وهو: فأجابه رَبه بأن قال له: فأسر إذ كان الأمر كذلك بعبادي، وهم بنو إسرائيل، وَإنما معنى الكلام: فأسر بعبادي الذين صَدّقوك وآمنوا بك، واتبعوك دون الذين كذّبوك منهم، وأبَوْا قبول ما جئتهم به من النصيحة منك، وكان الذين كانوا بهذه الصّفة يومئذٍ بني إسرائيل. وقال: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيلاً﴾ لأن معنى ذلك: سر بهم بليل قبل الصباح.

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ يقول: إن فرعون وقومه من القبط متبعوكم إذا شخصتم عن بلدهم وأرضهم في آثاركم.

وقوله: ﴿وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً﴾ يقول: وإذا قطعت البحر أنت وأصحابُك، فاتركه ساكناً على حاله التي كان عليها حين دخلته. وقيل: إن الله تعالى ذكره قال لموسى هذا القول بعد ما قطع البحر ببني إسرائيل فإذ كان ذلك كذلك، ففي الكلام محذوف، وهو: فسرَى موسى بعبادي ليلاً، وقطع بهم البحر، فقلنا له بعد ما قطعه، وأراد ردّ البحر إلى هيئته التي كان عليها قبل انفلاقه: اتركه رَهْواً. ذكر من قال ما ذكرنا من أن الله عزّ وجلّ قال لموسى ﷺ هذا القول بعد ما قطع البحر بقومه:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَدَعا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ حتى بلغ ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ قال: لما خرج آخر بني إسرائيل أراد نبيّ الله ﷺ أن يضرب البحر بعصاه، حتى يعود كما كان مخافة آل فرعون أن يدركوهم، فقيل له: ﴿اتْرُكِ البَحْرَ

رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: لما قطع البحر، عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم، وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده، فقيل له: ﴿اتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً﴾ كما هو ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾.

واختلف أهل التأويل في معنى الرهْو، فقال بعضهم: معناه: اتركه على هيئته وحاله التي كان عليها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً﴾ يقول: سَمْتاً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ قال: الرهو: أن يترك كما كان، فإنهم لن يخلُصوا من ورائه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا حميد، عن إسحاق، عن عبد الله بن الحارث، عن أبيه، أن ابن عباس سأل كعباً عن قول الله: ﴿وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً﴾ قال: طريقاً.

وقال آخرون: بل معناه: اتركه سَهْلاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع، قوله: ﴿وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً﴾ قال: سهلاً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً﴾ قال: يقال: الرهو: السهل.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا حرميّ بن عُمارة قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني عمارة، عن الضحاك بن مُزاحم، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً﴾ قال: دَمِثاً.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً﴾ قال: سهلاً دمثاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً﴾** قال: هو السهل. وقال آخرون: بل معناه: واتركه يبساً جدداً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثني عبيد الله بن معاذ، قال: ثني أبي، عن شعبة، عن سماك، عن عكرمة، في قوله: **﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً﴾** قال: جدداً.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثني عبيد الله بن معاذ، قال: ثنا أبي، عن شعبة، عن سماك، عن عكرمة في قوله: **﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً﴾** قال: يابساً كهيئته بعد أن ضربه، يقول: لا تأمره يرجع، اتركه حتى يدخل آخرهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿رَهواً﴾** قال: طريقاً يَبَساً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً﴾** كما هو طريقاً يابساً.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه: اتركه على هيئته كما هو على الحال التي كان عليها حين سَلَكْته، وذلك أن الرهو في كلام العرب: السكون، كما قال الشاعر:

كَأَنَّمَا أَهْلُ حُجْرٍ يَنْظُرُونَ مَتَى ... يَرَوْنَنِي خَارِجاً طَيْرٌ يَنَادِيدُ
طَيْرٌ رأَتْ بَازِياً نَضْحُ الدِّمَاءِ بِهِ ... وَأُمُّهُ خَرَجَتْ رَهْواً إِلَى عِيدِ[1]

يعني على سكون، وإذا كان ذلك معناه كان لا شكّ أنه متروك سهلاً دَمِثاً، وطريقاً يَبَساً لأن بني إسرائيل قطعوه حين قطعوه، وهو كذلك، فإذا ترك البحر رهواً كما كان حين قطعه موسى ساكناً لم يُهج كان لا شكّ أنه بالصفة التي وصفت.

وقوله: **﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾** يقول: إن فرعون وقومه جند، الله مغرقهم في البحر.

---

(١) هذان البيتان لم أقف على قائلهما. وأنشد في «**اللسان**» أو لهما ولم ينسبه، قال: وطير يناديد وأناديد: متفرقة قال:

«كأنما أهل حجر... البيت.

وضبط حجر: بضم الحاء. ونضح الدماء: رشها مما افترس من الحيوان. ورهوا: أي ساكنة. وإلى عيد: أي إلى معاودة. وفي البيتين إقواء.

وفي «**اللسان**»: رها الشيء رهوا: سكن. وفي «**معاني القرآن**» للفراء (الورقة ٢٩٧) وقوله **﴿واترك البحر رهوا﴾**: يقول: ساكناً وأنشدني أبو ثروان:

«كأنما أهل حجر...... البيتين» ا هـ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: كم ترك فرعون وقومه من القبط بعد مهلكهم وتغريق الله إياهم من بساتين وأشجار، وهي الجنات، وعيون، يعني: ومنابع ما كان ينفجر في جنانهم وزروع قائمة في مزارعهم ﴿**ومَقام كَرِيم**﴾ يقول: وموضع كانوا يقومونه شريف كريم.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله ذلك المقام بالكرم، فقال بعضهم: وصفه بذلك لشرفه، وذلك أنه مَقام الملوك والأمراء، قالوا: وإنما أريد به المنابر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني جعفر ابن ابنة إسحاق الأزرق، قال: ثنا سعيد بن محمد الثقفي، قال: ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مُهاجر، عن أبيه، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَمَقامٍ كَرِيم**﴾ قال: المنابر.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا عبد الله بن داود الواسطي، قال: ثنا شريك عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جُبير، في قوله: ﴿**وَمقام كَرِيم**﴾ قال: المنابر.

وقال آخرون: وصف ذلك المقام بالكرم لحسنه وبهجته.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَمَقامٍ كَرِيم**﴾: أي حسن.

وقوله: ﴿**وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره: وأخرجوا من نعمة كانوا فيها فاكهين متفكهين ناعمين.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**فاكِهِينَ**﴾ فقرأته عامة قرّاء الأمصار خلا أبي جعفر القارىء ﴿**فاكِهِينَ**﴾ على المعنى الذي وصفت. وقرأه أبو رجاء العُطاردي والحسن وأبو جعفر المدنيّ «فَكِهِينَ» بمعنى: أشِرين بَطِرين.

والصواب من القراءة عندي في ذلك، القراءة التي عليها قرّاء الأمصار، وهي ﴿**فاكِهِينَ**﴾ بالألف بمعنى ناعمين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ**﴾: ناعمين، قال: إي والله، أخرجه الله من جناته وعيونه وزروعه حتى ورّطه في البحر.

وقوله: ﴿**كَذلكَ وَأوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا كما وصفت لكم أيها الناس فعلنا بهٰؤلاء الذين ذكرتُ لكم أمرهم، الذين كذّبوا رسولنا موسى ﷺ.

وقوله: ﴿**وأوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره وأورثنا جناتهم وعيونهم وزروعهم ومَقاماتهم وما كانوا فيه من النعمة عنهم قوماً آخرين بعد مهلكهم، وقيل: عُني بالقوم الآخرين بنو إسرائيل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**كَذلكَ وأوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ**﴾ يعني بني إسرائيل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فما بكت على هؤلاء الذين غرّقهم الله في البحر، وهم فرعون وقومه، السماء والأرض، وقيل: إن بكاء السماء حمرة أطرافها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسيّ، قال: ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد، عن الحكم بن ظهير، عن السديّ قال: لما قتل الحسين بن عليّ رضوان الله عليهما بكت السماء عليه، وبكاؤها حمرتها.

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا حجاج، عن ابن جُرَيج، عن عطاء في قوله: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيهِمُ السَّماءُ والأرْضُ**﴾ قال: بكاؤها حمرة أطرافها.

وقيل: إنما قيل: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيهِمُ السَّماءُ والأرْضُ**﴾ لأن المؤمن إذا مات، بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، ولم تبكيا على فرعون وقومه، لأنه لم يكن لهم عمل يَصْعد إلى الله صالح، فتبكي عليهم السماء، ولا مسجد في الأرض، فتبكي عليهم الأرض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا طلق بن غنام، عن زائدة، عن منصور، عن المنهال، عن سعيد بن جُبير، قال: أتى ابن عباس رجل، فقال: يا أبا عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالى ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ والأَرْضُ وَما كانُوا مُنْظَرِينَ**﴾ فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه، بكى عليه وإذا فقده مُصلاَّه من الأرض التي كان يصلي فيها، ويذكر الله فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى السماء منهم خير، قال: فلم تبكِ عليهم السماء والأرض.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: كان يقال: تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحاً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي يحيى القَتَّات، عن مجاهد، عن ابن عباس بمثله.

حدثني يحيى بن طلحة، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن مجاهد، قال: حُدثت أن المؤمن إذا مات بكت عليه الأرض أربعين صباحاً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قال: ثنا بكير بن أبي السميط، قال: ثنا قتادة، عن سعيد بن جُبير أنه كان يقول: إن بقاع الأرض التي كان يصعد عمله منها إلى السماء تبكي عليه بعد موته، يعني المؤمن.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن المنهال، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس ﴿**فَمَا بَكَتِ عَلَيْهِمُ السَّماءُ والأَرْضُ**﴾ قال: إنه ليس أحد إلا له باب في السماء ينزل فيه رزقه ويصعد فيه عمله، فإذا فُقِد بكت عليه مواضعه التي كان يسجد عليها، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يقبل منهم، فيصعد إلى الله عزّ وجلّ، فقال مجاهد: تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحاً.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد قال: كان يقال: إن المؤمن إذا مات بكت عليه الأرض أربعين صباحاً.

حدثنا يحيى بن طلحة، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن صفوان بن عمرو، عن شريح بن عبيد الحضرمي، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الإسْلامَ بَدا غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً، ألا لا غُرْبَةَ على

المُؤمن، ما ماتَ مُؤمِنٌ في غُرْبَةٍ غابَتْ عَنهُ فِيها بَواكِيهِ إلاّ بَكَتْ عَلَيْهِ السَّماءُ والأرْضُ»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيهِمُ السَّماءُ والأرْضُ﴾، ثم قال: «إنَّهما لا يَبْكِيانِ على الكافِرِ».

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيهِمُ السَّماءُ والأرْضُ...﴾ الآية، قال: ذلك أنه ليس على الأرض مؤمن يموت إلا بكى عليه ما كان يصلي فيه من المساجد حين يفقده، وإلا بكى عليه من السماء الموضعُ الذي كان يرفع منه كلامه، فذلك قوله لأهل معصيته: ﴿فَمَا بَكَت عَلَيهِمُ السَّماءُ والأرْضُ وَما كانُوا مُنظَرِينَ﴾ لأنهما يبكيان على أولياء الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيهِمُ السَّماءُ والأرْضُ﴾[(١)].

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيهِمُ السَّماءُ والأرْضُ﴾ يقول: لا تبكي السماء والأرض على الكافر، وتبكي على المؤمن الصالح معالمُه من الأرض ومقرُّ عمله من السماء.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيهِمُ السَّماءُ والأرْضُ﴾ قال: بقاع المؤمن التي كان يصلي عليها من الأرض تبكي عليه إذا مات، وبقاعه من السماء التي كان يرفع فيها عمله.

وحدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن المنهال، عن سعيد بن جُبَير، قال: سُئل ابن عباس: هل تبكي السماء والأرض على أحد؟ فقال: نعم إنه ليس أحد، من الخلق إلا له باب في السماء يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه، فإذا مات بكى عليه مكانه من الأرض الذي كان يذكر الله فيه ويصلي فيه، وبكى عليه بابه الذي كان يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه. وأما قوم فرعون، فلم يكن لهم آثار صالحة، ولم يصعد إلى السماء منهم خير، فلم تبكِ عليهم السماء والأرض.

وقوله: ﴿وَما كانُوا مُنظَرِينَ﴾ يقول: وما كانوا مؤخرين بالعقوبة التي حلّت بهم، ولكنهم عوجلوا بها إذ أسخطوا ربهم عزّ وجلّ عليهم ﴿وَلَقَدْ نَجَّينَا بَنِي إسْرَائِيلَ مِنَ العَذَابِ المُهِينِ﴾: يقول تعالى ذكره: ولقد نجَّينا بني إسرائيل من العذاب الذي كان فرعون وقومه يعذّبونَهم به، المهين يعني المذلّ لهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) لم يذكر لهذا السند تفسير عن قتادة، والذي في «**الدر المنثور**» عنه، قال: هم كانوا أهون على الله من ذلك، قال: وكنا نحدث أن المؤمن تبكي عليه بقاعه التي كان يصلي فيها من الأرض، ومصعد عمله من السماء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَلَقَدْ نَجَّينا بَنِي إسْرائِيلَ مِنَ العَذابِ المُهِينِ﴾** بقتل أبنائهم، واستحياء نسائهم.

وقوله: **﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إنَّهُ كانَ عالِياً مِنَ المُسْرِفِينَ﴾** يقول تعالى ذكره: ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب من فرعون، فقوله: **﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾** مكرّرة على قوله: **﴿مِنَ العَذابِ المُهِينِ﴾** مبدلة من الأولى. ويعني بقوله: **﴿إنَّهُ كانَ عالِياً مِنَ المُسْرِفِينَ﴾** إنه كان جباراً مستعلياً مستكبراً على ربه، **﴿مِنَ المُسْرِفِينَ﴾** يعني: من المتجاوزين ما ليس لهم تجاوزه. وإنما يعني جلّ ثناؤه أنه كان ذا اعتداء في كفره، واستكبار على ربه جلّ ثناؤه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد اخترنا بني إسرائيل على علم منا بهم على عالمي أهل زمانهم يومئذٍ، وذلك زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ على العالَمِينَ﴾**: أي اختيروا على أهل زمانهم ذلك، ولكلّ زمان عالم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ على عِلْمٍ على العالَمِينَ﴾** قال: عالم ذلك الزمان.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ على عِلْمٍ على العالَمِينَ﴾** قال: على من هم بين ظَهْرانَيْهِ.

قوله: **﴿وآتَيناهُمْ مِنَ الآياتِ ما فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ﴾** يقول تعالى ذكره: وأعطيناهم من العبر والعظات ما فيه اختبار يبين لمن تأمله أنه اختبار اختبرهم الله به. واختلف أهل التأويل في ذلك البلاء، فقال بعضهم: ابتلاهم بنعمه عندهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وآتَيناهُمْ مِنَ الآياتِ ما**

فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ﴾ أنجاهم الله من عدوّهم، ثم أقطعهم البحر، وظلّل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المنّ والسلوى.

وقال آخرون: بل ابتلاهم بالرخاء والشدّة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿وآتَيْناهُمْ مِنَ الآياتِ ما فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ﴾**، وقرأ **﴿وَنَبْلُوَكُمْ بالشَّرِّ والخَيْرِ فِتْنَةً وَإلَيْنا تُرْجِعُونَ﴾** وقال: بلاء مبين لمن آمن بها وكفر بها، بلوى نبتليهم بها، نمحصهم بلوى اختبار، نختبرهم بالخير والشرّ، نختبرهم لننظر فيما أتاهم من الآيات من يؤمن بها، وينتفع بها ويضيعها.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى بني إسرائيل من الآيات ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم، وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء، ويكون بالشدّة، ولم يضع لنا دليلاً من خبر ولا عقل، أنه عنى بعض ذلك دون بعض، وقد كان الله اختبرهم بالمعنيين كليهما جميعاً. وجائز أن يكون عنى اختباره إياهم بهما، فإذا كان الأمر على ما وصفنا، فالصواب من القول فيه أن نقول كما قال جلّ ثناؤه إنه اختبرهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل مشركي قريش لنبيّ الله ﷺ: إن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد **﴿لَيَقُولُونَ إنْ هِيَ إلاَّ مَوْتَتُنا الأُولى﴾** التي نموتها، وهي الموتة الأولى **﴿وَما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾** بعد مماتنا، ولا بمبعوثين تكذيباً منهم بالبعث والثواب والعقاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿إنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ إنْ هِيَ إلاَّ مَوْتَتُنا الأُولى وَما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾** قال: قد قال مشركو العرب **﴿وَما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾** أي: بمبعوثين.

وقوله: **﴿فأْتُوا بِآبائِنا إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** يقول تعالى ذكره: قالوا لمحمد ﷺ: فأتوا بآبائنا الذين قد ماتوا إن كنتم صادقين، أن الله باعثنا من بعد بلانا في قبورنا، ومحيينا من بعد مماتنا،

وخوطب ﷺ هو وحده خطاب الجميع، كما قيل: ﴿**يا أيُّها النَّبِيّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ**﴾ وكما قال ﴿**رَبِّ ارْجِعُونِ**﴾ وقد بيَّنت ذلك في غير موضع من كتابنا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أهؤلاء المشركون يا محمد من قومك خير، أم قوم تُبَّع، يعني تُبَّعاً الحِمْيريّ. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**أهُمْ خَيرٌ أمْ قَوْمُ تُبَّعٍ**﴾ قال: الحميريّ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أهُمْ خَيرٌ أمْ قَوْمُ تُبَّعٍ**﴾ ذُكر لنا أن تبعاً كان رجلاً من حمير، سار بالجيوش حتى حَيّر الحيرة، ثم أتى سمرقند فهدمها. وذُكر لنا أنه كان إذا كَتَبَ كَتَب باسم الذي تسمَّى وملك برّاً وبحراً وصحاً وريحاً. وذُكر لنا أن كعباً كان يقول: نُعِتَ نَعْتَ الرَّجُلِ الصَّالح ذمّ الله قومَه ولم يذمه. وكانت عائشة تقول: لا تسبوا تُبَّعاً، فإنه كان رجلاً صالحاً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قالت عائشة: كان تبَّع رجلاً صالحاً. وقال كعب: ذمّ الله قومه ولم يذمه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن تميم بن عبد الرحمن، عن سعيد بن جبير، أن تُبَّعاً كسا البيت، ونهى سعيد عن سبه.

وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: أهؤلاء المشركون من قريش خير أم قوم تبَّعٍ والذين من قبلهم من الأمم الكافرة بربها، يقول: فليس هؤلاء بخير من أولئك، فنصفح عنهم، ولا نهلكهم، وهم بالله كافرون، كما كان الذين أهلكناهم من الأمم قبلهم كفاراً.

وقوله: ﴿**إنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ يقول: إن قوم تبَّع والذين من قبلهم من الأمم الذين أهلكناهم إنما أهلكناهم لإجرامهم، وكفرهم بربهم. وقيل: إنهم كانوا مجرمين، فكُسرت ألف «إن» على وجه الابتداء، وفيها معنى الشرط استغناء بدلالة الكلام على معناها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وما خَلَقْنَا السَّموَاتِ**﴾ السبع والأرضين وما بينهما من الخلق لَعِباً. وقوله: ﴿**ما خَلَقْناهُما إلاَّ بالحَقّ**﴾ يقول: ما خلقنا السموات والأرض إلاَّ بالحقّ الذي لا يصلح التدبير إلاَّ به. وإنما يعني بذلك تعالى ذكره التنبيه على صحة البعث والمجازاة، يقول تعالى ذكره: لم نخلق الخلق عبثاً بأن نحدثهم فنحييهم ما أردنا، ثم نفنيهم من غير الامتحان بالطاعة والأمر والنهي، وغير مجازاة المطيع على طاعته، والعاصي على المعصية، ولكن خلقنا ذلك لنبتلي من أردنا امتحانه من خلقنا بما شئنا من امتحانه من الأمر والنهي ﴿**لِنَجْزِيَ الَّذِينَ أساءُوا بِما عَمِلُوا وَنَجْزِيَ الَّذِينَ أحْسَنُوا بالحُسْنَى**﴾.

﴿**وَلَكِنَّ أكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: ولكن أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أن الله خلق ذلك لهم، فهم لا يخافون على ما يأتون من سخط الله عقوبة، ولا يرجون على خير إن فعلوه ثواباً لتكذيبهم بالمعاد.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن يوم فصل الله القضاء بين خلقه بما أسلفوا في دنياهم من خير أو شرّ يجزى به المحسن بالإحسان، والمسيء بالإساءة ﴿**ميقاتهم أجمعين**﴾: يقول: ميقات اجتماعهم أجمعين. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إنَّ يَوْمَ الفَصْلِ مِيقاتُهُمْ أجمَعِينَ**﴾ يوم يُفْصَل فيه بين الناس بأعمالهم.

وقوله: ﴿**يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلىً عن مَوْلىً شَيْئاً**﴾ يقول: لا يدفع ابن عمّ عن ابن عمّ، ولا صاحب عن صاحبه شيئاً من عقوبة الله التي حلَّت بهم من الله ﴿**وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾ يقول: ولا ينصر بعضهم بعضاً، فيستعيذوا ممن نالهم بعقوبة كما كانوا يفعلونه في الدنيا. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً...**﴾ الآية، انقطعت الأسباب يومئذٍ يا ابن آدم، وصار الناس إلى أعمالهم، فمن أصاب يومئذٍ خيراً سعد به آخر ما عليه، ومن أصاب يومئذٍ شرّاً شقي به آخر ما عليه.

وقوله: ﴿**إلاَّ مَنْ رَحِمَ اللَّهُ**﴾ اختلف أهل العربية في موضع «مَنْ» في قوله: ﴿**إلاَّ مَنْ رَحِمَ**

اللَّهُ﴾ فقال بعض نحويي البصرة: إلاَّ من رحم الله، فجعله بدلاً من الاسم المضمر في ينصرون، وإن شئت جعلته مبتدأ وأضمرت خبره، يريد به: إلاَّ من رحم الله فيغني عنه. وقال بعض نحويي الكوفة قوله: **﴿إلاَّ مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾** قال: المؤمنون يشفع بعضهم في بعض، فإن شئت فاجعل «مَنْ» في موضع رفع، كأنك قلت: لا يقوم أحد إلاَّ فلان، وإن شئت جعلته نصباً على الاستثناء والانقطاع عن أوّل الكلام، يريد: اللهمّ إلاَّ من رحم الله.

وقال آخرون منهم: معناه: لا يغني مولىً عن مولىً شيئاً، إلاَّ من أذن الله له أن يشفع قال: لا يكون بدلاً مما في ينصرون، لأن إلاَّ محقق، والأوّل منفيّ، والبدل لا يكون إلاَّ بمعنى الأوّل. قال: وكذلك لا يجوز أن يكون مستأنفاً، لأنه لا يستأنف بالاستثناء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يكون في موضع رفع بمعنى: يوم لا يغني مولىً عن مولىً شيئاً إلاَّ من رحم الله منهم، فإنه يغني عنه بأن يشفع له عند ربه.

وقوله: **﴿إنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾** يقول جلّ ثناؤه واصفاً نفسه: إن الله هو العزيز في انتقامه من أعدائه، الرحيم بأوليائه، وأهل طاعته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّوم﴾** التي أخبر أنها تَنْبُت في أصل الجحيم، التي جعلها طعاماً لأهل الجحيم، ثمرها في الجحيم طعَام الآثم في الدنيا بربه، والأثيم: ذو الإثم، والإثم من أثم يأثم فهو أثيم. وعنى به في هذا الموضع: الذي إثمه الكفر بربه دون غيره من الآثام. وقد:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث، أن أبا الدرداء كان يُقرىء رجلاً **﴿إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الأثِيمِ﴾** فقال: طعام اليتيم، فقال أبو الدرداء: قل إن شجرة الزقوم طعام الفاجر.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش، عن أبي يحيى، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: «لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى الدنيا، لأفسدت على الناس معايشهم».

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن همام، قال: كان أبو الدرداء يُقرىء رجلاً **﴿إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الأثِيمِ﴾** قال: فجعل الرجل يقول: إن شجرة

الزقوم طعام اليتيم قال: فلما أكثر عليه أبو الدرداء، فرآه لا يفهم، قال: إن شجرة الزقوم طعام الفاجر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ**﴾ قال: أبو جهل.

وقوله: ﴿**كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ**﴾ يقول تعالى ذكره: إن شجرة الزقوم التي جعل ثمرتها طعام الكافر في جهنم، كالرصاص أو الفضة، أو ما يُذاب في النار إذا أُذيب بها، فتناهت حرارته، وشدّت حميته في شدّة السواد.

وقد بيَّنا معنى المهل فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع من الشواهد، وذكر اختلاف أهل التأويل فيه، غير أنا نذكر من أقوال أهل العلم في هذا الموضع ما لم نذكره هناك:

حدثنا سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدينة، عن قابوس، عن أبيه، قال: سألت ابن عباس، عن قول الله جلّ ثناؤه: ﴿**كَالْمُهْلِ**﴾ قال: كدرديّ الزيت.

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ**﴾ يقول: أسود كمهل الزيت.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ويعقوب بن إبراهيم، قالوا: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت مطرفاً، عن عطية بن سعد، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**كَالْمُهْلِ**﴾ ماء غليظ كدرديّ الزيت.

حدثني يحيى بن طلحة، قال: ثنا شريك، عن مطرّف، عن رجل، عن ابن عباس في قوله: ﴿**كَالْمُهْلِ**﴾ قال: كدرديّ الزيت.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا خليد، عن الحسن، عن ابن عباس، أنه رأى فضة قد أُذيبت، فقال: هذا المهل.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا أبو معاوية، قال: ثنا عمرو بن ميمون عن أبيه، عن عبد الله، في قوله: ﴿**كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ**﴾ قال: دخل عبد الله بيت المال، فأخرج بقايا كانت فيه، فأوقد عليها النار حتى تلألأت، قال: أين السائل عن المهل، هذا المهل.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ: وحدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا خالد بن الحارث، عن عوف، عن الحسن، قال: بلغني أن ابن مسعود سُئل عن المهل الذي يقولون يوم القيامة شراب أهل النار، وهو على بيت المال، قال: فدعا بذهب وفضة فأذابهما، فقال: هذا أشبه

شيء في الدنيا بالمهل الذي هو لون السماء يوم القيامة، وشراب أهل النار، غير أن ذلك هو أشدّ حرّاً من هذا، لفظ الحديث لابن بشار وحديث ابن المثنى نحوه.

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا أشعث، عن الحسن، قال: كان من كلامه أن عبد الله بن مسعود رجل أكرمه الله بصحبة محمد ﷺ، فإن عمر رضي الله عنه استعمله على بيت المال، قال: فعمد إلى فضة كثيرة مكسرة، فخدّ لها أُخدوداً، ثم أمر بحطب جزل فأوقد عليها، حتى إذا امّاعت وتزبدت وعادت ألواناً، قال: انظروا من بالباب، فأُدخل القوم فقال لهم: هذا أشبه ما رأينا في الدنيا بالمُهْل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ**...﴾ الآية، ذُكر لنا أن ابن مسعود أُهديت له سقاية من ذهب وفضة، فأمر بأخدود فخدّت في الأرض، ثم قُذِف فيها من جزل الحطب، ثم قذفت فيها تلك السقاية، حتى إذا أزبدت وانماعت قال لغلامه: ادع من بحضرتنا من أهل الكوفة، فدعا رهطاً، فلما دخلوا قال: أترون هذا؟ قالوا نعم، قال: ما رأينا في الدنيا شبيهاً للمهل أدنى من هذا الذهب والفضة حين أزبد وانماع.

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا ابن يمان، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن سفيان الأسديّ، قال: أذاب عبد الله بن مسعود فضة، ثم قال: من أراد أن ينظر إلى المهل فلينظر إلى هذا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كالمُهْلِ**﴾ قال: كدُرديّ الزيت.

حدثني يحيى بن طلحة قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد: ﴿**كالمهل**﴾ قال: كدردي الزيت.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يعمر بن بشر، قال: ثنا ابن المبارك، قال: ثنا أبو الصباح، قال: سمعت يزيد بن أبي سمية يقول: سمعت ابن عمر يقول: هل تدرون ما المهل؟ المهل مهل الزيت، يعني آخره.

قال: ثنا إبراهيم أبو إسحاق الطالقاني، قال: ثنا ابن المبارك، قال: أخبرنا أبو الصباح الأيلي، عن يزيد بن أبي سمية، عن ابن عمر بمثله.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، عن درّاج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿**بِمَاءٍ كالمُهْلِ**﴾ «كعَكر الزيت،

فإذا قرّبه إلى وجهه، سقطت فروة وجهه فيه».

قال: ثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا يعمر بن بشر، قال: أخبرنا ابن المبارك، قال: أخبرنا رشدين بن سعد، قال: ثني عمرو بن الحارث، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخُذريّ، عن النبيّ ﷺ، مثله.

وقوله: ﴿**فِي الْبُطُونِ**﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة والكوفة «تَغْلِي» بالتاء، بمعنى أن شجرة الزقوم تغلي في بطونهم، فأنثوا تغلي لتأنيث الشجرة. وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل الكوفة ﴿**يَغْلِي**﴾ بمعنى: طعام الأثيم يغلي، أو المهل يغلي، فذكّره بعضهم لتذكير الطعام، ووجه معناه إلى أن الطعام هو الذي يغلي في بطونهم وبعضهم لتذكير المهل، ووجهه إلى أنه صفة للمهل الذي يغلي.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب ﴿**كَغَلْيِ الحَمِيمِ**﴾ يقول: يغلي ذلك في بطون هؤلاء الأشقياء كغلي الماء المحموم، وهو المسخن الذي قد أوقد عليه حتى تناهت شدّة حرّه، وقيل: حميم وهو محموم، لأنه مصروف من مفعول إلى فعيل، كما يقال: قتيل من مقتول.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**خُذُوهُ**﴾ يعني هذا الأثيم بربه، الذي أخبر جلّ ثناؤه أن له شجرة الزقوم طعام ﴿**فاعْتِلُوهُ**﴾ يقول تعالى ذكره: فادفعوه وسوقوه، يقال منه: عتله يعتله عتلاً: إذا ساقه بالدفع والجذب ومنه قول الفرزدق:

لَيْسَ الكِرَامُ بِنَاحِلِيكَ أَبَاهُمُ حَتى تُرَدَّ إلى عَطِيَّةَ تُعْتَلُ[1]

أي تُساق دَفْعاً وسحباً.

وقوله: ﴿**إلى سَوَاءِ الجَحِيمِ**﴾: إلى وسط الجحيم. ومعنى الكلام: يقال يوم القيامة: خذوا

(١) البيت في ديوان الفرزدق طبعة الصاوي بالقاهرة (ص ـ ٧٢٢) وناحليك: معطيك. وموضع الشاهد في البيت قوله «تعتل». قال في «اللسان» عتل وفي التنزيل: ﴿خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم﴾ قرأ عاصم وحمزة والكسائي وأبو عمرو فاعتلوه بكسر التاء: وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب: «فاعتلوه» بضم التاء. قال الأزهري: وهما لغتان فصيحتان. ومعناه: خذوه فاقصفوه كما يقصف الحطب. والعتل: الدفع والإرهاق بالسوق العنيف ا هـ.

هذا الأثيم فسوقوه دفعاً في ظهره، وسحباً إلى وسط النار. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿فاعْتِلُوهُ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿**خُذُوهُ فاعْتِلُوهُ إلى سَوَاءِ الجَحِيمِ**﴾ قال: خذوه فادفعوه.

وفي قوله: ﴿**فاعْتَلُوهُ**﴾ لغتان: كسر التاء، وهي قراءة بعض قرّاء أهل المدينة وبعض أهل مكة[1].

والصواب من القراءة في ذلك عندنا أنهما لغتان معروفتان في العرب، يقال منه: عتل يعتِل ويعتُل، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إلى سَوَاءِ الجَحِيمِ**﴾: إلى وَسَط النار.

وقوله: ﴿**ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رأسِهِ مِنْ عَذابِ الحَمِيمِ**﴾ يقول تعالى ذكره: ثم صبوا على رأس هذا الأثيم من عذاب الحميم، يعني: من الماء المسخن الذي وصفنا صفته، وهو الماء الذي قال الله ﴿**يُصْهَرُ بِهِ ما في بُطُونِهِمْ والجُلُودُ**﴾، وقد بيَّنت صفته هنالك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ (٥٠)﴾.

يقول تعالى ذكره: يقال لهذا الأثيم الشقيّ: ذق هذا العذاب الذي تعذّب به اليوم ﴿**إنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ**﴾ في قومك ﴿**الكَرِيمُ**﴾ عليهم. وذُكر أن هذه الآيات نزلت في أبي جهل بن هشام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رأسِهِ مِنْ عَذَابِ الحَمِيمِ**﴾ نزلت في عدوّ الله أبي جهل لقي النبيّ ﷺ، فأخذه فهزّه، ثم قال: أولى لك يا أبا جهل فأولى، ثم أولى لك فأولى، ذق إنك أنت العزيز الكريم، وذلك أنه قال: أيوعدني محمد، والله لأنا أعزّ من مشى بين جبليها. وفيه نزلت ﴿**وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أوْ كَفُوراً**﴾ وفيه نزلت ﴿**كَلاَّ لا تُطِعْهُ**

---

(١) لم يذكر الثانية، وهي ضم التاء، وبها قرىء، ولعله اكتفى عن ذلك بما ذكره في السطر الذي بعده.

﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ وقال قتادة: نزلت في أبي جهل وأصحابه الذين قتل الله تبارك وتعالى يوم بدر ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: نزلت في أبي جهل ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ﴾ قال قتادة، قال أبو جهل: ما بين جبليها رجل أعزّ ولا أكرم مني، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ قال: هذا لأبي جهل.

فإن قال قائل: وكيف قيل وهو يهان بالعذاب الذي ذكره الله، ويذلّ بالعتل إلى سواء الجحيم: إنك أنت العزيز الكريم؟ قيل: إن قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ غير وصف من قائل ذلك له بالعزّة والكرم، ولكنه تقريع منه له بما كان يصف به نفسه في الدنيا، وتوبيخ له بذلك على وجه الحكاية، لأنه كان في الدنيا يقول: إنك أنت العزيز الكريم، فقيل له في الآخرة، إذ عذّب بما عُذّب به في النار: ذُق هذا الهوان اليوم، فإنك كنت تزعم أنك أنت العزيز الكريم، وإنك أنت الذليل المهين، فأين الذي كنت تقول وتدّعي من العزّ والكرم، هلا تمتنع من العذاب بعزّتك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا صفوان بن عيسى قال ثنا ابن عجلان عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال كعب: لله ثلاثة أثواب: اتّزر بالعزّ، وتَسربل الرحمة، وارتدى الكبرياء تعالى ذكره، فمن تعزّز بغير ما أعزّه الله فذاك الذي يقال: ذق إنك أنت العزيز الكريم، ومن رحم الناس فذاك الذي سربل الله سرباله الذي ينبغي له ومن تكبر فذاك الذي نازع الله رداءه إن الله تعالى ذكره يقول: «لا ينبغي لمن نازعني ردائي أن أدخله الجنة» جلّ وعزّ. وأجمعت قرّاء الأمصار جميعاً على كسر الألف من قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ﴾ على وجه الابتداء. وحكاية قول هذا القائل: إني أنا العزيز الكريم. وقرأ ذلك بعض المتأخرين «ذُقْ أَنَّكَ» بفتح الألف على إعمال قوله: ﴿ذُقْ﴾ في قوله: ﴿إِنَّكَ﴾ كأنّ معنى الكلام عنده: ذق هذا القول الذي قلته في الدنيا.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا كسر الألف من ﴿إِنَّكَ﴾ على المعنى الذي ذكرت لقارئه، لإجماع الحجة من القرّاء عليه، وشذوذ ما خالفه[1]، وكفى دليلاً على خطأ قراءة خلافها، ما مضت عليه الأئمة من المتقدمين والمتأخرين، مع بُعدها من الصحة في المعنى وفراقها تأويل أهل التأويل.

---

(١) قوله وشذوذ ما خالفه، هذا غير صحيح لأن الإمام الكسائي قرأ بفتح الهمز، وهي قراءة سبعية متواترة مشهورة وليست شاذة.

وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا ما كُنتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: يقال له: إن هذا العذاب الذي تعذّب به اليوم، هو العذاب الذي كنتم في الدنيا تَشُكُّون، فتختصمون فيه، ولا توقنون به فقد لقيتموه، فذوقوه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله بأداء طاعته، واجتناب معاصيه في موضع إقامة، آمنين في ذلك الموضع مما كان يخاف منه في مقامات الدنيا من الأوصاب والعلل والأنصاب والأحزان.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿فِي مَقام أمِينٍ﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة «في مُقامٍ أمِينٍ» بضم الميم، بمعنى: في إقامة أمين من الظعن. وقرأته عامة قرّاء المصرين. الكوفة والبصرة ﴿فِي مَقامٍ﴾ بفتح الميم على المعنى الذي وصفنا، وتوجيهاً إلى أنهم في مكان وموضع أمين.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ المُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أمِينٍ﴾ إيَ والله، أمين من الشيطان والأنصاب والأحزان.

وقوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ الجنات والعيون ترجمة عن المقام الأمين، والمقام الأمين: هو الجنات والعيون، والجنات: البساتين، والعيون: عيون الماء المطرد في أصول أشجار الجنات.

وقوله: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ﴾ يقول: يلبس هؤلاء المتقون في هذه الجنات من سندس، وهو ما رقّ من الديباج، وإستبرق: وهو ما غلظ من الديباج. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن عكرمة، في قوله: ﴿مِنْ سُنْدُسٍ وإسْتَبْرَقٍ﴾ قال: الإستبرق: الديباج الغليظ.

وقيل: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ولم يقل لباساً، استغناء بدلالة الكلام على معناه.

وقوله: ﴿مُتَقابِلِينَ﴾ يعني أنهم في الجنة يقابل بعضهم بعضاً بالوجوه، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض. وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى، فأغنى ذلك عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: كما أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة بإدخالناهم الجنات، وإلباسناهم فيها السندس والاستبرق، كذلك أكرمناهم بأن زوّجناهم أيضاً فيها حوراً من النساء، وهن النقيات البياض، واحدتهنّ: حَوْراء. وكان مجاهد يقول في معنى الحُور، ما:

حدثني به محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ**﴾ قال: أنكحناهم حوراً. قال: والحُور: اللاتي يحار فيهنّ الطرف بادٍ مُخّ سوقهنّ من وراء ثيابهنّ، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهنّ كالمرآة من رقة الجلد، وصفاء اللون، وهذا الذي قاله مجاهد من أن الحور إنما معناها: أنه يحار فيها الطرف، قول لا معنى له في كلام العرب، لأن الحُور إنما هو جمع حوراء، كالحمر جمع حمراء، والسود: جمع سوداء، والحوراء إنما هي فعلاء من الحور وهو نقاء البياض، كما قيل للنقيّ البياض من الطعام الحُوّاري. وقد بيّنا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل. وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال سائر أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**كَذَلِكَ وَزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ**﴾ قال: بيضاء عيناء، قال: وفي قراءة ابن مسعود «بعِيسٍ عِينٍ».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**بِحُورٍ عِينٍ**﴾ قال: بيض عين، قال: وفي حرف ابن مسعود «بعِيسٍ عِينٍ». وقرأ ابن مسعود هذه، يعني أن معنى الحور غير الذي ذهب إليه مجاهد، لأن العيس عند العرب جمع عيساء، وهي البيضاء من الإبل، كما قال الأعشى:

وَمَهْمَةٍ نازِحٍ تَعْوِي الذِّئابُ بِهِ ... كَلَّفْتُ أَعْيَسَ تَحْتَ الرَّحْلِ نَعَّابا[1]

---

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٣٦١) والرواية فيه: قفر مساربه» في موضع «تعوى الذئاب به» والمهمه: الصحراء، ونازح: بعيد. وقفر: خال من النبات والإنس. ومساربه مسالكه. وأعيس: حمل أبيض يخالطه شقرة أو ظلمة. والرحل: الخشب يشد على الجمل، ليركب فوقه. ونعّاب: من نعبت =

يعني بالأعيس: جملاً أبيض. فأما العين فإنها جمع عيناء، وهي العظيمة العينين من النساء.

وقوله: ﴿**يَدْعُونَ فِيها...**﴾ الآية، يقول: يدعو هؤلاء المتقون في الجنة بكلّ نوع من فواكه الجنة اشتهوه، آمنين فيها من انقطاع ذلك عنهم ونفاده وفنائه، ومن غائلة أذاه ومكروهه، يقول: ليست تلك الفاكهة هنالك كفاكهة الدنيا التي نأكلها، وهم يخافون مكروه عاقبتها، وغب أذاها مع نفادها من عندهم، وعدمها في بعض الأزمنة والأوقات. وكان قتادة يوجه تأويل قوله: ﴿**آمنين**﴾ إلى ما:

حدثنا به بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فاكِهَةٍ آمِنِينَ**﴾ أمنوا من الموت والأوصاب والشيطان.

وقوله: ﴿**لا يَذُوقُونَ فِيها المَوْتَ إلاَّ المَوْتَةَ الأُولى**﴾ يقول تعالى ذكره: لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا.

وكان بعض أهل العربية يوجه «إلاّ» في هذا الموضع إلى أنها في معنى سوى، ويقول: معنى الكلام: لا يذوقون فيها الموت سوى الموتة الأولى، ويمثله بقوله تعالى ذكره: ﴿**وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ**﴾ بمعنى: سوى ما قد فعل آباؤكم، وليس للذي قال من ذلك عندي وجه مفهوم، لأن الأغلب من قول القائل: لا أذوق اليوم الطعام إلا الطعام الذي ذقته قبل اليوم أنه يريد الخبر عن قائله أن عنده طعاماً في ذلك اليوم ذائقه وطاعمه دون سائر الأطعمة غيره. وإذا كان ذلك الأغلب من معناه وجب أن يكون قد أثبت بقوله: ﴿**إلاَّ المَوْتَةَ الأُولى**﴾ موتة من نوع الأولى هم ذائقوها، ومعلوم أن ذلك ليس كذلك، لأن الله عزّ وجلّ قد آمَن أهل الجنة في الجنة إذا هم دخلوها من الموت، ولكن ذلك كما وصفت من معناه. وإنما جاز أن توضع «إلا» في موضع «بعد» لتقارب معنييهما في هذا الموضع وذلك أن القائل إذا قال: لا أكلم اليوم رجلاً إلا رجلاً عند عمرو قد أوجب على نفسه أن لا يكلم ذلك اليوم رجلاً بعد كلام الرجل الذي عند عمرو. وكذلك إذا قال: لا أكلم اليوم رجلاً بعد رجل عند عمرو، قد أوجب على نفسه أن لا يكلم ذلك اليوم رجلاً إلا رجلاً عند عمرو، فبعد، وإلا: متقاربتا المعنى في هذا الموضع. ومن شأن العرب أن تضع الكلمة مكان غيرها إذا تقارب معنياهما، وذلك كوضعهم الرجاء مكان الخوف لما في معنى الرجاء من الخوف، لأن الرجاء ليس بيقين، وإنما هو طمع، وقد يصدق ويكذب كما الخوف يصدق أحياناً ويكذب، فقال في ذلك أبو ذُؤَيْب:

= الإبل: إذا مدت أعناقها في سيرها. وقيل هو أن يحرك البعير رأسه إذا أسرع «اللسان»: نعب. ومحل الشاهد في البيت عند المؤلف أن العيس عند العرب جمع أعيس وعيساء، وهي الناقة البيضاء، كما جاء في شعر الأعشى: الأعيس: الجمل الأبيض.

إذا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَها وَخالَفَها فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَامِلُ[١]

فقال: لم يرج لسعها، ومعناه في ذلك: لم يخف لسعها، وكوضعهم الظنّ موضع العلم الذي لم يدرك من قِبل العيان، وإنما أدرك استدلالاً أو خبراً، كما قال الشاعر:

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بألْفَيْ مُدَجَّجِ سَرَاتُهُمْ في الفارِسِيّ المُسَرَّدِ[٢]

بمعنى: أيقنوا بألفي مدجَّج واعلموا، فوضع الظنّ موضع اليقين، إذ لم يكن المقول لهم ذلك قد عاينوا ألفي مدجج، ولا رأوهم، وإن ما أخبرهم به هذا المخبر، فقال لهم ظنوا العلم بما لم يعاين من فعل القلب، فوضع أحدهما موضع الآخر لتقارب معنييهما في نظائر لما ذكرت يكثر إحصاؤها، كما يتقارب معنى الكلمتين في بعض المعاني، وهما مختلفتا المعنى في أشياء أخر، فتضع العرب إحداهما مكان صاحبتها في الموضع الذي يتقارب معناهما فيه، فكذلك قوله: **﴿لا يَذُوقُون فِيها المَوْتَ إلاَّ المَوْتَةَ الأُولى﴾** وضعت «إلا» في موضع «بعد» لما نصف من تقارب معنى «إلا»، و«بعد» في هذا الموضع، وكذلك **﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُم مِنَ النِّساءِ إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ﴾** إنما معناه: بعد الذي سلف منكم في الجاهلية، فأما إذا وجهت «إلا» في هذا الموضع إلى معنى سوى، فإنما هو ترجمة عن المكان، وبيان عنها بما هو أشدّ التباساً على من أراد علم معناها منها.

وقوله: **﴿وَوَقاهُمْ عَذَابَ الجَحِيمِ فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ﴾** يقول تعالى ذكره: ووقى هؤلاء المتقين ربهم يومئذٍ عذاب النار تفضلاً يا محمد من ربك عليهم، وإحساناً منه إليهم بذلك، ولم يعاقبهم بجرم سلف منهم في الدنيا، ولولا تفضله عليهم بصفحه لهم عن العقوبة لهم على ما سلف منهم من ذلك، لم يقهم عذاب الجحيم، ولكن كان ينالهم ويصيبهم ألمه ومكروهه.

وقوله: **﴿ذَلكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾** يقول تعالى ذكره: هذا الذي أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة التي وصفت في هذه الآيات، هو الفوز العظيم: يقول: هو الظفر العظيم بما كانوا يطلبون من إدراكه في الدنيا بأعمالهم وطاعتهم لربهم، واتقائهم إياه، فيما امتحنهم به من الطاعات والفرائض، واجتناب المحارم.

---

(١) البيت لأبي ذؤيب. وهو شاهد على أن لم يرج: أي لم يخف. وقد سبق الاستشهاد به في هذا التفسير، وتقدم الكلام عليه مفصلا (انظره في ٥/ ٢٦٤ من هذه الطبعة) وفي قافيته: «عواسل» في موضع عوامل. وكلتاهما صحيحة.

(٢) البيت لدريد بن الصمة الجشمي. **«اللسان»** ظنن. قال: الجوهري الظن معروف. وقد يوضع موضع العلم. قال دريد ابن الصمة:

«فقلت لهم ظنوا.... البيت»

أي استيقنوا، وإنما يخوف عدوه باليقين لا بالشك. والشاهد في البيت عند المؤلف أن العلم قد يوضع في موضع الظن، كما أن الرجاء قد يوضع موضع الخوف.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ (٥٩)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فإنما سهَّلنا قراءة هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد بلسانك، ليتذكر هؤلاء المشركون الذين أرسلناك إليهم بعبره وحُججه، ويتَّعظوا بعظاته، ويتفكَّروا في آياته إذا أنت تتلوه عليهم، فينيبوا إلى طاعة ربهم، ويذعنوا للحقّ عند تَبيُّنهموه. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فإنَّمَا يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ**﴾: أي هذا القرآن ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فإنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ**﴾ قال: القرآن، ويسَّرناه: أطلق به لسانه.

وقوله: ﴿**فارْتَقِبْ إنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فانتظر أنت يا محمد الفتح من ربك، والنصر على هؤلاء المشركين بالله من قومك من قريش، إنهم منتظرون عند أنفسهم قهرك وغلبتك بصدّهم عما أتيتهم به من الحقّ من أراد قبوله واتباعك عليه. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿**فارْتَقِبْ إنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ**﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فارْتَقِبْ إنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ**﴾: أي فانتظر إنهم منتظرون.

آخر تفسير سورة الدخان

(٤٥) سورة الجاثية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣)﴾.

قد تقدم بياننا في معنى قوله: ﴿حم﴾. وأما قوله: ﴿تَنْزِيلُ الكِتابِ مِنَ اللّهِ﴾ فإن معناه: هذا تنزيل القرآن من عند الله ﴿العَزِيزِ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿الحَكِيمِ﴾ في تدبيره أمر خلقه.

وقوله: ﴿إنَّ فِي السَّمَواتِ والأرْضِ لآياتٍ للْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في السموات السبع اللاتي منهنّ نزول الغيث، والأرض التي منها خروج الخلق أيها الناس ﴿لآياتٍ للْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: لأدلة وحججاً للمصدّقين بالحجج إذا تبيَّنوها ورأوها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: وفي خلق الله إياكم أيها الناس، وخلقه ما تفرّق في الأرض من دابة تدبّ عليها من غير جنسكم ﴿آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يعني: حججاً وأدلة لقوم يوقنون بحقائق الأشياء، فيقرّون بها، ويعلمون صحتها.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ وفي التي بعد ذلك فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة ﴿آياتٌ﴾ رفعاً على الابتداء، وترك ردّها على قوله: ﴿لآياتٍ للْمُؤْمِنِينَ﴾، وقرأته عامة قرّاء الكوفة «آياتٍ» خفضاً بتأويل النصب ردّاً على قوله: ﴿لآياتٍ للْمُؤْمِنِينَ﴾. وزعم قارئو ذلك كذلك من المتأخرين أنهم اختاروا قراءته كذلك، لأنه في قراءة أُبيّ في الآيات الثلاثة «لآياتٍ» باللام فجعلوا دخول اللام في ذلك في قراءته دليلاً لهم على صحة قراءة جميعه بالخفض، وليس الذي اعتمدوا عليه من الحجة في ذلك بحجة، لأن لا رواية بذلك عن أُبي صحيحة، وأبيّ لو صحّت به عنه رواية، ثم لم يُعلم كيف كانت قراءته بالخفض أو بالرفع لم يكن الحكم عليه بأنه كان يقرأه خفضاً، بأولى من الحكم عليه بأنه كان يقرأه رفعاً، إذ كانت العرب

قد تدخل اللام في خبر المعطوف على جملة كلام تامّ قد عملت في ابتدائها «إن»، مع ابتدائهم إياه، كما قال حُمَيد بن ثَور الهِلاليّ:

إنَّ الـخِـلافَـةَ بَـعْـدَهُـمْ لَـذَمِـيـمَـةٌ ... وَخَـلائِـفٌ طُـرُفٌ لَـمِـمَّـا أحْـقُـرُ[١]

فأدخل اللام في خبر مبتدأ بعد جملة خبر قد عملت فيه «إن» إذ كان الكلام، وإن ابتدىء متوياً فيه إن.

والصواب من القول في ذلك إن كان الأمر على ما وصفنا أن يقال: إن الخفض في هذه الأحرف والرفع قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار قد قرأ بهما علماء من القرّاء صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾.

يقول تبارك وتعالى: وفي ﴿**اخْتِلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ**﴾ أيها الناس، تعاقبهما عليكم، هذا بظلمته وسواده وهذا بنوره وضيائه ﴿**وَما أنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ**﴾ وهو الغيث الذي به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم، وإحيائه الأرض بعد موتها: يقول: فأنبت ما أنزل من السماء من الغيث ميت الأرض، حتى اهتزّت بالنبات والزرع من بعد موتها، يعني: من بعد جدوبها وقحوطها ومصيرها دائرة لا نبت فيها ولا زرع.

---

(١) لم أجد البيت في ديوان حميد بن ثور الهلالي طبعة دار الكتب المصرية. والخلاف الطرف: هم الذين خلفوا بعد آبائهم القدماء. يقول: إن الخلافة بعد الخلفاء الأولين صارت ذميمة، والخلفاء المحدثون محتقرون في عيني لأنهم لا يسلكون مسلك آبائهم. والشاهد في البيت أن الشاعر استأنف بالواو جملة من مبتدأ وخبر مرفوعين بعد الجملة الأولى التي مبتدؤها منصوب بأن، وذلك كما في الآية: ﴿إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون﴾ ا هـ. وقال الفراء في **«معاني القرآن»** (الورقة ٢٩٩) قوله ﴿وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات﴾ تقرأ الآيات بالخفض، على تأويل النصب، يرد على قوله: ﴿إن في السموات والأرض لآيات﴾. ويقوي الخفض فيها أنها في قراءة عبد الله ابن مسعود: لآيات. وفي قراءة أبي لآيات. والرفع قراءة الناس على الاستئناف فيما بعد أن. والعرب تقول: إن لي عليك مالاً، وعلى أخيك مال كثير، فينصبون الثاني ويرفعونه وفي قراءة عبد الله: ﴿وفي اختلاف الليل والنهار﴾ فهذه تقوى خفض الاختلاف. ولو رفع رافع فقال: ﴿واختلاف الليل والنهار آيات﴾ أيضاً، يجعل الاختلاف آيات، ولم نسمعه من أحد من القراء. قال: ولو رفع رافع الآيات وفيها اللام، كان صواباً. قال: أنشدني الكسائي

«إن الـخـلافـة. . . . الـبـيـت».

وقوله: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ﴾ يقول: وفي تصريفه الرياح لكم شمالاً مرّة، وجنوباً أخرى، وصبّاً أحياناً، ودبوراً أخرى لمنافعكم.

وقد قيل: عنى بتصريفها بالرحمة مرّة، وبالعذاب أخرى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ﴾ قال: تصريفها إن شاء جعلها رحمة وإن شاء جعلها عذاباً.

وقوله: ﴿آياتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: في ذلك أدلة وحجج لله على خلقه، لقوم يعقلون عن الله حججه، ويفهمون عنه ما وعظهم به من الآيات والعِبر.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هذه الآيات والحجج يامحمد من ربك على خلقه نتلوها عليك بالحقّ: يقول: نخبرك عنها بالحقّ لا بالباطل، كما يخبر مشركو قومك عن آلهتهم بالباطل، أنها تقرّبهم إلى الله زُلْفَى، فبأيّ حديث بعد الله وآياته تؤمنون: يقول تعالى ذكره للمشركين به: فبأيّ حديث أيها القوم بعد حديث الله هذا الذي يتلوه عليكم، وبعد حججه عليكم وأدلته التي دلكم بها على وحدانيته من أنه لا ربّ لكم سواه، تصدّقون، إن أنتم كذّبتم لحديثه وآياته. وهذا التأويل على مذهب قراءة من قرأ «تُؤْمِنُونَ» على وجه الخطاب من الله بهذا الكلام للمشركين، وذلك قراءة عامة قرّاء الكوفيين. وأما على قراءة من قرأه ﴿يُؤْمِنون﴾ بالياء، فإن معناه: فبأيّ حديث يا محمد بعد حديث الله الذي يتلوه عليك وآياته هذه التي نبه هؤلاء المشركين عليها، وذكّرهم بها، يؤمن هؤلاء المشركون، وهي قراءة عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة، ولكلتا القراءتين وجه صحيح، وتأويل مفهوم، فبأية القراءتين قرأ ذلك القارىء فمصيب عندنا، وإن كنت أميل إلى قراءته بالياء إذ كانت في سياق آيات قد مضين قبلها على وجه الخبر، وذلك قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ و ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الوادي السائل من صديد أهل جهنم، لكلّ كذّاب ذي إثم بربه، مفتر

عليه، ﴿يَسْمَعُ آياتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ﴾ يقول: يسمع آيات كتاب الله تُقرأ عليه ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كفره وإثمه فيقيم عليه غير تائب منه، ولا راجع عنه ﴿مُسْتَكْبِراً﴾ على ربه أن يذعن لأمره ونهيه ﴿كأَنْ لَمْ يَسْمَعْها﴾ يقول: كأن لم يسمع ما تلي عليه من آيات الله بإصراره على كفره ﴿فَبَشِّرْهُ بعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يقول: فبشر يا محمد هذا الأفَّاك الأثيم الذي هذه صفته بعذاب من الله له. ﴿أليم﴾: يعني موجع في نار جهنم يوم القيامة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِذَا عَلِمَ﴾ هذا الأفَّاك الأثيم ﴿مِنْ﴾ آيات الله ﴿شَيْئاً اتَّخَذَها هُزُواً﴾: يقول: اتخذ تلك الآيات التي علمها هزواً، يسخر منها، وذلك كفعل أبي جهل حين نزلت ﴿إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّوم طَعامُ الأثِيمِ﴾ إذ دعا بتمر وزبد فقال: تزقموا من هذا، ما يعدكم محمد إلاَّ شهداً، وما أشبه ذلك من أفعالهم.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يفعلون هذا الفعل، وهم الذين يسمعون آيات الله تُتلى عليهم ثم يصرّون على كفرهم استكباراً، ويتخذون آيات الله التي علموها هزواً، لهم يوم القيامة من الله عذاب مهين يهينهم ويذلهم في نار جهنم، بما كانوا في الدنيا يستكبرون عن طاعة الله واتباع آياته، وإنما قال تعالى ذكره: ﴿أُولَئِكَ﴾ فجمع. وقد جرى الكلام قبل ذلك[1] رداً للكلام إلى معنى الكلّ في قوله: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أثِيمٍ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن وراء هؤلاء المستهزئين بآيات الله، يعني من بين أيديهم. وقد بيَّنا العلة التي من أجلها قيل لما أمامك، هو وَرَاءك، فيما مضى بما أغنى عن إعادته يقول: من بين أيديهم نار جهنم هم واردوها، ولا يغنيهم ما كسبوا شيئاً: يقول: ولا يغني عنهم من عذاب جهنم إذا هم عُذّبوا به ما كسبوا في الدنيا من مال وولد شيئاً.

وقوله: ﴿وَلا ما اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أوْلِياءَ﴾ يقول: ولا آلهتهم التي عبدوها من دون الله، ورؤساؤهم، وهم الذين أطاعوهم في الكفر بالله، واتخذوهم نُصراء في الدنيا، تغني عنهم

(١) لعله: وقد جرى الكلام قبل ذلك على الإفراد، ردا الخ....

يومئذٍ من عذاب جهنم شيئاً ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: ولهم من الله يومئذٍ عذاب في جهنم عظيم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ (١١)﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا القرآن الذي أنزلناه على محمد هدى: يقول: بيان ودليل على الحقّ، يهدي إلى صراط مستقيم، من اتبعه وعمل بما فيه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ رَبهِمْ﴾ يقول: والذين جحدوا ما في القرآن من الآيات الدالات على الحقّ، ولم يصدّقوا بها، ويعملوا بها، لهم عذاب أليم يوم القيامة موجع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: الله أيها القوم، الذي لا تنبغي الألوهة إلاّ له، الذي أنعم عليكم هذه النعم، التي بيَّنها لكم في هذه الآيات، وهو أنه ﴿سَخَّرَ لَكُم الْبَحْر لِتَجْرِيَ﴾ السفن ﴿فيه بأمره﴾ لمعايشكم وتصرّفكم في البلاد لطلب فضله فيها، ولتشكروا ربكم على تسخيره ذلك لكم فتعبدوه وتطيعوه فيما يأمركم به، وينهاكم عنه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣)﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ ما في السَّمَوَاتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم ﴿وَما فِي الأرْضِ﴾ من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم ﴿جَمِيعاً منه﴾. يقول تعالى ذكره: جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم، نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم، وفضل منه تفضّل به عليكم، فإياه فاحمدوا لا غيره، لأنه لم يشركه في إنعام هذه النعم عليكم شريك، بل تفرّد بإنعامها عليكم وجميعها منه، ومن نعمه فلا تجعلوا له في شكركم له شريكاً بل أفردوه بالشكر والعبادة، وأخلصوا له الألوهة، فإنه لا إله لكم سواه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ ما في السَّمَوَاتِ وَما فِي الأرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ**﴾ يقول: كل شيء هو من الله، وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه، فذلك جميعاً منه، ولا ينازعه فيه المنازعون، واستيقن أنه كذلك.

وقوله: ﴿**إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: إن في تسخير الله لكم ما أنبأكم أيها الناس أنه سخره لكم في هاتين الآيتين ﴿**لآياتٍ**﴾ يقول: لعلامات ودلالات على أنه لا إله لكم غيره، الذي أنعم عليكم هذه النعم، وسخر لكم هذه الأشياء التي لا يقدر على تسخيرها غيره لقوم يتفكرون في آيات الله وحججه وأدلته، فيعتبرون بها ويتعظون إذا تدبروها، وفكَّروا فيها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للذين صدّقوا الله واتبعوك، يغفروا للذين لا يخافون بأس الله ووقائعه ونقمه إذا هم نالوهم بالأذى والمكروه ﴿**لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ يقول: ليجزي الله هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين في الآخرة، فيصيبهم عذابه بما كانوا في الدنيا يكسبون من الإثم، ثم بأذاهم أهل الإيمان بالله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كانُوا يَكْسِبونَ**﴾ قال: كان نبيّ الله ﷺ يعرض عن المشركين إذا آذوه، وكانوا يستهزئون به، ويكذّبونه، فأمره الله عزّ وجلّ أن يقاتل المشركين كافّة، فكان هذا من المنسوخ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أيّامَ اللَّهِ**﴾ قال: لا يُبالون نِعم الله، أو نِقم الله.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**لا يَرْجُونَ أيَّامَ اللَّهِ**﴾ قال: لا يُبالون نِعم الله، وهذه الآية منسوخة بأمر الله بقتال المشركين. وإنما قُلنا: هي منسوخة لإجماع أهل التأويل على أن ذلك كذلك.

ذكر من قال ذلك: قد ذكرنا الرواية في ذلك عن ابن عباس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾** قال: نسختها ما في الأنفال **﴿فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾** وفي براءة **﴿قاتِلُوا المُشْرِكِينَ كافَّةً كَمَا يُقاتِلُونَكُمْ كافَّةً﴾** أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾** قال: نسختها فـ**﴿اقْتُلُوا المُشْرِكِينَ﴾**.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾** قال: هذا منسوخ، أمر الله بقتالهم في سورة براءة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنبسة عمن ذكره عن أبي صالح **﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾** قال: نسختها التي في الحجّ **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾**.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾** قال: هؤلاء المشركون، قال: وقد نسخ هذا وفرض جهادهم والغلظة عليهم.

وجزم قوله: **﴿يَغْفِرُوا﴾** تشبيهاً له بالجزاء والشرط وليس به، ولكن لظهوره في الكلام على مثاله، فعرّب تعريبه، وقد مضى البيان عنه قبل.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿لِيَجْزِيَ قَوْماً﴾** فقرأه بعض قرّاء المدينة والبصرة والكوفة: **﴿لِيَجْزِيَ﴾** بالياء على وجه الخبر عن الله أنه يجزيهم ويثيبهم وقرأ ذلك بعض عامة قرّاء الكوفيين «لِنَجْزِيَ» بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه. وذُكر عن أبي جعفر القارىء أنه كان يقرأه «لِيُجْزَى قَوْماً» على مذهب ما لم يسمّ فاعله، وهو على مذهب كلام العرب لحن[(١)]، إلاَّ أن يكون أراد: ليجزى الجزاء قوماً، بإضمار الجزاء، وجعله مرفوعاً «لِيُجْزَى» فيكون وجهاً من القراءة، وإن كان بعيداً[(٢)].

(١) ليس كلام العرب حجة على القراءة ولكن القراءة حجة على كلامهم.

(٢) يجوز أن يكون الفاعل نائب الفاعل هو قوله تعالى («بما» كانوا يكسبون»).

والصواب من القول في ذلك عندنا أن قراءته بالياء والنون على ما ذكرت من قراءة الأمصار جائزة بأيّ تينك القراءتين قرأ القارىء. فأما قراءته على ما ذكرت عن أبي جعفر، فغير[1] جائزة عندي لمعنيين: أحدهما: أنه خلاف لما عليه الحجة من القرّاء، وغير جائز عندي خلاف ما جاءت به مستفيضاً فيهم. والثاني بعدها من الصحة في العربية إلاَّ على استكراه الكلام على غير المعروف من وجهه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: من عمل من عباد الله بطاعته فانتهى إلى أمره، وانزجر لنهيه، فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل، وطلب خلاصها من عذاب الله، أطاع ربه لا لغير ذلك، لأنه لا ينفع ذلك غيره، والله عن عمل كل عامل غنيّ ﴿وَمَنْ أساءَ فَعَلَيْها﴾ يقول: ومن أساء عمله في الدنيا بمعصيته فيها ربه، وخلافه فيها أمره ونهيه، فعلى نفسه جنى، لأنه أوبقها بذلك، وأكسبها به سخطه، ولم يضرّ أحداً سوى نفسه ﴿ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ يقول: ثم أنتم أيها الناس أجمعون إلى ربكم تصيرون من بعد مماتكم، فيجازي المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته، فمن ورد عليه منكم بعمل صالح، جوزي من الثواب صالحاً، ومن ورد عليه منكم بعمل سيء جوزي من الثواب سيئاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ آتَينا﴾ يا محمد ﴿بَنِي إسْرائِيلَ الكِتابَ﴾ يعني التوراة والإنجيل، ﴿والحُكْمَ﴾ يعني الفهم بالكتاب، والعلم بالسنن التي لم تنزل في الكتاب، ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ يقول: وجعلنا منهم أنبياء ورسُلاً إلى الخلق، ﴿وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ﴾ يقول: وأطعمناهم من طيبات أرزاقنا، وذلك ما أطعمهم من المنّ والسلوى ﴿وَفَضَّلْناهُمْ على العالَمِينَ﴾ يقول: وفضلناهم على عالمي أهل زمانهم في أيام فرعون وعهده في ناحيتهم بمصر والشأم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ

---

(١) قوله فغير جائزة، هذا خطأ لأن القراءة عشرية صحيحة متواترة في قوة السبعة.

رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧)﴾.

يقول تعالى ذكره: وأعطينا بني إسرائيل واضحات من أمرنا بتنزيلنا إليهم التوراة فيها تفصيل كل شيء ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ طلباً للرياسات، وتركاً منهم لبيان الله تبارك وتعالى في تنزيله.

وقوله: ﴿إنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فِيما كانُوا فيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن ربك يا محمد يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل بغياً بينهم يوم القيامة، فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون بعد العلم الذي آتاهم، والبيان الذي جاءهم منه، فيفلج المحقّ حينئذٍ على المبطل بفصل الحكم بينهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ثم جعلناك يا محمد من بعد الذي آتينا بني إسرائيل، الذين وصفت لك صفتهم ﴿عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الأمْرِ﴾ يقول: على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا ﴿فاتَّبِعْها﴾ يقول: فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك ﴿وَلا تَتَّبِعْ أهْوَاءَ الذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحقّ من الباطل، فتعمل به، فتهلك إن عملت به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿ثُمَّ جَعَلْناكَ على شَرِيعَةٍ مِنَ الأمْرِ فاتَّبِعْها﴾ قال: يقول على هدىً من الأمر وبيِّنة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْناكَ على شَرِيعَةٍ مِنَ الأمْرِ فاتَّبِعْها﴾ والشريعة: الفرائض والحدود والأمر والنهي ﴿فاتبعها وَلا تَتَّبِعْ أهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْناكَ على شَرِيعَةٍ مِنَ الأمْرِ﴾ قال: الشريعة: الدين. وقرأ ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أوْحَينا إلَيْكَ﴾ قال: فنوح أوّلهم وأنت آخرهم.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء الجاهلين بربهم، الذين يدعونك يا محمد إلى اتباع أهوائهم، لن يغنوا عنك إن أنت اتبعت أهواءهم، وخالفت شريعة ربك التي شرعها لك من عقاب الله شيئاً، فيدفعوه عنك إن هو عاقبك، وينقذوك منه.

وقوله: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾ يقول: وإن الظالمين بعضهم أنصار بعض، وأعوانهم على الإيمان بالله وأهل طاعته ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: والله يَلِي من اتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه بكفايته، ودفاع من أراده بسوء، يقول جلّ ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام فكن من المتقين، يكفك الله ما بغاك وكادك به هؤلاء المشركون، فإنه وليّ من اتقاه، ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره وإن كثر عددهم، لأنهم لن يضرّوك ما كان الله وليك وناصرك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾

يقول تعالى ذكره ﴿هَذَا﴾ الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد ﴿بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ يُبْصِرون به الحقّ من الباطل، ويعرفون به سبيل الرشاد، والبصائر: جمع بصيرة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن زيد يقول.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ﴾ قال: القرآن. قال: هذا كله إنما هو في القلب. قال: والسمع والبصر في القلب. وقرأ ﴿فإِنَّها لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ وليس ببصر الدنيا ولا بسمعها.

وقوله: ﴿وَهُدىً﴾ يقول: ورشاد ﴿وَرَحْمَة لِقَوْمِ يُوقِنُونَ﴾ بحقيقة صحة هذا القرآن، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم. وخصّ جلّ ثناؤه الموقنين بأنه لهم بصائر وهدى ورحمة، لأنهم الذين انتفعوا به دون من كذب به من أهل الكفر، فكان عليه عمىً وله حزناً.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: أم ظنّ الذين اجترحوا السيئات من الأعمال في الدنيا، وكذّبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم في الآخرة، كالذين آمنوا بالله وصدّقوا رسله وعملوا الصالحات، فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة، كلا ما كان الله ليفعل ذلك، لقد ميز بين الفريقين، فجعل حزب

الإيمان في الجنة، وحزب الكفر في السعير. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ**...﴾ الآية، لعمري لقد تفرّق القوم في الدنيا، وتفرّقوا عند الموت، فتباينوا في المصير.

وقوله: ﴿**سَوَاءً مَحْياهُم وَمَماتُهُمْ**﴾ اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**سَوَاءٌ**﴾، فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة «سَوَاءٌ» بالرفع، على أن الخبر متناهٍ عندهم عند قوله: ﴿**كالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ وجعلوا خبر قوله: ﴿**أنْ نَجْعَلَهُمْ**﴾ قوله: ﴿**كالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ**﴾، ثم ابتدأوا الخبر عن استواء حال محيا المؤمن ومماته، ومحيا الكافر ومماته، فرفعوا قوله: «سَوَاءٌ» على وجه الابتداء بهذا المعنى، وإلى هذا المعنى وجه تأويل ذلك جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: «سَوَاءٌ مَحْياهُمْ وَمَماتُهُمْ» قال: المؤمن في الدنيا والآخرة مؤمن، والكافر في الدنيا والآخرة كافر.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا حسين، عن شيبان، عن ليث، في قوله: «سَوَاءٌ مَحْياهُمْ وَمماتُهُمْ» قال: بعث المؤمن مؤمناً حياً وميتاً، والكافر كافراً حياً وميتاً.

وقد يحتمل الكلام إذا قُرِىء سواء رفعاً وجهاً آخر غير هذا المعنى الذي ذكرناه عن مجاهد وليث، وهو أن يوجه إلى: أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم والمؤمنين سواء في الحياة والموت، بمعنى: أنهم لا يستوون، ثم يرفع سواء على هذا المعنى، إذ كان لا ينصرف، كما يقال: مررت برجل خير منك أبوه، وحسبك أخوه، فرفع حسبك، وخير إذ كانا في مذهب الأسماء، ولو وقع موقعهما فعل في لفظ اسم لم يكن إلا نصباً، فكذلك قوله: «سواءٌ». وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة ﴿**سَوَاءً**﴾ نصباً، بمعنى: أحسبوا أن نجعلهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان في قرأة الأمصار قد قرأ بكلّ واحدة منهما أهل العلم بالقرآن صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: ﴿**سَوَاء**﴾ ورفعه، فقال بعض نحويّي البصرة «سَوَاءٌ مَحْياهُمْ وَمَماتُهُمْ» رفع. وقال بعضهم: إن المحيا والممات للكفار كله، قال: ﴿**أمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أنْ نَجْعَلَهُمْ كالَّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحاتِ**﴾ ثم قال: سواء محيا الكفار ومماتهم: أي محياهم محيا سَوَاء، ومماتهم ممات سَوَاء، فرفع السواء على الابتداء. قال: ومن

فسّر المحيا والممات للكفار والمؤمنين، فقد يجوز في هذا المعنى نصب السواء ورفعه، لأن من جعل السواء مستوياً، فينبغي له في القياس أن يُجريه على ما قبله، لأنه صفة، ومن جعله الاستواء، فينبغي له أن يرفعه لأنه اسم، إلا أن ينصب المحيا والممات على البدل، وينصب السواء على الاستواء، وإن شاء رفع السواء إذا كان في معنى مستوٍ، كما تقول: مررت برجل خير منك أبوه، لأنه صفة لا يصرف والرفع أجود. وقال بعض نحويّي الكوفة قوله: ﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ﴾ بنصب سواء وبرفعه، والمحيا والممات في موضع رفع بمنزلة، قوله: رأيت القوم سواءً صغارهم وكبارهم بنصب سواء لأنه يجعله فعلاً لما عاد على الناس من ذكرهم، قال: وربما جعلت العرب سواء في مذهب اسم بمنزلة حسبك، فيقولون: رأيت قومك سواء صغارهم وكبارهم. فيكون كقولك: مررت برجل حسبك أبوه، قال: ولو جعلت مكان سواء مستوٍ لم يرفع، ولكن نجعله متبعاً لما قبله، مخالفاً لسواء، لأن مستوٍ من صفة القوم، ولأن سواء كالمصدر، والمصدر اسم. قال: ولو نصبت المحيا والممات كان وجهاً، يريد أن نجعلهم سواء في محياهم ومماتهم.

وقال آخرون منهم: المعنى: أنه لا يساوي من اجترح السيئات المؤمن في الحياة، ولا الممات، على أنه وقع موقع الخبر، فكان خبراً لجعلنا، قال: والنصب للأخبار كما تقول: جعلت إخوتك سواءً، صغيرهم وكبيرهم، ويجوز أن يرفع، لأن سواء لا ينصرف. وقال: من قال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فجعل كالذين الخبر استأنف بسواء ورفع ما بعدها، وإن نصب المحيا والممات نصب سواء لا غير، وقد تقدّم بياننا الصواب من القول في ذلك.

وقوله: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: بئس الحكم الذي حسبوا أنا نجعل الذين اجترحوا السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات، سواء محياهم ومماتهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ والأرْضَ بالحَقِّ﴾ للعدل والحق، لا لما حَسِب هؤلاء الجاهلون بالله، من أنه يجعل من اجترح السيئات، فعصاه وخالف أمره، كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، في المحيا والممات، إذ كان ذلك من فعل غير أهل العدل والإنصاف، يقول جلّ ثناؤه: فلم يخلق الله السموات والأرض للظلم والجور، ولكنا خلقناهما للحق والعدل. ومن الحقّ أن نخالف بين حكم المسيء والمحسن، في العاجل والآجل.

وقوله: ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يقول تعالى ذكره: وليثيب الله كلّ عامل بما عمل

من عمل خلق السموات والأرض، المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله، لا لنبخس المحسن ثواب إحسانه، ونحمل عليه جرم غيره، فنعاقبه، أو نجعل للمسيء ثواب إحسان غيره فنكرمه، ولكن لنجزي كلاً بما كسبت يداه، وهم لا يُظلمون جزاء أعمالهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿**أفرأيْتَ مَنِ اتَّخذَ إلَهَهُ هَوَاهُ**﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: أفرأيت من اتخذ دينه بهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه، لأنه لا يؤمن بالله، ولا يحرِّم ما حَرّمَ، ولا يحلل ما حَلَّلَ، إنما دينه ما هويته نفسه يعمل به.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**أفرأيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلَهَهُ هَوَاهُ**﴾ قال: ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدىً من الله ولا برهان.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**أفرأيْتَ مَنِ اتَّخذَ إلَهَهُ هَوَاهُ**﴾ قال: لا يهوي شيئاً إلا ركبه لا يخاف الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أفرأيت من اتخذ معبوده ما هويت عبادته نفسه من شيء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: كانت قريش تعبد العُزّى، وهو حجر أبيض، حيناً من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأوّل وعبدوا الآخر، فأنزل الله ﴿**أفَرَأيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلَهَهُ هَوَاهُ**﴾.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هوي من شيء دون إله الحقّ الذي له الألوهة من كلّ شيء، لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره.

وقوله: ﴿**وأضَلَّهُ اللّهُ على عِلْم**﴾ يقول تعالى ذكره: وخذله عن محجة الطريق، وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي، ولو جاءته كل آية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿**وأضَلَّهُ اللّهُ على عِلْمٍ**﴾ يقول: أضله الله في سابق علمه.

وقوله: ﴿**وَخَتَمَ على سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ**﴾ يقول تعالى ذكره: وطَبَعَ على سمعه أن يسمع مواعظ الله وآي كتابه، فيعتبر بها ويتدبرها، ويتفكر فيها، فيعقل ما فيها من النور والبيان والهُدى.

وقوله: ﴿**وَقَلْبِهِ**﴾ يقول: وطبع أيضاً على قلبه، فلا يعقل به شيئاً، ولا يعي به حقاً.

وقوله: ﴿**وَجَعَلَ على بَصَرِهِ غِشاوَةً**﴾ يقول: وجعل على بصره غشاوة أن يبصر به حجج الله، فيستدلّ بها على وحدانيته، ويعلم بها أن لا إله غيره.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**وَجَعَلَ على بَصَرِهِ غِشاوَةً**﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة ﴿**غِشاوَةً**﴾ بكسر الغين وإثبات الألف فيها على أنها اسم، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة «غَشْوَةً» بمعنى: أنه غشاه شيئاً في دفعة واحدة، ومرّة واحدة، بفتح الغين بغير ألف، وهما عندي قراءتان صحيحتان فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: ﴿**فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللّهِ**﴾ يقول تعالى ذكره: فمن يوفّقه لإصابة الحقّ، وإبصار محجة الرشد بعد إضلال الله إياه ﴿**أفَلا تَذَكَّرُونَ**﴾ أيها الناس، فتعلموا أن من فعل الله به ما وصفنا، فلن يهتدي أبداً، ولن يجد لنفسه ولياً مرشداً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون الذين تقدّم خبره عنهم: ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها لا حياة سواها تكذيباً منهم بالبعث بعد الممات. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَقالُوا ما هِيَ إلاَّ حَياتُنا الدُّنْيا**﴾: أي لعمري هذا قول مشركي العرب.

وقوله: ﴿**نَمُوتُ وَنحيا**﴾ نموت نحن وتحيا أبناؤنا بعدنا، فجعلوا حياة أبنائهم بعدهم حياة لهم، لأنهم منهم وبعضهم، فكأنهم بحياتهم أحياء، وذلك نظير قول الناس: ما مات من خلف ابناً مثل فلان، لأنه بحياة ذكره به، كأنه حيّ غير ميت، وقد يحتمل وجهاً آخر، وهو أن يكون معناه: نحيا ونموت على وجه تقديم الحياة قبل الممات، كما يقال: قمت وقعدت، بمعنى: قعدت

وقمت والعرب تفعل ذلك في الواو خاصة إذا أرادوا الخبر عن شيئين أنهما كانا أو يكونان، ولم تقصد الخبر عن كون أحدهما قبل الآخر، تقدم المتأخر حدوثاً على المتقدم حدوثه منهما أحياناً، فهذا من ذلك، لأنه لم يقصد فيه إلى الخبر عن كون الحياة قبل الممات، فقدّم ذكر الممات قبل ذكر الحياة، إذ كان القصد إلى الخبر عن أنهم يكونون مرّة أحياءً وأخرى أمواتاً.

وقوله: **﴿وَما يُهْلِكُنا إلاَّ الدَّهْرُ﴾** يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا: وما يهلكنا فيفنينا إلا مرّ الليالي والأيام وطول العمر، إنكاراً منهم أن يكون لهم ربّ يفنيهم ويهلكهم.

وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله «وَما يُهْلِكُنا إلاَّ دَهْرٌ يَمُرُّ». وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَما يُهْلِكُنا إلاَّ الدَّهْرُ﴾** قال: الزمان.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿وَما يُهْلِكُنا إلاَّ الدَّهْرُ﴾** قال ذلك مشركو قريش **﴿ما يُهْلِكُنا إلاَّ الدَّهْرُ﴾**: إلا العمر.

وذُكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الشرك كانوا يقولون: الذي يهلكنا ويفنينا الدهر والزمان، ثم يسبون ما يفنيهم ويهلكهم، وهم يرون أنهم يسبون بذلك الدهر والزمان، فقال الله عزّ وجلّ لهم: أنا الذي أفنيكم وأهلككم، لا الدهر والزمان، ولا علم لكم بذلك. ذكر الرواية بذلك عمن قاله:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن عيينة، عن الزهريّ، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «كانَ أهْلُ الجاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ»: إنَّما يُهْلِكُنا اللَّيْلُ وَالنَّهارُ، وَهُوَ الَّذِي يُهْلِكُنا ويُمِيتُنا ويُحْيِينا، فقال الله في كتابه: **﴿وَقالُوا ما هِيَ إلاَّ حَياتُنا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَما يُهْلِكُنا إلاَّ الدَّهْرُ﴾** قال: «فَيَسَبُّونَ الدَّهْرَ»، فَقالَ اللّهُ تَبارَكَ وَتَعالى: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وأنا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأمْرُ، أُقَلِّبُ اللّيْلَ والنَّهارَ».

حدثنا عمران بن بكار الكُلاعي، قال: ثنا أبو روح، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن الزهريّ، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ، نحوه.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، قال قال أبو هريرة، سمعت رسول الله ﷺ قال: «قالَ اللّهُ تَعالى: يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ، وأنا الدَّهْرُ، بِيَدِي اللَّيْلُ والنَّهارُ».

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة أن النبيّ ﷺ قال: «يَقُولُ اللّهُ اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُعْطِني، وَسَبَّنِي عَبْدِي يَقُولُ: وَادَهْراهُ، وأنا الدَّهْرُ».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن الزهريّ، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ: «إنَّ اللّهَ قالَ: لا يَقُولَنَّ أحَدُكُمْ: يا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فإنّي أنا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنهارَهُ، وَإذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُما».

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن هشام، عن أبي هريرة قال: «لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فإنَّ اللّهَ هُوَ الدَّهْرُ».

﴿وَما لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْم إنْ هُمْ إلاَّ يَظُنُّونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء المشركين القائلين: ما هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر، بما يقولون من ذلك من علم: يعني من يقين علم، لأنهم يقولون ذلك تخرّصاً بغير خبر أتاهم من الله، ولا برهان عندهم بحقيقته **﴿إنْ هُمْ إلاَّ يَظُنُّونَ﴾** يقول جلّ ثناؤه: ما هم إلا في ظنّ من ذلك، وشكّ يخبر عنهم أنهم في حيرة من اعتقادهم حقيقة ما ينطقون من ذلك بألسنتهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا تُتلى على هؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث آياتنا، بأن الله باعث خلقه من بعد مماتهم، فجامعهم يوم القيامة عنده للثواب والعقاب **﴿بَيِّناتٍ﴾** يعني: واضحات جليات، تنفي الشكّ عن قلب أهل التصديق بالله في ذلك **﴿ما كانَ حُجَّتَهُمْ إلاَّ أنْ قالُوا ائْتُوا بآبائِنا إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**.

يقول جلّ ثناؤه: لم يكن لهم حجة على رسولنا الذي يتلو ذلك عليهم إلا قولهم له: ائتنا بآبائنا الذين قد هلكوا أحياء، وانشرهم لنا إن كنت صادقاً فيما تتلو علينا وتخبرنا، حتى نصدّق بحقيقة ما تقول بأن الله باعثنا من بعد مماتنا، ومحيينا من بعد فنائنا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث، القائلين لك ائتنا بآبائنا إن كنت صادقاً: الله أيها المشركون يحييكم ما شاء أن يحييكم في الدنيا، ثم يميتكم فيها إذا شاء، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة، يعني أنه يجمعكم جميعاً أوّلكم وآخركم، وصغيركم وكبيركم **﴿إلى يوم القيامة﴾** يقول: ليوم القيامة، يعني أنه يجمعكم جميعاً أحياء ليوم القيامة **﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾** يقول: لا شكّ فيه، يقول: فلا تشكوا في ذلك، فإن الأمر كما وصفت لكم **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** يقول: ولكن أكثر الناس الذين هم أهل تكذيب بالبعث، لا يعلمون حقيقة ذلك، وأن الله محييهم من بعد مماتهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولله سلطان السموات السبع والأرض، دون ما تدعونه له شريكاً، وتعبدونه من دونه، والذي تدعونه من دونه من الآلهة والأنداد في مُلكه وسلطانه، جارٍ عليه حكمه، فكيف يكون ما كان كذلك له شريكاً، أم كيف تعبدونه، وتتركون عبادة مالككم، ومالك ما تعبدونه من دونه **﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾** يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي يُنْشِر الله فيها الموتى من قبورهم، ويجمعهم لموقف العرض، **﴿يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾**: يقول: يغبن فيها الذين أبطلوا في الدنيا في أقوالهم ودعواهم لله شريكاً، وعبادتهم آلهة دونه بأن يفوز بمنازله من الجنة المحقون، ويبدّلوا بها منازل من النار كانت للمحقين، فجعلت لهم بمنازلهم من الجنة، ذلك هو الخسران المبين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وترى يا محمد يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جاثية: يقول: مجتمعة مستوفزة على ركبها من هول ذلك اليوم. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: **﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ**

جاثِيَةً﴾ قال على الركب مستوفِزين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً﴾** قال: هذا يوم القيامة جاثية على ركبهم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: **﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً﴾** يقول: على الركب عند الحساب.

وقوله: **﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إلى كِتابِها﴾** يقول: كل أهل ملة ودين تُدعى إلى كتابها الذي أملت على حفظتها. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إلى كِتابِها﴾** يعلمون أنه ستدعى أُمة قبل أُمة، وقوم قبل قوم، ورجل قبل رجل. ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «يُمَثَّلُ لِكُلِّ أُمَّةٍ يَوْمَ القِيامَةِ ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ حَجَرٍ، أوْ وَثَنٍ أوْ خَشَبَةٍ، أوْ دابَّةٍ، ثُمَّ يُقالُ: مَنْ كانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتْبَعْهُ، فَتَكُونُ، أوْ تُجْعَلُ تِلْكَ الأوْثانُ قادَةً إلى النَّارِ حتى تَقْذِفَهُمْ فِيها، فَتَبْقَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلى اللّهُ عَليهِ وَسلَّمَ وأهْلُ الكِتاب، فَيَقُولُ لِلْيَهُودِ: ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ اللّهَ وَعُزَيْراً إلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ، فَيُقالُ لَهَا: أمَّا عُزَيْرٌ فَلَيْسَ مِنْكُمْ وَلَسْتُمْ مِنْهُ، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمالِ، فَيَنْطَلِقُونَ وَلا يَسْتَطِيعُونَ مُكُوثاً، ثُمَّ يُدْعَى بالنَّصارَى، فَيُقالُ لَهُمْ: ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ اللّهَ وَالمَسِيحَ إلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَيُقالُ: أمَّا عِيسَى فلَيسَ مِنْكُمْ وَلَسْتُمْ مِنْهُ، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشمالِ، فَيَنْطَلِقُونَ وَلا يَسْتَطِيعُونَ مُكُوثاً، وَتَبْقَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ، فَيُقالُ لَهُمْ: ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ اللّهَ وَحْدَهُ، وإنَّما فارَقْنا هَؤُلاءِ فِي الدُّنْيا مَخافَةَ يَوْمِنا هَذَا، فَيُؤْذَنُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي السُّجُودِ، فَيَسْجُدُ المُؤْمِنُونَ، وَبينَ كُلِّ مُؤْمِنٍ مُنافِقٌ، فَيَقْسُو ظَهْرُ المُنافِقِ عَنِ السُّجُودِ، وَيجْعَلُ اللّهُ سُجودَ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ تَوْبِيخاً وَصَغاراً وَحَسْرَةً وَنَدامَةً».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن الزهريّ، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة، قال: «قالَ الناسُ: يا رسُولَ اللّهِ هَلْ نَرَى ربَّنا يومَ القِيامَةِ؟ قال: «هَلْ تُضامُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَها سَحابٌ﴾، قالُوا: لاَ يَا رسُولَ اللّهِ، قال: «هَلْ تُضارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحابٌ؟» قالوا: لا يا رسُول الله، قالَ: فإنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كَذَلكَ. يَجْمَعُ اللّهُ النَّاسَ فَيَقُولُ: مَنْ كانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ، وَمَنْ كانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَع مَنْ كانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيها مُنافِقُوها، فَيأْتِيهِمْ رَبُّهُمْ فِي صورَةٍ، وَيُضْرَبُ جِسْرٌ على جَهَنَّمَ قال النبيّ ﷺ: «فأكُونُ أوَّلَ مَنْ يُجِيزَ، وَدَعْوَةُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَبِها كَلالِيبُ كَشَوْكِ السَّعْدانِ هَلْ رأيْتُمْ شَوْكَ

السَّعْدانِ؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال: فإنَّها مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدانِ غَيرَ أنَّهُ لا يَعْلَمُ أحَدٌ قَدْرَ عِظَمِها إلاَّ اللّهُ ويُخْطَفُ النَّاسُ بأعمالِهِمْ، فَمِنْهُمْ المُوبَقُ بعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو، ثُمَّ ذَكَرَ الحدِيثَ بِطُولِه».

وقوله: ﴿اليَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: كلّ أُمة تُدعى إلى كتابها، يقال لها: اليوم تجزون: أي تثابون وتعطون أجور ما كنتم في الدنيا من جزاء الأعمال تعملون بالإحسان الإحسانَ، وبالإساءة جزاءها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ (٣٠)﴾.

يقول تعالى ذكره: لكلّ أمة دعيت في القيامة إلى كتابها الذي أملت على حفظتها في الدنيا ﴿اليَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنتُمْ تعْمَلُونَ﴾ فلا تجزعوا من ثوابناكم على ذلك، فإنكم ينطق عليكم إن أنكرتموه بالحقّ فاقرأوه ﴿إنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تعْمَلُونَ﴾ يقول: إنا كنا نستكتب حفظتنا أعمالكم، فتثبتها في الكتب وتكتبها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا طلق بن غنام، عن زائدة، عن عطاء بن مقسم، عن ابن عباس ﴿هَذا كِتابُنا يَنطِقُ عَلَيكُمْ بالحَقّ﴾ قال: هو أمّ الكتاب فيه أعمال بني آدم ﴿إنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ ما كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال: نعم، الملائكة يستنسخون أعمال بني آدم.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا يعقوب القمي، قال: ثني أخي عيسى بن عبد الله بن ثابت الثُّمالي، عن ابن عباس، قال: «إن الله خلق النون وهي الدواة، وخلق القلم، فقال: اكتب، قال: ما أكتب، قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول، برّ أو فجور، أو رزق مقسوم، حلال أو حرام، ثم ألزم كلّ شيء من ذلك شأنه دخوله في الدنيا، ومقامه فيها كم، وخروجه منه كيف، ثم جعل على العباد حفظة، وعلى الكتاب خزاناً، فالحفظة ينسخون كلّ يوم من الخزان عمل ذلك اليوم، فإذا فني الرزق وانقطع الأثر، وانقضى الأجل، أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم، فتقول لهم الخزنة: ما نجد لصاحبكم عندنا شيئاً، فترجع الحفظة، فيجدونهم قد ماتوا، قال: فقال ابن عباس: ألستم قوماً عرباً تسمعون الحفظة يقولون: ﴿إنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهل يكون الاستنساخ إلاَّ من أصل؟»

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس ﴿هَذَا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بالحَقّ﴾ قال: الكتاب: الذكر ﴿إنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال: نستنسخ الأعمال.

وقال آخرون في ذلك ما:

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا النضر بن إسماعيل، عن أبي سنان الشيبانيّ، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي عبد الرحمن السلميّ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إن لله ملائكة ينزلون في كل يوم بشيء يكتبون فيه أعمال بني آدم.

وقوله: ﴿فأمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُدْخِلُهُم رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: فأما الذين آمنوا بالله في الدنيا فوحدوه، ولم يشركوا به شيئاً، وعملوا الصالحات: يقول: وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم الله عنه ﴿فَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ يعني في جنته برحمته.

وقوله: ﴿ذلكَ هُوَ الفَوْزُ المُبِينُ﴾ يقول: دخولهم في رحمة الله يومئذٍ هو الظفر بما كانوا يطلبونه، وإدراك ما كانوا يسعون في الدنيا له، المبين غايتهم فيها، أنه هو الفوز.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأما الذين جحدوا وحدانية الله، وأبوا إفراده في الدنيا بالألوهة، فيقال لهم: ألم تكن آياتي في الدنيا تُتلى عليكم.

فإن قال قائل: أو ليست أمَّا تجاب بالفاء، فأين هي؟ فإن الجواب أن يقال: هي الفاء التي في قوله ﴿أفَلَمْ﴾. وإنما وجه الكلام في العربية لو نطق به على بيانه، وأصله أن يقال: وأما الذين كفروا، فألم تكن آياتي تتلى عليكم، لأن معنى الكلام: وأما الذين كفروا فيقال لهم ألم، فموضع الفاء في ابتداء المحذوف الذي هو مطلوب في الكلام، فلما حُذفت يقال: وجاءت ألف استفهام، حكمها أن تكون مبتدأة بها، ابتديء بها، وجعلت الفاء بعدها، وقد تُسقط العرب الفاء التي هي جواب «أما» في مثل هذا الموضع أحياناً إذا أسقطوا الفعل الذي هو في محل جواب أمَّا كما قال جلّ ثناؤه ﴿فأمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أكَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمانِكُمْ﴾ فحذفت الفاء، إذ كان الفعل الذي هو في جواب أمَّا محذوفاً، وهو فيقال، وذلك أن معنى الكلام: فأما الذين اسودّت وجوههم فيقال لهم: أكفرتم، فلما أسقطت، يقال الذي به تتصل الفاء سقطت الفاء التي هي جواب أمَّا.

وقوله: ﴿فاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ يقول: فاستكبرتم عن استماعها والإيمان بها ﴿وكُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾ يقول: وكنتم قوماً تكسبون الآثام والكفر بالله، لا تصدّقون بمعاد، ولا تؤمنون بثواب ولا عقاب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويقال لهم حينئذٍ: **﴿وَإِذَا قِيلَ﴾** لكم **﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾** الذي وعد عباده، أنه محييهم من بعد مماتهم، وباعثهم من قبورهم **﴿حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ﴾** التي أخبرهم أنه يقيمها لحشرهم، وجمعهم للحساب والثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية، آتية **﴿لا رَيْبَ فِيها﴾** يقول: لا شكّ فيها، يعني في الساعة، والهاء في قوله: **﴿فِيها﴾** من ذكر الساعة. ومعنى الكلام: والساعة لا ريب في قيامها، فاتقوا الله وآمنوا بالله ورسوله، واعملوا لما ينجيكم من عقاب الله فيها **﴿قُلْتُم ما نَدْرِي ما السَّاعَةُ﴾** تكذيباً منكم بوعد الله جلّ ثناؤه، وردّاً لخبره، وإنكاراً لقُدرته على إحيائكم من بعد مماتكم.

وقوله: **﴿إنْ نَظُنُّ إلاَّ ظَناً﴾** يقول: وقلتم ما نظنّ أن الساعة آتية إلاَّ ظناً **﴿وَما نحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾** أنها جائية، ولا أنها كائنة.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿والسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيها﴾** فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة و **﴿السَّاعَةُ﴾** رفعاً على الابتداء. وقرأته عامة قرّاء الكوفة «والسَّاعَةَ» نصباً عطفاً بها على قوله: **﴿إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾**.

والصواب من القول في ذلك عندنا، أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار صحيحتا المخرج في العربية متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وبدا لهؤلاء الذين كانوا في الدنيا يكفرون بآيات الله سيئات ما عملوا في الدنيا من الأعمال، يقول: ظهر لهم هنالك قبائحها وشرارها لما قرأوا كتب أعمالهم التي كانت الحفظة تنسخها في الدنيا **﴿وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾** يقول: وحاق بهم من عذاب الله حينئذٍ ما كانوا به يستهزئون إذ قيل لهم: إن الله مُحِلُّه بمن كذَّب به على سيئات ما في الدنيا عملوا من الأعمال.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقيل لهؤلاء الكفرة الذين وصف صفتهم: اليوم نترككم في عذاب جهنم، كما تركتم العمل للقاء ربكم يومكم هذا. كما:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ**﴾ نترككم. وقوله: ﴿**وَمأْوَاكُمُ النَّارُ**﴾ يقول: ومأواكم التي تأوون إليها نار جهنم، ﴿**وَما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ**﴾ يقول: وما لكم من مستنقذ ينقذكم اليوم من عذاب الله، ولا منتصر ينتصر لكم ممن يعذّبكم، فيستنقذ لكم منه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يقال لهم: هذا الذي حلّ بكم من عذاب الله اليوم ﴿**بِأَنَّكُم**﴾ في الدنيا ﴿**اتَّخَذْتُمْ آياتِ اللَّهِ هُزُواً**﴾، وهي حججه وأدلته وآي كتابه التي أنزلها على رسوله ﷺ ﴿**هُزُواً**﴾ يعني سخرية تسخرون منها ﴿**وَغَرَّتْكُمُ الحَياةُ الدُّنْيا**﴾ يقول: وخدعتكم زينة الحياة الدنيا. فآثرتموها على العمل لما ينجيكم اليوم من عذاب الله، يقول تعالى ذكره: ﴿**فالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْها**﴾ من النار ﴿**وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ**﴾ يقول: ولا هم يردّون إلى الدنيا ليتوبوا ويراجعوا الإنابة مما عوقبوا عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**فَلِلَّهِ الحَمْدُ**﴾ على نِعمه وأياديه عند خلقه، فإياه فاحمدوا أيها الناس، فإن كلّ ما بكم من نعمة فمنه دون ما تعبدون من دونه من آلهة ووثن، ودون ما تتخذونه من دونه رباً، وتشركون به معه ﴿**رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ**﴾ يقول: مالك السموات السبع، ومالك الأرضين السبع و ﴿**رَبِّ العالَمِينَ**﴾ يقول: مالك جميع ما فيهنّ من أصناف الخلق، وله الكبرياء في السموات والأرض يقول: وله العظمة والسلطان في السموات والأرض دون ما سواه من الآلهة والأنداد ﴿**وَهُوَ العَزِيزُ**﴾ في نقمته من أعدائه، القاهر كل ما دونه، ولا يقهره شيء ﴿**الحَكِيمُ**﴾ في تدبيره خلقه وتصريفه إياهم فيما شاء كيف شاء، والله أعلم.

أخر تفسير سورة الجاثية

محتوى الجزء الخامس والعشرون من تفسير الطبري

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	تفسير سورة فصلت	
٤٧	إليه يُرد علم الساعة	٥
٤٨	وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل	٦
٤٩	لا يسأم الإنسان من دعاء الخير	٦
٥٠	ولئن أذقناه رحمة منا	٧
٥١	وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض	٨
٥٢	قل أرأيتم إن كان من عند الله	٨
٥٣	سنريهم آياتنا في الآفاق	٩
٥٤	ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم	١٠
	تفسير سورة الشورى	
١	حمٓ	١١
٢	عسقٓ	١١
٣	كذلك يوحى إليك	١١
٤	له ما في السموات وما في الأرض	١٢
٥	تكاد السموات يتفطرن من فوقهن	١٢
٦	والذين اتخذوا من دونه أولياء	١٣
٧	وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً	١٣
٨	ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة	١٥
٩	أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي	١٥
١٠	وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله	١٦
١١	فاطر السموات والأرض	١٦
١٢	له مقاليد السموات والأرض	١٩
١٣	شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً	٢٠
١٤	وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم	٢٢
١٥	فلذلك فادع واستقم كما أمرت	٢٣
١٦	والذين يحاجُّون في الله	٢٥
١٧	الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان	٢٦
١٨	يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها	٢٦
١٩	الله لطيف بعباده يرزق من يشاء	٢٦
٢٠	من كان يريد حرث الدنيا	٢٧
٢١	أم لهم شركاء شرعوا لهم	٢٨
٢٢	ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا	٢٨
٢٣	ذلك الذي يبشر الله عباده	٢٩
٢٤	يقولون افترى على الله كذباً	٣٤
٢٥	وهو الذي يقبل التوبة عن عباده	٣٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٦	ويستجيب الذين آمنوا	٣٦
٢٧	ولو بسط الله الرزق لعباده	٣٧
٢٨	وهو الذي ينزل الغيث	٣٨
٢٩	ومن آياته السموات والأرض	٣٩
٣٠	وما أصابكم من مصيبة	٣٩
٣١	وما أنتم بمعجزين في الأرض	٣٩
٣٢	ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام	٤١
٣٣	إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد	٤١
٣٤	أو يُويقهن بما كسبوا	٤٢
٣٥	ويعلم الذين يجادلون فيآياتنا	٤٢
٣٦	فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا	٤٢
٣٧	والذين يجتنبون كبائر الإثم	٤٤
٣٨	والذين استجابوا لربهم	٤٤
٣٩	والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون	٤٥
٤٠	وجزاء سيئة سيئة مثلُها	٤٥
٤١	ولَمَن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم	٤٧
٤٢	إنما السبيل على الذين يظلمون الناس	٤٧
٤٣	ولَمَن صبر وغفر	٤٩
٤٤	ومن يضلل الله فما له من وليّ	٤٩
٤٥	وتراهم يعرضون عليها خاشعين	٥٠
٤٦	وكما كان لهم من أولياء ينصرونهم	٥٢
٤٧	استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم	٥٢
٤٨	فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم	٥٢
٤٩	لله ملك السموات والأرض	٥٣
٥٠	أو يزوجهم ذكرانا وإناثاً	٥٣
٥١	وما كان لبشر أن يكلمه إلا وحْياً	٥٤
٥٢	وكذلك أوحينا إليك رُوحاً من أمرنا	٥٥
٥٣	صراط الله الذي له ما في السموات	٥٥

تفسير سورة الزخرف

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	حمٓ	٥٨
٢	والكتاب المبين	٥٨
٣	إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون	٥٨
٤	وإنه في أم الكتاب	٥٨
٥	أفنضرب عنكم الذكر صفحاً	٥٩
٦	وكم أرسلنا من نبيٍّ في الأولين	٦٢
٧	وما يأتيهم من نبيّ	٦٢
٨	فأهلكنا أشد منهم بطشاً	٦٢
٩	ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض	٦٢
١٠	الذي جعل لكم الأرض مَهْداً	٦٣
١١	والذي أنزل من السماء ماء بقدر	٦٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٢	والذي خلق الأزواج كلها	٦٣
١٣	لتستووا على ظهوره	٦٤
١٤	وإنا إلى ربنا لمنقلبون	٦٤
١٥	وجعلوا له من عباده جزءاً	٦٧
١٦	أم اتخذ مما يخلق بنات	٦٧
١٧	وإذا بشر أحدهم	٦٧
١٨	أو من ينشأ في الحلية	٦٨
١٩	وجعلوا الملائكة	٧٠
٢٠	وقالوا لو شاء الرحمٰن ما عبدناهم	٧١
٢١	أم آتيناهم كتاباً من قبله	٧١
٢٢	بل قالوا إنا وجدنا آباءنا	٧١
٢٣	وكذلك ما أرسلنا من قبلك	٧٣
٢٤	قال أو لم جئتكم بأهدى مما وجدتم	٧٤
٢٥	فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة	٧٤
٢٦	وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه	٧٥
٢٧	إلا الذي فطرني فإنه سيهدين	٧٥
٢٨	وجعلها كلمة باقية في عقبه	٧٥
٢٩	بل متعت هؤلاء وآباءهم	٧٧
٣٠	ولما جاءهم الحق	٧٧
٣١	وقالوا: لولا نزل هذا القرآن	٧٧
٣٢	أهم يقسمون رحمة ربك	٧٧
٣٣	ولولا أن يكون الناس أمة واحدة .	٨١
٣٤	ولبيوتهم أبواباً وسررا	٨٤
٣٥	وزُخْرفا وإن كل ذلك	٨٤
٣٦	ومن يعش عن ذكر الرحمٰن	٨٦
٣٧	وإنهم ليصَدُّونهم عن السبيل	٨٦
٣٨	حتى إذا جاءنا	٨٧
٣٩	ولن ينفعكم اليوم	٨٨
٤٠	أفأنت تُسمع الصُم أو تهدي العمي	٨٩
٤١	فإما نذهبن بك	٨٩
٤٢	أو نرينك الذي وعدناهم	٨٩
٤٣	فاستمسك بالذي أوحي إليك	٩١
٤٤	وإنه لذكر لك ولقومك	٩١
٤٥	واسأل من أرسلنا من قبلك	٩٢
٤٦	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا	٩٣
٤٧	فلما جاءهم بآياتنا	٩٣
٤٨	وما نريهم من آية	٩٤
٤٩	وقالوا يا أيها الساحرُ أدع لنا ربك	٩٤
٥٠	فلما كشفنا عنهم العذاب	٩٤
٥١	ونادى فرعون في قومه	٩٥
٥٢	أم أنا خير من هذا الذي هو مَهِين	٩٦
٥٣	فلولا أُلقى عليه أسورة من ذهب .	٩٦
٥٤	فاستخف قومه فأطاعوه	٩٩
٥٥	فلما آسفونا انتقمنا منهم	٩٩
٥٦	فجعلنام سلفاً ومثلاً للآخرين	١٠٠
٥٧	ولما ضُرب ابن مريم مثلاً	١٠٠
٥٨	وقالوا: أآلهتنا خير أم هو؟	١٠٤
٥٩	إن هو إلا عبد أنعمنا عليه	١٠٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٠	ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة	١٠٤
٦١	وإنه لعلم للساعة فلا تمترُن بها ...	١٠٨
٦٢	ولا يصُدَّنكم الشيطان	١٠٦
٦٣	ولما جاء عيسى بالبينات	١٠٨
٦٤	إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه	١٠٨
٦٥	فاختلف الأحزاب من بينهم	١١٠
٦٦	ل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم ...	١١٠
٦٧	الأخلاء بعضهم يومئذٍ لبعض عدوّ	١١١
٦٨	يا عباد لا خوف عليكم اليوم	١١١
٦٩	الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين .	١١٢
٧٠	ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم	١١٢
٧١	يطاف عليهم بصاف من ذهب	١١٣
٧٢	وتلك الجنة التي أُورِثتموها	١١٥
٧٣	لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون	١١٥
٧٤	إن المجرمين في عذاب جهنم	١١٥
٧٥	لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون	١١٥
٧٦	وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين	١١٥
٧٧	زنادَوا يا مالك ليقضِ علينا ربك	١١٦
٧٨	لقد جئناكم بالحق	١١٦
٧٩	أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون	١١٨
٨٠	أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم	١١٨
٨١	قل إن كان للرحمٰن ولد	١١٩
٨٢	سبحان رب السموات والأرض ...	١١٩
٨٣	فذرهم يخوضوا ويلعبوا	١٢٢
٨٤	وهو الذي في السماء إلٰه	١٢٢
٨٥	وتبارك الذي له ملك السموات ...	١٢٣
٨٦	ولا يملك الذين يدعون من دونه	١٢٣
٨٧	ولئن سألتهم من خلقهم	١٢٥
٨٨	وقيله يا رب إن هؤلاء قوم	١٢٥
٨٩	فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون	١٢٦

تفسير سورة الدخان

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	حمٓ	١٢٧
٢	والكتاب المبين	١٢٧
٣	إنا أنزلناه في ليلة مباركة	١٢٧
٤	فيها يُفرق كل أمر حكيم	١٢٧
٥	أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين	١٢٧
٦	رحمة من ربك إنه هو السميع العليم	١٢٧
٧	ربّ السموات والأرض وما بينهما	١٣٠
٨	لا إلٰه إلا هو يحي ويميت	١٣٠
٩	بل هم في شك يلعبون	١٣٠
١٠	فارتقب يوم تأتي السماء بدخان ..	١٣١
١١	يغشى الناس هذا عذاب أليم	١٣١
١٢	ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون	١٣١
١٣	أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول	١٣٦
١٤	ثم تولَّوا عنه وقالوا معلَّم مجنون .	١٣٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٥	إنا كاشفوا العذاب قليلاً	١٣٦
١٦	يوم نبطش البطشة الكبرى	١٣٧
١٧	ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون	١٣٧
١٨	أن أدُّوا إليّ عباد الله	١٣٧
١٩	وأن لا تعلوا على الله	١٤٠
٢٠	وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون	١٤٠
٢١	وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون	١٤٠
٢٢	فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون .	١٤٢
٢٣	فأسر بعبادي ليلاً إنكم متَّبعون	١٤٢
٢٤	واترك البحر رَهْواً إنهم جند مغرقون	١٤٢
٢٥	كم تركوا من جنات وعيون	١٤٥
٢٦	وزروع ومقام كريم	١٤٥
٢٧	ونعمة كانوا فيها فاكهين	١٤٥
٢٨	كذلك وأورثناها قوماً آخرين	١٤٦
٣٠	ولقد نجينا بني إسرائيل	١٤٦
٣١	من فرعون إنه كان عالياً	١٤٦
٣٢	ولقد اخترناهم على علم على العالمين	١٤٩
٣٣	وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين	١٤٩
٣٤	إن هؤلاء ليقولون	١٥٠
٣٥	أن هي إلا موتتنا الأولى	١٥٠
٣٦	فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين	١٥٠
٣٧	أهم خير أم قوم تُبّع	١٥١
٣٨	وما خلقنا السموات والأرض	١٥١
٣٩	ما خلقناهما إلا بالحق	١٥٢
٤٠	إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ...	١٥٢
٤١	يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً	١٥٢
٤٢	إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم	١٥٢
٤٣	إن شجرة الزَّقُّوم	١٥٣
٤٤	طعام الأثيم	١٥٣
٤٥	كالمُهْل يغلي في البطون	١٥٣
٤٦	كغلي الحميم	١٥٣
٤٧	خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم .	١٥٦
٤٨	ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم	١٥٦
٤٩	ذق إنك أنت العزيز الكريم	١٥٧
٥٠	إنّ هذا ما كنتم به تمترون	١٥٧
٥١	إن المتقين في مقام أمين	١٥٩
٥٢	في جنات وعيون	١٥٩
٥٣	يلبسون من سندس واستبرق	١٥٩
٥٤	كذلك وزوجناهم بحور عين	١٦٠
٥٥	يدعون فيها بكل فاكهة آمنين	١٦٠
٥٦	لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى	١٦٠
٥٧	فضلاً من ربك	١٦٠
٥٨	فإنما يسرناه بلسانك	١٦٣
٥٩	فارتقب إنهم مرتقبون	١٦٣

تفسير سورة الجاثية

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	حمٓ	١٦٤
٢	تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم	١٦٤
٣	إن في السموات والأرض لآيات .	١٦٤
٤	وفي خلقكم وما يبث من دابة	١٦٤
٥	واختلاف الليل والنهار	١٦٥
٦	تلك آيات الله تتلوها عليك	١٦٦
٧	ويل لكل أفاك أثيم	١٦٦
٨	يسمع آيات الله تتلى عليه	١٦٦
٩	وإذا علم من آياتنا شيئاً	١٦٧
١٠	من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم .	١٦٧
١١	هذا هدى والذين كفروا	١٦٨
١٢	الله الذي سخر لكم البحر	١٦٨
١٣	وسخر لكم ما في السموات	١٦٨
١٤	قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون	١٦٩
١٥	من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها	١٧١
١٦	ولقد آتينا بني إسرائيل	١٧١
١٧	وآتيناهم بينات من الأمر	١٧٢
١٨	ثم جعلناك على شريعة من الأمر .	١٧٢
١٩	إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً ..	١٧٢
٢٠	هذا بصائر للناس	١٧٣
٢١	أم حسب الذين اجترحوا السيئات	١٧٣
٢٢	وخلق الله السموات والأرض	١٧٥
٢٣	أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه	١٧٦
٢٤	وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا	١٧٧
٢٥	وإذا تُتلى عليهم آياتنا بينات	١٧٩
٢٦	قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم	١٨٠
٢٧	ولله ملك السموات والأرض	١٨٠
٢٨	وترى كل أمة جاثية	١٨٠
٢٩	هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق	١٨٢
٣٠	فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات	١٨٢
٣١	وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي .	١٨٣
٣٢	وإذا قيل إن وعد الله حق	١٨٤
٣٣	وبدا لهم سيئات ما عملوا	١٨٤
٣٤	وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم	١٨٤
٣٥	ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً	١٥
٣٦	فلله الحمد رب السموات	١٨٥
٣٧	وله الكبرياء في السموات والأرض	١٨٥

جامع البيان
عن تأويل آي القرآن

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

تأليف

الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت
الأمة على تقدمه في التفاسير
الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء السادس والعشرون

ضبط وتعليق

محمود شاكر الحرستاني

تصحيح

علي عاشور

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

بيروت ـ لبنان ـ شارع دكاش ـ هاتف: ٢٧٢٦٥٢ ـ ٢٧٢٦٥٥ ـ ٢٧٢٧٨٢ ـ ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ ـ ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

٤٦ ـ سورة الأحقاف مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾.

قد تقدّم بيانُنا في معنى قوله: ﴿**حم * تَنْزِيلُ الكِتابِ**﴾ بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿**ما خَلَقْنا السَّمَـٰوَاتِ والأرْضَ وَما بَيْنَهُما إلاَّ بالحَقّ**﴾ يقول تعالى ذكره: ما أحدثنا السموات والأرض فأوجدناهما خلقاً مصنوعاً، وما بينهما من أصناف العالم إلا بالحقّ، يعني: إلا لإقامة الحقّ والعدل في الخلق.

وقوله: ﴿**وأجَلٍ مُسَمّىً**﴾ يقول: وإلاّ بأجل لكل ذلك معلوم عنده يفنيه إذا هو بلغه، ويعدمه بعد أن كان موجوداً بإيجاده إياه.

وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: والذين جحدوا وحدانية الله عن إنذار الله إياهم معرضون، لا يتعظون به، ولا يتفكرون فيعتبرون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤﴾.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: أرأيتم أيها القوم الآلهة والأوثان التي تعبدون من دون الله، أروني أيّ شيء خلقوا من الأرض، فإن ربي خلق الأرض كلها، فدعوتموها من أجل خلقها ما خلقت من ذلك آلهة وأرباباً، فيكون لكم بذلك في

عبادتكم إياها حجة، فإن من حجتي على عبادتي إلهي، وإفرادي له الألوهة، أنه خلق الأرض فابتدعها من غير أصل.

وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: أم لآلهتكم التي تعبدونها أيها الناس شرك مع الله في السموات السبع، فيكون لكم أيضاً بذلك حجة في عبادتكموها، فإن من حجتي على إفرادي العبادة لربي، أنه لا شريك له في خلقها، وأنه المنفرد بخلقها دون كلّ ما سواه.

وقوله: ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ يقول تعالى ذكره: بكتاب جاء من عند الله من قبل هذا القرآن الذي أُنزل عليّ، بأن ما تعبدون من الآلهة والأوثان خلقوا من الأرض شيئاً، أو أن لهم مع الله شركاً في السموات، فيكون ذلك حجة لكم على عبادتكم إياها، لأنها إذا صحّ لها ذلك صحت لها الشركة في النِّعم التي أنتم فيها، ووجب لها عليكم الشكر، واستحقت منكم الخدمة، لأن ذلك لا يقدر أن يخلقه إلا الله.

وقوله: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق ﴿أَوْ أَثَارَةٍ من علم﴾ بالألف، بمعنى: أو ائتوني ببقية من علم. ورُوي عن أبي عبد الرحمن السلميّ أنه كان يقرأه «أَوْ أَثَرَةٍ من علم»، بمعنى: أو خاصة من علم أوتيتموه، وأوثرتم به على غيركم، والقراءة التي لا أستجيز غيرها ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ بالألف، لإجماع قرّاء الأمصار عليها.

واختلف أهل التأويل في تأويلها، فقال بعضهم: معناه: أو ائتوني بعلم بأن آلهتكم خَلَقت من الأرض شيئاً، وأن لها شركاً في السموات من قبل الخطّ الذي تخطونه في الأرض، فإنكم معشر العرب أهل عيافة وزجر وكهانة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن آدم، قال: ثنا أبو عاصم، عن سفيان، عن صفوان بن سليم، عن أبي سلمة، عن ابن عباس ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ قال: خط كان يخطه العرب في الأرض.

حدثنا أبو كُرَيْب، قال: قال أبو بكر: يعني ابن عياش: الخط: هو العيافة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو خاصة من علم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾

قال: أو خاصة من علم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ قال: أي خاصة من علم.

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: ثني أبي، عن الحسين، عن قتادة ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ قال: خاصة من علم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو علم تُثيرونه فتستخرجونه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، في قوله: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ قال: أثارة شيء يستخرجونه فِطْرة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو تأثرون ذلك علماً عن أحد ممن قبلكم؟

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ قال: أحد يأثر علماً.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو ببينة من الأمر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ يقول: ببينة من الأمر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ببقية من علم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُريب، قال: سُئل أبو بكر، يعني ابن عياش عن ﴿أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ قال: بقية من علم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الأثارة: البقية من علم، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وهي مصدر من قول القائل: أثر الشيء أثارة، مثل سمج سماجة، وقبح قباحة، كما قال راعي الإبل:

وذاتِ أثـارةٍ أكَـلَـتْ عَـلَـيْـهـا(١) نَـبَـاتـاً فِـي أكِـمـتِـهِ قَـفَـارَا

يعني: وذات بقية من شحم، فأما من قرأه «أوْ أثَرةٍ» فإنه جعله أثرة من الأثر، كما قيل: قترة وغبرة. وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأه «أوْ أثْرةٍ» بسكون الثاء، مثل الرجفة والخطفة، وإذا وجه ذلك إلى ما قلنا فيه من أنه بقية من علم، جاز أن تكون تلك البقية من علم الخط، ومن علم استثير من كُتب الأوّلين، ومن خاصة علم كانوا أوثروا به. وقد رُوي عن رسول الله ﷺ في ذلك خبر بأنه تأوّله أنه بمعنى الخط، سنذكره إن شاء الله تعالى، فتأويل الكلام إذن: ائتوني أيها القوم بكتاب من قبل هذا الكتاب، بتحقيق ما سألتكم تحقيقه من الحجة على دعواكم ما تدّعون لآلهتكم، أو ببقية من علم يوصل بها إلى علم صحة ما تقولون من ذلك ﴿إنْ كُنْتُمْ صادِقِين﴾ في دعواكم لها ما تدّعون، فإن الدعوى إذا لم يكن معها حجة لم تُغنِ عن المدّعى شيئاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾.

يقول تعالى ذكره: وأيّ عبد أضلّ من عبد يدعو من دون الله آلهة لا يستجيب له إلى يوم القيامة: يقول: لا يُجيب دعاءه أبداً، لأنها حجر أو خشب أو نحو ذلك.

وقوله: ﴿وهُمْ عَنْ دُعائِهِمْ غافِلُون﴾ يقول تعالى ذكره: وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة، لأنها لا تسمع ولا تنطق، ولا تعقل. وإنما عنى بوصفها بالغفلة، تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئاً، كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه. وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم، وقُبح اختيارهم في عبادتهم، من لا يعقل شيئاً ولا يفهم، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته، ومن به استغاثتهم عندما ينزل بهم من الحوائج والمصائب. وقيل: من لا يستجيب له، فأخرج ذكر

---

(١) هذا بيت من قصيدة للراعي، مدح بها سعد بن عبد الرحمٰن بن عتاب بن أسيد، عدتها سبعة وخمسون بيتاً. وقوله: «ذات أثارة» أي رب ناقة ذات سمن. والأثارة، بفتح الهمزة: شحم متصل بشحم آخر، ويقال هي بقية من الشحم العتيق، يقال: سمنت الناقة على أثارة، أي على بقية شحم. وأكمته: غلفه، جمع كمام، وهو جمع كم بكسر الكاف، وهو غطاء النور وغلافه. وقفاراً وقفارة: وصف للنبات: أي رعته خالياً لها من مزاحمة غيرها في رعيه. وأصله من قولهم طعام قفار: أي أكل بلا إدام. انظر «**خزانة الأدب الكبرى**» للبغدادي (٤/٢٥١) واستشهد بالبيت أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢٢٢) عند قوله تعالى: ﴿أو أثارة من علم﴾ أي بقية من شحم أكلت عليه. ومن قال: «أثرة» فهو مصدر أثره يأثره: يذكره وفي «**اللسان**» أثر: وأثرة العلم وأثرته. وأثارته، بقية منه تؤثر فتذكر. وقال الزجاج أثاره: في معنى علامة. ويجوز أن يكون على معنى بقية من علم ونسب البيت للشماخ.

الآلهة وهي جماد مخرج ذكر بني آدم، ومن له الاختيار والتمييز، إذ كانت قد مثلتها عبدتها بالملوك والأمراء التي تخدم في خدمتهم إياها، فأجرى الكلام في ذلك على نحو ما كان جارياً فيه عندهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا جُمع الناس يوم القيامة لموقف الحساب، كانت هذه الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء، لأنهم يتبرّأون منهم ﴿وكانُوا بِعِبادَتِهِمْ كافِرِين﴾ يقول تعالى ذكره: وكانت آلتهم التي يعبدونها في الدنيا بعبادتهم جاحدين، لأنهم يقولون يوم القيامة: ما أمرناهم بعبادتنا، ولا شعرنا بعبادتهم إيانا، تبرأنا إليك منهم يا ربنا.

وقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا يقرأ على هؤلاء المشركين بالله من قومك آياتنا، يعني حججنا التي احتججناها عليهم، فيما أنزلناه من كتابنا على محمد ﷺ ﴿بيِّناتٍ﴾ يعني واضحات نيرات ﴿قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: قال الذين جحدوا وحدانية الله، وكذّبوا رسوله للحقّ لما جاءهم من عند الله، فأنزله على رسوله ﷺ ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يعنون هذا القرآن خداع يخدعنا، ويأخذ بقلوب من سمعه فعل السحر مبين: يقول: يُبين لمن تأمله ممن سمعه أنه سحر مبين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أم يقولون هؤلاء المشركون بالله من قريش، افترى محمد هذا القرآن، فاختلقه وتخرّصه كذباً، قل لهم يا محمد إن افتريته وتخرّصته على الله كذباً ﴿فَلا تَمْلِكُونَ لي﴾ يقول: فلا تغنون عني من الله إن عاقبني على افترائي إياه، وتخرّصي عليه شيئاً، ولا تقدرون أن تدفعوا عني سوءاً إن أصابني به.

وقوله: ﴿هُوَ أعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيه﴾ يقول: ربي أعلم من كلّ شيء سواه بما تقولون بينكم في هذا القرآن والهاء من قوله: ﴿تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ من ذكر القرآن.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ**﴾ قال: تقولون.

وقوله: ﴿**كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**﴾ يقول: كفى بالله شاهداً عليّ وعليكم بما تقولون من تكذيبكم لي فيما جئتكم به من عند الله الغفور الرحيم لهم، بأن لا يعذبهم عليها بعد توبتهم منها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك من قريش ﴿**ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ**﴾ يعني: ما كنت أوّل رسل الله التي أرسلها إلى خلقه، قد كان من قبلي له رسل كثيرة أُرسلت إلى أمم قبلكم يقال منه: هو بدع في هذا الأمر، وبديع فيه، إذا كان فيه أوّل. ومن البدع قول عديّ بن زيد.

فَلا أنا بِدْعٌ مِنْ حَوَادِثَ تَعْتَرِي ... رِجالاً عَرَتْ مِنْ بَعْدِ بُؤْسَي وأسْعُدِ[(١)]

ومن البديع قول الأحوص:

فَخَرَتْ فانْتَمَتْ فقُلْتُ انْظُرِيني ... لَيسَ جَهْلٌ أتَيْتِهِ بِبَدِيعِ[(٢)]

يعني بأوّل، يقال: هو بدع من قوم أبداع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) البيت لعدي بن زيد (شعراء النصرانية ٤٦٥) وروايته فيه:

فلست بمن يخشى حوادث تعتري ... رجالاً فبادوا بعد بؤس وأسعد

وليس فيه شاهد على هذه الرواية؛ وقد استشهد به المؤلف على أنه يقال: هو بدع في هذا الأمر، على معنى ما كنت أول الناس فيه وقول الله تعالى: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل﴾ معناه ما كنت أول من أرسل، قد أرسل قبلي رسل كثير.

(٢) يقول الأحوص: فخرت عليّ وانتسبت إلى آبائها. فقلت: كفى، وليس جهلك عليّ ببديع ولا غريب، فقد عهدت مثله من أمثالك في النساء. والبيت من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢٢٢/١) استشهد به على أن البديع بمعنى البدع، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾** يقول: لست بأوّل الرسل.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾** قال: يقول: ما كنت أوّل رسول أُرسل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾** قال: ما كنت أوّلهم.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا عبد الوهاب بن معاوية، عن أبي هبيرة، قال: سألت قتادة **﴿قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾** قال: أي قد كانت قبلي رسل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾** يقول: أي إن الرسل قد كانت قبلي.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾** قال: قد كانت قبله رسل.

وقوله: **﴿وَما أدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾** اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: عني به رسول الله ﷺ، وقيل له: قل للمؤمنين بك ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة، وإلام نصير هنالك، قالوا ثم بين الله لنبيه محمد ﷺ وللمؤمنين به حالهم في الآخرة، فقيل له **﴿إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخَّرَ﴾** وقال: **﴿لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ﴾**.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَما أدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾** فأنزل الله بعد هذا **﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخَّرَ﴾**.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصري قالا: قال في حم الأحقاف **﴿وَما أدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إنْ أتَّبِعُ إلاَّ ما يُوحَى إليَّ وَما أنا إلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾** فنسختها الآية التي في سورة الفتح **﴿إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً**

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ...﴾ الآية، فخرج نبيّ الله ﷺ حين نزلت هذه الآية، فبشرهم بأنه غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، فقال له رجال من المؤمنين: هنيئاً لك يا نبيّ الله، قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يُفعل بنا؟ فأنزل الله عزّ وجلّ في سورة الأحزاب، فقال: **﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾** وقال **﴿لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وكان ذلكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً وَيُعَذِّبَ المُنافِقِينَ وَالمُنَافِقاتِ وَالمُشْرِكِينَ وَالمُشْرِكاتِ الظَّانِّينَ باللَّهِ...﴾** الآية، فبين الله ما يفعل به وبهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَما أدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾** ثم درى أو علم من الله ﷺ بعد ذلك ما يفعل به، يقول **﴿إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخَّرَ﴾**.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿وَما أدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾** قال: قد بين له أنه قد غفر من ذنبه ما تقدّم وما تأخر.

وقال آخرون: بل ذلك أمر من الله جلّ ثناؤه نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقوله للمشركين من قومه ويعلم أنه لا يدري إلام يصير أمره وأمرهم في الدنيا، أيصير أمره معهم أن يقتلوه أو يخرجوه من بينهم، أو يؤمنوا به فيتبعوه، وأمرهم إلى الهلاك، كما أهلكت الأمم المكذّبة رسلها من قبلهم أو إلى التصديق له فيما جاءهم به من عند الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا أبو بكر الهذليّ، عن الحسن، في قوله: **﴿وَما أدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾** فقال: أما في الآخرة فمعاذ الله، قد علم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل، ولكن قال: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا، أخرج كما أخرجت الأنبياء قبلي أو أُقتل كما قُتلت الأنبياء من قبلي، ولا أدري ما يُفْعل بي ولا بكم، أمتي المكذّبة، أم أمتي المصدّقة، أم أمتي المرمية بالحجارة من السماء قذفاً، أم مخسوف بها خسفاً، ثم أوحي إليه: **﴿وَإذْ قُلْنا لَكَ إنَّ رَبَّكَ أحاطَ بالنَّاسِ﴾** يقول: أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك، فعرف أنه لا يُقتل، ثم أنزل الله عزّ وجلّ: **﴿هُوَ الَّذِي أرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدّين كُلِّهِ وَكَفَى باللَّهِ شَهِيداً﴾** يقول: أشهد لك على نفسه أنه سيُظهر دينك على الأديان، ثم قال له في أمته: **﴿وَما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** فأخبره الله ما يصنع به، وما يصنع بأمته.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما أدري ما يفترض عليّ وعليكم، أو ينزل من حكم،

وليس يعني ما أدري ما يفعل بي ولا بكم غداً في المعاد من ثواب الله من أطاعه، وعقابه من كذّبه.

وقال آخرون: إنما أمر أن يقول هذا في أمر كان ينتظره من قِبَل الله عزّ وجلّ في غير الثواب والعقاب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة وأشبهها بما دلّ عليه التنزيل، القول الذي قاله الحسن البصري، الذي رواه عنه أبو بكر الهُذَليّ.

وإنما قلنا ذلك أولاها بالصواب لأن الخطاب من مبتدإ هذه السورة إلى هذه الآية، والخبر خرج من الله عزّ وجلّ خطاباً للمشركين وخبراً عنهم، وتوبيخاً لهم، واحتجاجاً من الله تعالى ذكره لنبيه ﷺ عليهم. فإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن هذه الآية أيضاً سبيلها سبيل ما قبلها وما بعدها في أنها احتجاج عليهم، وتوبيخ لهم، أو خبر عنهم. وإذا كان ذلك كذلك، فمحال أن يقال للنبيّ ﷺ: قل للمشركين ما أدري ما يُفعل بي ولا بكم في الآخرة، وآيات كتاب الله عزّ وجلّ في تنزيله ووحيه إليه متتابعة بأن المشركين في النار مخلدون، والمؤمنون به في الجنان منعمون، وبذلك يرهبهم مرّة، ويرغبهم أخرى، ولو قال لهم ذلك، لقالوا له: فعلام نتبعك إذن وأنت لا تدري إلى أيّ حال تصير غداً في القيامة، إلى خفض ودعة، أم إلى شدّة وعذاب وإنما اتباعنا إياك إن اتبعناك، وتصديقنا بما تدعونا إليه، رغبة في نِعمة، وكرامة نصيبها، أو رهبة من عقوبة، وعذاب نهرب منه، ولكن ذلك كما قال الحسن، ثم بين الله لنبيه ﷺ ما هو فاعل به، وبمن كذّب بما جاء به من قومه وغيرهم.

وقوله: ﴿**إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ ما يُوحَىٰ إِلَيَّ**﴾ يقول تعالى ذكره: قل لهم ما أتبع فيما آمركم به، وفيما أفعله من فعل إلا وحي الله الذي يوحيه إليّ، ﴿**وَما أنا إلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ يقول: وما أنا لكم إلا نذير، أنذركم عقاب الله على كفركم به مبين: يقول: قد أبان لكم إنذاره، وأظهر لكم دعاءه إلى ما فيه نصيحتكم، يقول: فكذلك أنا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لهذا القرآن لما جاءهم هذا سحر مبين ﴿**أَرأَيْتُمْ**﴾ أيها القوم ﴿**إِنْ كانَ**﴾ هذا القرآن ﴿**مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾ أنزله عليّ ﴿**وكَفَرْتُمْ**﴾ أنتم ﴿**بِهِ**﴾ يقول: وكذّبتم أنتم به.

وقوله: ﴿وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: وشهد شاهد من بني إسرائيل، وهو موسى بن عمران عليه السلام على مثله، يعني على مثل القرآن، قالوا: ومثل القرآن الذي شهد عليه موسى بالتصديق التوراة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عامر، عن مسروق في هذه الآية: ﴿وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ﴾ فخاصم به الذين كفروا من أهل مكة، التوراة مثل القرآن، وموسى مثل محمد ﷺ.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: سُئل داود، عن قوله: ﴿قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللَّهِ وكَفَرْتُم بِهِ...﴾ الآية، قال داود، قال عامر، قال مسروق: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام، ما نزلت إلا بمكة، وما أسلم عبد الله إلا بالمدينة، ولكنها خصومة خاصم محمد ﷺ بها قومه، قال: فنزلت ﴿قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللَّهِ وكَفَرْتُمْ بِهِ وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ قال: فالتوراة مثل القرآن، وموسى مثل محمد ﷺ، فآمنوا بالتوراة وبرسولهم، وكفرتم.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت داود بن أبي هند، عن الشعبيّ، قال: أناس يزعمون أن شاهداً من بني إسرائيل على مثله عبد الله بن سلام، وإنما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة وقد أخبرني مسروق أن آل حم، إنما نزلت بمكة، وإنما كانت محاجة رسول الله ﷺ قومه، فقال: ﴿أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن ﴿وكَفَرْتُمْ بِهِ وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فآمَنَ﴾ موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام على الفرقان.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن داود، عن الشعبيّ، قال: إن ناساً يزعمون أن الشاهد على مثله: عبد الله بن سلام، وأنا أعلم بذلك، وإنما أسلم عبد الله بالمدينة، وقد أخبرني مسروق أن آل حم إنما نزلت بمكة، وإنما كانت محاجة رسول الله ﷺ لقومه، فقال: ﴿قُلْ أرأيْتُم إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللَّهِ﴾ يعني الفرقان ﴿وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ﴾ فمثل التوراة الفرقان، التوراة شهد عليها موسى، ومحمد على الفرقان صلى الله عليهما وسلم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا داود، عن الشعبيّ، عن مسروق، في قوله ﴿قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللَّهِ﴾ الآية، قال: كان إسلام ابن سلام بالمدينة ونزلت هذه السورة بمكة إنما كانت خصومة بين محمد عليه الصلاة والسلام وبين قومه، فقال: ﴿قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللَّهِ وكَفَرْتُم بِهِ وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ﴾ قال: التوراة مثل

الفرقان، وموسى مثل محمد، فآمن به واستكبرتم، ثم قال: آمن هذا الذي من بني إسرائيل بنبيه وكتابه، واستكبرتم أنتم، فكذّبتم أنتم نبيكم وكتابكم، ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي﴾... إلى قوله: ﴿هَذا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾.

وقال آخرون: عنى بقوله: ﴿وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ﴾ عبد الله بن سلام، قالوا: ومعنى الكلام وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثل هذا القرآن بالتصديق. قالوا: ومثل القرآن التوراة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: ثنا عبد الله بن يوسف التِّنِّيسي، قال: سمعت مالك بن أنس يحدّث عن أبي النضر، عن عامر بن سعد بن أبي وقَّاص، عن أبيه، قال: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام قال: وفيه نزلت ﴿وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ﴾.

حدثنا الحسين بن عليّ الصُّدَائي، قال: ثنا أبو داود الطيالسي، قال: ثنا شعيب بن صفوان، قال: ثنا عبد الملك بن عمير، أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال: قال عبد الله: أنزل فيّ ﴿قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.... إلى قوله: ﴿فآمَنَ واسْتَكْبَرْتُم﴾.

حدثني عليّ بن سعد بن مسروق الكنديّ، قال: ثنا أبو محمد يحيى بن يعلى، عن عبد الملك بن عمير، عن ابن أخي عبد الله بن سلام، قال: قال عبد الله بن سلام: نزلت فيّ ﴿وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فآمَنَ واسْتَكْبَرْتُمْ إنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾ الآية، قال: كان رجل من أهل الكتاب آمن بمحمد ﷺ، فقال: إنا نجده في التوراة، وكان أفضل رجل منهم، وأعلمهم بالكتاب، فخاصمت اليهود النبيَّ ﷺ، فقال: «أتَرْضَوْنَ أنْ يَحْكُمْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلام»؟ «أتُؤْمِنُونَ»؟ قالوا: نعم، فأرسل إلى عبد الله بن سلام، فقال: «أتَشْهَدُ أنّي رَسُولُ اللَّهِ مَكْتُوباً فِي التَّوْرَاةِ والإنْجِيلِ»، قال: نعم، فأعرضت اليهود، وأسلم عبد الله بن سلام، فهو الذي قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ يقول: فآمن عبد الله بن سلام.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ**﴾ قال: عبد الله بن سلام.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...**﴾ الآية، كنا نحدّث أنه عبد الله بن سلام آمن بكتاب الله وبرسوله وبالإسلام، وكان من أحبار اليهود.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ**﴾ قال: هو عبد الله بن سلام.

حُدثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ**﴾ الشاهد: عبد الله بن سلام، وكان من الأحبار من علماء بني إسرائيل، وبعث رسول الله ﷺ إلى اليهود، فأتوه، فسألهم فقال: «أتَعْلَمُون أنّي رَسُولُ اللَّهِ تجدُونَنِي مَكْتُوباً عِنْدَكُمْ في التَّوْراةِ»؟ قالوا: لا نعلم ما تقول، وإنا بما جئت به كافرون، فقال: «أيَّ رجُل عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلام عنْدَكُمْ»؟ قالوا: عالمنا وخيرنا، قال: «أتَرْضوْن بهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ»؟ قالوا: نعم، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن سلام، فجاءه فقال: «ما شَهادَتُكَ يا بْنَ سَلام»؟ قال: أشهد أنك رسول الله، وأن كتابك جاء من عند الله، فآمن وكفروا، يقول الله تبارك وتعالى ﴿**فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ**﴾.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا عوف، عن الحسن، قال: بلغني أنه لما أراد عبد الله بن سلام أن يسلم قال: يا رسول الله، قد علمت اليهود أني من علمائهم، وأن أبي كان من علمائهم، وإني أشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوباً عندهم في التوراة، فأرسل إلى فلان وفلان، ومن سماه من اليهود، وأخبئني في بيتك، وسلهم عني، وعن أبي، فإنهم سيحدّثونك أني أعلمهم، وأن أبي من أعلمهم، وإني سأخرج إليهم، فأشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوباً عندهم في التوراة، وأنك بُعثت بالهدى ودين الحقّ، قال: ففعل رسول الله ﷺ، فخبأه في بيته وأرسل إلى اليهود، فدخلوا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «ما عبد الله بن سلام فيكم»؟ قالوا: أعلمنا نفساً. وأعلمنا أباً. فقال رسول الله ﷺ: «أرأيْتُمْ إنْ أسْلَمَ تُسْلِمُونَ»؟ قالوا: لا يسلم، ثلاث مرار، فدعاه فخرج، ثم قال: أشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوباً عندهم في التوراة، وأنك بُعثت بالهدى ودين الحقّ، فقالت اليهود: ما كنا نخشاك على هذا يا عبد الله بن سلام، قال: فخرجوا كفاراً، فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك ﴿**قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وكَفَرْتُمْ بِهِ وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فآمَنَ واسْتَكْبَرْتُمْ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُم**﴾ قال: هذا عبد الله بن سلام، شهد أن رسول الله ﷺ وكتابه حقّ، وهو في التوراة حقّ، فآمن واستكبرتم.

حدثني أبو شرحبيل الحمصي، قال: ثنا أبو المغيرة، قال: ثنا صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جُبير بن نفير، عن أبيه، عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: انطلق النبيّ ﷺ وأنا معه، حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ «يا مَعْشَرَ اليَهُودِ إرُوني اثْنَي عَشَرَ رَجُلاً يَشْهَدُونَ إنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ هُو، وأنَّ مَحمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، يُحْبِطُ اللَّهُ عَنْ كُلِّ يَهُودِيّ تَحْتَ أدِيمِ السَّماءِ الغَضَبَ الَّذِي غَضِب عَلَيْهِ»، قال: فأسكتوا فما أجابه منهم أحد، ثم ثلَّث فلم يجبه أحد، فانصرف وأنا معه، حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد، قال: فأقبل، فقال ذلك الرجل: أيّ رجل تَعلموني فيكم يا معشر اليهود، قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله، ولا أفقه منك، ولا من أبيك، ولا من جدّك قبل أبيك، قال: فإني أشهد بالله أنه النبيّ ﷺ الذي تجدونه في التوراة والإنجيل، قالوا كذبت، ثم ردّوا عليه قوله وقالوا له شرّاً، فقال لهم رسول الله ﷺ: «كَذَبْتُمْ لَنْ نَقْبَلَ قَوْلَكُمْ، أما آنفاً فَتُثْنُونَ عَلَيْهِ مِنَ الخَيْرِ ما أثْنَيْتُم، وأمَّا إذْ آمَنَ كَذَّبْتُمُوهُ وَقُلْتُمْ ما قُلْتُمْ، فَلَنْ نَقْبَلَ قَوْلَكُم»، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله ﷺ، وأنا، وعبد الله بن سلام، فأنزل الله فيه: ﴿**قُلْ أرأيْتُم إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللَّهِ...**﴾ الآية.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل، لأن قوله: ﴿**قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللَّهِ وكَفَرْتُم بِهِ وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ**﴾ في سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركي قريش، واحتجاجاً عليهم لنبيه ﷺ، وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها، ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر، فتوجه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت، ولا دلّ على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدّم الخبر عنهم معنى، غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ بأن ذلك عنى به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك، وشهد عبد الله بن سلام، وهو الشاهد من بني إسرائيل على مثله، يعني على مثل القرآن، وهو التوراة، وذلك شهادته أن محمداً مكتوب في التوراة أنه نبيّ تجده اليهود مكتوباً عندهم في التوراة، كما هو مكتوب في القرآن أنه نبيّ.

وقوله: ﴿**فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ**﴾ يقول: فآمن عبد الله بن سلام، وصدّق بمحمد ﷺ، وبما جاء به من عند الله، واستكبرتم أنتم على الإيمان بما آمن به عبد الله بن سلام معشر اليهود ﴿**إنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ يقول: إن الله لا يوفِّق لإصابة الحقّ، وهدى الطريق المستقيم، القوم

الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بإيجابهم لها سخط الله بكفرهم به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال الذين جحدوا نبوّة محمد ﷺ من يهود بني إسرائيل للذين آمنوا به، لو كان تصديقكم محمداً على ما جاءكم به خيراً، ما سبقتمونا إلى التصديق به، وهذا التأويل على مذهب من تأوّل قوله: **﴿وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ على مِثْلِهِ﴾** أنه معنيّ به عبد الله بن سلام، فأما على تأويل من تأوّل أنه عُني به مشركو قريش، فإنه ينبغي أن يوجه تأويل قوله: **﴿وَقالَ الَّذِين كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كانَ خَيْراً ما سَبَقُونا إلَيْهِ﴾** أنه عُنِي به مشركو قريش وكذلك كان يتأوّله قتادة، وفي تأويله إياه كذلك ترك منه تأويله، قوله: **﴿وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ﴾** أنه معنيّ به عبد الله بن سلام. ذكر الرواية عنه بذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كانَ خَيْراً ما سَبَقُونا إلَيْهِ﴾** قال: قال ذاك أناس من المشركين: نحن أعزّ، ونحن، ونحن، فلو كان خيراً ما سبقنا إليه فلان وفلان، فإن الله يختصّ برحمته من يشاء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كانَ خَيْراً ما سَبَقُونا إلَيْهِ﴾** قال: قد قال ذلك قائلون من الناس، كانوا أعزّ منهم في الجاهلية، قالوا: والله لو كان هذا خيراً ما سبقنا إليه بنو فلان وبنو فلان، يختصّ الله برحمته من يشاء، ويكرم الله برحمته من يشاء، تبارك وتعالى.

وقوله: **﴿وَإذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾** يقول تعالى ذكره: وإذ لم يبصروا بمحمد وبما جاء به من عند الله من الهدى، فيرشدوا به الطريق المستقيم **﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إفْكٌ قَدِيمٌ﴾** يقول: فسيقولون هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ أكاذيب من أخبار الأوّلين قديمة، كما قال جل ثناؤه مخبراً عنهم، **﴿وَقالُوا أساطِيرُ الأوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأصِيلاً﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن قبل هذا الكتاب، كتاب موسى، وهو التوراة، إماماً لبني إسرائيل

يأتمون به، ورحمة لهم أنزلناه عليهم. وخرج الكلام مخرج الخبر عن الكتاب بغير ذكر تمام الخبر اكتفاءً بدلالة الكلام على تمامه وتمامه: ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة أنزلناه عليه، وهذا كتاب أنزلناه لساناً عربياً.

اختلف في تأويل ذلك، وفي المعنى الناصب ﴿لِساناً عَربِيّاً﴾ أهل العربية، فقال بعض نحويي البصرة: نصب اللسان والعربي، لأنه من صفة الكتاب، فانتصب على الحال، أو على فعل مضمر، كأنه قال: أعني لساناً عربياً. قال: وقال بعضهم على مصدق جعل الكتاب مصدق اللسان، فعلى قول من جعل اللسان نصباً على الحال، وجعله من صفة الكتاب، ينبغي أن يكون تأويل الكلام، وهذا كتاب بلسان عربيّ مصدّق التوراة كتاب موسى، بأن محمداً لله رسول، وأن ما جاء به من عند الله حقّ. وأما القول الثاني الذي حكيناه عن بعضهم، أنه جعل الناصب للسان مصدّق، فقول لا معنى له، لأن ذلك يصير إذا يؤوّل كذلك إلى أن الذي يصدق القرآن نفسه، ولا معنى لأن يقال: وهذا كتاب يصدّق نفسه، لأن اللسان العربيّ هو هذا الكتاب، إلا أن يجعل اللسان العربيّ محمداً عليه الصلاة والسلام، ويوجه تأويله إلى: وهذا كتاب وهو القرآن يصدّق محمداً، وهو اللسان العربيّ، فيكون ذلك وجهاً من التأويل.

وقال بعض نحويي الكوفة: قوله: ﴿لِساناً عَرَبِيّاً﴾ من نعت الكتاب، وإنما نُصب لأنه أريد به: وهذا كتاب يصدّق التوراة والإنجيل لساناً عربياً، فخرج لساناً عربياً من يصدّق، لأنه فعل، كما تقول: مررت برجل يقوم محسناً، ومررت برجل قائم محسناً، قال: ولو رفع لسان عربيّ جاز على النعت للكتاب.

وقد ذُكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود «وهذا كتاب مصدّق لما بين يديه لساناً عربياً» فعلى هذه القراءة يتوجه النصب في قوله: ﴿لِساناً عَرَبِيّاً﴾ من وجهين: أحدهما على ما بيَّنت من أن يكون اللسان خارجاً من قوله ﴿مُصَدّقٌ﴾ والآخر: أن يكون قطعاً من الهاء التي في بين يديه.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يكون منصوباً على أنه حال مما في مصدّق من ذكر الكتاب، لأن قوله: ﴿مَصدّقٌ﴾ فعل، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك: وهذا القرآن يصدق كتاب موسى بأن محمداً نبي مرسل لساناً عربياً.

وقوله: ﴿لِيُنْذِرَ الَّذِين ظَلَمُوا﴾ يقول: لينذر هذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد عليه الصلاة والسلام الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله بعبادتهم غيره.

وقوله: ﴿وبُشْرى للْمُحْسِنِين﴾ يقول: وهو بشرى للذين أطاعوا الله فأحسنوا في إيمانهم وطاعتهم إياه في الدنيا، فحسن الجزاء من الله لهم في الآخرة على طاعتهم إياه. وفي قوله: ﴿وبُشْرى﴾ وجهان من الإعراب: الرفع على العطف على الكتاب بمعنى: وهذا كتاب مصدّق

وبشرى للمحسنين. والنصب على معنى: لينذر الذين ظلموا ويبشر، فإذا جعل مكان يبشر وبُشرى أو وبشارة، نصبت كما تقول أتيتك لأزورك وكرامة لك، وقضاءً لحقك، بمعنى لأزورك وأكرمك، وأقضي حقك، فتنصب الكرامة والقضاء بمعنى مضمر.

واختلفت القرّاء في قراءة ﴿لِيُنْذِرَ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز «لِتُنْذِرَ» بالتاء بمعنى: لتنذر أنت يا محمد، وقرأته عامة قرّاء العراق بالياء بمعنى: لينذر الكتاب، وبأيّ القراءتين قرأ ذلك القارىء فمصيب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنا اللَّهُ**﴾ الذي لا إله غيره ﴿**ثُمَّ اسْتَقامُوا**﴾ على تصديقهم بذلك فلم يخلطوه بشرك، ولم يخالفوا الله في أمره ونهيه ﴿**فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾ من فزع يوم القيامة وأهواله ﴿**وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ على ما خلفوا وراءهم بعد مماتهم.

وقوله: ﴿**أُولَئِكَ أَصْحابُ الجَنَّةِ**﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين قالوا هذا القول، واستقاموا أهل الجنة وسكانها ﴿**خالِدِينَ فِيها**﴾ يقول: ماكثين فيها أبداً ﴿**جَزاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ يقول: ثواباً منا لهم آتيناهم ذلك على أعمالهم الصالحة التي كانوا في الدنيا يعملونها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ووصينا ابن آدم بوالديه الحسن في صحبته إياهما أيام حياتهما، والبرّ بهما في حياتهما وبعد مماتهما.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**إحساناً**﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة «حُسْناً» بضمّ الحاء على التأويل الذي وصفت. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة ﴿**إِحْساناً**﴾ بالألف، بمعنى: ووصيناه بالإحسان إليهما، وبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب، لتقارب معاني ذلك، واستفاضة القراءة بكل واحدة منهما في القرّاء.

وقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾ يقول تعالى ذكره: ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً برّاً بهما، لما كان منهما إليه حملاً ووليداً وناشئاً، ثم وصف جلّ ثناؤه ما لديه من نعمة أمه، وما لاقت منه في حال حمله ووضعه، ونبهه على الواجب لها عليه من البرّ، واستحقاقها عليه من الكرامة وجميل الصحبة، فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ يعني في بطنها كرهاً، يعني مشقة، ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾ يقول: وولدته كرهاً يعني مشقة. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾ يقول: حملته مشقة، ووضعته مشقة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة والحسن، في قوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾ قالا: حملته في مشقة، ووضعته في مشقة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً﴾ قال: مشقة عليها.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿كُرْهاً﴾ فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة «كَرْهاً» بفتح الكاف. وقرأته عامة قرّاء الكوفة ﴿كُرْهاً﴾ بضمها، وقد بيّنت اختلاف المختلفين في ذلك قبل إذا فتح وإذا ضمّ في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: ﴿وحَمْلُهُ وفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾ يقول تعالى ذكره: وحمل أمه إياه جنيناً في بطنها، وفصالها إياه من الرضاع، وفطمها إياه، شرب اللبن ثلاثون شهراً.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَفِصَالُهُ﴾، فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار غير الحسن البصري: ﴿وحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ﴾ بمعنى: فاصلته أمه فصالاً ومفاصلة. وذُكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأه: «وحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ» بفتح الفاء بغير ألف، بمعنى: وفصل أمه إياه.

والصواب من القول في ذلك عندنا، ما عليه قرّاء الأمصار، لإجماع الحجة من القرّاء عليه، وشذوذ ما خالفه.

وقوله: ﴿حتى إذَا بَلَغَ أشُدَّهُ﴾ اختلف أهل التأويل في مبلغ حدّ ذلك من السنين، فقال بعضهم: هو ثلاث وثلاثون سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: أشدّه: ثلاث وثلاثون سنة، واستواؤه أربعون سنة، والعذر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**حتى إذَا بَلَغَ أشُدَّهُ**﴾ قال: ثلاثاً وثلاثين.

وقال آخرون: هو بلوغ الحلم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مجالد، عن الشعبيّ، قال: الأشدّ: الحلم إذا كتبت له الحسنات، وكتبت عليه السيئات.

وقد بيّنا فيما مضى الأشدّ جمع شدّ، وأنه تناهي قوّته واستوائه. وإذا كان ذلك كذلك، كان الثلاث والثلاثون به أشبه من الحلم، لأن المرء لا يبلغ في حال حُلمه كمال قواه، ونهاية شدّته، فإن العرب إذا ذكرت مثل هذا من الكلام، فعطفت ببعض على بعض جعلت كلا الوقتين قريباً أحدهما من صاحبه، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿**إنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أنَّكَ تَقُومُ أدنى مِنْ ثُلُثَي اللَّيْل وَنِصْفَهُ**﴾ ولا تكاد تقول أنا أعلم أنك تقوم قريباً من ساعة من الليل وكله، ولا أخذت قليلاً من مال أو كله، ولكن تقول: أخذت عامة مالي أو كله، فكذلك ذلك في قوله: ﴿**حتى إذَا بَلَغَ أشُدَّهُ وَبَلَغَ أرْبَعِينَ سَنَةً**﴾ لا شكّ أن نسق الأربعين على الثلاث والثلاثين أحسن وأشبه، إذ كان يُراد بذلك تقريب أحدهما من الآخر من النسق على الخمس عشرة أو الثمان عشرة.

وقوله: ﴿**وَبَلَغَ أرْبَعِينَ سَنَةً**﴾ ذلك حين تكاملت حجة الله عليه، وسير عنه جهالة شبابه وعرف الواجب لله من الحقّ في برّ والديه. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَبَلَغَ أرْبَعِينَ سَنَةً**﴾ وقد مضى من سيء عمله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**وَبَلَغَ أرْبَعِينَ سَنَةً قالَ رَبِّ أوْزِعْني**﴾ حتى بلغ ﴿**مِنَ المُسْلِمِينَ**﴾ وقد مضى من سيء عمله ما مضى.

وقوله: ﴿**قالَ رَبِّ أوْزِعْنِي أنْ أشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلى وَالِدَيَّ**﴾ يقول تعالى ذكره: قال هذا الإنسان الذي هداه الله لرشده، وعرف حقّ الله عليه فيما ألزمه من برّ والديه ﴿**رَبِّ أوْزِعْنِي أنْ أشْكُرَ نِعْمَتَكَ**﴾ يقول: أغرني بشكر نعمتك التي أنعمت عليّ في تعريفك إياي توحيدك وهدايتك لي للإقرار بذلك، والعمل بطاعتك ﴿**وَعَلى وَالِدَيَّ**﴾ من قبلي، وغير ذلك من

نعمك علينا، وألهمني ذلك. وأصله من وزعت الرجل على كذا: إذا دفعته عليه. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ**﴾ قال: اجعلني أشكر نعمتك، وهذا الذي قاله ابن زيد في قوله: ﴿**ربِّ أَوْزِعْنِي**﴾ وإن كان يؤول إليه معنى الكلمة، فليس بمعنى الإيزاع على الصحة.

وقوله: ﴿**وأنْ أعمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ**﴾ يقول تعالى ذكره: أوزعني أن أعمل صالحاً من الأعمال التي ترضاها، وذلك العمل بطاعته وطاعة رسوله ﷺ.

وقوله: ﴿**وأصْلِحْ لي في ذُرِّيَّتِي**﴾ يقول: وأصلح لي أموري في ذرّيتي الذين وهبتهم، بأن تجعلهم هداة للإيمان بك، واتباع مرضاتك، والعمل بطاعتك، فوصفه[1] جلّ ثناؤه بالبرّ بالآباء والأمهات والبنين والبنات. وذُكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.

وقوله: ﴿**إنّي تُبْتُ إلَيْكَ وَإنّي مِنَ المُسْلِمِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هذا الإنسان: ﴿**إنّي تُبْتُ إلَيْكَ**﴾ يقول: تبت من ذنوبي التي سلفت مني في سالف أيامي إليك ﴿**وَإنّي مِنَ المُسْلِمِينَ**﴾ يقول: وإني من الخاضعين لك بالطاعة، المستسلمين لأمرك ونهيك، المنقادين لحكمك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم، هم الذين يُتقبل عنهم أحسن ما عملوا في الدنيا من صالحات الأعمال، فيجازيهم به، ويثيبهم عليه ﴿**وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِم**﴾ يقول: ويصفح لهم عن سيئات أعمالهم التي عملوها في الدنيا، فلا يعاقبهم عليها ﴿**في أصحَابِ الجَنَّةِ**﴾ يقول: نفعل ذلك بهم فعلنا مثل ذلك في أصحاب الجنة وأهلها الذين هم أهلها. كما:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن الحكم بن أبان، عن الغطريف، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ عن الروح الأمين، قال: «يُؤْتَىٰ بِحَسَناتِ العَبْد وَسَيِّئاته، فَيُقْتَصُّ بَعْضُها ببَعْض فإنْ بَقِيَتْ حَسَنَةٌ وَسَّعَ اللَّهُ لَهُ في الجَنَّةِ» قال: فدخلتُ على يزداد، فحدّث بمثل هذا الحديث، قال: قلت: فإن ذهبت الحسنة؟ قال: ﴿**أُولَئِكَ**

---

(١) لعله فوصاه.

الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ...﴾ الآية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد، قال: دعا أبو بكر عمر رضي الله عنهما، فقال له: إني أوصيك بوصية أن تحفظها: إن لله في الليل حقاً لا يقبله بالنهار، وبالنهار حقاً لا يقبله بالليل، إنه ليس لأحد نافلة حتى يؤدّي الفريضة، إنه إنما ثقُلت موازين من ثقُلَت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحقّ في الدنيا، وثقُل ذلك عليهم، وحقّ لميزان لا يوضع فيه إلا الحقّ أن يثقل، وخفَّت موازين من خفَّت موازينه يوم القيامة، لاتباعهم الباطل في الدنيا، وخفته عليهم، وحقّ لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف، ألم تر أن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم، فيقول قائل: أين يبلغ عملي من عمل هؤلاء، وذلك أن الله عزّ وجلّ تجاوز عن أسوإ أعمالهم فلم يبده، ألم تر أن الله ذكر أهل النار بأسوإ أعمالهم حتى يقول قائل: أنا خير عملاً من هؤلاء، وذلك بأن الله ردّ عليهم أحسن أعمالهم، ألم تر أن الله عزّ وجلّ أنزل آية الشدّة عند آية الرخاء، وآية الرخاء عند آية الشدّة، ليكون المؤمن راغباً راهباً، لئلا يُلقي بيده إلى التهلكة، ولا يتمنى على الله أمنية يتمنى على الله فيها غير الحقّ.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ﴾** فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة «يُتَقَبَّلُ، وَيُتَجاوَزُ» بضم الياء منهما، على ما لم يسمّ فاعله، ورفع «أحْسَنُ». وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة **﴿نَتَقَبَّلُ، ونَتَجاوَزُ﴾** بالنون وفتحها، ونصب **﴿أحسنَ﴾** على معنى إخبار الله جلّ ثناؤه عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم، وردّاً للكلام على قوله: **﴿وَوَصَّيْنا الإنْسانَ﴾** ونحن نتقبل منهم أحسن ما عملوا ونتجاوز، وهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: **﴿وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ﴾** يقول: وعدهم الله هذا الوعد، وعد الحقّ لا شك فيه أنه موفٍّ لهم به، الذي كانوا إياه في الدنيا يعدهم الله تعالى، ونصب قوله: **﴿وَعْدَ الصِّدْقِ﴾** لأنه مصدر خارج من قوله: **﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِم﴾**، وإنما أخرج من هذا الكلام مصدر وعد وعداً، لأن قوله: **﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ... وَنَتَجاوَزُ﴾** وعد من الله لهم، فقال: وعد الصدق، على ذلك المعنى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾.

وهذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضالّ به كافر، وبوالديه عاقّ، وهما مجتهدان في

نصيحته ودعائه إلى الله، فلا يزيده دعاؤهما إياه إلى الحقّ، ونصيحتهما له إلا عتوّاً وتمرّداً على الله، وتمادياً في جهله، يقول الله جلّ ثناؤه ﴿وَالَّذِي قالَ لِوَالِدَيْهِ﴾ أن دعواه إلى الإيمان بالله، والإقرار ببعث الله خلقه من قبورهم، ومجازاته إياهم بأعمالهم ﴿أُفٍّ لَكُما﴾ يقول: قذراً لكما ونتناً ﴿أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ يقول أتعدانني أن أخرج من قبري من بعد فنائي وبلائي فيه حياً. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ أن أُبعَث بعد الموت.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ قال: يعني البعث بعد الموت.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿وَالَّذِي قالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُما أَتَعِدَانِنِي...﴾ إلى آخر الآية قال: الذي قال هذا ابن لأبي بكر رضي الله عنه، قال: ﴿أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾: أتعدانني أن أُبعث بعد الموت.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هوذة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿وَالَّذِي قالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُما أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ قال: هو الكافر الفاجر العاقّ لوالديه، المكذب بالبعث.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ثم نعت عبد سوء عاقاً لوالديه فاجراً فقال: ﴿وَالَّذِي قالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُما...﴾ إلى قوله: ﴿أَساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ القُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ يقول: أتعدانني أن أبعث، وقد مضت قرون من الأمم قبلي، فهلكوا، فلم يبعث منهم أحداً، ولو كنت مبعوثاً بعد وفاتي كما تقولان، لكان قد بُعث من هلك قبلي من القرون ﴿وهُمَا يَسْتَغِيثانِ اللَّهَ﴾ يقول تعالى ذكره: ووالداه يستصرخان الله عليه، ويستغيثانه عليه أن يؤمن بالله، ويقرّ بالبعث ويقولان له: ﴿ويْلَكَ آمِن﴾، أي صدّق بوعد الله، وأقرّ أنك مبعوث من بعد وفاتك، إن وعد الله الذي وعد خلقه أنه باعثهم من قبورهم، ومخرجهم منها إلى موقف الحساب لمجازاتهم بأعمالهم حقّ لا شكّ فيه، فيقول عدوّ الله مجيباً لوالديه، وردّاً عليهما نصيحتهما، وتكذيباً بوعد الله: ما هذا الذي تقولان لي وتدعواني إليه من التصديق بأني مبعوث من بعد وفاتي من قبري، إلا ما سطره الأوّلون من الناس من الأباطيل، فكتبوه، فأصبتماه أنتما فصدّقتما.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩﴾.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم، الذين وجب عليهم عذاب الله، وحلَّت بهم عقوبته وسخطه، فيمن حلّ به عذاب الله على مثل الذي حلّ بهؤلاء من الأمم الذين مضوا قبلهم من الجنّ والإنس، الذين كذّبوا رسل الله، وعتوا عن أمر ربهم.

وقوله: **﴿إِنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ﴾** يقول تعالى ذكره: إنهم كانوا المغبونين ببيعهم الهدى بالضلال والنعيم بالعقاب.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثنا أبي، عن قتادة، عن الحسن، قال: الجنّ لا يموتون، قال قتادة: فقلت **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾**... الآية.

وقوله: **﴿وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾** يقول تعالى ذكره: ولكلّ هؤلاء الفريقين: فريق الإيمان بالله واليوم الآخر، والبرّ بالوالدين، وفريق الكفر بالله واليوم الآخر، وعقوق الوالدين اللذين وصف صفتهم ربنا عزّ وجلّ في هذه الآيات منازل ومراتب عند الله يوم القيامة، مما عملوا، يعني من عملهم الذي عملوه في الدنيا من صالح وحسن وسيء يجازيهم الله به. وقد:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾** قال: درج أهل النار يذهب سفالاً، ودرج أهل الجنة يذهب علوّاً **﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أعمالَهُمْ﴾** يقول جلّ ثناؤه: وليعطي جميعهم أجور أعمالهم التي عملوها في الدنيا، المحسن منهم بإحسانه ما وعد الله من الكرامة، والمسيء منهم بإساءته ما أعدّه من الجزاء **﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾** يقول: وجميعهم لا يظلمون: لا يجازي المسيء منهم إلا عقوبة على ذنبه، لا على ما لم يعمل، ولا يحمل عليه ذنب غيره، ولا يبخس المحسن منهم ثوابَ إحسانه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ٢٠﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** بالله **﴿عَلى النَّارِ﴾** يقال لهم: **﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِها﴾** فيها. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا على النَّارِ**﴾ قرأ يزيد حتى بلغ ﴿**وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ**﴾ تعلمون والله إن أقواماً يَسْترطون حسناتهم. استبقى رجل طيباته إن استطاع، ولا قوّة إلا بالله. ذُكر أن عمر بن الخطاب كان يقول: لو شئت كنت أطيبكم طعاماً، وألينكم لباساً، ولكني أستبقي طيباتي. وذُكر لنا أنه لما قدم الشام، صُنِع له طعام لم ير قبله مثله، قال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟ قال خالد بن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر، وقال: لئن كان حظنا في الحُطام، وذهبوا قال أبو جعفر: فيما أرى أنا بالجنة، لقد باينونا بوناً بعيداً.

وذُكر لنا. أن نبيّ الله ﷺ دخل على أهل الصُّفة مكاناً يجتمع فيه فقراء المسلمين، وهم يَرْقعون ثيابهم بالأَدَم، ما يجدون لها رقاعاً، قال: «أنتم اليوم خير، أو يَوم يغدو أحدكم في حلة، ويروح في أُخرى، ويغدي عليه بجفنة، ويُراح عليه بأخرى، ويستر بيته كما تستر الكعبة». قالوا: نحن يومئذٍ خير، قال: «بل أنتم اليوم خير».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: حدثنا صاحب لنا عن أبي هريرة، قال: «إنما كان طعامنا مع النبيّ ﷺ الأسودين: الماء، والتمر، والله ما كنا نرى سمراءكم هذه، ولا ندري ما هي».

قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي بردة بن عبد الله بن قيس الأشعريّ، عن أبيه، قال: أي بنيّ لو شهدتُنا مع رسول الله ﷺ ونحن مع نبينا إذا أصابتنا السماء، حسبت أن ريحنا ريح الضأن، إنما كان لباسنا الصوف.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عزّ وجلّ ﴿**أذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا**﴾... إلى آخر الآية، ثم قرأ ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعمالَهُمْ فِيها وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ**﴾، وقرأ ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها**﴾، وقرأ ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ العاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ...**﴾ إلى آخر الآية، وقال: هؤلاء الذين أذهبوا طيِّباتهم في حياتهم الدنيا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**أذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ**﴾، فقرأته عامة قرّاء الأمصار ﴿**أذْهَبْتُمْ**﴾ بغير استفهام، سوى أبي جعفر القارىء، فإنه قرأه بالاستفهام، والعرب تستفهم بالتوبيخ، وتترك الاستفهام فيه، فتقول: أذهبت ففعلت كذا وكذا، وذهبت ففعلت وفعلت. وأعجب القراءتين إليّ ترك الاستفهام فيه، لإجماع الحجة من القرّاء عليه، ولأنه أفصح اللغتين.

وقوله ﴿فالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ﴾ يقول تعالى ذكره: يقال لهم: فاليوم أيها الكافرون الذين أذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا تجزون: أي تثابون عذاب الهون، يعني عذاب الهوان، وذلك عذاب النار الذي يهينهم. كما:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿عَذَابَ الهُونِ﴾ قال: الهوان ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأرْضِ بغَيْرِ الحَقّ﴾ يقول: بما كنتم تتكبرون في الدنيا على ظهر الأرض على ربكم، فتأبون أن تخلصوا له العبادة، وأن تذعنوا لأمره ونهيه بغير الحقّ، أي بغير ما أباح لكم ربكم، وأذن لكم به ﴿وبِما كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ يقول: بما كنتم فيها تخالفون طاعته فتعصُونه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد لقومك الرّادّين عليك ما جئتهم به من الحقّ هود أخا عاد، فإن الله بعثك إليهم كالذي بعثه إلى عاد، فخوّفهم أن يحلّ بهم من نقمة الله على كفرهم ما حلّ بهم إذ كذّبوا رسولنا هوداً إليهم، إذ أنذر قومه عاداً بالأحقاف. والأحقاف: جمع حقف وهو من الرمل ما استطال، ولم يبلغ أن يكون جبلاً، وإياه عنى الأعشى:

فَبـاتَ إلـى أرْطـاةِ حِـقْـفٍ تَـلُـفُّـهُ   خَرِيقُ شَمالٍ يَتْرُكُ الوَجْهَ أقْتَما(١)

واختلف أهل التأويل في الموضع الذي به هذه الأحقاف، فقال بعضهم: هي جبل بالشام.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَاذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ﴾ قال: الأحقاف: جبل بالشام.

---

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ٢٩٥) وفي روايته: «يلوذ» في موضع «فبات»: من قصيدة يمدح بها إياس بن قبيصة الطائي، أو قيس بن معد يكرب، والضمير في فبات راجع إلى الثور الوحشي الذي شبه به ناقته، في أبيات سابقة. والأرطى: شجر ضخم ينبت في الرمل. واحدته: أرطاة. والحقف من الرمل: ما اعوج وانعطف، وجمعه: أحقاف. وهو موضع الشاهد في البيت. والخريق: الريح الشديدة الهبوب. والشمال: ريح باردة تهب من ناحية الشام. يقول: يلجأ هذا الثور إلى أرطاة في منعرج رمل، تعصف من حوله ريح شمالية هوجاء، فتترك وجهه قاتماً.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ﴾ جبل يسمى الأحقاف.

وقال آخرون: بل هي واد بين عُمان ومَهْرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَاذْكُرْ أخا عادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ﴾ قال: فقال: الأحقاف الذي أنذر هود قومه واد بين عمان ومهرة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كانت منازل عاد وجماعتهم، حيث بعث الله إليهم هوداً الأحقاف: الرمل فيما بين عُمان إلى حَضْرَمَوْت، فاليمن كله، وكانوا مع ذلك قد فَشْوا في الأرض كلها، قهروا أهلها بفضل قوّتهم التي آتاهم الله.

وقال آخرون: هي أرض.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: الأحقاف: الأرض.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقاف﴾ قال: حشاف أو كلمة تشبهها، قال أبو موسى: يقولون مستحشف.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ﴾ حِشاف من حِسْمَى.

وقال آخرون: هي رمال مُشْرفة على البحر بالشِّحْر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَاذْكُرْ أخا عادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ﴾ ذُكر لنا أن عاداً كانوا حياً باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشِّحْر.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿وَاذْكُرْ أخا عادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ﴾ قال: بلَغَنا أنهم كانوا على أرض يقال لها الشِّحر،

مشرفين على البحر، وكانوا أهل رمل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن عمرو بن عبد الله، عن قتادة، أنه قال: كان مساكن عاد بالشِّحْر.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر أن عاداً أنذرهم أخوهم هود بالأحقاف، والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة، كما قال العجّاج:

بات إلى أرْطاةِ حِقْفٍ أحْقَفا[1]

وكما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَاذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ﴾** قال: الأحقاف: الرمل الذي يكون كهيئة الجبل تدعوه العرب الحقف، ولا يكون أحقافاً إلا من الرمل، قال: وأخو عاد هود. وجائز أن يكون ذلك جبلاً بالشام. وجائز أن يكون وادياً بين عمان وحضرموت. وجائز أن يكون الشحر وليس في العلم به أداء فرض، ولا في الجهل به تضييع واجب، وأين كان فصفته ما وصفنا من أنهم كانوا قوماً منازلهم الرمال المستعلية المستطيلة.

وقوله: **﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُورُ مِنْ بَين يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ اللَّهَ﴾** يقول تعالى ذكره: وقد مضت الرسل بإنذار أممها **﴿مِنْ بَين يَدَيْهِ﴾** يعني: من قبل هود ومن خلفه، يعني: ومن بعد هود. وقد ذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله «وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَين يَدَيْهِ وَمِنْ بَعْدِهِ»، **﴿ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ اللَّهَ﴾** يقول: لا تشركوا مع الله شيئاً في عبادتكم إياه، ولكن أخلصوا له العبادة، وأفردوا له

---

(١) لم أجد البيت في ديوان العجاج المطبوع. والذي في «**اللسان**» حقف. واحقوقف الرمل: إذا طال واعوج واحقوقف الهلال: أعوج. وكل ما طال واعوج فقد احقوقف، كظهر البعير، وشخص القمر، قال العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا ... طي الليالي زلفا فزلفا

سماوة الهلال حتى احقوقفا

والمؤلف ساق هذا البيت شاهداً على أن الأحقاف: الرمال المستطيلة المشرفة، كما قال العجاج:

«بـات... الـخ»

وأصله من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢٢٢) قال: «إذ أنذر قومه بالأحقاف»: أحقاف الرمال. قال العجاج....... البيت.

أقول: ولست على يقين من صحة هذا الشاهد، فإن أكثر ألفاظه من ألفاظ الشاهد الذي قبله، فلعله اضطرب في أفواه الرواة وتداخل مع سابقه.

الألوهة، إنه لا إله غيره، وكانوا فيما ذُكر أهل أوثان يعبدونها من دون الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَين يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ اللَّهَ**﴾ قال: لن يبعث الله رسولاً إلا بأن يعبد الله.

وقوله: ﴿**إنّي أخافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هود لقومه: إني أخاف عليكم أيها القوم بعبادتكم غير الله عذاب الله في يوم عظيم وذلك يوم يعظم هوله، وهو يوم القيامة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قالت عاد لهود، إذ قال لهم لا تعبدوا إلا الله: إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، أجئتنا يا هود لتصرفنا عن عبادة آلهتنا إلى عبادة ما تدعونا إليه، وإلى اتباعك على قولك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أجِئْتَنَا لِتَأفِكَنا عَنْ آلِهَتِنا**﴾ قال: لتزيلنا، وقرأ «إنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْلا أن صَبَرْنا عَلَيْها» قال: تضلنا وتزيلنا وتأفكنا ﴿**فأْتِنا بِمَا تَعِدُنا**﴾ من العذاب على عبادتنا ما نعبد من الآلهة ﴿**إنْ كُنْتَ**﴾ من أهل الصدق في قوله وعدَاته.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال هود لقومه عاد: ﴿**إنَّمَا العِلْمُ**﴾ بوقت مجيء ما أعِدُكم به من عذاب الله على كفركم به عند الله، لا أعلم من ذلك إلا ما علمني ﴿**وأُبَلِّغُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ**﴾ يقول: وإنما أنا رسول إليكم من الله، مبلغ أبلغكم عنه ما أرسلني به من الرسالة ﴿**وَلَكِنّي أرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ**﴾ مواضع حظوظ أنفسكم، فلا تعرفون ما عليها من المضرّة بعبادتكم غير الله، وفي استعجال عذابه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم عذاب الله الذي استعجلوه، فرأوه سحاباً عارضاً في ناحية من نواحي السماء ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ والعرب تسمي السحاب الذي يُرَى في بعض أقطار السماء عشياً، ثم يصبح من الغد قد استوى، وحبا بعضه إلى بعض عارضاً، وذلك لعرضه في بعض أرجاء السماء حين نشأ، كما قال الأعشى:

يا مَنْ يَرَى عارِضاً قَدْ بِتُّ أرْمُقُهُ كأنَّما الْبَرْقُ في حافاتِهِ الشُّعَلُ(١)

﴿قالُوا هَذَا عارِضٌ مِمْطِرُنا﴾ ظناً منهم برؤيتهم إياه أن غيثاً قد أتاهم يَحيون به، فقالوا: هذا الذي كان هودٌ يعدنا، وهو الغيث. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَلَمَّا رأَوْهُ عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أوْدِيَتِهِمْ...﴾ الآية، وذُكر لنا أنهم حبس عنهم المطر زماناً، فلما رأوا العذاب مقبلاً، ﴿قالُوا هَذَا عارِضٌ مُمْطِرُنا﴾. وذُكر لنا أنهم قالوا: كذب هود كذب هود فلما خرج نبيّ الله ﷺ فشامه، قال: ﴿بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ساق الله السحابة السوداء التي اختار قَيْلُ بن عنز بما فيها من النقمة إلى عاد، حتى تخرج عليهم من واد لهم يقال له المغيث، فلما رأوها استبشروا، و﴿قَالُوا هَذَا عارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾: يقول الله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقوله: ﴿بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نبيه ﷺ هود لقومه لما قالوا له عند رؤيتهم عارض العذاب، قد عرض لهم في السماء هذا عارض ممطرنا نحيا به، ما هو بعارض غيث، ولكنه عارض عذاب لكم، بل هو ما استعجلتم به: أي هو العذاب الذي

---

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ٥٧) وفي روايته: «أرقبه» في موضع «أرمقه»، وهما بمعنى أنظر إليه والبيت الشاهد على أن معنى العارض السحاب المعترض في السماء. قال في «**اللسان**» عرض والعارض: السحاب الذي يعترض في أفق السماء. وفي التنزيل في قصة قوم عاد: «فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا» أي قالوا: هذا الذي وعدنا به سحاب فيه الغيث. ا هـ. وقال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢٢٢) والعارض من السحاب: الذي يرى في قطر من أقطار السماء من العشي، ثم يصبح وقد حبا حتى استوى.

استعجلتم به، فقلتم: ﴿ائْتِنا بِمَا تَعِدُنا إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿رِيحٌ فِيها عَذابٌ ألِيمٌ﴾. والريح مكرّرة على ما في قوله: ﴿هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ كأنه قيل: بل هو ريح فيها عذاب أليم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، قال: كان هود جلداً في قومه، وإنه كان قاعداً في قومه، فجاء سحاب مكفهرّ، فـ﴿قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ فقال: ﴿بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيها عَذابٌ ألِيمٌ﴾ قال: فجاءت ريح فجعلت تلقي الفسطاط، وتجيء بالرجل الغائب فتلقيه.

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعوديّ، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال سليمان، ثنا أبو إسحاق، عن عمرو بن ميمون، قال: لقد كانت الريح تحمل الظعينة فترفعها حتى تُرى كأنها جرادة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَلَمَّا رأوْهُ عارِضاً مُسْتَقِبلَ أوْدِيَتِهِمْ﴾... إلى آخر الآية، قال: هي الريح إذا أثارت سحاباً، ﴿قَالُوا هَذا عارِضٌ مُمْطِرُنا﴾، فقال نبيهم: بل ريح فيها عذاب أليم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥)﴾.

وقوله ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيء بأمْرِ رَبِّها﴾: يقول تعالى ذكره: تخرّب كلّ شيء، وترمي بعضه على بعض فتهلكه، كما قال جرير:

وكانَ لَكُمْ كَبَكْرِ ثَمُودَ لَمَّا ... رَغا ظُهْراً فَدَمَّرَهُمْ دَمارا[1]

يعني بقوله: دمرهم: ألقى بعضهم على بعض صَرْعى هَلكَى.

---

(١) البيت ليس لجرير كما ورد في الأصل، وإنما هو للفرزدق، من قصيدة في ديوانه يرد بها على جرير ويناقضه وهي في ديوانه (طبعة الصاوي ٤٤٢) وأول القصيدة:

جَرَّ المُخْزِياتِ عَلى كُلَيْبٍ ... جَرِيرٌ ثُمَّ ما مَنَعَ الذِّمارا

وكانَ لَهُمْ كَبَكْرِ ثَمُودَ لَمَّا ... رَغا ظُهْراً فَدَمَّرَهُمْ دَماراً

أي جلب على قومه الدمار والخراب.

وإنما عنى بقوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبها﴾ مما أرسلت بهلاكه، لأنها لم تدمر هوداً ومن كان آمن به.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا طلق، عن زائدة، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: ما أرسل الله على عادٍ من الريح إلا قدر خاتمي هذا، فنزع خاتمه.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إلاَّ مَساكِنُهُمْ﴾ يقول: فأصبح قوم هود وقد هلكوا وفنوا، فلا يُرى في بلادهم شيء إلا مساكنهم التي كانوا يسكنونها.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله ﴿فأَصْبَحُوا لا يُرَى إلاَّ مَساكِنُهُمْ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة «لا تَرَى إلاَّ مَساكِنَهُمْ» بالتاء نصباً، بمعنى: فأصبحوا لا ترى أنت يا محمد إلا مساكنهم وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة ﴿لا يُرَى إلاَّ مَساكِنُهُمْ﴾ بالياء في ﴿يُرى﴾، ورفع المساكن، بمعنى: ما وصفت قبل أنه لا يرى في بلادهم شيء إلا مساكنهم. وروى الحسن البصري «لا تُرَى» بالتاء، وبأيّ القراءتين اللتين ذكرت من قراءة أهل المدينة والكوفة قرأ ذلك القارىء فمصيب وهو القراءة برفع المساكن إذا قُرىء قوله ﴿يُرَى﴾ بالياء وضمها وبنصب المساكن إذا قُرىء قوله: «تَرَى» بالتاء وفتحها، وأما التي حُكيت عن الحسن، فهي قبيحة في العربية وإن كانت جائزة، وإنما قبحت لأن العرب تذكّر الأفعال التي قبل إلا، وإن كانت الأسماء التي بعدها أسماء إناث، فتقول: ما قام إلا أختك، ما جاءني إلا جاريتك، ولا يكادون يقولون: ما جاءتني إلا جاريتك، وذلك أن المحذوف قبل إلا أحد، أو شيء واحد، وشيء يذكر فعلهما العرب، وإن عنى بهما المؤنث، فتقول: إن جاءك منهنّ أحد فأكرمه، ولا يقولون: إن جاءتك، وكان الفرّاء يجيزها على الاستكراه، ويذكر أن المفضل أنشده:

وَنـارُنـا لَـمْ تُـرَ نـاراً مِـثْـلُـهـا ... قَـدْ عَـلِـمَـتْ ذاكَ مَـعَـدّ أكْـرَمَـا[1]

فأنث فعل مثل لأنه للنار، قال: وأجود الكلام أن تقول: ما رؤي مثلها.

وقوله: ﴿وكَذَلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المجرِمينَ﴾ يقول تعالى ذكره: كما جزينا عاداً بكفرهم بالله

---

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٠٣) استشهد به عند قوله تعالى: ﴿فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم﴾ فقال إنها قرئت بالتاء أو بالياء مضمومة (مع بناء الفعل للمجهول) ووصف القراءة بالتاء المضمومة بأن فيها قبحاً؛ قال: لأن العرب إذا جعلت فعل المؤنث قبل إلا ذكروه، فقالوا: لم يقم إلا جاريتك، وما قام إلا جاريتك، ولا يكادون يقولون: ما قامت إلا جاريتك، وذلك أن المتروك (المستثنى منه) أحد أو شيء، فأحد إذا كانت لمؤنث أو مذكر فعلها مذكر؛ ألا ترى أنك تقول: إن قام أحد منهن فاضربه، ولا تقول: إن قامت إلا مستكرها، وهو على ذلك جائز؛ قال: أنشدني المفضل:

«ونـارنـا...... الـبـيـت».

فأنث فعل مثل، لأنه للنار؛ وأجود الكلام أن تقول: ما رؤي مثلها قلت: وقوله «أكرما» نعت لناراً.

من العقاب في عاجل الدنيا، فأهلكناهم بعذابنا، كذلك نجزي القوم الكافرين بالله من خلقنا، إذ تمادوا في غيهم وطَغَوا على ربهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لكفار قريش: ولقد مكَّنا أيها القوم عاداً الذين أهلكناهم بكفرهم فيما لم نمكنكم فيه من الدنيا، وأعطيناهم منها الذي لم نعطكم منهم من كثرة الأموال، وبسطة الأجسام، وشدّة الأبدان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثني أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيما إنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ**﴾ يقول: لم نمكنكم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيما إنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ**﴾: أنبأكم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم.

وقوله: ﴿**وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً**﴾ يسمعون به مواعظ ربهم، وأبصاراً يبصرون بها حجج الله، وأفئدة يعقلون بها ما يشرّهم وينفعهم ﴿**فَمَا أغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أبْصارُهُمْ وَلا أفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾ يقول: فلم ينفعهم ما أعطاهم من السمع والبصر والفؤاد إذ لم يستعملوها فيما أعطوها له، ولم يعملوها فيما ينجيهم من عقاب الله، ولكنهم استعملوها فيما يقرّبهم من سخطه ﴿**إذْ كانُوا يَجْحَدُونَ بآياتِ اللّهِ**﴾ يقول: إذ كانوا يكذّبون بحجج الله وهم رُسله، وينكرون نبوّتهم ﴿**وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ يقول: وعاد عليهم ما استهزأوا به، ونزل بهم ما سخروا به، فاستعجلوا به من العذاب، وهذا وعيد من الله جلّ ثناؤه لقريش، يقول لهم: فاحذروا أن يحلّ بكم من العذاب على كفركم بالله وتكذيبكم رسله، ما حلّ بعاد، وبادروا بالتوبة قبل النقمة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لكفار قريش محذّرهم بأسه وسطوته، أن يحلّ بهم على كفرهم **﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنا﴾** أيها القوم من القُرَى ما حول قريتكم، كحِجْرِ ثمود وأرض سدوم ومأرب ونحوها، فأنذرنا أهلها بالمَثُلات، وخرّبنا ديارها، فجعلناها خاوية على عروشها.

وقوله: **﴿وَصَرَّفْنا الآياتِ﴾** يقول: ووعظناهم بأنواع العظات، وذكرناهم بضروب من الذِّكْر والحجج، وبيَّنا لهم ذلك. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَصَرَّفْنا الآياتِ﴾** قال بيَّناها **﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** يقول ليرجعوا عما كانوا عليه مقيمين من الكفر بالله وآياته. وفي الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه، وهو: فأبوا إلا الإقامة على كفرهم، والتمادي في غيهم، فأهلكناهم، فلن ينصرهم منا ناصر يقول جلّ ثناؤه: فلولا نصر هؤلاء الذين أهلكناهم من الأمم الخالية قبلهم أوثانهم وآلهتهم التي اتخذوا عبادتها قرباناً يتقرّبون بها فيما زعموا إلى ربهم منا إذ جاءهم بأسنا، فتنقذهم من عذابنا إن كانت تشفع لهم عند ربهم كما يزعمون، وهذا احتجاج من الله لنبيه محمد ﷺ على مُشركي قومه، يقول لهم: لو كانت آلهتكم التي تعبدون من دون الله تغني عنكم شيئاً، أو تنفعكم عند الله كما تزعمون أنكم إنما تعبدونها، لتقرّبكم إلى الله زلفى، لأغنت عمن كان قبلكم من الأمم التي أهلكتها بعبادتهم إياها، فدفعت عنها العذاب إذا نزل، أو لشفعت لهم عند ربهم، فقد كانوا من عبادتها على مثل الذي عليه أنتم، ولكنها ضرّتهم ولم تنفعهم: يقول تعالى ذكره: **﴿بل ضلوا عنهم﴾** يقول: بل تركتهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها، فأخذت غير طريقهم، لأن عبدتها هلكت، وكانت هي حجارة أو نحاساً، فلم يصبها ما أصابهم ودعوها، فلم تجبهم، ولم تغثهم، وذلك ضلالها عنهم، وذلك إفكهم، يقول عزّ وجلّ هذه الآلهة التي ضلّت عن هؤلاء الذين كانوا يعبدونها من دون الله عند نزول بأس الله بهم، وفي حال طمعهم فيها أن تغيثهم، فخذلتهم، هو إفكهم: يقول: هو كذبهم الذي كانوا يكذّبون، ويقولون هؤلاء آلهتنا وما كانوا يفترون، يقول: وهو الذي كانوا يفترون، فيقولون: هي تقرّبنا إلى الله زُلفى، وهي شفعاؤنا عند الله. وأخرج الكلام مخرج الفعل، والمعنيّ المفعول به، فقيل: وذلك إفكهم، والمعنيّ فيه: المأفوك به لأن الإفك إنما هو فعل الآفك، والآلهة مأفوك بها. وقد مضى البيان عن نظائر ذلك قبل، قال: وكذلك قوله: **﴿وَما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾**.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله **﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾** فقرأته عامة قرّاء الأمصار: **﴿وذلك إفكهم﴾** بكسر الألف وسكون الفاء وضم الكاف بالمعنى الذي بيَّنا. ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك ما:

حدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا هشيم، عن عوف، عمن حدثه، عن ابن عباس، أنه كان يقرأها «وَذَلِكَ أَفَكَهُمْ» يعني بفتح الألف والكاف وقال: أضلهم. فمن قرأ القراءة الأولى التي عليها قرّاء الأمصار، فالهاء والميم في موضع خفض. ومن قرأ هذه القراءة التي ذكرناها عن ابن عباس فالهاء والميم في موضع نصب، وذلك أن معنى الكلام على ذلك، وذلك صرفهم عن الإيمان بالله.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا، القراءة التي عليها قرأة الأمصار لإجماع الحجة عليها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مقرّعاً كفار قريش بكفرهم بما آمنت به الجنّ ﴿وَإذْ صَرَفْنا إلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿نَفَراً مِنَ الجِنّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ﴾ ذكر أنهم صرفوا إلى رسول الله ﷺ بالحادث الذي حدث من رَجْمهم بالشهب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن زياد، عن سعيد بن جُبير، قال: كانت الجنّ تستمع، فلما رُجِموا قالوا: إن هذا الذي حدث في السماء لِشيء حدث في الأرض، فذهبوا يطلبون حتى رأوا النبيّ ﷺ خارجاً من سوق عكاظ يصلي بأصحابه الفجر، فذهبوا إلى قومهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن أيوب، عن سعيد بن جُبير، قال: «لما بعث النبيّ ﷺ حُرِست السماء، فقال الشيطان: ما حُرِست إلا لأمر قد حدث في الأرض فبعث سراياه في الأرض، فوجدوا النبيّ ﷺ قائماً يصلي صلاة الفجر بأصحابه بنَخْلة، وهو يقرأ، فاستمعوا حتى إذا فرغ ﴿وَلَّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾... إلى قوله ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾».

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإذْ صَرَفْنا إلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ﴾.... إلى آخر الآية، قال: لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ، وكانوا يقعدون مقاعد للسمع

فلما بعث الله محمداً ﷺ حرست السماء حرساً شديداً، ورُجمت الشياطين، فأنكروا ذلك، وقالوا: ﴿**لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً**﴾ فقال إبليس: لقد حدث في الأرض حدث، واجتمعت إليه الجنّ، فقال: تفرّقوا في الأرض، فأخبروني ما هذا الخبر الذي حدث في السماء، وكان أوّل بعث ركب من أهل نصيبين، وهي أشراف الجنّ وساداتهم، فبعثهم إلى تهامة، فاندفعوا حتى بلغوا الوادي، وادي نخلة، فوجدوا نبيّ الله ﷺ يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة، فاستمعوا فلما سمعوه يتلو القرآن، قالوا: أنصتوا، ولم يكن نبيّ الله ﷺ علم أنهم استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين.

واختلف أهل التأويل في مبلغ عدد النفر الذين قال الله ﴿**وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنّ**﴾ فقال بعضهم: كانوا سبعة نفر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا عبد الحميد، قال: ثنا النضر بن عربيّ، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿**وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ**﴾... الآية، قال: كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم.

وقال آخرون: بل كانوا تسعة نفر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن عاصم، عن زِرّ ﴿**وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنّ**﴾ قال: كانوا تسعة نفر فيهم زَوْبعة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن عاصم، عن زرّ بن حبيش، قال: أنزل على النبيّ ﷺ وهو ببطن نخلة، ﴿**فَلَمَّا حَضَرُوهُ**﴾ قال: كانوا تسعة أحدهم زَوْبَعَة.

وقوله: ﴿**فَلَمَّا حَضَرُوهُ**﴾ يقول: فلما حضر هؤلاء النفر من الجنّ الذين صرفهم الله إلى رسوله نبيّ الله ﷺ.

واختلف أهل العلم في صفة حضورهم رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: حضروا رسول الله ﷺ، يتعرّفون الأمر الذي حدث من قبله ما حدث في السماء، ورسول الله ﷺ لا يشعر بمكانهم، كما قد ذكرنا عن ابن عباس قبل. وكما:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هوذة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنّ**﴾ قال: ما شعر بهم رسول الله ﷺ حتى جاؤوا، فأوحى الله عزّ وجلّ إليهِ فيهم، وأخبر عنهم.

وقال آخرون: بل أمر نبيّ الله ﷺ أن يقرأ عليهم القرآن، وأنهم جمعوا له بعد أن تقدّم الله إليه بإنذارهم، وأمره بقراءة القرآن عليهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ**﴾ قال: ذكر لنا أنهم صرفُوا إليه من نِيْنَوَى، قال: فإن نبيّ الله ﷺ، قال: «إني أمرت أن أقرأ القرآن على الجنّ، فأيكم يتبعني»؟ فأطرقوا، ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا، فقال رجل: يا رسول الله إنك لذو بدئه[1]، فاتبعه عبد الله بن مسعود، فدخل رسول الله ﷺ شعباً يقال له شعب الحجون. قال: وخطّ نبيّ الله ﷺ على عبد الله خطاً ليثبته به، قال: فجعلت تهوي بي وأرى أمثال النسور تمشي في دفوفها، وسمعت لغطاً شديداً، حتى خفت على نبيّ الله ﷺ، ثم تلا القرآن فلما رجع نبيّ الله قلت: يا نبيّ الله ما اللغط الذي سمعت؟ قال: «اجتمعوا إليّ في قتيل كان بينهم، فقُضي بينهم بالحقّ». وذُكر لنا أن ابن مسعود لما قَدِم الكوفة رأى شيوخاً شُمطاً من الزُّط، فراعوه، قال: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء نفر من الأعاجم، قال: ما رأيت للذين قرأ عليهم النبيّ ﷺ الإسلام من الجنّ شبهاً أدنى من هؤلاء.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، أن نبيّ الله ﷺ ذهب وابن مسعود ليلة دعا الجنّ، فخطّ النبيّ ﷺ على ابن مسعود خطاً، ثم قال له: «لا تخرج منه». ثم ذهب النبيّ ﷺ إلى الجنّ، فقرأ عليهم القرآن، ثم رجع إلى ابن مسعود فقال: «هل رأيت شيئاً»؟ قال: سمعت لغَطاً شديداً، قال: إن الجنّ تدارأت في قتيل قُتل بينها، فقُضِي بينهم بالحقّ، وسألوه الزاد، فقال: «كل عظم لكم عرق، وكلّ روث لكم خُضْرة». قالوا: يا رسول الله تقذّرها الناس علينا، فنهى النبيّ ﷺ أن يستنجى بأحدهما فلما قدم ابن مسعود الكوفة رأى الزُّطّ، وهم قوم طوال سود، فأفزعوه، فقال: أظَهَرُوا؟ فقيل له: إن هؤلاء قوم من الزُّطّ، فقال ما أشبههم بالنفر الذين صُرِفوا إلى النبيّ ﷺ.

قال: ثنا ابن ثور، عن معمر. عن يحيى بن أبي كثير، عن عبد الله بن عمرو بن غَيلان الثقفيّ أنه قال لابن مسعود: حُدثت أنك كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجنّ، قال: أجَل، قال: فكيف كان؟ فذكر الحديث كله. وذُكِر أن النبيّ ﷺ خطّ عليه خطاً وقال: «لا تبرح منها»، فذكر أن مثل العجاجة السوداء غشيت رسول الله ﷺ، فذُعِر ثلاث مرّات، حتى إذا كان قريباً

---

(١) في ابن كثير «لذو ندبة»، وكأن الرجل يتعجب من نشاط رسول الله ﷺ وإسراعه لما ندب أصحابه إليه فأحجموا. ولعله مأخوذ من قولهم «رجل ندب» أي خفيف سريع في الحاجة.

من الصبح، أتاني رسول الله ﷺ، فقال: «أنِمْتَ»؟ قلت: لا والله، ولقد هممت مراراً أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول: «اجلسوا»، قال: «لو خرجتَ لم آمن أن يختطفك بعضهم»، ثم قال: «هل رأيت شيئاً؟» قال: نعم رأيت رجالاً سوداً مستشعري ثياب بيض، قال: «أولئك جنّ نصيبين، سألوني المتاع، والمتاع الزاد، فمتعتهم بكلّ عظم حائل أو بعرة أو روثة»، فقلت: يا رسول الله، وما يغني ذلك عنهم؟ قال: «إنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَظْماً إلاَّ وَجَدُوا عَلَيْهِ لَحْمَهُ يَوْمَ أُكِل، وَلا رَوْثَةً إلاَّ وَجَدُوا فِيها حَبَّها يَوْمَ أُكِلَتْ، فَلا يَسْتَنْقِيَنَّ أحَدٌ مِنْكُمْ إذَا خَرَجَ مِنَ الخَلاءِ بِعَظْمٍ وَلا بَعْرَةٍ وَلا رَوْثَةٍ».

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: أخبرنا أبو زُرْعة وهب بن راشد، قال: قال يونس، قال ابن شهاب: أخبرني أبو عثمان بن شبة الخزاعي، وكان من أهل الشام أن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه وهو بمكة: «مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أنْ يَحْضُرَ أمْرَ الجنّ اللَّيْلَةَ فَلْيَفْعَلْ». فلم يحضر منهم أحد غيري، قال: فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة، خطّ لي برجله خطاً، ثم أمرني أن أجلس فيه، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن، فغشيته أسودة كبيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، حتى بقي منهم رهط، ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر، فانطلق متبرّزاً، ثم أتاني فقال: «ما فَعَلَ الرَّهْطُ»؟ قلت: هم أولئك يا رسول الله، فأخذ عظماً أو روثاً أو جمجمة فأعطاهم إياه زاداً، ثم نهى أن يستطيب أحد بعظم أو روث.

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثنا عمي عبد الله بن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن أبي عثمان بن شبة الخزاعي، وكان من أهل الشام، أن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ، فذكر مثله سواء، إلا أنه قال: فأعطاهم روثاً أو عظماً زاداً، ولم يذكر الجمجمة.

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثني عمي، قال: أخبرني يونس، عن الزهريّ، عن عبيد الله بن عبد الله، أن ابن مسعود، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بِتُّ اللَّيْلَةَ أقْرأُ عَلى الجِنّ رُبُعاً بالحَجُونِ».

واختلفوا في الموضع الذي تلا عليهم رسول الله ﷺ فيه القرآن، فقال عبد الله بن مسعود قرأ عليهم بالحَجون، وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك.

وقال آخرون: قرأ عليهم بنخلة، وقد ذكرنا بعض من قال ذلك، ونذكر من لم نذكره.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا خلاد، عن زهير بن معاوية، عن جابر الجعفي، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النفر الذين أتوا رسول الله ﷺ من جنّ نصيبين أتوه وهو بنخلة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنّ**﴾ قال: لقيهم بنخلة ليلتئذ.

وقوله: ﴿**فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا**﴾ يقول تعالى ذكره: فلما حضروا القرآن ورسول الله ﷺ يقرأ، قال بعضهم لبعض: أنصتوا لنستمع القرآن. كما:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن عاصم، عن زِرّ ﴿**فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا**﴾ قالوا: صَهْ.

قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن عاصم، عن زِرّ بن حُبَيْش، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿**فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا**﴾ قد علم القوم أنهم لن يعقلوا حتى ينصتوا.

وقوله: ﴿**فَلَمَّا قُضِيَ**﴾ يقول: فلما فرغ رسول الله ﷺ من القراءة وتلاوة القرآن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿**فَلَمَّا قُضِيَ**﴾ يقول: فلما فرغ من الصلاة ﴿**وَلَّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ**﴾. وقوله: ﴿**وَلَّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ**﴾ يقول: انصرفوا منذرين عذاب الله على الكفر به.

وذُكر عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جعلهم رسلاً إلى قومهم.

حدثنا بذلك أبو كُرَيب، قال: ثنا عبد الحميد الحِمَّانيّ، قال: ثنا النضر، عن عكرمة، عن ابن عباس. وهذا القول خلاف القول الذي رُوي عنه أنه قال: لم يكن نبيّ الله ﷺ علم أنهم استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن، لأنه محال أن يرسلهم إلى آخرين إلا بعد علمه بمكانهم، إلا أن يقال: لم يعلم بمكانهم في حال استماعهم للقرآن، ثم علم بعد قبل انصرافهم إلى قومهم، فأرسلهم رسلاً حينئذٍ إلى قومهم، وليس ذلك في الخبر الذي روي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء الذين صُرفوا إلى رسول الله ﷺ من الجن لقومهم لما انصرفوا إليهم من عند رسول الله ﷺ: ﴿**يا قَوْمَنا**﴾ من الجنّ ﴿**إنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ**﴾ كتاب ﴿**مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ يقول: يصدّق ما قبله من كتب الله التي أنزلها على رسُله(١).

وقوله: ﴿**يَهْدِي إلى الحَقِّ**﴾ يقول: يرشد إلى الصواب، ويدلّ على ما فيه لله رضاً ﴿**وَإلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ يقول: وإلى طريق لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا سعيد عن قتادة أنه قرأ ﴿**قالُوا يا قَوْمَنا إنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إلى الحَقِّ وَإلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ فقال: ما أسرع ما عقل القوم، ذُكر لنا أنهم صُرِفوا إليه من نينوى.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء النفر من الجنّ ﴿**يا قَوْمَنا**﴾ من الجنّ ﴿**أجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ**﴾ قالوا: أجيبوا رسول الله محمداً إلى ما يدعوكم إليه من طاعة الله ﴿**وآمِنُوا بِهِ**﴾ يقول: وصدّقوه فيما جاءكم به وقومه من أمر الله ونهيه، وغير ذلك مما دعاكم إلى التصديق به ﴿**يَغْفِرْ لَكُمْ**﴾ يقول: يتغمد لكم ربكم من ذنوبكم فيسترها لكم ولا يفضحكم بها في الآخرة بعقوبته إياكم عليها ﴿**ويُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ إلِيمٍ**﴾ يقول: وينقذكم من عذاب موجع إذا أنتم تبتم من ذنوبكم، وأنبتم من كفركم إلى الإيمانٍ بالله وبداعيه.

وقوله: ﴿**وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأرْضِ**﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء النفر لقومهم: ومن لا يجب أيُّها القوم رسول الله ﷺ محمداً، وداعيه إلى ما بعثه بالدعاء إليه من توحيده، والعمل بطاعته ﴿**فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأرْضِ**﴾ يقول: فليس بمعجز ربه بهربه، إذا أراد عقوبته على تكذيبه داعيه، وتركه تصديقه وإن ذهب في الأرض هارباً، لأنه حيث كان فهو في سلطانه وقبضته ﴿**وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أوْلِياءُ**﴾ يقول: وليس لمن لم يجب داعي الله من دون ربه نُصراء ينصرونه من الله إذا عاقبه ربه على كفره به وتكذيبه داعيه.

---

(١) في الأصل: رسوله، ولعله تحريف من الناسخ.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يقول: هؤلاء الذين لم يجيبوا داعي الله فيصدّقوا به، وبما دعاهم إليه من توحيد الله، والعمل بطاعته في جور عن قصد السبيل، وأخذ على غير استقامة، ﴿مبين﴾: يقول: يبين لمن تأمله أنه ضلال، وأخذ على غير قصد.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣)﴾.

يقول تعالى ذكره: أو لم ينظر هؤلاء المنكرون إحياء الله خلقه من بعد وفاتهم، وبعثه إياهم من قبورهم بعد بلائهم، القائلون لآبائهم وأمهاتهم **﴿أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلَت القرون من قبلي﴾** فلم يبعثوا بأبصار قلوبهم، فيروا ويعلموا أن الله الذي خلق السموات السبع والأرض، فابتدعهنّ من غير شيء، ولم يعي بإنشائهنّ، فيعجز عن اختراعهنّ وإحداثهنّ **﴿بِقادِرٍ على أنْ يُحْيِي المَوْتَى﴾** فيخرجهم من بعد بلائهم في قبورهم أحياء كهيئتهم قبل وفاتهم.

واختلف أهل العربية في وجه دخول الباء في قوله: **﴿بِقادِرٍ﴾** فقال بعض نحويي البصرة: هذه الباء كالباء في قوله: **﴿كَفَى باللَّهِ﴾** وهو مثل **﴿تَنْبُتُ بالدُّهْنِ﴾** وقال بعض نحويي الكوفة: دخلت هذه الباء للمَ قال: والعرب تدخلها مع الجحود إذا كانت رافعة لما قبلها، وتدخلها إذا وقع عليها فعل يحتاج إلى اسمين مثل قولك: ما أظنك بقائم، وما أظنّ أنك بقائم، وما كنت بقائم، فإذا خلعت الباء نصبت الذي كانت تعمل فيه، بما تعمل فيه من الفعل، قال: ولو ألقيت الباء من قادر في هذا الموضع رفع، لأنه خبر لأن، قال: وأنشدني بعضهم:

فَمَا رَجَعَتْ بِخَائِبَةٍ رِكَابٌ ... حَكِيمُ بنُ المُسَيَّبِ مُنْتَهَاهَا[1]

فأدخل الباء في فعل لو ألقيت منه نصب بالفعل لا بالباء، يقاس على هذا ما أشبهه.

---

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٠٣) قال: وقوله تعالى: ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض بقادر﴾: دخلت الباء للم. والعرب تدخلها مع الجحود إذا كانت رافعة لما قبلها، أو يدخلونها إذا وقع عليها فعل محتاج إلى اسمين مثل قولك: ما أظنك بقائم، وما أظن أنك بقائم، وما كنت بقائم، فإذا خلعت الباء، نصبت الذي كانت تعمل فيه بما تعمل فيه من الفعل. ولو ألقيت الباء من «قادر» في هذا الموضع رفع، لأنه خبر لأن، وأنشدني بعضهم:

«فما رجعت بخائبة.... البيت».

فأدخل الباء في فعل لو ألقيت منه، نصب بالفعل لا بالباء. يقاس على هذا ما أشبهه؛ وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأ «يقدر» مكان «بقادر»، كما قرأ حمزة: «وما أنت بهادى العمى»، وقراءة العوام «بهاد العمي» اهـ.

وقال بعض من أنكر قول البصريّ الذي ذكرنا قوله: هذه الباء دخلت للجحد، لأن المجحود في المعنى وإن كان قد حال بينهما بأنّ «أوَ لَمْ يَرَوْا أنَّ اللَّهَ قادِرٌ على أنْ يُحْيِي المَوْتَى» قال: فأنَّ اسم يَرَوْا وما بعدها في صلتها، ولا تدخل فيه الباء، ولكن معناه جحد، فدخلت للمعنى.

وحُكي عن البصريّ أنه كان يأبى إدخال إلاَّ، وأن النحويين من أهل الكوفة يجيزونه، ويقولون: ما ظننت أن زيداً إلا قائماً، وما ظننت أن زيداً بعالم. وينشد:

وَلَسْتُ بِحالِفٍ لَوَلَدْتُ مِنْهُمْ ... عَلى عَمِّيَّةٍ إلاَّ زِيادا[1]

قال: فأدخل إلا بعد جواب اليمين، قال: فأما «كَفَى بِاللَّهِ»، فهذه لم تدخل إلا لمعنى صحيح، وهي للتعجُّب، كما تقول لظَرُفَ بزيد. قال: وأما «تَنْبُتُ بالدهن» فأجمعوا على أنها صلة. وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: دخلت الباء في قوله ﴿بِقادِرٍ﴾ للجَحْد، لما ذكرنا لقائلي ذلك من العِلل.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿بِقادِرٍ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار، عن أبي إسحاق والجَحْدِريّ والأعرج ﴿بِقادِرٍ﴾ وهي الصحيحة عندنا لإجماع قرّاء الأمصار عليها. وأما الآخرون الذين ذكرتهم فإنهم فيما ذُكر عنهم كانوا يقرأون ذلك «يقدر» بالياء. وقد ذُكر أنه في قراءة عبد الله بن مسعود «أنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوات وَالأَرْضَ قَادِرٌ» بغير باء، ففي ذلك حجة لمن قرأه «بقادِرٍ» بالياء والألف. وقوله: ﴿بَلَى إنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: بلى، يقدر الذي خلق السموات والأرض على إحياء الموتى: أي الذي خلق ذلك على كلّ شيء شاء خلقه، وأراد فعله، ذو قدرة لا يعجزه شيء أراده، ولا يُعييه شيء أراد فعله، فيعييه إنشاء الخلق بعد الفناء، لأن من عجز عن ذلك فضعيف، فلا ينبغي أن يكون إلهاً من كان عما أراد ضعيفاً.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويوم يعرض هؤلاء المكذّبون بالبعث، وثواب الله عباده على أعمالهم الصالحة، وعقابه إياهم على أعمالهم السيئة، على النار، نار جهنم، يقال لهم حينئذٍ: أليس هذا

(١) هذا بيت لم ينسبه المؤلف، ونقله عن بعض النحويين. وليس في «معاني القرآن» للفراء. وهو موضع خلاف بين البصريين والكوفيين فالبصريون يأبون دخول (إلا) بعد جواب اليمين، والكوفيون يجيزونه ويستشهدون بالبيت على ذلك، كما قال المؤلف.

العذاب الذي تعذّبونه اليوم، وقد كنتم تكذّبون به في الدنيا بالحقّ، توبيخاً من الله لهم على تكذيبهم به، كان في الدنيا ﴿**قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا**﴾ يقول: فيجيب هؤلاء الكفرة من فورهم بذلك، بأن يقولوا بلى هو الحقّ والله قال: ﴿**فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ يقول: فقال لهم المقرّر بذلك: فذوقوا عذاب النار الآن بما كنتم تجحدونه في الدنيا، وتنكرونه، وتأبَون الإقرار إذا دُعيتم إلى التصديق به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مثبته على المضيّ لما قلّده من عبْءِ الرسالة، وثقل أحمال النبوّة ﷺ، وآمره بالائتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لَقُوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد ﴿**فاصْبِرْ**﴾ يا محمد على ما أصابك في الله من أذى مكذّبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار ﴿**كمَا صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ**﴾ على القيام بأمر الله، والانتهاء إلى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره، ما نالهم فيه من شدّة. وقيل: إن أولي العزم منهم، كانوا الذين امتُحِنوا في ذات الله في الدنيا بالمِحَن، فلم تزدهم المحن إلا جدّاً في أمر الله، كنوح وإبراهيم وموسى ومن أشبههم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني ثوابة بن مسعود، عن عطاء الخُراسانيّ، أنه قال ﴿**فاصْبِرْ كمَا صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فاصْبِرْ كمَا صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ كنا نحدَّث أن إبراهيم كان منهم.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فاصْبِرْ كمَا صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ قال: كلّ الرسل كانوا أولي عزم لم يتخذ الله رسولاً إلا كان ذا عزم، فاصبر كما صبروا.

حدثنا ابن سنان القزّاز، قال: ثنا عبد الله بن رجاء، قال: ثنا إسرائيل، عن سالم، عن

سعيد بن جُبير، في قوله: ﴿فاصْبِرْ كمَا صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ قال: سماه الله من شدّته العزم.

وقوله: ﴿وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ يقول: ولا تستعجل عليهم بالعذاب، يقول: لا تعجل بمسألتك ربك ذلك لهم فإن ذلك نازل بهم لا محالة ﴿كأَنَّهُمْ يومَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ ساعَةً مِنْ نَهارٍ﴾ يقول: كأنهم يوم يرون عذاب الله الذي يعدهم أنه منزله بهم، لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار، لأنه ينسيهم شدّة ما ينزل بهم من عذابه، قدر ما كانوا في الدنيا لبثوا، ومبلغ ما فيها مكثوا من السنين والشهور، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أوْ بَعْضَ يَوْمٍ فاسْألِ العادّينَ﴾.

وقوله: ﴿بَلاغٌ﴾ فِيهِ وجهان: أحدهما أن يكون معناه: لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ذلك لبث بلاغ، بمعنى: ذلك بلاغ لهم في الدنيا إلى أجلهم، ثم حذفت ذلك لبث، وهي مرادة في الكلام اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام عليها. والآخر: أن يكون معناه: هذا القرآن والتذكير بلاغ لهم وكفاية، إن فكَّروا واعتبروا فتذكروا.

وقوله: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إلاَّ القَوْمُ الفاسِقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فهل يهلك الله بعذابه إذا أنزله إلا القوم الذين خالفوا أمره، وخرجوا عن طاعته وكفروا به. ومعنى الكلام: وما يهلك الله إلا القوم الفاسقين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إلاَّ القَوْمُ الفاسِقُونَ﴾ تَعَلَّموا ما يهلك على الله إلا هالك ولى الإسلام ظهرَه أو منافق صدّق بلسانه وخالف بعمله. ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «أيُّمَا عَبْدٍ مِنْ أُمَّتِي هَمَّ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ لَهُ وَاحدَةٌ، وَإنْ عَمِلها كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَ أمْثالِهَا، وأيُّمَا عَبْدٍ هَمَّ بسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، فإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ كانَ يَتْبَعُها، ويَمْحُوها اللَّهُ وَلا يَهْلِكُ إلاَّ هالِكٌ».

آخر تفسير سورة الأحقاف

(٤٧) سورة محمد مدنية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: الذين جحدوا توحيد الله وعبدوا غيره وصدّوا من أراد عبادتَه والإقرار بوحدانيته، وتصديق نبيه محمد ﷺ عن الذي أراد من الإسلام والإقرار والتصديق ﴿**أَضَلَّ أعمالَهمْ**﴾ يقول: جعل الله أعمالهم ضلالاً على غير هدى وغير رشاد، لأنها عملت في سبيل الشيطان وهي على غير استقامة ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحاتِ**﴾ يقول تعالى ذكره: والذين صدّقوا الله وعملوا بطاعته، واتبعوا أمره ونهيه ﴿**وآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ على مُحَمَّدٍ**﴾ يقول: وصدّقوا بالكتاب الذي أنزل الله على محمد ﴿**وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ**﴾ يقول: محا الله عنهم بفعلهم ذلك سيء ما عملوا من الأعمال، فلم يؤاخذهم به، ولم يعاقبهم عليه ﴿**وأصْلَحَ بالَهُمْ**﴾ يقول: وأصلح شأنهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه، وفي الآخرة بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جنانه.

وذُكر أنه عنى بقوله: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾... الآية أهل مكة، ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحاتِ**﴾... الآية، أهل المدينة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني إسحاق بن وهب الواسطي، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس، في قوله: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ قال: نزلت في أهل مكة ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحاتِ**﴾ قال: الأنصار.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿**وأصْلَحَ بالَهُمْ**﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني إسحاق بن وهب الواسطي، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس **﴿وأصْلَحَ بالَهُمْ﴾** قال: أمرهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وأصْلَحَ بالَهُمْ﴾** قال: شأنهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وأصْلَحَ بالَهُمْ﴾** قال: أصلح حالهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وأصْلَحَ بالَهُمْ﴾** قال: حالهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وأصْلَحَ بالَهُمْ﴾** قال حالهم. والبال: كالمصدر مثل الشأن لا يعرف منه فعل، ولا تكاد العرب تجمعه إلا في ضرورة شعر فإذا جمعوه قالوا بالات.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلنا بهذين الفريقين من إضلالنا أعمال الكافرين، وتكفيرنا عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، جزاء منا لكلّ فريق منهم على فعله. أما الكافرون فأضللنا أعمالهم، وجعلناها على غير استقامة وهدى، بأنهم اتبعوا الشيطان فأطاعوه، وهو الباطل. كما:

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، وعباس بن محمد، قالا: ثنا حجاج بن محمد، قال: قال ابن جُرَيج: أخبرني خالد أنه سمع مجاهداً يقول **﴿ذلكَ بأنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الباطِلَ﴾** قال: الباطل: الشيطان. وأما المؤمنون فكفَّرنا عنهم سيئاتهم، وأصلحنا لهم حالهم بأنهم اتبعوا الحقّ الذي جاءهم من ربهم، وهو محمد ﷺ، وما جاءهم به من عند ربه من النور والبرهان **﴿كَذَلكَ يَضْرِبُ اللَّهُ للنَّاسِ أمْثالَهُمْ﴾** يقول عزّ وجلّ: كما بينت لكم أيها الناس فعلي بفريق الكفر والإيمان، كذلك نمثل للناس الأمثال، ونشبه لهم الأشباه، فنلحق بكلّ قوم من الأمثال أشكالاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لفريق الإيمان به وبرسوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ورسوله من أهل الحرب، فاضربوا رقابهم.

وقوله: ﴿حتى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ﴾ يقول: حتى إذا غلبتموهم وقهرتم من لم تضربوا رقبته منهم، فصاروا في أيديكم أسرى ﴿فَشُدُّوا الوَثَاقَ﴾ يقول: فشدّوهم في الوثاق كيلا يقتلوكم، فيهربوا منكم.

وقوله: ﴿فإمَّا مَنّاً بَعْدُ وإمَّا فِدَاءً﴾ يقول: فإذا أسرتموهم بعد الإثخان، فإما أن تمنوا عليهم بعد ذلك بإطلاقكم إياهم من الأسر، وتحرروهم بغير عوض ولا فدية، وإما أن يفادوكم فداء بأن يعطوكم من أنفسهم عوضاً حتى تطلقوهم، وتخلوا لهم السبيل.

واختلف أهل العلم في قوله: ﴿حتى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثاقَ، فإمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإمَّا فِداءً﴾ فقال بعضهم: هو منسوخ نسخه قوله: ﴿فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم﴾ وقوله: ﴿فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ في الحَرْب فَشَرِّدْ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهُمْ﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد وابن عيسى الدامغانيّ، قالا: ثنا ابن المبارك، عن ابن جُرَيج أنه كان يقول، في قوله: ﴿فإمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإمَّا فِداءً﴾ نسخها قوله: فاقْتُلوا المشْرِكِينَ حَيْثُ وَجدْتُموهُمْ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن السديّ ﴿فإمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإمَّا فِداءً﴾ قال: نسخها ﴿فاقْتُلُوا المُشْرِكينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فإمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإمَّا فِداءً﴾ نسخها قوله: ﴿فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فإذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَإمَّا فِدَاءً﴾ كان المسلمون إذا لقوا المشركين قاتلوهم، فإذا أسروا منهم أسيراً، فليس لهم إلا أن يُفادوه، أو يمنوا عليه، ثم يرسلوه، فنسخ ذلك بعد قوله: ﴿فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾: أي عظ بهم من سواهم من الناس لعلهم يذّكرون.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، قال: كتب إلى أبي بكر رضي الله عنه في أسير أُسر، فذكر أنهم التمسوه بفداء كذا وكذا، فقال أبو بكر: اقتلوه، لقتلُ رجل من المشركين، أحبّ إليّ من كذا وكذا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فإذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ﴾... إلى آخر الآية، قال: الفداء منسوخ، نسختها: ﴿فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ...﴾ إلى ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ قال: فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا حرمة بعد براءة، وانسلاخ الأشهر الحرم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإمَّا فِداءً﴾ هذا منسوخ، نسخه قوله: ﴿فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة بعد براءة.

وقال آخرون: هي محكمة وليست بمنسوخة، وقالوا: لا يجوز قتل الأسير، وإنما يجوز المنّ عليه والفداء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو عتاب سهل بن حماد، قال: ثنا خالد بن جعفر، عن الحسن، قال: أتى الحجاج بأسارى، فدفع إلى ابن عمر رجلاً يقتله، فقال ابن عمر: ليس بهذا أُمرنا، قال الله عزَّ وجلّ ﴿حتى إذَا أثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثاقَ فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإمَّا فِداءً﴾ قال[1]: البكا بين يديه فقال الحسن: لو كان هذا وأصحابه لابتدروا إليهم.

حدثنا ابن حميد وابن عيسى الدامغانيّ، قالا: ثنا ابن المبارك، عن ابن جُرَيج، عن عطاء أنه كان يكره قتل المشرك صبراً، قال: ويتلو هذه الآية ﴿فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإمَّا فِداءً﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، قال: لا تقتل الأُسارى إلا في الحرب يهيب بهم العدوّ.

قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: كان عمر بن عبد العزيز يفديهم الرجل بالرجل، وكان الحسن يكره أن يفادي بالمال.

قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن رجل من أهل الشام ممن كان يحرس عمر بن عبد العزيز، وهو من بني أسد، قال: ما رأيت عمر رحمه الله قتل أسيراً إلا واحداً من الترك كان

(١) لعله سقط من الأصل هنا كلمة أو نحوها، مثل اشتد أو علا، أو ارتفع أي ارتفع: بكاء الأسرى بين يدي الحجاج.

جيء بأسارى من الترك، فأمر بهم أن يُسترقوا، فقال رجل ممن جاء بهم: يا أمير المؤمنين، لو كنت رأيت هذا لأحدهم وهو يقتل المسلمين لكثر بكاؤك عليهم، فقال عمر: فدونك فاقتله، فقام إليه فقتله.

والصواب من القول عندنا في ذلك أن هذه الآية محكمة غير منسوخة، وذلك أن صفة الناسخ والمنسوخ ما قد بيّنا في غير موضع في كتابنا إنه ما لم يجز اجتماع حكميهما في حال واحدة، أو ما قامت الحجة بأن أحدهما ناسخ الآخر، وغير مستنكر أن يكون جعل الخيار في المنّ والفداء والقتل إلى الرسول ﷺ، وإلى القائمين بعده بأمر الأمة، وإن لم يكن القتل مذكوراً في هذه الآية، لأنه قد أذن بقتلهم في آية أخرى، وذلك قوله: ﴿**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ**....﴾ الآية، بل ذلك كذلك، لأن رسول الله ﷺ كذلك كان يفعل فيمن صار أسيراً في يده من أهل الحرب، فيقتل بعضاً، ويفادي ببعض، ويمنّ على بعض، مثل يوم بدر قتل عقبة بن أبي مُعَيْط وقد أُتي به أسيراً، وقتل بني قُرَيظة، وقد نزلوا على حكم سعد، وصاروا في يده سِلماً، وهو على فدائهم، والمنّ عليهم قادر، وفادى بجماعة أسارى المشركين الذين أُسروا ببدر، ومنّ على ثمامة بن أثال الحنفيّ، وهو أسير في يده، ولم يزل ذلك ثابتاً من سيره في أهل الحرب من لدن أذن الله له بحربهم، إلى أن قبضه إليه ﷺ دائماً ذلك فيهم، وإنما ذكر جلّ ثناؤه في هذه الآية المنّ والفداء في الأسارى، فخصّ ذكرهما فيها، لأن الأمر بقتلهما والإذن منه بذلك قد كان تقدم في سائر آي تنزيله مكرّراً، فأعلم نبيه ﷺ بما ذكر في هذه الآية من المنّ والفداء ماله فيهم مع القتل.

وقوله: ﴿**حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَها**﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم، وافعلوا بأسراهم ما بيَّنت لكم، حتى تضع الحرب آثامها وأثقال أهلها، المشركين بالله بأن يتوبوا إلى الله من شركهم، فيؤمنوا به وبرسوله، ويطيعوه في أمره ونهيه، فذلك وضع الحرب أوزارها، وقيل: ﴿**حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَها**﴾ والمعنى: حتى تلقي الحرب أوزار أهلها. وقيل: معنى ذلك: حتى يضع المحارب أوزاره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَها**﴾ قال: حتى يخرج عيسى ابن مريم، فيسلم كلّ يهوديّ ونصرانيّ وصاحب ملة، وتأمن الشاة من الذئب، ولا تقرض فأرة جِراباً، وتذهب العداوة من الأشياء كلها، ذلك ظهور الإسلام على الدين كله، وينعم الرجل المسلم حتى تقطر رجله دماً إذا وضعها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَها﴾** حتى لا يكون شرك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَها﴾** قال: حتى لا يكون شرك.

ذكر من قال: عُنِي بالحرب في هذا الموضع: المحاربون.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور عن معمر، عن قتادة **﴿حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَها﴾** قال الحرب: من كان يقاتلهم سماهم حرباً.

وقوله: **﴿ذلكَ وَلَوْ يَشاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾** يقول تعالى ذكره: هذا الذي أمرتكم به أيها المؤمنون من قتل المشركين إذا لقيتموهم في حرب، وشدّهم وثاقاً بعد قهرهم، وأسرهم، والمنّ والفداء **﴿حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَها﴾** هو الحقّ الذي ألزمكم ربكم ولو يشاء ربكم، ويريد لانتصر من هؤلاء المشركين الذين بين هذا الحكم فيهم بعقوبة منه لهم عاجلة، وكفاكم ذلك كله، ولكنه تعالى ذكره كره الانتصار منهم، وعقوبتهم عاجلاً إلا بأيديكم أيها المؤمنون **﴿لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾** يقول: ليختبركم بهم، فيعلم المجاهدين منكم والصابرين، ويبلوهم بكم، فيعاقب بأيديكم من شاء منهم، ويتعظ من شاء منهم بمن أهلك بأيديكم من شاء منهم حتى ينيب إلى الحقّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَلَوْ يَشاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾** إي والله بجنوده الكثيرة كلّ خلقه له جند، ولو سلط أضعف خلقه لكان جنداً.

وقوله: «وَالَّذِينَ قاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والكوفة «وَالَّذِينَ قاتَلُوا» بمعنى: حاربوا المشركين، وجاهدوهم، بالألف وكان الحسن البصري فيما ذُكر عنه يقرأه «قُتِّلُوا» بضم القاف وتشديد التاء، بمعنى: أنه قتلهم المشركون بعضهم بعد بعض، غير أنه لم يسمّ الفاعلون. وذُكر عن الجحدريّ عاصم أنه كان يقرأه «وَالَّذِينَ قَتَلُوا» بفتح القاف وتخفيف التاء، بمعنى: والذين قتلوا المشركون بالله. وكان أبو عمرو يقرأه **﴿قُتِلُوا﴾** بضم القاف وتخفيف التاء بمعنى: والذين قتلهم المشركون، ثم أسقط الفاعلين، فجعلهم لم يسمّ فاعل ذلك بهم.

وأولى القراءات بالصواب قراءة من قرأه «وَالَّذِينَ قاتَلُوا» لاتفاق الحجة من القرّاء، وإن كان لجميعها وجوه مفهومة.

وإذ كان ذلك أولى القراءات عندنا بالصواب، فتأويل الكلام: والذين قاتلوا منكم أيها المؤمنون أعداء الله من الكفار في دين الله، وفي نصرة ما بعث به رسوله محمداً ﷺ من الهدى، فجاهدوهم في ذلك ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أعمالَهُمْ﴾ فلن يجعل الله أعمالهم التي عملوها في الدنيا ضلالاً عليهم كما أضلّ أعمال الكافرين. وذُكر أن هذه الآية عُني بها أهل أُحد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أعمالَهُمْ﴾ ذُكر لنا أن هذه الآية أُنزلت يوم أُحد ورسول الله ﷺ في الشِّعْب، وقد فَشَت فيهم الجراحات والقتل، وقد نادى المشركون يومئذٍ: أُعْلُ هُبَلْ، فنادى المسلمون: الله أعلى وأجلّ، فنادى المشركون: يوم بيوم، إن الحرب سجال، إن لنا عُزَّى، ولا عُزَّى لكم، قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ مَوْلانا وَلا مَوْلَى لَكُمْ، إنَّ القَتْلَى مُخْتَلِفَةٌ، أمَّا قَتْلانا فأَحْياءٌ يُرْزَقُونَ، وأمَّا قَتْلاكُمْ فَفِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أعمالَهُمْ﴾ قال: الذين قُتلوا يوم أُحد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾.

يقول تعالى ذكره: سيوفق الله تعالى ذكره للعمل بما يرضى ويحبّ، هؤلاء الذين قاتلوا في سبيله، ﴿وَيُصْلِحُ بالَهُمْ﴾: ويصلح أمرهم وحالهم في الدنيا والآخرة ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ﴾ يقول: ويُدخلهم الله جنته عرّفها، يقول: عرّفها وبيَّنها لهم، حتى إن الرجل ليأتي منزله منها إذا دخلها كما كان يأتي منزله في الدنيا، لا يُشْكِلُ عليه ذلك. كما:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ، قال: إذا نجّى الله المؤمنين من النار حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقتصّ بعضهم من بعض مظالم كثيرة كانت بينهم في الدنيا، ثم يُؤذن لهم بالدخول في الجنه، قال: فما كان المؤمن بأدلّ بمنزله في الدنيا منه بمنزله في الجنة حين يدخلها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ﴾ قال: أي منازلهم فيها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ﴾** قال: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم الله لهم لا يخطئون، كأنهم سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ﴾** قال: بلغنا عن غير واحد قال: يدخل أهل الجنة الجنة، ولهم أعرف بمنازلهم فيها من منازلهم في الدنيا التي يختلفون إليها في عمر الدنيا قال: فتلك قول الله جلّ ثناؤه **﴿وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ﴾**.

وقوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾** يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، إن تنصروا الله ينصركم بنصركم رسوله محمداً ﷺ على أعدائه من أهل الكفر به وجهادكم إياهم معه لتكون كلمته العُليا ينصركم عليهم، ويظفركم بهم، فإنه ناصر دينه وأولياءه. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿إنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾** لأنه حقّ على الله أن يعطي من سأله، وينصر من نصره.

وقوله: **﴿وَيُثَبِّتْ أقْدامَكُمْ﴾** يقول: ويقوّكم عليهم، ويجرّئكم، حتى لا تولوا عنهم، وإن كثر عددهم، وقلّ عددكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾** بالله، فجحدوا توحيده **﴿فَتَعْساً لَهُمْ﴾** يقول: فخزياً لهم وشقاء وبلاء. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ﴾** قال: شقاء لهم.

وقوله: **﴿وأضَلَّ أعمالَهُمْ﴾** يقول وجعل أعمالهم معمولة على غير هدى ولا استقامة، لأنها عملت في طاعة الشيطان، لا في طاعة الرحمن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وأضَلَّ أعمالَهُمْ**﴾ قال: الضلالة التي أضلهم الله لم يهدهم كما هَدى الآخرين، فإن الضلالة التي أخبرك الله: يضلّ من يشاء، ويهدي من يشاء قال: وهؤلاء ممن جعل عمله ضلالاً، وردّ قوله: ﴿**وأضَلَّ أعمالَهُمْ**﴾ على قوله: ﴿**فَتَعْساً لَهُمْ**﴾ وهو فعل ماض، والتعس اسم، لأن التعس وإن كان اسماً ففي معنى الفعل لما فيه من معنى الدعاء، فهو بمعنى: أتعسهم الله، فلذلك صلح ردّ أضلّ عليه، لأن الدعاء يجري مجرى الأمر والنهي، وكذلك قوله: ﴿**حتى إذَا أثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثاقَ**﴾ مردودة على أمر مضمر ناصب لضرب.

وقوله: ﴿**ذلكَ بأنَّهُم كَرِهُوا ما أنْزَلَ اللَّهُ**﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلنا بهم من الإتعاس وإضلال الأعمال من أجل أنهم كرهوا كتابنا الذي أنزلناه إلى نبينا محمد ﷺ وسخطوه، فكذّبوا به، وقالوا: هو سحر مبين.

وقوله: ﴿**فَأَحْبَطَ أعمالَهُمْ**﴾ يقول: فأبطل أعمالهم التي عملوها في الدنيا، وذلك عبادتهم الآلهة، لم ينفعهم الله بها في الدنيا ولا في الآخرة، بل أوبقهم بها، فأصلاهم سعيراً، وهذا حكم الله جلّ جلاله في جميع من كفر به من أجناس الأمم، كما قال قتادة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**فَتَعْساً لَهُمْ**﴾ قال: هي عامة للكفار.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أفلم يَسِر هؤلاء المكذّبون محمداً ﷺ، المنكرو ما أنزلنا عليه من الكتاب في الأرض سفراً، وإنما هذا توبيخ من الله لهم، لأنهم قد كانوا يسافرون إلى الشام، فيرون نقمة الله التي أحلَّها بأهل حَجْرِ ثمود، ويرون في سفرهم إلى اليمن ما أحلّ الله بسَبَأ، فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين به: أفلم يسِر هؤلاء المشركون سفراً في البلاد فينظروا كيف كان عاقبة تكذيب الذين من قبلهم من الأمم المكذّبة رسلها الرّادّة نصائحها ألم نهلكها فندمِّر عليها منازلها ونخرِّبها، فيتعظوا بذلك، ويحذروا أن يفعل الله ذلك بهم في تكذيبهم إياه، فينيبوا إلى طاعة الله في تصديقك، ثم توعَّدهم جلّ ثناؤه، وأخبرهم إن هم أقاموا على تكذيبهم رسوله، أنه مُحِلّ بهم من العذاب ما أحلّ بالذين كانوا من قبلهم من الأمم، فقال: ﴿**ولِلْكافِرِين**

أمْثالُهَا﴾ يقول: وللكافرين من قريش المكذبي رسول الله ﷺ من العذاب العاجل، أمثال عاقبة تكذيب الأمم الذين كانوا من قبلهم رسلهم على تكذيبهم رسوله محمداً ﷺ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿وللْكافِرِين أمْثالُهَا﴾** قال: مثل ما دُمِرَّت به القرون الأولى وعيد من الله لهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا الفعل الذي فعلنا بهذين الفريقين: فريق الإيمان، وفريق الكفر، من نُصرتنا فريق الإيمان بالله، وتثبيتنا أقدامهم، وتدميرنا على فريق الكفر **﴿بأنَّ الله مَوْلى الَّذِين آمَنُوا﴾** يقول: من أجل أن الله وليّ من آمن به، وأطاع رسوله. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿ذلك بأنَّ الله مَوْلى الَّذِين آمَنُوا﴾** قال: وليهم.

وقد ذُكر لنا أن ذلك في قراءة عبد الله «ذلك بأنَّ الله ولِيُّ الَّذِين آمَنُوا» و«أن» التي في المائدة التي هي في مصاحفنا **﴿إنَّمَا ولِيُّكُمُ اللَّهُ ورسُولُهُ﴾**: «إنَّمَا مَوْلاكُمُ اللَّهُ» في قراءته.

وقوله: **﴿وأنَّ الكافِرِين لا مَوْلى لهُمْ﴾** يقول: وبأن الكافرين بالله لا وليّ لهم، ولا ناصر.

وقوله: **﴿إنَّ الله يُدْخِلُ الَّذِين آمَنُوا وعمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تحْتِها الأنهَارُ﴾** يقول تعالى ذكره: إن الله له الألوهة التي لا تنبغي لغيره، يُدخل الذين آمنوا بالله وبرسوله بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار، يفعل ذلك بهم تكرمة على إيمانهم به وبرسوله.

وقوله: **﴿والَّذِين كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيأْكُلُونَ كمَا تَأْكُلُ الأنْعامُ﴾** يقول جل ثناؤه: والذين

جحدوا توحيد الله، وكذّبوا رسوله ﷺ يتمتعون في هذه الدنيا بحطامها ورياشها وزينتها الفانية الدارسة، ويأكلون فيها غير مفكّرين في المعاد، ولا معتبرين بما وضع الله لخلقه من الحجج المؤدّية لهم إلى علم توحيد الله ومعرفة صدق رسله، فمثلهم في أكلهم ما يأكلون فيها من غير علم منهم بذلك، وغير معرفة، مثل الأنعام من البهائم المسخرة التي لا همة لها إلا في الاعتلاف دون غيره ﴿والنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾ يقول جلّ ثناؤه: والنار نار جهنم مسكن لهم، ومأوى، إليها يصيرون من بعد مماتهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وكم يا محمد من قرية هي أشدّ قوّة من قريتك، يقول أهلها أشدّ بأساً، وأكثر جمعاً، وأعدّ عديداً من أهل قريتك، وهي مكة، وأخرج الخبر عن القرية، والمراد به أهلها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وكأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتي أخْرَجَتْكَ أهْلَكْناهُمْ**﴾ قال: هي مكة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله ﴿**وكأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ**﴾ قال: قريته مكة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن حبيش، عن عكرمة، عن ابن عباس أن نبيّ الله ﷺ، لما خرج من مكة إلى الغار، أراه قال: التفت إلى مكة، فقال: «أنْتِ أحَبُّ بِلادِ اللَّهِ إلى اللَّهِ، وأنْتِ أحَبُّ بِلادِ اللَّهِ إليَّ، فَلَوْ أنَّ المُشْرِكِينَ لَمْ يُخْرِجُوني لَمْ أخْرُجْ مِنْكِ، فَأعْتَى الأعْداءِ مَنْ عَتا على اللَّهِ في حَرَمِهِ، أوْ قَتَلَ غيرَ قاتِلِهِ، أوْ قَتَلَ بِذُحُولِ الجاهِلِيَّةِ»، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**وكأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتي أخْرَجَتْكَ أهْلَكْناهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ**﴾ وقال جلّ ثناؤه: أخرجتك، فأخرج الخبر عن القرية، فلذلك أنّث، ثم قال: أهلكناهم، لأن المعنى في قوله أخرجتك، ما وصفت من أنه أريد به أهل القرية، فأخرج الخبر مرّة على اللفظ، ومرّة على المعنى.

وقوله: ﴿**فَلا ناصِرَ لَهُمْ**﴾ فيه وجهان من التأويل: أحدهما أن يكون معناه، وإن كان قد نصب الناصر بالتبرئة، فلم يكن لهم ناصر، وذلك أن العرب قد تضمر كان أحياناً في مثل هذا. والآخر أن يكون معناه: فلا ناصر لهم الآن من عذاب الله ينصرهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿أَفَمَنْ كَانَ﴾ على برهان وحجة وبيان ﴿مِنْ﴾ أمر ﴿رَبِّهِ﴾ والعلم بوحدانيته، فهو يعبده على بصيرة منه، بأن له ربّاً يجازيه على طاعته إياه الجنة، وعلى إساءته ومعصيته إياه النار، ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَه سُوءُ عَمَلِهِ﴾ يقول: كمن حسَّن له الشيطان قبيح عمله وسيئه، فأراه جميلاً، فهو على العمل به مقيم، ﴿واتَّبَعُوا أهْوَاءَهُمْ﴾ واتبعوا ما دعتهم إليه أنفسهم من معصية الله، وعبادة الأوثان من غير أن يكون عندهم بما يعملون من ذلك برهان وحجة. وقيل: إن الذي عُني بقوله: ﴿أفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ نبينا عليه الصلاة والسلام، وإن الذي عُنِي بقوله: ﴿كمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ هم المشركون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: صفة الجنة التي وعدها المتقون، وهم الذين اتقوا في الدنيا عقابه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه ﴿فِيهَا أنهَارٌ مِنْ ماءٍ غَيرِ آسِنٍ﴾ يقول تعالى ذكره في هذه الجنة التي: ذكرها أنهار من ماء غير متغير الريح، يقال منه: قد أَسِنَ ماء هذه البئر: إذا تغيرت ريح مائها فأنتنت، فهو يأْسَن أَسَناً، وكذلك يُقال للرجل إذا أصابته ريح منتنة: قد أَسِن فهو يأْسَن. وأما إذا أَجَن الماء وتغير، فإنه يقال له: أسِن فهو يأسَن، ويأسِن أسوناً، وماء آسن. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ﴿مِنْ ماءٍ غَيرِ آسِنٍ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فِيها أنهارٌ مِنْ ماءٍ غيرِ آسِنٍ﴾ يقول: غير متغير.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿أنهارٌ مِنْ ماءٍ غيرِ آسِنٍ﴾ قال: من ماء غير مُنْتن.

حدثني عيسى بن عمرو، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد، قال: ثنا مصعب بن سلام، عن سعد بن طريف، قال: سألت أبا إسحاق عن ﴿ماءٍ غيرِ آسِنٍ﴾ قال: سألت عنها الحارث،

فحدثني أن الماء الذي غير آسن تسنيم، قال: بلغني أنه لا تمسه يد، وأنه يجيء الماء هكذا حتى يدخل في فيه.

وقوله: ﴿وأنهارٌ مِنْ لَبنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضروع، ولكنه خلقه الله ابتداء في الأنهار، فهو بهيئته لم يتغير عما خلقه عليه.

وقوله: ﴿وأنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ للشَّارِبِينَ﴾ يقول: وفيها أنهار من خمر لذة للشاربين يلتذّون بشربها. كما:

حدثني عيسى، قال: ثنا إبراهيم بن محمد، قال: ثنا مصعب، عن سعد بن طريف، قال: سألت عنها الحارث، فقال: لم تدسه المجوس، ولم ينفخ فيه الشيطان، ولم تؤذها شمس، ولكنها فَوْحاء[1]، قال: قلت لعكرِمة: ما الفوحاء: قال: الصفراء. وكما:

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا حفص بن عمر، قال: ثنا الحكم بن أبان، عن عكرِمة، في قوله: ﴿مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ قال: لم يحلب، وخُفِضت اللذّة على النعت للخمر، ولو جاءت رفعاً على النعت للأنهار جاز، أو نصباً على يتلذّذ بها لذّة، كما يقال: هذا لك هبة. كان جائزاً فأما القراءة فلا أستجيزها فيها إلا خفضاً لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

وقوله: ﴿وأنهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّىً﴾ يقول: وفيها أنهار من عسل قد صُفِّي من القَذى، وما يكون في عسل أهل الدنيا قبل التصفية، وإنما أعلم تعالى ذكره عباده بوصفه ذلك العسل بأنه مصفى أنه خلق في الأنهار ابتداء سائلاً جارياً سيل الماء واللبن المخلوقين فيها، فهو من أجل ذلك مصفّىً، قد صفاه الله من الأقذاء التي تكون في عسل أهل الدنيا الذي لا يصفو من الأقذاء إلا بعد التصفية، لأنه كان في شمع فصُفي منه.

وقوله: ﴿ولَهُمْ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولهؤلاء المتقين في هذه الجنة من هذه الأنهار التي ذكرنا من جميع الثمرات التي تكون على الأشجار ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يقول: وعفو من الله لهم عن ذنوبهم التي أذنبوها في الدنيا، ثم تابوا منها، وصَفْحٌ منه لهم عن العقوبة عليها.

وقوله: ﴿كمَنْ هُوَ خالِدٌ في النَّارِ﴾ يقول تعالى ذكره: أمَّن هو في هذه الجنة التي صفتها

---

(١) في «اللسان» الفوح: وجدانك الريح الطيبة. فاحت ريح المسك تفوح وتفيح، فوحا وفيحاً، وفوحانا وفيحاناً: انتشرت رائحته.

ما وصفنا، كمن هو خالد في النار. وابْتدىء الكلام بصفة الجنة، فقيل: مثل الجنة التي وُعد المتقون، ولم يقل: أمَّن هو في الجنة. ثم قيل بعد انقضاء الخبر عن الجنة وصفتها **﴿كمَنْ هُوَ خالِدٌ في النَّارِ﴾**. وإنما قيل ذلك كذلك، استغناء بمعرفة السامع معنى الكلام، ولدلالة قوله: **﴿كمَنْ هُوَ خالِدٌ في النَّارِ﴾** على معنى قوله: **﴿مَثَلُ الجَنَّةِ التي وُعِدَ المُتَّقُونَ﴾**.

وقوله: **﴿وَسُقُوا ماءً حَمِيماً﴾** يقول تعالى ذكره: وسُقي هؤلاء الذين هم خلود في النار ماء قد انتهى حرّه فقطع ذلك الماء من شدّة حرّه أمعاءهم. كما:

حدثني محمد بن خلف العَسْقلانيّ، قال: ثنا حَيْوة بن شُريح الحِمصِيّ، قال: ثنا بقية، عن صفوان بن عمرو، قال: ثني عبيد الله بن بشر، عن أبي أُمامة الباهلي، عن رسول الله ﷺ في قوله: **﴿وَيُسْقَى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ﴾** قال: «يُقَرَّبُ إلَيْهِ فَيَتَكَرَّهُهُ، فإذَا أُدْنَى مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ، وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رأْسِهِ، فإذا شَرِبَ قَطَّعَ أمْعاءَهُ حتى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ». قال: يقول الله **﴿وَسُقُوا ماءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أمْعاءَهُمْ﴾** يقول الله عزّ وجلّ **﴿يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَساءَتْ مُرْتَفَقا﴾**.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء الكفار يا محمد **﴿من يَسْتَمِع إلَيْكَ﴾** وهو المنافِق، فيستمع ما تقول فلا يعيه ولا يفهمه، تهاوناً منه بما تتلو عليه من كتاب ربك، وتغافلاً عما تقوله، وتدعو إليه من الإيمان، **﴿حَتَّى إذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾** قالوا إعلاماً منهم لمن حضر معهم مجلسك من أهل العلم بكتاب الله، وتلاوتك عليهم ما تلوت، وقيلك لهم ما قلت إنهم لن يُصْغوا أسماعهم لقولك وتلاوتك **﴿ماذَا قالَ﴾** لنا محمد **﴿آنِفاً﴾**؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إلَيْكَ حَتَّى إذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾** هؤلاء المنافقون، دخل رجلان: رجل ممن عقل عن الله وانتفع بما سمع ورجل لم يعقل عن الله، فلم ينتفع بما سمع، كان يقال: الناس ثلاثة: فسامع عامل، وسامع غافل، وسامع تارك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ**

إِلَيْكَ﴾ قال: هم المنافقون. وكان يقال: الناس ثلاثة: سامع فعامل، وسامع فغافل، وسامع فتارك.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا يحيى بن آدم، قال: ثنا شريك، عن عثمان أبي اليقظان، عن يحيى بن الجزّار، أو سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، في قوله: **﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ماذَا قالَ آنِفاً﴾** قال ابن عباس: أنا منهم، وقد سُئِلت فيمن سُئِل.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾**... إلى آخر الآية، قال: هؤلاء المنافقون، والذين أُوتُوا العلم: الصحابة رضي الله عنهم.

وقوله: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ على قُلُوبِهِمْ﴾** يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم هم القوم الذين ختم الله على قلوبهم، فهم لا يهتدون للحقّ الذي بعث الله به رسوله عليه الصلاة والسلام، **﴿واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾** يقول: ورفضوا أمر الله، واتبعوا ما دعتهم إليه أنفسهم، فهم لا يرجعون مما هم عليه إلى حقيقة ولا برهان، وسوّى جلّ ثناؤه بين صفة هؤلاء المنافقين وبين المشركين، في أن جميعهم إنما يتبعون فيما هم عليه من فراقهم دين الله، الذي ابتعث به محمداً ﷺ أهواءهم، فقال في هؤلاء المنافقين: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ على قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾** وقال في أهل الكفر به من أهل الشرك، **﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٨)﴾.

يقول تعالى ذكره: وأما الذين وفّقهم الله لاتباع الحقّ، وشرح صدورهم للإيمان به وبرسوله من الذين استمعوا إليك يا محمد، فإن ما تلوته عليهم، وسمعوه منك **﴿زَادَهُمْ هُدىً﴾** يقول: زادهم الله بذلك إيماناً إلى إيمانهم، وبياناً لحقيقة ما جئتهم به من عند الله إلى البيان الذي كان عندهم. وقد ذُكر أن الذي تلا عليهم رسول الله ﷺ من القرآن، فقال أهل النفاق منهم لأهل الإيمان، ماذا قال آنفاً، وزاد الله أهل الهدى منهم هدىً، كان بعض ما أنزل الله من القرآن ينسخ بعض ما قد كان الحكم مضى به قبل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس، قوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وآتاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ قال: لما أنزل الله القرآن آمنوا به، فكان هدى، فلما تبين الناسخ والمنسوخ زادهم هدى.

وقوله: ﴿وآتاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وأعطى الله هؤلاء المهتدين تقواهم، وذلك استعماله إياهم تقواهم إياه.

وقوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ السَّاعَةَ أنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جاءَ أشْرَاطُها﴾ يقول تعالى ذكره: فهل ينظر هؤلاء المكذّبون بآيات الله من أهل الكفر والنفاق إلا الساعة التي وعد الله خلقه بعثهم فيها من قبورهم أحياء، أن تجيئهم فجأة لا يشعرون بمجيئها. والمعنى: هل ينظرون إلا الساعة، هل ينظرون إلا أن تأتيهم بغتة. و﴿أنْ﴾ من قوله: ﴿إلاَّ أنْ﴾ في موضع نصب بالردّ على الساعة، وعلى فتح الألف من ﴿أنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ ونصب ﴿تأتِيَهم﴾ بها قراءة أهل الكوفة. وقد:

حُدثت عن الفرّاء، قال: حدثني أبو جعفر الرُّؤاسيّ، قال: قلت لأبي عمرو بن العلاء: ما هذه الفاء التي في قوله: ﴿فَقَدْ جاءَ أشْرَاطُها﴾ قال: جواب الجزاء، قال: قلت: إنها إن تأتيهم، قال: فقال: معاذ الله، إنما هي «إنْ تَأْتِهِمْ» قال الفرّاء: فظننت أنه أخذها عن أهل مكة، لأنه قرأ، قال الفرّاء: وهي أيضاً في بعض مصاحف الكوفيين بسنة واحدة «تَأْتِهِمْ» ولم يقرأ بها أحد منهم.

وتأويل الكلام على قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف «إن» وجزم «تأتهم» فهل ينظرون إلا الساعة؟ فيجعل الخبر عن انتظار هؤلاء الكفار الساعة متناهياً عند قوله: ﴿إلاَّ السَّاعَةَ﴾، ثم يُبْتدأ الكلام فيقال: إن تأتهم الساعة بغتة فقد جاء أشراطها، فتكون الفاء من قوله: ﴿فَقَدْ جاءَ﴾ بجواب الجزاء.

وقوله: ﴿فَقَدْ جاءَ أشْرَاطُها﴾ يقول: فقد جاء هؤلاء الكافرين بالله الساعة وأدلتها ومقدّماتها، وواحد الأشراط: شَرَط، كما قال جرير:

تَرَى شَرَطَ المِعْزَى مُهورَ نِسائِهِمْ ... وفي شُرَطِ المِعْزَى لَهُنَّ مُهُورًا(١)

---

(١) البيت لجرير بن الخطفي الشاعر الإسلامي (ديوانه ٢٦٦) وفي روايته: «وفي قزم المعزى لهن مهور». وهو من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ٢٢٣) قال عند قوله تعالى: ﴿فقد جاء أشراطها﴾ أعلامها وإنما سمي الشرط فيما نرى، أنهم أعلموا أنفسهم وأشراط المال صغار الغنم وشراره. وقال جرير:

«ترى شرط........ البيت»

وفي «اللسان»: شرط والشرط (بالتحريك) رذال الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء قال جرير.

تساق من المعزى مهور نسائهم ... ومن شرط المعزى لهن مهور

وشرط الناس: خشارتهم.

ويُرَوى: «ترى قَزَم المِعْزَى»، يقال منه: أشرط فلان نفسَه: إذا علمها بعلامة، كما قال أوس بن حجر:

فأَشْرَطَ فِيها نَفْسَهُ وَهْوَ مُعْصِمٌ وألْقَى بأسْبابٍ لَهُ وَتَوَكَّلا[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿**فَقَدْ جاءَ أشْرَاطُها**﴾ يعني: أشراط الساعة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ السَّاعَةَ أنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً**﴾ قد دنت الساعة ودنا من الله فراغ العباد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فَقَدْ جاءَ أشْرَاطُها**﴾ قال: أشراطها: آياتها.

وقوله: ﴿**فأنى لَهُمْ إذَا جاءَتْهُمْ ذِكْراهُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: فمن أيّ وجه لهؤلاء المكذّبين بآيات الله ذكرى ما قد ضيَّعوا وفرّطوا فيه من طاعة الله إذا جاءتهم الساعة، يقول: ليس ذلك بوقت ينفعهم التذكر والندم، لأنه وقت مجازاة لا وقت استعتاب ولا استعمال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فأنَّى لَهُمْ إذَا جاءَتْهُم ذِكْراهُمْ**﴾ يقول: إذا جاءتهم الساعة أنى لهم أن يتذكروا ويعرفوا ويعقلوا؟

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**فأنى لَهُمْ إذَا جاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ**﴾ قال: أنى لهم أن يتذكروا أو يتوبوا إذا جاءتهم الساعة.

---

(١) البيت لأوس بن حجر «اللسان»: شرط قال الأصمعي: أشراط الساعة علاماتها. قال: ومنه الاشتراط الذي يشترط الناس بعضهم على بعض، أي هي علامات يجعلونها بينهم. ولهذا سميت الشرط، لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها. وحكى الخطابي عن بعض أهل اللغة أنه أنكر هذا التفسير وقال: أشراط الساعة: ما تنكره الناس من صغار أمورها، قبل أن تقول الساعة. وشرط السلطان: نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده. وقول أوس بن حجر:

«فأشرط فيها.... البيت»

أي جعل نفسه علماً لهذا الأمر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿فأنَّى لَهُمْ إذَا جاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾** قال: الساعة، لا ينفعهم عند الساعة ذكراهم، والذكرى في موضع رفع بقوله: **﴿فأنَّى لَهُمْ﴾** لأن تأويل الكلام: فأنى لهم ذكراهم إذا جاءتهم الساعة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة، ويجوز لك وللخلق عبادته، إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كلّ شيء، يدين له بالربوبية كلّ ما دونه **﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾** وسل ربك غفران سالف ذنوبك وحادثها، وذنوب أهل الإيمان بك من الرجال والنساء **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُم﴾** يقول: فإن الله يعلم متصرّفكم فيما تتصرّفون فيه في يقظتكم من الأعمال، ومثواكم إذا ثويتم في مضاجعكم للنوم ليلاً، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو مجازيكم على جميع ذلك. وقد:

حدثنا أبو كُريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا إبراهيم بن سليمان، عن عاصم الأحول، عن عبد الله بن سرجس، قال: أكلت مع رسول الله ﷺ، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله، فقال رجل من القوم: أستغفر لك يا رسول الله، قال: «نَعَمْ وَلَكَ»، ثم قرأ **﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ولِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويقول الذين صدّقوا الله ورسوله: هلا نزلت سورة من الله تأمرنا بجهاد أعداء الله من الكفار **﴿فإذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾** يعني: أنها محكمة بالبيان والفرائض. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله «فإذَا أُنْزِلَتْ سُورةٌ مُحْدَثَةٌ».

وقوله: **﴿وَذُكِرَ فِيها القِتالُ﴾** يقول: وذُكر فيها الأمر بقتال المشركين. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَيَقُولُ الّذِينَ آمَنُوا**

لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فإذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيها القِتالُ﴾ قال: كلّ سورة ذُكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي أشدّ القرآن على المنافقين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: **﴿وَذُكِرَ فِيها القِتالُ﴾** قال: كل سورة ذُكر فيها القتال فهي محكمة.

وقوله: **﴿رأيْتَ الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾** يقول: رأيت الذين في قلوبهم شك في دين الله وضعف **﴿يَنْظُرُونَ إلَيْكَ﴾** يا محمد، **﴿نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ﴾**، خوفاً أن تغزيهم وتأمرهم بالجهاد مع المسلمين، فهم خوفاً من ذلك وتجبنا عن لقاء العدوّ ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه الذي قد صرع. وإنما عنى بقوله: **﴿مِنَ المَوْتِ﴾** من خوف الموت، وكان هذا فعل أهل النفاق. كالذي:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿يَنْظُرُونَ إلَيْكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ﴾** قال: هؤلاء المنافقون طبع الله على قلوبهم، فلا يفقهون ما يقول النبيّ ﷺ.

وقوله: **﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾** يقول تعالى ذكره: فأولى لهؤلاء الذين في قلوبهم مرض.

وقوله: **﴿فأوْلَى لَهُمْ﴾** وعيد توعَّد الله به هؤلاء المنافقين. كما:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾** قال: هذه وعيد، فأولى لهم، ثم انقطع الكلام فقال: **﴿طاعَةٌ وقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾** قال: وعيد كما تسمعون.

وقوله: **﴿طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾** وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل هؤلاء المنافقين من قبل أن تنزل سورة محكمة، ويذكر فيها القتال، وأنهم إذا قيل لهم: إن الله مفترض عليكم الجهاد، قالوا: سمع وطاعة، فقال الله عزّ وجلّ لهم **﴿إذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾** وفُرض القتال فيها عليهم، فشقّ ذلك عليهم، وكرهوه **﴿طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾** قبل وجوب الفرض عليكم، فإذا عزم الأمر كرهتموه وشقّ عليكم.

وقوله: **﴿طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾** مرفوع بمضمر، وهو قولكم قبل نزول فرض القتال **﴿طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾**.

ورُوِي عن ابن عباس بإسناد غيرِ مرتضى أنه قال: قال الله تعالى: **﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾** ثم قال للذين آمنوا منهم **﴿طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾** فعلى هذا القول تمام الوعيد فأولى، ثم يستأنف

بعد، فيقال لهم ﴿طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ فتكون الطاعة مرفوعة بقوله: ﴿لهم﴾.

وكان مجاهد يقول في ذلك كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ قال: أمر الله بذلك المنافقين.

وقوله: ﴿فإذَا عَزَمَ الأمْرُ﴾ يقول: فإذا وجب القتال وجاء أمر الله بفرض ذلك كرهتموه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فإذَا عَزَمَ الأمْرُ﴾ قال: إذا جدّ الأمر، هكذا.

قال: محمد بن عمرو في حديثه، عن أبي عاصم، وقال الحارث في حديثه، عن الحسن يقول: جدّ الأمر.

وقوله: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فلو صدقوا الله ما وعدوه قبل نزول السورة بالقتال بقولهم: إذ قيل لهم: إن الله سيأمركم بالقتال طاعة، فَوَفَّوا له بذلك، لكان خيراً لهم في عاجل دنياهم، وآجل معادهم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فإذَا عَزَمَ الأمْرُ﴾ يقول: طواعية الله ورسوله، وقول معروف عند حقائق الأمور خير لهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة يقول: طاعة الله وقول بالمعروف عند حقائق الأمور خير لهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣)﴾.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف أنهم إذا نزلت سورة محكمة، وذُكر فيها القتال نظروا إلى رسول الله ﷺ نظر المغشيّ عليه ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أيها القوم، يقول: فلعلكم إن توليتم

عن تنزيل الله جلّ ثناؤه، وفارقتم أحكام كتابه، وأدبرتم عن محمد ﷺ وعما جاءكم به ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ يقول: أن تعصوا الله في الأرض، فتكفروا به، وتسفكوا فيها الدماء ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ﴾ وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التشتت والتفرّق بعد ما قد جمعكم الله بالإسلام، وألّف به بين قلوبكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾... الآية. يقول: فهل عسيتم كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله، ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطّعوا الأرحام، وعَصَوا الرحمن.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ﴾ قال: فعلوا.

حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا محمد بن جعفر وسليمان بن بلال، قالا: ثنا معاوية بن أبي المزرّد المديني، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرغ مِنْهُمْ تَعَلَّقَتِ الرَّحِمُ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ» فَقالَ مَهْ: فَقالَتْ: هَذَا مَقامُ العائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قالَ: أَفَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، وأَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ؟ قالَتْ: نَعَمْ، قالَ: فَذلِكِ لَكِ.

قال سليمان في حديثه: قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ﴾ وقد تأوّله بعضهم: فهل عسيتم إن توليتم أمور الناس أن تفسدوا في الأرض بمعنى الولاية، وأجمعت القرّاء غير نافعٍ على فتح السين من ﴿عَسَيتم﴾، وكان نافع يكسرها «عَسِيتم».

والصواب عندنا قراءة ذلك بفتح السين لإجماع الحجة من القرّاء عليها، وأنه لم يسمع في الكلام: عَسِيَ أخوك يقوم، بكسر السين وفتح الياء ولو كان صواباً كسرها إذا اتصل بها مكنّى، جاءت بالكسر مع غير المكنّى، وفي إجماعهم على فتحها مع الاسم الظاهر، الدليل الواضح على أنها كذلك مع المكنّى، وإن التي تَلِي عسيتم مكسورة، وهي حرف جزاء، و«أن» التي مع تفسدوا في موضع نصيب بعسيتم.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يفعلون هذا، يعني الذين يفسدون ويقطعون الأرحام الذين لعنهم الله، فأبعدهم من رحمته ﴿فأصمهم﴾، يقول: فسلبهم فَهْمَ ما يسمعون بآذانهم من مواعظ الله في تنزيله ﴿وأعْمَى أبْصَارَهُمْ﴾ يقول: وسلبهم عقولهم، فلا يتبيَّنون حُجج الله، ولا يتذكَّرون ما يرون من عبره وأدلته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام، ويتفكَّرون في حُججه التي بيَّنها لهم في تنزيله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون ﴿**أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفالُهَا**﴾ يقول: أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعِبَر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفالُهَا**﴾ إذاً والله يجدون في القرآن زاجراً عن معصية الله، لو تدبره القوم فعقلوه، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك.

حدثنا إسماعيل بن حفص الأيلي، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن مَعدان، قال: ما من آدميّ إلا وله أربع أعين: عينان في رأسه لدنياه، وما يصلحه من معيشته، وعينان في قلبه لدينه، وما وعد الله من الغيب، فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً أبصرت عيناه اللتان في قلبه، وإذا أراد الله به غير ذلك طَمَس عليهما، فذلك قوله: ﴿**أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفالُهَا**﴾.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا ثور بن يزيد، قال: ثنا خالد بن معدان، قال: ما من الناس أحد إلا وله أربع أعين، عينان في وجهه لمعيشته، وعينان في قلبه، وما من أحد إلا وله شيطان متبطن فقار ظهره، عاطف عنقه على عنقه، فاغر فاه إلى ثمرة قلبه، فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً أبصرت عيناه اللتان في قلبه ما وعد الله من الغيب، فعمل به، وهما غيب، فعمل بالغيب، وإذا أراد الله بعبد شرّاً تركه، ثم قرأ ﴿**أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفالُهَا**﴾.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا الحكم، قال: ثنا عمرو، عن ثور، عن خالد بن مَعْدان بنحوه، إلا أنه قال: ترك القلب على ما فيه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: ثنا هشام بن عروة، عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ يوماً ﴿**أفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآن أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفالُهَا**﴾ فقال شاب من أهل اليمن: بل عليها أقفالها، حتى يكون الله عزّ وجلّ يفتحها أو يفرجها، فما زال

الشاب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به.

وقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلى أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى**﴾ يقول الله عزّ وجلّ إن الذين رجعوا القهقرى على أعقابهم كفاراً بالله من بعد ما تبين لهم الحقّ وقصد السبيل، فعرفوا واضح الحجة، ثم آثروا الضلال على الهدى عناداً لأمر الله تعالى ذكره من بعد العلم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلى أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى**﴾ هم أعداء الله أهل الكتاب، يعرفون بعث محمد نبيّ الله ﷺ وأصحابه عندهم، ثم يكفرون به.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى**﴾ إنهم يجدونه مكتوباً عندهم.

وقال آخرون: عنى بذلك أهل النفاق.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا على أدْبارِهِمْ**﴾... إلى قوله ﴿**فأَحْبَطَ أعمالَهُمْ**﴾ هم أهل النفاق.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا على أدْبارِهِمْ**﴾... إلى ﴿**إسْرَارَهُمْ**﴾ هم أهل النفاق. وهذه الصفة بصفة أهل النفاق عندنا، أشبه منها بصفة أهل الكتاب، وذلك أن الله عزّ وجلّ أخبر أن ردّتهم كانت بقيلهم ﴿**لِلَّذِينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُم في بَعْضِ الأَمْرِ**﴾ ولو كانت من صفة أهل الكتاب، لكان في وصفهم بتكذيب محمد ﷺ الكفاية من الخبر عنهم بأنهم إنما ارتدّوا من أجل قيلهم ما قالوا.

وقوله: ﴿**الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: الشيطان زين لهم ارتدادهم على أدبارهم، من بعد ما تبين لهم الهدى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وأمْلَى لَهُمْ**﴾ يقول: زين لهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**سَوَّلَ لَهُمْ**﴾ يقول: زين لهم.

وقوله: ﴿وأمْلَى لَهُمْ﴾ يقول: ومدّ الله لهم في آجالهم مُلاوة من الدهر، ومعنى الكلام: الشيطان سوّل لهم، والله أملى لهم.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والكوفة ﴿وأمْلَى لَهُمْ﴾ بفتح الألف منها بمعنى: وأملى الله لهم. وقرأ ذلك بعض أهل المدينة والبصرة «وأُمْلِيَ لَهُمْ» على وجه ما لم يسمّ فاعله. وقرأ مجاهد فيما ذُكر عنه «وأُمْلِي» بضم الألف وإرسال الياء على وجه الخبر من الله جلّ ثناؤه عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم.

وأولى هذه القراءات بالصواب، التي عليها عامة قرّاء الحجاز والكوفة من فتح الألف في ذلك، لأنها القراءة المستفيضة في قَرَأَةَ الأمصار، وإن كان يجمعها مذهب تتقارب معانيها فيه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: أملى الله لهؤلاء المنافقين وتركهم، والشيطان سوّل لهم، فلم يوفقهم للهدى من أجل أنهم ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللَّهُ﴾ من الأمر بقتال أهل الشرك به من المنافقين: ﴿سَنُطِيعُكُمْ في بَعْضِ الأمْرِ﴾ الذي هو خلاف لأمر الله تبارك وتعالى، وأمر رسوله ﷺ. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ذلكَ بأنَّهُمْ قالُوا للَّذِينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأمْرِ﴾ فهؤلاء المنافقون ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إسْرَارَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: والله يعلم إسرار هذين الحزبين المتظاهرين من أهل النفاق، على خلاف أمر الله وأمر رسوله، إذ يتسارّون فيما بينهم بالكفر بالله ومعصية الرسول، ولا يخفى عليه ذلك ولا غيره من الأمور كلها.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة «أسْرَارُهُمْ» بفتح الألف من أسرارهم على وجه جماع سرّ. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة ﴿إسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الألف على أنه مصدر من أسررت إسراراً.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والله يعلم إسرار هؤلاء المنافقين، فكيف لا يعلم حالهم إذا توفتهم الملائكة، وهم يضربون وجوههم وأدبارهم، يقول: فحالهم أيضاً لا يخفى عليه في ذلك الوقت ويعني بالأدبار: الأعجاز، وقد ذكرنا الرواية في ذلك فيما مضى قبل.

وقوله: **﴿ذَلَك بأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللَّه﴾** يقول تعالى ذكره: تفعل الملائكة هذا الذي وصفت بهؤلاء المنافقين من أجل أنهم اتبعوا ما أسخط الله، فأغضبه عليهم من طاعة الشيطان **﴿وكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾** يقول: وكرهوا ما يرضيه عنهم من قتال الكفار به، بعد ما افترضه عليهم.

وقوله: **﴿فأَحْبَطَ أعمالَهُمْ﴾** يقول: فأبطل الله ثواب أعمالهم وأذهبه، لأنها عملت في غير رضاه ولا محبته، فبطلت، ولم تنفع عاملها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أحسب هؤلاء المنافقون الذين في قلوبهم شكّ في دينهم، وضعف في يقينهم، فهم حيارَى في معرفة الحقّ أن لن يُخرج الله ما في قلوبهم من الأضغان على المؤمنين، فيبديه لهم ويظهره، حتى يعرفوا نفاقهم، وحيرتهم في دينهم **﴿وَلَوْ نَشاءُ لأَرَيْناكَهُمْ﴾** يقول تعالى ذكره: ولو نشاء يا محمد لعرّفناك هؤلاء المنافقين حتى تعرفهم من قول القائل: سأريك ما أصنع، بمعنى سأعلمك.

وقوله: **﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ﴾** يقول: فلتعرفنهم بعلامات النفاق الظاهرة منهم في فحوى كلامهم، وظاهر أفعالهم، ثم إن الله تعالى ذكره عرّفه إياهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أضْغانَهُمْ﴾**... إلى آخر الآية، قال: هم أهل النفاق، وقد عرّفه إياهم في براءة، فقال: **﴿وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ**

أبداً وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ﴾ وقال: ﴿قُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعي أَبَداً وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعي عَدُوّاً﴾.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾... الآية، هم أهل النفاق ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ﴾ فعرّفه الله إياهم في سورة براءة، فقال: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً﴾، وقال ﴿قُلْ لَهُمْ لَنْ تَنْفِرُوا[1] مَعيَ أَبداً وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعي عَدُوّاً﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغانَهُمْ﴾ قال: هؤلاء المنافقون، قال: والذي أسروا من النفاق هو الكفر.

قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَوْ نَشاءُ لأَرَيْناكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ﴾ قال: هؤلاء المنافقون، قال: وقد أراه الله إياهم، وأمر بهم أن يخرجوا من المسجد، قال: فأبَوا إلا أن تَمَسَّكُوا بلا إله إلا الله فلما أبوا إلا أن تمسكوا بلا إله إلا الله حُقِنت دماؤهم، ونكحوا ونوكحوا بها.

وقوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ﴾ يقول: ولتعرفنّ هؤلاء المنافقين في معنى قولهم ونحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فِي لَحْنِ القَوْلِ﴾ قال قولهم: ﴿واللَّهُ يَعْلَمُ أعمالَكُمْ﴾ لا يخفى عليه العامل منكم بطاعته، والمخالف ذلك، وهو مجازي جميعكم عليها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ (٣١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢)﴾.

يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أيها المؤمنون بالقتل، وجهاد أعداء الله ﴿حتى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾ يقول: حتى يعلم حزبي وأوليائي أهل الجهاد في الله منكم، وأهل الصبر على قتال أعدائه، فيظهر ذلك لهم، ويعرف ذوو البصائر

(١) التلاوة «لن تخرجوا».

منكم في دينه من ذوي الشكّ والحَيرة فيه وأهل الإيمان من أهل النفاق ونبلو أخباركم، فنعرف الصادق منكم من الكاذب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿حتى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾، وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الخَوْف والجُوعِ﴾ ونحو هذا قال: أخبر الله سبحانه المؤمنين أن الدنيا دار بلاء، وأنه مبتليهم فيها، وأمرهم بالصبر، وبشَّرهم فقال: وَبَشِّر الصَّابِرِينَ، ثم أخبرهم أنه هكذا فعل بأنبيائه، وصفوته لتطيب أنفسهم، فقال: مَسَّتْهُمُ البأْساءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا، فالبأساء: الفقر، والضرّاء: السقم، وزُلزلوا بالفتن وأذى الناس إياهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم حتى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ قال: نختبركم، البلوى: الاختبار. وقرأ ﴿الَم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ قال: لا يختبرون ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾ الآية.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حتى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبارَكُمْ﴾، فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار بالنون «نبلو» و«نعلم»، ونبلو على وجه الخبر من الله جلّ جلاله عن نفسه، سوى عاصم فإنه قرأ جميع ذلك بالياء والنون هي القراءة عندنا لإجماع الحجة من القرّاء عليها، وإن كان للأخرى وجه صحيح.

وقوله: ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين جحدوا توحيد الله، وصدّوا الناس عن دينه الذي ابتعث به رسله ﴿وَشاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى﴾ يقول: وخالفوا رسوله محمداً ﷺ، فحاربوه وآذوه من بعد ما علموا أنه نبيّ مبعوث، ورسول مرسل، وعرفوا الطريق الواضح بمعرفته، وأنه لله رسول.

وقوله: ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً﴾ لأن الله بالغ أمره، وناصر رسوله، ومُظهره على من عاداه وخالفه ﴿وسَيُحْبِطُ أعمالَهُمْ﴾ يقول: وسيذهب أعمالهم التي عملوها في الدنيا فلا ينفعهم بها في الدنيا ولا الآخرة، ويبطلها إلا مما يضرّهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ بالله ورسوله ﴿**أطِيعُوا اللَّهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ في أمرهما ونهيهما ﴿**وَلا تَبْطِلُوا أعمالَكُمْ**﴾ يقول: ولا تبطلوا بمعصيتكم إياهما، وكفركم بربكم ثواب أعمالكم فإن الكفر بالله يحبط السالف من العمل الصالح. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا الله وأطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أعمالَكُمْ**﴾.... الآية، من استطاع منكم أن لا يبطل عملاً صالحاً عمله بعمل سيء فليفعل، ولا قوّة إلا بالله، فإن الخير ينسخ الشرّ، وإن الشرّ ينسخ الخير، وإن ملاك الأعمال خواتيمها.

وقوله: ﴿**إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ ماتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين أنكروا توحيد الله، وصدّوا من أراد الإيمان بالله وبرسوله عن ذلك، ففتنوهم عنه، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من ذلك، ثم ماتوا وهم كفار: يقول: ثم ماتوا وهم على ذلك من كفرهم ﴿**فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾ يقول: فلن يعفو الله عما صنع من ذلك، ولكنه يعاقبه عليه، ويفضحه به على رؤوس الأشهاد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله عن جهاد المشركين وتجبُنوا عن قتالهم. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**فَلا تَهِنُوا**﴾ قال: لا تضعفوا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فَلا تَهِنُوا**﴾ لا تضعف أنت.

وقوله: ﴿**وَتَدْعُوا إلى السَّلْمِ وأنْتُمُ الأعْلَوْنَ**﴾ يقول: لا تضعفوا عنهم وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة، وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم ﴿**وَاللَّهُ مَعَكُمْ**﴾ يقول: والله معكم بالنصر لكم عليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أنهم اختلفوا في معنى قوله: ﴿وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ فقال بعضهم: معناه: وأنتم أولى بالله منهم. وقال بعضهم: مثل الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك، وقال معنى قوله: ﴿وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ أنتم أولى بالله منهم.

حدثني أحمد بن المقدام، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت أبي يحدّث، عن قتادة، في قوله: ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السَّلْمِ﴾ قال: أي لا تكونوا أولى الطائفتين تصرع.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السَّلْمِ﴾ قال: لا تكونوا أولى الطائفتين صرعت لصاحبتها، ودعتها إلى الموادعة، وأنتم أولى بالله منهم والله معكم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السَّلْمِ﴾ قال: لا تكونوا أولى الطائفتين صرعت إلى صاحبتها ﴿وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ قال: يقول: وأنتم أولى بالله منهم ذكر من قال معنى قوله: ﴿وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾: أنتم الغالبون الأعزّ منهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ قال: الغالبون مثل يوم أُحد، تكون عليهم الدائرة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السَّلْمِ وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ قال: هذا منسوخ، قال: نسخه القتال والجهاد، يقول: لا تضعف أنت وتدعوهم أنت إلى السلم وأنت الأعلى، قال: وهذا حين كانت العهود والهدنة فيما بينه وبين المشركين قبل أن يكون القتال، يقول: لا تهن فتضعف، فيرى أنك تدعوه إلى السلم وأنت فوقه، وأعزّ منه ﴿وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ أنتم أعزّ منهم، ثم جاء القتال بعد فنسخ هذا أجمع، فأمره بجهادهم والغلظة عليهم. وقد قيل: عنى بقوله: ﴿وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ وأنتم الغالبون آخر الأمر، وإن غلبوكم في بعض الأوقات، وقهروكم في بعض الحروب.

وقوله: ﴿فَلا تَهِنُوا﴾ جزم بالنهي، وفي قوله ﴿وَتَدْعُوا﴾ وجهان: أحدهما الجزم على العطف على تهنوا، فيكون معنى الكلام: فلا تهنوا ولا تدعوا إلى السلم، والآخر النصب على الصرف.

وقوله: ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ﴾ يقول: ولن يظلمكم أجور أعمالكم فينقصكم ثوابها، من قولهم: وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً، فأخذت له مالاً غصباً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله يقول: ﴿**وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ**﴾ يقول: لن يظلمكم أجور أعمالكم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ**﴾ قال: لن ينقصكم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ**﴾: أي لن يظلمكم أعمالكم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ**﴾ قال: لن يظلمكم أعمالكم ذلك يتركم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ**﴾ قال: لن يظلمكم أعمالكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: حاضاً عباده المؤمنين على جهاد أعدائه، والنفقة في سبيله، وبذل مهجتهم في قتال أهل الكفر به: قاتلوا أيها المؤمنون أعداء الله وأعداءكم من أهل الكفر، ولا تدعكم الرغبة في الحياة إلى ترك قتالهم، فإنما الحياة الدنيا لعب ولهو، إلا ما كان منها لله من عمل في سبيله، وطلب رضاه. فأما ما عدا ذلك فإنما هو لعب ولهو، يضمحلّ فيذهب ويندرس فيمرّ، أو إثم يبقى على صاحبه عاره وخزيه ﴿**وَإنْ تُؤْمِنوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أجُورَكُمْ**﴾ يقول: وإن تعملوا في هذه الدنيا التي ما كان فيها مما هو لها، فلعب ولهو، فتؤمنوا به وتتقوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، وهو الذي يبقى لكم منها، ولا يبطل بطول اللهو واللعب، ثم يؤتكم ربكم عليه أجوركم، فيعوّضكم منه ما هو خير لكم منه يوم فقركم، وحاجتكم إلى أعمالكم ﴿**وَلا يَسألْكُمْ أمْوَالَكُمْ**﴾ يقول: ولا يسألكم ربكم أموالكم، ولكنه يكلفكم توحيده،

وخلع ما سواه من الأنداد، وإفراد الألوهة والطاعة له **﴿إن يسألكموها﴾**: يقول جلّ ثناؤه: إن يسألكم ربكم أموالكم **﴿فيحفكم﴾** يقول: فيجهدكم بالمسألة، ويلحّ عليكم بطلبها منكم فيلحف، تبخلوا: يقول: تبخلوا بها وتمنعوها إياه، ضناً منكم بها، ولكنه علم ذلك منكم، ومن ضيق أنفسكم فلم يسألكموها.

وقوله: **﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾** يقول: ويخرج جلّ ثناؤه لو سألكم أموالكم بمسألته ذلك منكم أضغانكم قال: قد علم الله أن في مسألته المال خروج الأضغان.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا﴾** قال: الإحفاء: أن تأخذ كلّ شيء بيديك[1].

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين: **﴿ها أَنْتُمْ﴾** أيها الناس **﴿هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** يقول: تدعون إلى النفقة في جهاد أعداء الله ونُصرة دينه **﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ﴾** بالنفقة فيه، وأدخلت «ها» في موضعين، لأن العرب إذا أرادت التقريب جعلت المكنّى بين «ها» وبين «ذا»، فقالت: ها أنت ذا قائماً، لأن التقريب جواب الكلام، فربما أعادت «ها» مع «ذا»، وربما اجتزأت بالأولى، وقد حُذفت الثانية، ولا يقدّمون أنتم قبل «ها»، لأن «ها» جواب فلا تقرب بها بعد الكلمة.

وقال بعض نحويي البصرة: جعل التنبيه في موضعين للتوكيد.

وقوله: **﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾** يقول تعالى ذكره: ومن يبخل بالنفقة في سبيل الله، فإنما يبخل عن بخل نفسه، لأن نفسه لو كانت جواداً لم تبخل بالنفقة في سبيل الله، ولكن كانت تجود بها **﴿وَاللَّهُ الغَنِيّ وأَنْتُمُ الفُقَرَاءُ﴾** يقول تعالى ذكره: ولا حاجة لله أيها الناس إلى أموالكم ولا نفقاتكم، لأنه الغنيّ عن خلقه والخلق الفقراء إليه، وأنتم من خلقه، فأنتم الفقراء إليه، وإنما حضكم على النفقة في سبيله، ليُكسبكم بذلك الجزيل من ثوابه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) في «اللسان»: حفا أحفى فلان فلاناً: إذا برح به في الإلحاف عليه، أو سأله فأكثر عليه في الطلب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**ها أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الغَنِيُّ وأَنْتُمُ الفُقَرَاءُ**﴾ قال: ليس بالله تعالى ذكره إليكم حاجة وأنتم أحوج إليه.

وقوله تعالى ذكره: ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: وإن تتولوا أيها الناس عن هذا الدين الذي جاءكم به محمد ﷺ، فترتدّوا راجعين عنه ﴿**يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ**﴾ يقول: يهلككم ثم يجيء بقوم آخرين غيركم بدلاً منكم يصدّقون به، ويعملون بشرائعه ﴿**ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ**﴾ يقول: ثم لا يبخلوا بما أُمروا به من النفقة في سبيل الله، ولا يضيعون شيئاً من حدود دينهم، ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يُؤمرون به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ**﴾ يقول: إن توليتم عن كتابي وطاعتي أستبدل قوماً غيركم. قادر والله ربنا على ذلك على أن يهلكهم، ويأتي من بعدهم من هو خير منهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ**﴾ قال: إن تولوا عن طاعة الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ**﴾(١).

وذُكر أنه عنى بقوله: ﴿**يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ**﴾: العجم من عجم فارس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بَزِيع البغدادي أبو سعيد، قال: ثنا إسحاق بن منصور، عن مسلم بن خالد، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: لما نزلت ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ**﴾ كان سَلْمان إلى جنب رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله من هؤلاء القوم الذين إن تولينا استُبدِلوا بنا، قال: فضرب النبيّ ﷺ على منكب سلمان، فقال: «مِنْ هَذَا وَقَوْمِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ الدّينَ تَعَلَّقَ بالثُّرَيَّا لَنالَتْهُ رِجالٌ مِنْ أهْلِ فارِسٍ».

---

(١) لم يأت بالتأويل هنا، اكتفاء بدلالة ما قبله عليه، لأن الرواية في الحديثين عن يونس بن عبد الأعلى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني مسلم بن خالد، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية **﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾** قالُوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن نولَّينا استبدلوا بنا، ثم لا يكونوا أمثالنا، فضرب على فخذ سلمان قال: «هَذَا وَقَوْمُهُ، وَلَوْ كانَ الدّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَتَناوَلَهُ رِجالٌ مِنَ الفُرْسِ».

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذيّ، قال: ثنا عبد الله بن الوليد العَدَني، قال: ثنا مسلم بن خالد، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: نزلت هذه الآية وسلمان الفارسيّ إلى جنب رسول الله ﷺ تحكّ ركبته ركبته **﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُم﴾** قالوا: يا رسول الله ومن الذين إن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا، قال: فضرب فخذ سلمان ثم قال: «هَذَا وَقَوْمُهُ».

وقال: مجاهد في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غيرَكُمْ﴾** من شاء.

وقال آخرون: هم أهل اليمن.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عوف الطائيّ، قال: ثنا أبو المغيرة، قال: ثنا صفوان بن عمرو، قال: ثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جُبير وشريح بن عبيد، في قوله: **﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ﴾** قال: أهل اليمن.

آخر تفسير سورة محمد ﷺ

(٤٨) سورة الفتح مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣)﴾.

يعني بقوله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿**إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً**﴾ يقول: إنا حكمنا لك يا محمد حكماً لمن سمعه أو بلغه على من خالفك وناصبك من كفار قومك، وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر، لتشكر ربك، وتحمده على نعمته بقضائه لك عليهم، وفتحه ما فتح لك، ولتسبحه وتستغفره، فيغفر لك بفعالك ذلك ربك، ما تقدّم من ذنبك قبل فتحه لك ما فتح، وما تأخَّر بعد فتحه لك ذلك ما شكرته واستغفرته.

وإنما اخترنا هذا القول في تأويل هذه الآية لدلالة قول الله عزّ وجلّ ﴿**إِذَا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْح ورأيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنَّهُ كانَ تَوَّاباً**﴾ على صحته، إذ أمره تعالى ذكره أن يسبح بحمد ربه إذا جاءه نصر الله وفتح مكة، وأن يستغفره، وأعلمه أنه توّاب على من فعل ذلك، ففي ذلك بيان واضح أن قوله تعالى ذكره: ﴿**لَيَغْفِرَ لَكَ الله ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ**﴾ إنما هو خبر من الله جلّ ثناؤه نبيه عليه الصلاة والسلام عن جزائه له على شكره له، على النعمة التي أنعم بها عليه من إظهاره له ما فتح، لأن جزاء الله تعالى عباده على أعمالهم دون غيرها.

وبعد ففي صحة الخبر عنه ﷺ أنه كان يقوم حتى ترم قدماه، فقيل له: يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفَلا أكُونُ عَبْداً شَكُوراً؟»، الدلالة الواضحة على أن الذي قلنا من ذلك هو الصحيح من القول، وأن الله تبارك وتعالى، إنما وعد نبيه محمداً ﷺ غفران ذنوبه المتقدمة، فتح ما فتح عليه، وبعده على شكره له، على نعمه التي أنعمها عليه. وكذلك كان يقول ﷺ: «إنّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وأتُوبُ إلَيْهِ فِي كُلّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ» ولو كان القول في ذلك أنه من خبر الله تعالى نبيه أنه قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر على غير الوجه الذي ذكرنا، لم يكن لأمره إياه بالاستغفار بعد هذه الآية، ولا لاستغفار نبيّ الله ﷺ ربه

جلّ جلاله من ذنوبه بعدها معنى يعقل، إذ الاستغفار معناه: طلب العبد من ربه عزّ وجلّ غفران ذنوبه، فإذا لم يكن ذنوب تغفر لم يكن لمسألته إياه غفرانها معنى، لأنه من المحال أن يقال: اللهمّ اغفر لي ذنباً لم أعمله. وقد تأوّل ذلك بعضهم بمعنى: ليغفر لك ما تقدّم من ذنبك قبل الرسالة، وما تأخر إلى الوقت الذي قال: **﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ﴾**. وأما الفتح الذي وعد الله جلّ ثناؤه نبيه ﷺ هذه العدة على شكره إياه عليه، فإنه فيما ذُكر الهدنة التي جرت بين رسول الله ﷺ وبين مشركي قريش بالحديبية.

وذُكر أن هذه السورة أُنزلت على رسول الله ﷺ منصرفة عن الحديبية بعد الهدنة التي جرَت بينه وبين قومه. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: **﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾** قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: **﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾** قال: قضينا لك قضاءً مبيناً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾** والفتح: القضاء.

ذكر الرواية عمن قال: هذه السورة نزلت على رسول الله ﷺ في الوقت الذي ذكرت:

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، عن عامر **﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾** قال: الحديبية.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: **﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾** قال: نحرُه بالحديبية وحَلْقُه.

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا أبو بحر، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا جامع ابن شدّاد، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: لما أقبلنا من الحُديبية أعرسنا فنمنا، فلم نستيقظ إلا بالشمس قد طلعت، فاستيقظنا ورسول الله ﷺ نائم، قال: فقلنا أيقظوه، فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال: «افْعَلُوا كَمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ، فكذلك من نام أو نسي» قال: وفقدنا ناقة رسول الله ﷺ، فوجدناها قد تعلّق خطامها بشجرة، فأتيته بها، فركب فبينا نحن نسير، إذ أتاه الوحي، قال: وكان إذا أتاه اشتدّ عليه فلما سري عنه أخبرنا أنه أُنزل عليه: **﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾**.

حدثنا أحمد بن المقدام، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت أبي يحدّث عن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: لما رجعنا من غزوة الحديبية، وقد حيل بيننا وبين نسكنا، قال: فنحن بين الحزن والكآبة، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ وَيُتِمّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ويَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾**، أو كما شاء الله، فقال نبيّ الله ﷺ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إليَّ مِنَ الدُّنْيا جَمِيعاً».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، في قوله: **﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾** قال: نزلت على النبيّ ﷺ مرجعه من الحديبية، وقد حيل بينهم وبين نسكهم، فنحر الهدي بالحديبية، وأصحابه مخالطو الكآبة والحزن، فقال: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إليَّ مِنَ الدُّنْيا جَمِيعاً»، فَقَرأ **﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ﴾**... إلى قوله: **﴿عَزِيزاً﴾** فقال أصحابه هنيئاً لك يا رسول الله قد بين الله لنا ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا، فأنزل الله هذه الآية بعدها **﴿لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنات جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها﴾**... إلى قوله: **﴿وكانَ ذلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً﴾**.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا همام، قال: ثنا قتادة، عن أنس، قال: أُنزلت هذه الآية، فذكر نحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بنحوه، غير أنه قال في حديثِه: فقال رجل من القوم: هنيئاً لك مريئاً يا رسول الله، وقال أيضاً: فبين الله ماذا يفعل بنبيه عليه الصلاة والسلام، وماذا يفعل بهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: «نزلت على النبيّ ﷺ **﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ﴾** مرجعه من الحديبية، فقال النبيّ ﷺ: «لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إليَّ مِمَّا عَلى الأرْضِ»، ثم قرأها عليهم، فقالوا: هنيئاً مريئاً يا نبيّ الله، قد بين الله تعالى ذكره لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: **﴿لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ﴾**... إلى قوله: **﴿فَوْزاً عَظِيماً﴾**».

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، عن عكرمة، قال: لما نزلت هذه الآية **﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ وَيُتِمّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ويَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾** قالوا: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله، فماذا لنا؟ فنزلت **﴿لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ﴾**.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت قتادة يحدّث عن أنس في هذه الآية ﴿**إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً**﴾ قال: الحديبية.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن حماد، قال: ثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: ما كنا نعدّ فتح مكة إلا يوم الحديبية.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا يعلى بن عبيد، عن عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي وائل، قال: تكلم سهل بن حنيف يوم صفّين، فقال: يا أيها الناس اتهموا أنفسكم، لقد رأيتنا يوم الحديبية، يعني الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ألسنا على حقّ وهم على باطل؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بَلى»، قال: ففيم نُعطَى الدنية في ديننا، ونرجع ولمّا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابْنَ الخَطَّابِ، إنّي رَسُولُ الله، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي أبَداً»، قال: فرجع وهو متغيظ، فلم يصبر حتى أتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر ألسنا على حقّ وهم على باطل؟ أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: ففيم نعطَى الدنية في ديننا، ونرجع ولمّا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله، لن يضيعه الله أبداً، قال: فنزلت سورة الفتح، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمر، فأقرأه إياها، فقال: يا رسول الله، أوَ فَتح هو؟ قال: «نَعَمْ».

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعوديّ، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن أبي سفيان عن جابر، قال: ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: تعدّون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة مِئة، والحديبية: بئر.

حدثني موسى بن سهل الرملي، ثنا محمد بن عيسى، قال: ثنا مُجَمع بن يعقوب الأنصاريّ، قال: سمعت أبي يحدّث عن عمه عبد الرحمن بن يزيد، عن عمه مجمِّع بن جارية الأنصاريّ، وكان أحد القرّاء الذين قرأوا القرآن، قال: شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، فلما انصرفنا عنها، إذا الناس يهزّون الأباعر، فقال بعض الناس لبعض: ما للناس، قالوا: أُوحِي إلى رسول الله ﷺ ﴿**إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ**﴾ فقال رجل: أوَ فتحٌ هو يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ»، «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّهُ لَفَتْحٌ»، قال: فقُسِّمَت خيبر على أهل الحديبية، لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديبية، وكان الجيش ألفاً وخمس مئة، فيهم ثلاث مئة فارس، فقسمها رسول الله ﷺ على ثمانية عشر سهماً، فأعطى الفارس سهمين، وأعطى الراجل سهماً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن الشعبيّ، قال: نزلت ﴿**إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً**﴾ بالحديبية، وأصاب في تلك الغزوة ما لم يصبه في غزوة، أصاب أن بُويع بيعة الرضوان، وغُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، وظهرت الروم على فارس، وبلغ الهَدْيُ مَحِله، وأُطعموا نخل خيبر، وفرح المؤمنون بتصديق النبيّ ﷺ، وبظهور الروم على فارس.

وقوله تعالى: ﴿**وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ**﴾ بإظهاره إياك على عدوّك، ورفعه ذكرك في الدنيا، وغفرانه ذنوبك في الآخرة ﴿**ويَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً**﴾ يقول: ويرشدك طريقاً من الدين لا اعوجاج فيه، يستقيم بك إلى رضا ربك ﴿**وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً**﴾ يقول: وينصرك على سائر أعدائك، ومن ناوأك نصراً، لا يغلبه غالب، ولا يدفعه دافع، للبأس الذي يؤيدك الله به، وبالظفر الذي يمدّك به.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾.

يعني جلّ ذكره بقوله: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ**﴾ الله أنزل السكون والطمأنينة في قلوب المؤمنين بالله ورسوله إلى الإيمان، والحقّ الذي بعثك الله به يا محمد. وقد مضى ذكر اختلاف أهل التأويل في معنى السكينة قبل، والصحيح من القول في ذلك بالشواهد المغنية، عن إعادتها في هذا الموضع.

﴿**لِيَزْدَادُوا إيماناً مَعَ إيمانِهِمْ**﴾ يقول: ليزدادوا بتصديقهم بما جدّد الله من الفرائض التي ألزمهموها، التي لم تكن لهم لازمة ﴿**إيماناً مع إيمانهم**﴾، يقول: ليزدادوا إلى إيمانهم بالفرائض التي كانت لهم لازمة قبل ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ**﴾ قال: السكينة: الرحمة ﴿**لِيَزْدَادُوا إيمَاناً مَعَ إيمانِهِمْ**﴾ قال: إن الله جلّ ثناؤه بعث نبيه محمداً ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدّقوا بها زادهم الصلاة، فلما صدّقوا بها زادهم الصيام، فلما صدّقوا به زادهم الزكاة، فلما صدّقوا بها زادهم الحجّ، ثم أكمل لهم دينهم، فقال: ﴿**اليَوْمَ أكمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾ قال ابن عباس: فأوثق إيمان أهل الأرض وأهل السموات وأصدقه وأكمله شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿ولِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولله جنود السموات والأرض أنصار ينتقم بهم ممن يشاء من أعدائه ﴿وكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يزل الله ذا علم بما هو كائن قبل كونه، وما خلقه عاملوه، حكيماً في تدبيره.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، لتشكر ربك، وتحمده على ذلك، فيغفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، وليحمد ربهم المؤمنون بالله، ويشكروه على إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم من الفتح الذي فتحه، وقضاه بينهم وبين أعدائهم من المشركين، بإظهاره إياهم عليهم، فيدخلهم بذلك جنات تجري من تحتها الأنهار، ماكثين فيها إلى غير نهاية وليكفر عنهم سيء أعمالهم بالحسنات التي يعملونها شكراً منهم لربهم على ما قضى لهم، وأنعم عليهم به ﴿وكانَ ذلكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً﴾ يقول تعالى ذكره: وكان ما وعدهم الله به من هذه العدة، وذلك إدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وتكفيره سيئاتهم بحسنات أعمالهم التي يعملونها عند الله لهم ﴿فَوْزاً عَظِيماً﴾ يقول: ظفراً منهم بما كانوا تأمّلوه ويسعون له، ونجاة مما كانوا يحذرونه من عذاب الله عظيماً. وقد تقدّم ذكر الرواية أن هذه الآية نزلت لما قال المؤمنون لرسول الله ﷺ، أو تلا عليهم قول الله عزّ وجلّ ﴿إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخَّرَ﴾ هذا لك يا رسول الله، فماذا لنا؟ تبييناً من الله لهم ما هو فاعل بهم.

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿لِيُدخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ﴾... إلى قوله: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ﴾ فأعلم الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام.

وقوله: ﴿لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ﴾ على اللام من قوله: ﴿لِيَغْفِرِ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ بتأويل تكرير الكلام ﴿إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾، إنا فتحنا لك ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار، ولذلك لم تدخل الواو التي تدخل في الكلام للعطف، فلم يقل: وليدخل المؤمنين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله، وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار، وليعذّب المنافقين والمنافقات، بفتح الله لك يا محمد، ما فتح لك من نصرك على مشركي قريش، فيكبتوا لذلك ويحزنوا، ويخيب رجاؤهم الذي كانوا يرجون من رؤيتهم في أهل الإيمان بك من الضعف والوهن والتولي عنك في عاجل الدنيا، وصليّ النار والخلود فيها في آجل الآخرة ﴿**وَالمُشْرِكِينَ وَالمُشْرِكاتِ**﴾ يقول: وليعذّب كذلك أيضاً المشركين والمشركات ﴿**الظَّانِّينَ باللَّهِ**﴾ أنه لن ينصرك، وأهل الإيمان بك على أعدائك، ولن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به، وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع، يقول تعالى ذكره: على المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظنّ دائرة السوء، يعني دائرة العذاب تدور عليهم به.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الكوفة ﴿**دائِرَةُ السَّوْءِ**﴾ بفتح السين. وقرأ بعض قرّاء البصرة «دائِرَةُ السُّوءِ» بضم السين. وكان الفرّاء يقول: الفتح أفشى في السين قال: وقلما تقول العرب دائرة السُّوء بضم السين، والفتح في السين أعجب إليّ من الضم، لأن العرب تقول: هو رجل سَوْء، بفتح السين ولا تقول: هو رجل سُوء.

وقوله: ﴿**وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**﴾ يقول: ونالهم الله بغضب منه، ولعنهم: يقول: وأبعدهم فأقصاهم من رحمته ﴿**وأعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ**﴾ يقول: وأعدّ لهم جهنم يصلونها يوم القيامة ﴿**وَساءَتْ مَصِيراً**﴾ يقول: وساءت جهنم منزلاً يصير إليه هؤلاء المنافقون والمنافقات، والمشركون والمشركات.

وقوله: ﴿**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولله جنود السموات والأرض أنصاراً على أعدائه، إن أمرهم بإهلاكهم أهلكوهم، وسارعوا إلى ذلك بالطاعة منهم له ﴿**وكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يزل الله ذا عزّة، لا يغلبه غالب، ولا يمتنع عليه مما أراده به ممتنع، لعظم سلطانه وقدرته، حكيمٌ في تدبيره خلقه.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿**إنَّا أرْسَلْناكَ**﴾ يا محمد ﴿**شاهِداً**﴾ على أمتك بما أجابوك فيما دعوتهم إليه، مما أرسلتك به إليهم من الرسالة، ﴿**ومُبَشِّراً**﴾ لهم بالجنة إن أجابوك

إلى ما دعوتهم إليه من الدين القيِّم، ونذيراً لهم عذاب الله إن هم تولَّوْا عما جئتهم به من عند ربك.

ثم اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**لِتُؤْمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ**﴾ فقرأ جميع ذلك عامة قرّاء الأمصار خلا أبي جعفر المدني وأبي عمرو بن العلاء، بالتاء «لِتُؤْمِنُوا وتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ» بمعنى: لتؤمنوا بالله ورسوله أنتم أيها الناس. وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو كله بالياء «لِيُؤْمِنُوا، ويُعَزِّرُوهُ، ويُوَقِّرُوهُ، ويُسَبِّحُوهُ» بمعنى: إنا أرسلناك شاهداً إلى الخلق ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزّروه.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً**﴾ يقول: شاهداً على أمته على أنه قد بلغهم ومبشراً بالجنة لمن أطاع الله، ونذيراً من النار.

وقوله: ﴿**وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ**﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: تجلّوه، وتعظموه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس «وَيُعَزِّرُوهُ» يعني: الإجلال «وَيُوَقِّرُوهُ» يعني: التعظيم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: «وَيُعَزِّرُوهُ وَيُوَقِّرُوهُ» كل هذا تعظيم وإجلال.

وقال آخرون: معنى قوله: «وَيُعَزِّرُوهُ»: وينصروه، ومعنى «وَيُوَقِّرُوهُ» ويفخموه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة «وَيُعَزِّرُوهُ»: ينصروه «وَيُوَقِّرُوهُ» أمر الله بتسويده وتفخيمه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**وَيُعَزِّرُوهُ**﴾ قال: ينصروه، ويوقروه: أي ليعظموه.

حدثني أبو هريرة الضُّبَعيّ، قال: ثنا حرميّ، عن شعبة، عن أبي بشر، جعفر بن أبي وحشية، عن عكرِمة «وَيُعَزِّرُوهُ» قال: يقاتلون معه بالسيف.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثني هشيم، عن أبي بشر، عن عكرِمة مثله.

حدثني أحمد بن الوليد، قال: ثنا عثمان بن عمر، عن سعيد، عن أبي بشر، عن عكرِمة بنحوه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى ومحمد بن جعفر، قالا: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن عكرِمة مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك: ويعظموه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: «وَيُعَزِّرُوهُ وَيُوَقِّرُوهُ» قال: الطاعة لله.

وهذه الأقوال متقاربات المعنى، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها. ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنُّصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال.

وقد بيَّنا معنى ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

فأما التوقير: فهو التعظيم والإجلال والتفخيم.

وقوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلاً﴾ يقول: وتصلوا له يعني لله بالغدوات والعشيات. والهاء في قوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ من ذكر الله وحده دون الرسول. وقد ذُكر أن ذلك في بعض القراءات: «وَيُسَبِّحُوا اللَّهَ بُكْرَةً وأصِيلاً». وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة «وَيُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلاً» في بعض القراءة «ويسبِّحوا الله بكرة وأصيلاً».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في بعض الحروف «وَيُسَبِّحُوا اللَّهَ بُكْرَةً وَأصِيلاً».

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: «وَيُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلاً» يقول: يسبحون الله رجع إلى نفسه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ﴾** بالحديبية من أصحابك على أن لا يفرّوا عند لقاء العدوّ، ولا يولُّوهم الأدبار **﴿إِنَّمَا يُبايِعُونَ اللَّهَ﴾** يقول: إنما يبايعون ببيعتهم إياك الله، لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ﴾** قال: يوم الحديبية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ﴾** وهم الذين بايعوا يوم الحديبية.

وفي قوله: **﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾** وجهان من التأويل: أحدهما: يد الله فوق أيديهم عند البيعة، لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه ﷺ والآخر: قوّة الله فوق قوّتهم في نُصرة رسوله ﷺ، لأنهم إنما بايعوا رسول الله ﷺ على نُصرته على العدوّ.

وقوله: **﴿فَمَنْ نَكَثَ فإِنَّمَا يَنْكُثُ على نَفْسِهِ﴾** يقول تعالى ذكره: فمن نكث بيعته إياك يا محمد، ونقضها فلم ينصرك على أعدائك، وخالف ما وعد ربه **﴿فإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ﴾** يقول: فإنما ينقض بيعته، لأنه بفعله ذلك يخرج ممن وعده الله الجنة بوفائه بالبيعة، فلم يضرّ بنكثه غير نفسه، ولم ينكث إلا عليها، فأما رسول الله ﷺ، فإن الله تبارك وتعالى ناصره على أعدائه، نكث الناكث منهم، أو وفى ببيعته.

وقوله: **﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ﴾**... الآية، يقول تعالى ذكره: ومن أوفى بما عاهد الله عليه من الصبر عند لقاء العدوّ في سبيل الله ونُصرة نبيه ﷺ على أعدائه **﴿فَسَيُؤْتِيهِ أجْراً عَظِيماً﴾** يقول: فسيعطيه الله ثواباً عظيماً، وذلك أن يُدخله الجنة جزاءً له على وفائه بما عاهد عليه الله، ووثق لرسوله على الصبر معه عند البأس بالمؤكدة من الأيمان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَسَيُؤْتِيهِ أجْراً عَظِيماً**﴾ وهي الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: سيقول لك يا محمد الذين خلفهم الله في أهليهم عن صحبتك، والخروج معك في سفرك الذي سافرت، ومسيرك الذي سرت إلى مكة معتمراً، زائراً بيت الله الحرام إذا انصرفت إليهم، فعاتبتهم على التخلف عنك، شغلتنا عن الخروج معك معالجة أموالنا، وإصلاح معايشنا وأهلونا، فاستغفر لنا ربنا لتخلُّفنا عنك، قال الله جلّ ثناؤه مكذّبهم في قيلهم ذلك: يقول هؤلاء الأعراب المخلَّفون عنك بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وذلك مسألتهم رسول الله ﷺ الاستغفار لهم، يقول: يسألونه بغير توبة منهم ولا ندم على ما سلف منهم من معصية الله في تخلفهم عن صحبة رسول الله ﷺ والمسير معه ﴿**قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه: قل لهؤلاء الأعراب الذين يسألونك أن تستغفر لهم لتخلفهم عنك: إن أنا استغفرت لكم أيها القوم، ثم أراد الله هلاككم أو هلاك أموالكم وأهليكم، أو أراد بكم نفعاً بتثميره أموالكم وإصلاحه لكم أهليكم، فمن ذا الذي يقدر على دفع ما أراد الله بكم من خير أو شرّ، والله لا يعازّه أحد، ولا يغالبه غالب.

وقوله: ﴿**بلَ كانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾ يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يظنّ هؤلاء المنافقون من الأعراب أن الله لا يعلم ما هم عليها منطوون من النفاق، بل لم يزل الله بما يعملون من خير وشرّ خبيراً، لا يخفى عليه شيء من أعمال خلقه، سرّها وعلانيتها، وهو محصيها عليهم حتى يجازيهم بها، وكان رسول الله ﷺ فيما ذُكر عنه حين أراد المسير إلى مكة عام الحُديبية معتمراً استنفر العرب ومن حول مدينته من أهل البوادي والأعراب ليخرجوا معه حذراً من قومه قريش أن يعرضوا له الحرب، أو يصدّوه عن البيت، وأحرم هو ﷺ بالعمرة، وساق معه الهدي، ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، فتثاقل عنه كثير من الأعراب، وتخلَّفوا خلافه فهم الذين عَنَى الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿**سَيَقُول لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأعْرَابِ شَغَلَتْنا أمْوَالُنا وأهْلُونا**﴾... الآية.

وكالذي قلنا في ذلك قال أهل العلم بسِيَر رسول الله ﷺ ومغازيه، منهم ابن إسحاق.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق بذلك.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنا أمْوَالُنا وأهْلُونا**﴾ قال: أعراب المدينة: جهينة ومزينة، استتبعهم لخروجه إلى مكة، قالوا: نذهب معه إلى قوم قد جاؤوه، فقتلوا أصحابه فنقاتلهم فاعتلوا بالشغل.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**إنْ أرَادَ بِكُمْ ضَرّاً**﴾ فقرأته قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة ﴿**ضَرّاً**﴾ بفتح الضاد، بمعنى: الضرّ الذي هو خلاف النفع. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين «ضُرّاً» بضم الضاد، بمعنى البؤس والسّقم.

وأعجب القراءتين إليّ الفتح في الضاد في هذا الموضع بقوله: ﴿**أوْ أرَادَ بِكُمْ نَفْعاً**﴾، فمعلوم أن خلاف النفع الضرّ، وإن كانت الأخرى صحيحاً معناها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الأعراب المعتذرين إلى رسول الله ﷺ عند منصرَفه من سفره إليهم بقولهم: ﴿**شَغَلَتْنا أمْوَالُنا وأهْلُونا**﴾ ما تخلفتم خلاف رسول الله ﷺ حين شخص عنكم، وقعدتم عن صحبته من أجل شغلكم بأموالكم وأهليكم، بل تخلفتم بعده في منازلكم، ظناً منكم أن رسول الله ﷺ ومن معه من أصحابه سيهلكون، فلا يرجعون إليكم أبداً باستئصال العدوّ إياهم وزيِّن ذلك في قلوبكم، وحسَّن الشيطان ذلك في قلوبكم، وصححه عندكم حتى حسُن عندكم التخلف عنه، فقعدتم عن صحبته ﴿**وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ**﴾ يقول: وظننتم أن الله لن ينصر محمداً ﷺ وأصحابه المؤمنين على أعدائهم، وأن العدوّ سيقهرونهم ويغلبونهم فيقتلونهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ**﴾... إلى قوله: ﴿**وكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً**﴾ قال: ظنوا بنبيّ الله ﷺ وأصحابه أنهم لن يرجعوا من وجههم ذلك، وأنهم سيهلكون، فذلك الذي خلفهم عن نبيّ الله ﷺ.

وقوله: ﴿**وكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً**﴾ يقول: وكنتم قوماً هَلْكى لا يصلحون لشيء من الخير. وقيل: إن البور في لغة أذرعات: الفاسد فأما عند العرب فإنه لا شيء. ومنه قول أبي الدرداء: فأصبح ما جمعوا بُوراً أي ذاهباً قد صار باطلاً لا شيء منه ومنه قول حسَّان بن ثابت:

لا يَنْفَعُ الطُّولُ مِن نُوك القُلوب وقدْ ... يَهْدِي الإلَهُ سَبِيلَ المَعْشَرِ البُورِ(١)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً**﴾ قال: فاسدين.

وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً**﴾ قال: البور الذي ليس فيه من الخير شيء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً**﴾ قال: هالكين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين من الأعراب، ومن لم يؤمن أيها الأعراب بالله ورسوله منكم ومن غيركم، فيصدّقه على ما أخبر به، ويقرّ بما جاء به من الحقّ من عند ربه، فإنا أعددنا

(١) البيت لحسان بن ثابت يهجو قوماً بأن طول أجسامهم لا خير فيه ما داموا ذوي نوك أي حمق. والبور: الهلكى. قال في «**اللسان**»: بور ورجل بور وكذلك الاثنان والجمع والمؤنث. وفي التنزيل: ﴿وكنتم قوماً بوراً﴾ قال: وقد يكون بور هنا جمع بائر، مثل حول وحائل. وحكى الأخفش عن بعضهم أنه لغة وليس بجمع لبائر، كما يقال: أنت بشر، وأنتم بشر. قال: وقال الفراء في قوله: ﴿وكنتم قوماً بوراً﴾ البور: مصدر يكون واحداً وجمعاً. وفي «**معاني القرآن**» (الورقة ٣٠٥) عن ابن عباس قال: البور في لغة أزدعمان: الفاسد، ﴿وكنتم قوماً بورا﴾ قوماً فاسدين والبور في كلام العرب: «لا شيء» يقال أصبحت أعمالهم بورا، ومساكنهم قبوراً.

لهم جميعاً سعيراً من النار تستعر عليهم في جهنم إذا وردوها يوم القيامة؛ يقال من ذلك: سعرت النار: إذا أوقدتها، فأنا أسعرها سعراً ويقال: سعرتها أيضاً إذا حرّكتها. وإنما قيل للمِسْعر مِسْعر، لأنه يحرّك به النار، ومنه قولهم: إنه لمِسْعر حرب: يراد به موقدها ومهيجها.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولله سلطان السموات والأرض، فلا أحد يقدر أيها المنافقون على دفعه عما أراد بكم من تعذيب على نفاقكم إن أصررتم عليه أو منعه من عفوه عنكم إن عفا، إن أنتم تبتم من نفاقكم وكفركم، وهذا من الله جلّ ثناؤه حثّ لهؤلاء الأعراب المتخلفين عن رسول الله ﷺ على التوبة والمراجعة إلى أمر الله في طاعة رسوله ﷺ، يقول لهم: بادروا بالتوبة من تخلفكم عن رسول الله ﷺ، فإن الله يغفر للتائبين ﴿وكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ يقول: ولم يزل الله ذا عفو عن عقوبة التائبين إليه من ذنوبهم ومعاصيهم من عباده، وذا رحمة بهم أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد توبتهم منها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: سيقول يا محمد المخلفون في أهليهم عن صحبتك إذا سرت معتمراً تريد بيت الله الحرام، إذا انطلقت أنت ومن صحبك في سفرك ذلك إلى ما أفاء الله عليك وعليهم من الغنيمة ﴿لِتَأْخُذُوها﴾ وذلك ما كان الله وعد أهل الحديبية من غنائم خيبر ﴿ذَرُونا نَتَّبِعْكُم﴾ إلى خيبر، فنشهد معكم قتال أهلها ﴿يُرِيدُونَ أنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ﴾ يقول: يريدون أن يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية، وذلك أن الله جعل غنائم خيبر لهم، ووعدهم ذلك عوضاً من غنائم أهل مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح، ولم يصيبوا منهم شيئاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: رجع، يعني رسول الله ﷺ عن مكة، فوعده الله مغانم كثيرة، فعجلت له خيبر، فقال المخلَّفون ﴿ذَرُونا نَتَّبِعْكُم يُرِيدُونَ أن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ﴾ وهي المغانم ليأخذوها، التي قال الله جلّ ثناؤه: ﴿إذَا انْطَلَقْتُمْ إلى مَغانِمَ لِتَأْخُذُوها﴾ وعرض عليهم قتال قوم أولي بأس شديد.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن رجل من أصحابه، عن مقسم قال: لما وعدهم الله أن يفتح عليهم خيبر، وكان الله قد وعدها من شهد الحديبية لم يعط أحداً غيرهم منها شيئاً، فلما علم المنافقون أنها الغنيمة قالوا: ﴿**ذَرُونا نَتَّبِعْكُم يُرِيدُونَ أن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ**﴾ يقول: ما وعدهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**سَيَقُولُ المُخَلَّفُونَ إذَا انْطَلَقْتُمْ**﴾... الآية، وهم الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ من الحديبية. ذُكر لنا أن المشركين لما صدّوا رسول الله ﷺ من الحديبية عن المسجد الحرام والهدي، قال المقداد: يا نبيّ الله، إنا والله لا نقول كالملأ من بني إسرائيل إذ قالوا لنبيهم: ﴿**اذْهَبْ أنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إنَّا هاهُنا قاعِدُونَ**﴾ ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فلما سمع ذلك أصحاب نبيّ الله ﷺ تبايعوا على ما قال فلما رأى ذلك نبيّ الله ﷺ صالح قريشاً، ورجع من عامه ذلك.

وقال آخرون: بل عنى بقوله: ﴿**يُرِيدُونَ أنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ**﴾ إرادتهم الخروج مع نبيّ الله ﷺ في غزوه، وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿**فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أبَداً وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعِي عَدُوّا**﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**سَيَقُولُ المُخَلَّفُونَ إذَا انْطَلَقْتُمْ إلى مَغانِمَ لِتأْخُذُوها ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ**﴾... الآية، قال الله له عزّ وجلّ حين رجع من غزوه، ﴿**فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فقل لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أبَداً وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً...**﴾ الآية يريدون أن يبدّلوا كلام الله: أرادوا أن يغيروا كلام الله الذي قال لنبيه ﷺ ويخرجوا معه، وأبى الله ذلك عليهم ونبيه ﷺ.

وهذا الذي قاله ابن زيد قول لا وجه له، لأن قول الله عزّ وجلّ ﴿**فاسْتأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أبَداً ولَنْ تُقاتِلُوا مَعيَ عَدُوّاً**﴾ إنما نزَل على رسول الله ﷺ مُنْصَرَفَه من تَبوك، وعُنِي به الذين تخلّفوا عنه حين توجه إلى تبوك لغزو الروم، ولا اختلاف بين أهل العلم بمغازي رسول الله ﷺ أن تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة أيضاً، فكيف يجوز أن يكون الأمر على ما وصفنا معنياً بقول الله: ﴿**يُرِيدُونَ أن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ**﴾ وهو خبر عن المتخلفين عن المسير مع رسول الله ﷺ، إذ شخص معتمراً يريد البيت، فصدّه المشركون عن البيت، الذين تخلّفوا عنه في غزوة تبوك، وغزوة تبوك لم تكن كانت يوم نزلت هذه الآية، ولا كان أُوحِيَ إلى رسول الله ﷺ قوله: ﴿**فاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعي أبَداً وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً**﴾.

فإذ كان ذلك كذلك، فالصواب من القول في ذلك: ما قاله مجاهد وقتادة على ما قد بيَّنا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿يُرِيدُونَ أن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة، وبعض قرّاء الكوفة ﴿كَلاَمَ الله﴾ على وجه المصدر، بإثبات الألف. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة «كَلِمَ اللَّهِ» بغير ألف، بمعنى جمع كلمة، وهما عندنا قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، وإن كنتُ إلى قراءته بالألف أمْيل.

وقوله: ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا كَذَلِكُمْ قالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المخلفين عن المسير معك يا محمد: لن تتبعونا إلى خيبر إذا أردنا السير إليهم لقتالهم ﴿كَذَلِكُمْ قالَ اللَّهُ مِنْ قَبلُ﴾ يقول: هكذا قال الله لنا من قبل مَرْجِعنا إليكم، إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية معنا، ولستم ممن شهدها، فليس لكم أن تَتَّبعونا إلى خيبر، لأن غنيمتها لغيركم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿كَذَلِكُمْ قالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي إنما جعلت الغنيمة لأهل الجهاد، وإنما كانت غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب.

وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنا﴾ أن نصيب معكم مغنماً إن نحن شهدنا معكم، فلذلك تمنعوننا من الخروج معكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدونَنا﴾ أن نصيب معكم غنائم.

وقوله: ﴿بَلْ كانُوا لا يَفْقَهُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ وأصحابه: ما الأمر كما يقول هؤلاء المنافقون من الأعراب من أنكم إنما تمنعونهم من اتباعكم حسداً منكم لهم على أن يصيبوا معكم من العدوّ مغنماً، بل كانوا لا يفقهون عن الله ما لهم وعليهم من أمر الدين إلا قليلاً يسيراً، ولو عقلوا ذلك ما قالوا لرسول الله والمؤمنين به، وقد أخبروهم عن الله تعالى ذكره أنه حرمهم غنائم خيبر، إنما تمنعوننا من صحبتكم إليها لأنكم تحسدوننا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ عن المسير معك، ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى﴾ قتال ﴿قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ﴾ في القتال ﴿شَدِيدٍ﴾.

واختلف أهل التأويل في هؤلاء الذين أخبر الله عزّ وجلّ عنهم أن هؤلاء المخلفين من الأعراب يُدْعَوْن إلى قتالهم، فقال بعضهم: هم أهل فارس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس ﴿أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أهل فارس.

حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاريّ، قال: أخبرنا داود بن الزبرقان، عن ثابت البُنَانيّ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، في قوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال: فارس والروم.

قال: أخبرنا داود، عن سعيد، عن الحسن مثله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال الحسن، في قوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال: هم فارس والروم.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال: هم فارس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال: قال الحسن: دُعُوا إلى فارس والروم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال: فارس والروم.

وقال آخرون: هم هَوازن بحُنين.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير وعكرمة، في قوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال: هوازن.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد ابن جُبَير وعكرِمة في هذه الآية ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال: هوازن وثقيف.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾** قال: هي هَوازن وغَطَفان يوم حُنين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾** فدُعُوا يوم حُنين إلى هوازن وثقيف فمنهم من أحسن الإجابة ورغب في الجهاد.

وقال آخرون: بل هم بنو حنيفة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري **﴿أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾** قال بنو حنيفة مع مُسَيلمة الكذّاب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبير وعكرِمة أنهما كانا يزيدان فيه هوازن وبني حنيفة.

وقال آخرون: لم تأت هذه الآية بعد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن أبي هريرة **﴿سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾** لم تأت هذه الآية.

وقال آخرون: هم الروم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عوف، قال: ثنا أبو المغيرة، قال: ثنا صفوان بن عمرو، قال: ثنا الفرج بن محمد الكلاعي، عن كعب، قال: **﴿أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾** قال: الروم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المخلَّفين من الأعراب أنهم سيدعون إلى قتال قوم أولي بأس في القتال، ونجدة في الحروب، ولم يوضع لنا الدليل من خبر ولا عقل على أن المعنيّ بذلك هوازن، ولا بنو حنيفة ولا فارس ولا الروم، ولا أعيان بأعيانهم، وجائز أن يكون عنى بذلك بعض هذه الأجناس، وجائز أن يكون عُنِي بهم غيرهم، ولا قول فيه أصحّ من أن يُقال كما قال الله جلّ ثناؤه: إنهم سيدعون إلى قوم أولي بأس شديد.

وقوله: **﴿تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾** يقول تعالى ذكره للمخلَّفين من الأعراب: تقاتلون هؤلاء

الذين تُدعون إلى قتالهم، أو يسلمون من غير حرب ولا قتال.

وقد ذُكر أن ذلك في بعض القراءات «تُقاتِلُونَهُمْ أوْ يُسْلِمُوا»، وعلى هذه القراءة وإن كانت على خلاف مصاحف أهل الأمصار، وخلافاً لما عليه الحجة من القرّاء، وغير جائز عندي القراءة بها لذلك تأويل ذلك: تقاتلونهم أبداً إلا أن يسلموا، أو حتى يسلموا.

وقوله: ﴿**فإنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُم اللَّهُ أجْراً حَسَناً**﴾ يقول تعالى ذكره فإن تطيعوا الله في إجابتكم إياه إذا دعاكم إلى قتال هؤلاء القوم الأولي البأس الشديد، فتجيبوا إلى قتالهم والجهاد مع المؤمنين ﴿**يُؤْتِكُم اللَّهُ أجْراً حَسَناً**﴾ يقول: يعطكم الله على إجابتكم إياه إلى حربهم الجنة، وهي الأجر الحسن ﴿**وَإنْ تَتَوَلَّوْا كمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ**﴾ يقول: وإن تعصوا ربكم فتدبروا عن طاعته وتخالفوا أمره، فتتركوا قتال الأولي البأس الشديد إذا دُعيتم إلى قتالهم ﴿**كمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ**﴾ يقول: كما عصيتموه في أمره إياكم بالمسير مع رسول الله ﷺ إلى مكة، من قبل أن تُدعَوا إلى قتال أولي البأس الشديد ﴿**يُعَذِّبْكُمُ اللَّهُ عَذَاباً ألِيماً**﴾ يعني: وجيعاً، وذلك عذاب النار على عصيانكم إياه، وترككم جهادهم وقتالهم مع المؤمنين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ليس على الأعمى منكم أيها الناس ضيق، ولا على الأعرج ضيق، ولا على المريض ضيق أن يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين، وشهود الحرب معهم إذا هم لقوا عدوّهم، للعلل التي بهم، والأسباب التي تمنعهم من شهودها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**لَيْسَ على الأعْمَى حَرَجٌ وَلا على الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلا على المَرِيضِ حَرَجٌ**﴾ قال: هذا كله في الجهاد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ثُمَّ عذر الله أهل العذر من الناس، فقال: ﴿**لَيْسَ على الأعْمَى حَرَجٌ وَلا على الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلا على المَرِيضِ حَرَجٌ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**لَيْسَ على الأعْمَى حَرَجٌ وَلا على الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلا على المَرِيضِ حَرَجٌ**﴾ قال: في الجهاد في سبيل الله.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿لَيْسَ على الأعْمَى حَرَجٌ﴾... الآية، يعني في القتال.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يُطعِ الله ورسوله فيجيب إلى حرب أعداء الله من أهل الشرك، وإلى القتال مع المؤمنين ابتغاء وجه الله إذا دعي إلى ذلك، يُدخله الله يوم القيامة جنَّات تجري من تحتها الأنهار ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ يقول: ومن يعص الله ورسوله، فيتخلَّف عن قتال أهل الشرك بالله إذا دعي إليه، ولم يستجب لدعاء الله ورسوله يعذّبه عذاباً موجعاً، وذلك عذاب جهنم يوم القيامة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿۞ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لقد رضي الله يا محمد عن المؤمنين ﴿إذْ يُبايِعُونَكَ تحتَ الشَّجَرَةِ﴾ يعني بيعة أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله بالحديبية حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب، وعلى أن لا يفرّوا، ولا يولوهم الدبر تحت الشجرة، وكانت بيعتهم إياه هنالك فيما ذكر تحت شجرة.

وكان سبب هذه البيعة ما قيل: إن رسول الله ﷺ كان أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه برسالته إلى الملإ من قريش، فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء، فظنّ أنه قد قتل، فدعا أصحابه إلى تجديد البيعة على حربهم على ما وصفت، فبايعوه على ذلك، وهذه البيعة التي تسمى بيعة الرضوان، وكان الذين بايعوه هذه البيعة فيما ذُكر في قول بعضهم: ألفاً وأربع مئة، وفي قول بعضهم: ألفاً وخمس مئة، وفي قول بعضهم: ألفاً وثلاث مئة. ذكر الرواية بما وصفنا من سبب هذه البيعة:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على جمل له يقال له الثعلب، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، وذلك حين نزل الحديبية، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ، وأرادوا قتله، فمنعه الأحابيش فخلوا سبيله، حتى أتى رسول الله ﷺ.

قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: فحدثني من لا أتهم، عن عكرِمة مولى ابن عباس: أن رسول الله ﷺ دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء

له، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عديّ بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليهم، ولكني أدلك على رجل هو أعزّ بها مني عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت، معظماً لحرمته، فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها، فنزل عن دابته، فحمله بين يديه، ثم ردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قُتل.

قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ حين بلغه أن عثمان قد قتل، قال: «لا نَبْرَحُ حتى نُناجزَ القَوْمَ»، ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت فكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت، ولكنه بايعنا على أن لا نفر، فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة، كان جابر بن عبد الله يقول: لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته، قد اختبأ إليها، يستتر بها من الناس، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذُكر من أمر عثمان باطل.

حدثنا محمد بن عمارة الأسديّ، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا موسى بن عبيدة، عن إياس بن سلمة، قال: قال سلمة: بينما نحن قائلون زمن الحديبية، نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناس البيعة البيعة، نزل روح القدس صلوات الله عليه، قال: فثرنا إلى رسول الله ﷺ، وهو تحت شجرة سمرة، قال: فبايعناه، وذلك قول الله: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾.

حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكري، قال: ثنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل، عن عامر، قال: كان أوّل من بايع بيعة الرضوان رجل من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن حماد، قال: ثنا همام، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، قال: كان جديّ يقال له حَزْن، وكان ممن بايع تحت الشجرة، فأتيناها من قابل، فعُمِّيت علينا.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن حماد، قال: ثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن بُكير بن الأشجّ أنه بلغه أن الناس بايعوا رسول الله ﷺ

على الموت، فقال رسول الله ﷺ: «عَلَى ما اسْتَطَعْتُمْ». والشجرة التي بُويع تحتها بفج نحو مكة، وزعموا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة، فقال: أين كانت، فجعل بعضهم يقول هنا، وبعضهم يقول: ها هنا، فلما كثر اختلافهم قال: سيروا هذا التكلف فذهبت الشجرة وكانت سَمُرة إما ذهب بها سيل، وإما شيء سوى ذلك. ذكر عدد الذين بايعوا هذه البيعة:

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في عددهم، ونذكر الروايات عن قائلي المقالات التي ذكرناها إن شاء الله تعالى. ذكر من قال: عددهم ألف وأربع مئة:

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن أبي سفيان عن جابر، قال: كنا يوم الحُديبية ألفاً وأربع مئة، فبايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نفرّ، ولم نبايعه على الموت، قال: فبايعناه كلنا إلا الجدَّ بن قيس اختبأ تحت إبط ناقته.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، أخبرني القاسم بن عبد الله ابن عمرو، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله «أنهم كانوا يوم الحُديبية أربع عشرة مئة، فبايعنا رسول الله ﷺ وعمر آخذ بيده تحت الشجرة، وهي سمرة، فبايعنا غير الجدّ بن قيس الأنصاريّ، اختبأ تحت إبط بعيره، قال جابر: بايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نفرّ ولم نبايعه على الموت».

حدثنا يوسف بن موسى القطان، قال: ثنا هشام بن عبد الملك وسعيد بن شرحبيل المصري، قالا: ثنا ليث بن سعد المصري، قال: ثنا أبو الزبير، عن جابر، قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربع مئة، فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة، فبايعناه على أن لا نفرّ، ولم نبايعه على الموت، يعني النبيّ ﷺ.

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد ابن المسيب، أنه قيل له: إن جابر بن عبد الله يقول: إن أصحاب الشجرة كانوا ألفاً وخمس مئة، قال سعيد: نسي جابر هو قال لي كانوا ألفاً وأربع مئة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: كنا أصحاب الحُديبية أربع عشرة مئة.

ذكر من قال: كان عدتهم ألفاً وخمس مئة وخمسة وعشرين:

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ قال: كان أهل البيعة تحت الشجرة ألفاً وخمس مئة وخمسة وعشرين.

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، فجعلت لهم مغانم خيبر كانوا يومئذ خمس عشرة مئة، وبايعوا على أن لا يفرّوا عنه.

ذكر من قال ذلك: كانوا ألفاً وثلاث مئة:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، قال: سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول: كانوا يوم الشجرة ألفاً وثلاث مئة، وكانت أسلم يومئذ من المهاجرين.

وقوله: ﴿فَعَلِمَ ما في قُلُوبِهِم﴾ يقول تعالى ذكره: فعلم ربك يا محمد ما في قلوب المؤمنين من أصحابك إذ يبايعونك تحت الشجرة، من صدق النية، والوفاء بما يبايعونك عليه، والصبر معك ﴿فأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: فأنزل الطمأنينة، والثبات على ما هم عليه من دينهم وحُسن بصيرتهم بالحقّ الذي هداهم الله له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿فَعَلِمَ ما في قُلُوبِهِم فأنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾: أي الصبر والوقار.

وقوله: ﴿وأثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ يقول: وعوّضهم في العاجل مما رجوا الظفر به من غنائم أهل مكة بقتالهم أهلها فتحاً قريباً، وذلك فيما قيل: فتح خيبر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن ابن أبي ليلى ﴿وأثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ قال: خيبر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وأثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ وهي خيبر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: ﴿وأثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ قال: بلغني أنها خيبر.

وقوله: ﴿**وَمَغانِمَ كَثِيرَةً يأْخُذُونها**﴾ يقول تعالى ذكره: وأثاب الله هؤلاء الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، مع ما أكرمهم به من رضاه عنهم، وإنزاله السكينة عليهم، وإثابته إياهم فتحاً قريباً، معه مغانم كثيرة يأخذونها من أموال يهود خيبر، فإن الله جعل ذلك خاصة لأهل بيعة الرضوان دون غيرهم.

وقوله: ﴿**وكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾ يقول: وكان الله ذا عزّة في انتقامه ممن انتقم من أعدائه، حكيماً في تدبيره خلقه وتصريفه إياهم فيما شاء من قضائه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لأهل بيعة الرضوان: ﴿**وَعَدَكُمُ اللَّهُ**﴾ أيها القوم ﴿**مَغانِمَ كَثِيرَةً تأْخُذُونَها**﴾.

اختلف أهل التأويل في هذه المغانم التي ذكر الله أنه وعدها هؤلاء القوم أيّ المغانم هي، فقال بعضهم: هي كل مغنم غنمها الله المؤمنين به من أموال أهل الشرك من لدن أنزل هذه الآية على لسان نبيه ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها**﴾ قال: المغانم الكثيرة التي وعدوا: ما يأخذونها إلى اليوم.

وعلى هذا التأويل يحتمل الكلام أن يكون مراداً بالمغانم الثانية المغانمَ الأولى، ويكون معناه عند ذلك، فأثابهم فتحاً قريباً، ومغانم كثيرة يأخذونها، وعدكم الله أيها القوم هذه المغانم التي تأخذونها، وأنتم إليها واصلون عدة، فجعل لكم الفتح القريب من فتح خيبر. ويُحتمل أن تكون الثانية غير الأولى، وتكون الأولى من غنائم خيبر، والغنائم الثانية التي وعدهموها من غنائم سائر أهل الشرك سواهم.

وقال آخرون: هذه المغانم التي وعد الله هؤلاء القوم هي مغانم خيبر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها**﴾ قال: يوم خيبر، قال: كان أبي يقول ذلك.

وقوله: ﴿**فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ**﴾ اختلف أهل التأويل في التي عجلت لهم، فقال جماعة: غنائم خيبر والمؤخرة سائر فتوح المسلمين بعد ذلك الوقت إلى قيام الساعة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ**﴾ قال: عجل لكم خيبر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ**﴾ وهي خيبر.

وقال آخرون: بل عنى بذلك الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ**﴾ قال: الصلح.

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ما قاله مجاهد، وهو أن الذي أثابهم الله من مسيرهم ذلك مع الفتح القريب المغانم الكثيرة من مغانم خيبر، وذلك أن المسلمين لم يغنموا بعد الحديبية غنيمة، ولم يفتحوا فتحاً أقرب من بيعتهم رسول الله ﷺ بالحديبية إليها من فتح خيبر وغنائمها.

وأما قوله: ﴿**وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً**﴾ فهي سائر المغانم التي غنمهموها الله بعد خيبر، كغنائم هوازن، وغطفان، وفارس، والروم.

وإنما قلنا ذلك كذلك دون غنائم خيبر، لأن الله أخبر أنه عجّل لهم هذه التي أثابهم من مسيرهم الذي ساروه مع رسول الله ﷺ إلى مكة، ولما علم من صحة نيتهم في قتال أهلها، إذ بايعوا رسول الله ﷺ، على أن لا يفرّوا عنه، ولا شكّ أن التي عجّلت لهم غير التي لم تُعجّل لهم.

وقوله: ﴿**وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره لأهل بيعة الرضوان: وكفّ الله أيدي المشركين عنكم.

ثم اختلف أهل التأويل في الذين كفَّت أيديهم عنهم من هم؟ فقال بعضهم: هم اليهود كفّ الله أيديهم عن عيال الذين ساروا من المدينة مع رسول الله ﷺ إلى مكة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ**﴾: عن بيوتهم، وعن عيالهم بالمدينة حين ساروا إلى الحديبية وإلى خيبر، وكانت خيبر في ذلك الوجه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**وكَفَّ أَيْدِي النَّاس عَنْكُمْ**﴾ قال: كفّ أيدي الناس عن عيالهم بالمدينة.

وقال آخرون: بل عنى بذلك أيدي قريش إذ حبسهم الله عنهم، فلم يقدروا له على مكروه.

والذي قاله قتادة في ذلك عندي أشبه بتأويل الآية، وذلك أن كفّ الله أيدي المشركين من أهل مكة عن أهل الحُديبية قد ذكره الله بعد هذه الآية في قوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُم عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ**﴾ فعلم بذلك أن الكفّ الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿**وكَفَّ أَيْدِيِ النَّاسِ عَنْكُمْ**﴾ غير الكفّ الذي ذكر الله بعد هذه الآية في قوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُم عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْن مَكَّةَ**﴾.

وقوله: ﴿**وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ يقول: وليكون كفه تعالى ذكره أيديهم عن عيالهم آية وعبرة للمؤمنين به فيعلموا أن الله هو المتولي حياطتهم وكلاءتهم في مشهدهم ومغيبهم، ويتقوا الله في أنفسهم وأموالهم وأهليهم بالحفظ وحُسن الولاية ما كانوا مقيمين على طاعته، منتهين إلى أمره ونهيه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ يقول: وذلك آية للمؤمنين، كفّ أيدي الناس عن عيالهم ﴿**ويَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً**﴾ يقول: ويسدّدكم أيها المؤمنون طريقاً واضحاً لا اعوجاج فيه، فيبينه لكم، وهو أن تثقوا في أموركم كلها بربكم، فتتوكلوا عليه في جميعها، ليحوطكم حياطته إياكم في مسيركم إلى مكة مع رسول الله ﷺ في أنفسكم وأهليكم وأموالكم، فقد رأيتم أثر فعل الله بكم، إذ وثقتم في مسيركم هذا.

وقوله: ﴿**وأُخْرَى لم تَقْدِروا عليها قَدْ أحاطَ اللَّهُ بِهَا**﴾ يقول تعالى ذكره ووعدكم أيها القوم ربكم فتح بلدة أخرى لم تقدروا على فتحها، قد أحاط الله بها لكم حتى يفتحها لكم.

واختلف أهل التأويل في هذه البلدة الأخرى، والقرية الأخرى التي وعدهم فتحها، التي أخبرهم أنه محيط بها، فقال بعضهم: هي أرض فارس والروم، وما يفتحه المسلمون من البلاد إلى قيام الساعة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهديّ، قال: ثنا شعبة، عن سِماك الحنفيّ، قال: سمعت ابن عباس يقول: ﴿**وأُخْرَى لم تَقْدِرُوا عَلَيْها**﴾ فارس والروم.

قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن ابن أبي ليلى أنه قال في هذه الآية: ﴿**وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها**﴾ قال: فارس والروم.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا زيد بن حباب، قال: ثنا شعبة بن الحَجاج، عن الحكم، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أحاطَ اللَّهُ بِها**﴾ قال: حُدِّث عن الحسن، قال: هي فارس والروم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها**﴾ ما فتحوا حتى اليوم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن الحكم، عن عبد الرحمن بن أبي لَيلى، في قوله: ﴿**وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها**﴾ قال: فارس والروم.

وقال آخرون: بل هي خيبر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها**﴾... الآية، قال: هي خيبر.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك، يقول في قوله: ﴿**وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أحاطَ اللَّهُ بِها**﴾ يعني خيبر، بعثهم رسول الله ﷺ يومئذٍ، فقال: «لا تُمَثِّلُوا وَلا تَغُلُّوا، وَلا تَقْتُلُوا وَلِيداً».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أحاطَ اللَّهُ بِها﴾** قال: خيبر، قال: لم يكونوا يذكرونها ولا يرجونها حتى أخبرهم الله بها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق **﴿وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها﴾** يعني أهل خيبر.

وقال آخرون: بل هي مكة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أحاطَ اللَّهُ بِها﴾** كنا نحدّث أنها مكة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها﴾** قال: بلغنا أنها مكة.

وهذا القول الذي قاله قتادة أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله أخبر هؤلاء الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، أنه محيط بقرية لم يقدروا عليها، ومعقولٌ أنه لا يقال لقوم لم يقدروا على هذه المدينة، إلا أن يكونوا قد راموها فتعذّرت عليهم، فأما وهم لم يروموها فتتعذّر عليهم فلا يقال: إنهم لم يقدروا عليها.

فإذ كان ذلك كذلك، وكان معلوماً أن رسول الله ﷺ لم يقصد قبل نزول هذه الآية عليه خيبر لحرب، ولا وجه إليها لقتال أهلها جيشاً ولا سرية، علم أن المعنيَّ بقوله: **﴿وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها﴾** غيرها، وأنها هي التي قد عالجها ورامها، فتعذّرت فكانت مكة وأهلها كذلك، وأخبر الله تعالى ذكره نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أحاط بها وبأهلها، وأنه فاتحها عليهم، وكان الله على كلّ ما يشاء من الأشياء ذا قُدرة، لا يتعذّر عليه شيء شاءه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أهل بيعة الرضوان: **﴿وَلَوْ قاتَلَكُم الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** بالله أيها المؤمنون بمكة **﴿لَوَلَّوُا الأدْبارَ﴾** يقول: لانهزموا عنكم، فولوكم أعجازهم، وكذلك يفعل المنهزم من قرنه في الحرب **﴿ثُمَّ لا يَجدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾** يقول: ثم لا يجد هؤلاء الكفار

المنهزمون عنكم، المولوكم الأدبار، ولياً يواليهم على حربكم، ولا نصيراً ينصرهم عليكم، لأن الله تعالى ذكره معكم، ولن يُغْلَبَ حِزْبٌ اللَّهُ ناصِرُهُ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: **﴿وَلَوْ قاتَلَكُمُ الَّذِين كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبار﴾** يعني كفار قريش، قال الله: ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً ينصرهم من الله.

وقوله: **﴿سُنَّةَ اللَّهِ التي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾** يقول تعالى ذكره: لو قاتلكم هؤلاء الكفار من قريش، لخذلهم الله حتى يهزمهم عنكم خذلانه أمثالهم من أهل الكفر به، الذين قاتلوا أولياءه من الأمم الذين مضوا قبلهم. وأخرج قوله: **﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾** نصباً من غير لفظه، وذلك أن في قوله: **﴿لَوَلَّوُا الأدْبارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾** معنى سننت فيهم الهزيمة والخذلان، فلذلك قيل: **﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾** مصدراً من معنى الكلام لا من لفظه، وقد يجوز أن تكون تفسيراً لما قبلها من الكلام.

وقوله: **﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾** يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنها في خلقه تغييراً، بل ذلك دائم للإحسان جزاءه من الإحسان، وللإساءة والكفر العقاب والنكال.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لرسوله ﷺ: والذين بايعوا بيعة الرضوان، **﴿وهو الذي كف أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾** يعني أن الله كفّ أيدي المشركين الذين كانوا خرجوا على عسكر رسول الله ﷺ، بالحديبية يلتمسون غِرَّتَهُمْ ليصيبوا منهم، فبعث رسول الله ﷺ فأتى بهم أسرى، فخلى عنهم رسول الله ﷺ، ومن عليهم ولم يقتلهم فقال الله للمؤمنين: وهو الذي كفّ أيدي هؤلاء المشركين عنكم، وأيديكم عنهم ببطن مكة، من بعد أن أظفركم عليهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار ذكر الرواية بذلك:

حدثنا محمد بن عليّ بن الحسن بن شقيق، قال: سمعت أبي يقول: أخبرنا الحسين بن واقد، قال: ثني ثابت البناني، عن عبد الله بن مغفل، أن رسول الله ﷺ كان جالساً في أصل شجرة بالحُدَيبية، وعلى ظهره غصن من أغصان الشجرة فرفعتها عن ظهره، وعليّ بن أبي طالب

رضي الله عنه بين يديه وسهيل بن عمرو، وهو صاحب المشركين، فقال رسول الله ﷺ لعليّ: «اكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَن الرَّحِيمِ»، فأمسك سُهَيل بيده، فقال: ما نعرف الرحمن، اكتب في قضيتنا ما نعرف. فقال رسول الله ﷺ: «اكْتُبْ باسْمِكَ اللَّهُم»، فكتب، فقال: «هذا ما صالح محمد رسول الله أهل مكة»، فأمسك سُهيل بيده، فقال: لقد ظلمناك إذ كنت رسولاً، اكتب في قضيتنا ما نعرف قال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وأنا رسول الله»، فخرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «هَلْ خَرَجْتُمْ فِي أمان أحَد»، قال: فخلى عنهم، قال: فأنزل الله **﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُم عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ منْ بَعْدِ أنْ أظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن ثابت، عن عبد الله بن مغفل، قال: كنا مع النبيّ ﷺ بالحُديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن، وكان غصن من أغصان تلك الشجرة على ظهر النبيّ ﷺ، فرفعته عن ظهره، ثم ذكر نحو حديث محمد بن عليّ، عن أبيه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق قال: ثني من لا أتهم. عن عكرِمة، مولى ابن عباس، أن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ، ليصيبوا من أصحابه أحداً، فأخذوا أخذاً، فأُتي بهم رسول الله ﷺ، فعفا عنهم وخلى سبيلهم، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل. قال ابن حميد، قال سلمة، قال ابن إسحاق: ففي ذلك قال: **﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾**... الآية.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: أقبل معتمراً نبي الله ﷺ، فأخذ أصحابه ناساً من أهل الحرم غافلين، فأرسلهم النبيّ ﷺ، فذلك الإظفار ببطن مكة.

حدثنا محمد بن سنان القزّاز، قال: ثنا عبيد الله بن عائشة، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك أن ثمانين رجلاً من أهل مكة، هبطوا على رسول الله ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله ﷺ فأعتقهم، فأنزل الله **﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾**... إلى آخر الآية.

وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا به بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ**﴾... الآية، قال: بطن مكة الحديبية[1] يقال له رهم: اطلع الثنية من الحديبية، فرماه المشركون بسهم فقتلوه، فبعث رسول الله ﷺ خيلاً، فأتوه باثني عشر فارساً من الكفار، فقال لهم نبيّ الله ﷺ: «هل لكم عليّ عهد؟ هل لكم عليّ ذمة»، قالوا: لا فأرسلهم، فأنزل الله في ذلك القرآن ﴿**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُم عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ**﴾... إلى قوله: ﴿**بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً**﴾.

وقال آخرون في ذلك ما:

حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القُمِّيّ، عن جعفر، عن ابن أبزي، قال: لما خرج النبيّ ﷺ بالهدي، وانتهى إلى ذي الحليفة، قال له عمر: يا نبيّ الله، تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع، قال: فبعث إلى المدينة فلم يدع بها كراعاً ولا سلاحاً إلا حمله فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل، فسار حتى أتى منى، فنزل بمنى، فأتاه عينه أن عكرِمة بن أبي جهل قد خرج علينا في خمس مئة، فقال لخالد بن الوليد: «يا خالد هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل»، فقال خالد: أنا سيف الله وسيف رسوله ـ فيومئذٍ سُمي سيف الله ـ يا رسول الله، ارم بي حيث شئت، فبعثه على خيل، فلقي عكرِمة في الشِّعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثالثة حتى أدخله حيطان مكة، فأنزل الله ﴿**وَهُوَ الَّذي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ**﴾... إلى قوله ﴿**عَذَاباً أليماً**﴾ قال: فكفَّ الله النبيّ عنهم من بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا بقوا فيها من بعد أن أظفره عليهم كراهية أن تطأهم الخيل بغير علم.

وقوله: ﴿**وكانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً**﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الله بأعمالكم وأعمالهم بصيراً لا يخفى عليه منها شيء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء المشركون من قريش هم الذين جحدوا توحيد الله، وصدّوكم

(١) لعل فيه سقطا. وفي ابن كثير عن قتادة: «ذكر لنا أن رجلاً يقال له ابن زنيم اطلع على الثنية الخ».

أيها المؤمنون بالله عن دخول المسجد الحرام، وصدّوا الهَدي معكوفاً: يقول: محبوساً عن أن يبلغ مَحِلَّه. فموضع «أن» نصب لتعلقه إن شئت بمعكوف، وإن شئت بصدّوا. وكان بعض نحويي البصرة يقول في ذلك: وصدّوا الهدي معكوفاً كراهية أن يبلغ محله.

وعنى بقوله تعالى ذكره: ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ أن يبلغ محلّ نحره، وذلك دخول الحرم، والموضع الذي إذا صار إليه حلّ نحره، وكان رسول الله ﷺ ساق معه حين خرج إلى مكة في سَفرته تلك سبعين بدنة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن مسلم الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المِسْوَر بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدّثاه، قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحُديبية يريد زيارة البيت، لا يريد قتالاً، وساق الهَدي معه سبعين بدنة وكان الناس سبعَ مئة رجل، فكانت كلّ بدنة عن عشرة.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدوكُم عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ والهَدْيَ مَعْكُوفاً﴾: أي محبوساً ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ وأقبل نبيّ الله ﷺ وأصحابه معتمرين في ذي القعدة، ومعهم الهدي، حتى إذا كانوا بالحُديبية، صدّهم المشركون، فصالحهم نبيّ الله ﷺ على أن يرجع من عامه ذلك، ثم يرجع من العام المقبل، فيكون بمكة ثلاث ليال، ولا يدخلها إلا بسلاح الراكب، ولا يخرج بأحد من أهلها، فنحروا الهدي، وحلقوا، وقصَّروا، حتى إذا كان من العام المقبل، أقبل نبيّ الله ﷺ وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين في ذي القعدة، فأقام بها ثلاث ليال، وكان المشركون قد فجروا عليه حين ردّوه، فأقصه الله منهم فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردّوه فيه، فأنزل الله ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بالشَّهْرِ الحَرَامِ والحُرُماتُ قِصَاصٌ﴾.

حدثني محمد بن عمارة الأسديّ وأحمد بن منصور الرمادي، واللفظ لابن عمارة، قالا: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا موسى بن عبيدة، عن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه، قال: بعثت قريش سُهَيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العُزَّى، وحفص بن فلان إلى النبيّ ﷺ ليصالحوه فلما رآهم رسول الله ﷺ فيهم سُهَيل بن عمرو، قال: «قد سهَّل الله لكم من أمركم، القومُ ماتُّون إليكم بأرحامهم وسائلوكم الصلح، فابعثوا الهَدي، وأظهروا التلبية، لعلّ ذلك يلين قلوبهم»، فلبوا من نواحي العسكر حتى ارتجَّت أصواتهم بالتَّلبية، فجاؤوا فسألوه الصلح قال:

فبينما الناس قد توادعوا وفي المسلمين ناس من المشركين، قال: فقيل به أبو سفيان قال: وإذا الوادي يسيل بالرجال قال: قال إياس، قال سلمة: فجئت بستة من المشركين متسلحين أسوقهم، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً، فأتيت بهم النبيّ ﷺ، فلم يسلب ولم يقتل وعفا قال: فشددنا على من في أيدي المشركين منا، فما تركنا في أيديهم منا رجلاً إلا استنقذناه قال: وغلبنا على من في أيدينا منهم ثم إن قريشاً بعثوا سُهَيل بن عمرو، وحويطباً، فولوا صلحهم، وبعث النبيّ ﷺ علياً في صلحه فكتب عليّ بينهم: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ قريشاً، صالحهم على أنه لا إهلال ولا امتلال، وعلى أنه من قَدِم مكة من أصحاب محمد ﷺ حاجاً أو معتمراً، أو يبتغي من فضل الله، فهو آمن على دمه وماله ومن قَدِم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو إلى الشام يبتغي من فضل الله، فهو آمن على دمه وماله وعلى أنه من جاء محمداً ﷺ من قريش فهو إليهم رَدٌّ، ومن جاءهم من أصحاب محمد فهو لهم. فاشتدّ ذلك على المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ جاءَهُمْ مِنَّا فأَبْعَدَهُ اللّهُ، وَمَنْ جاءَنا مِنْهُمْ فَرَدَدْناه إلَيْهِمْ فَعَلِمَ اللّهُ الإسْلامَ مِنْ نَفْسِهِ، جَعَلَ لَهُ مَخْرَجاً». فصالحوه على أنه يعتمر في عام قابل في هذا الشهر، لا يدخل علينا بخيل ولا سلاح، إلا ما يحمل المسافر في قِرابه، يثوي فينا ثلاث ليال، وعلى أن هذا الهَدْي حيثما حبسناه محلَّه لا يقدمه علينا. فقال لهم رسول الله ﷺ: «نَحْن نَسُوقُهُ وأنْتُمْ تَرُدونَ وُجُوهَهُ»، فسار رسول الله مع الهدي وسار الناس.

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا موسى، قال: أخبرني أبو مُرّة مولى أمّ هانىء، عن ابن عمر، قال: «كان الهدي دون الجبال التي تطلع على وادي الثنية عرض له المشركون، فردّوا وجوهه قال: فنحر النبيّ ﷺ الهدي حين حبسوه، وهي الحُديبية، وحلق، وتأسّى به أُناس حين رأوه حلق، وتربَّص آخرون، فقالوا: لعلنا نطوف بالبيت، فقال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللّهُ المُحَلِّقِينَ»، قيل: والمقصرين، قال: «رَحِمَ اللّهُ المُحَلِّقِينَ»، قيل: والمقصرين، قال: «والمُقَصِّرِينَ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمر بن ذَرّ الهمداني، عن مجاهد أن النبيّ ﷺ اعتمر ثلاث عمر، كلها في ذي القعدة، يرجع في كلها إلى المدينة، منها العمرة التي صدّ فيها الهدي، فنحره في محله، عند الشجرة، وشارطوه أن يأتي في العام المقبل معتمراً، فيدخل مكة، فيطوف بالبيت ثلاثة أيام، ثم يخرج، ولا يحبسون عنه أحداً قدم معه، ولا يخرج من مكة بأحد كان فيها قبل قدومه من المسلمين فلما كان من العام المقبل دخل مكة، فأقام بها ثلاثاً يطوف بالبيت فلما كان اليوم الثالث قريباً من الظهر، أرسلوا إليه: إن قومك قد آذاهم مقامك، فنُودي في الناس: لا تغرب الشمس وفيها أحد من المسلمين قَدم مع رسول الله ﷺ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهريّ، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، قال: خرج النبيّ ﷺ زمن الحُديبية في بضع عشرة مئة من أصحابه، حتى إذا كانوا بذي الحُلَيْفة قلّد الهدي وأشعره، وأحرم بالعمرة، وبعث بين يديه عيناً له من خُزاعة يخبره عن قريش، وسار النبيّ ﷺ، حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريباً من قُعَيقعان، أتاه عينه الخزاعيّ، فقال: إني تركت كعب بن لؤيّ وعامر بن لؤيّ قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لك جموعاً، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: «أشِيرُوا عَليَّ، أتَرَوْنَ أنْ نَمِيلَ على ذَرَارِي هَؤُلاءِ الَّذِينَ أعانُوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ، فإنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْزُونِين وإنْ لحُّوا تَكنْ عُنُقاً قَطَعَها اللَّهُ؟ أمْ تَرَوْنَ أنَّا نَؤُمُّ البَيْتَ، فَمَنْ صَدّنا عَنْهُ قاتَلْناهُ؟» فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله: إنا لم نأت لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه فقال النبيّ ﷺ: «فَروّحُوا إذاً» وكان أبو هريرة يقول: ما رأيت أحداً قطّ كان أكثر مُشاورة لأصحابه من النبيّ ﷺ، فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبيّ ﷺ: «إنَّ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ بالغَمِيم في خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً، فَخُذُوا ذَاتَ اليَمِينِ»، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هو بُقْترة الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبيّ ﷺ، حتى إذا كان بالثنية التي يُهبَط عليهم منها، بركت به راحلته فقال الناس: حَلْ حَل[1]، فقال: ما حَلْ؟ فقالوا: خَلأَتِ القَصْواء[2]، فقال النبيّ ﷺ: «ما خَلأَتْ وَما ذَاكَ لَهَا بخُلُقٍ، ولَكِنَّها حَبَسَها حابِسُ الفِيلِ»، ثم قال: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَسألُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ بها حُرُماتِ اللَّهِ إلاَّ أعْطَيْتُهُم إيَّاها»، ثم زُجِرت فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحُديبية على ثمد قليل الماء، إنما يتبرّضه الناس تبرّضاً، فلم يلبث الناس أن نزحوه، فشُكِي إلى رسول الله ﷺ العطش، فنزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالرِّيّ حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك جاء بُدَيل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خُزاعة، وكانوا عَيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لُؤَيّ، وعامر بن لُؤَيّ، قد نزلوا أعداد مياه الحُديبية معهم العوُذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت، فقال النبيّ ﷺ: «إنَّا لَمْ نأْتِ لِقِتال أحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنا مُعْتَمِرِينَ، وإنَّ قُرَيْشاً قَدْ نَهَكَتْهُمُ الحَرْبُ، وأضَرَّتْ بِهِمْ، فإنْ شاؤُوا مادَدْناهُمْ مُدَّةً، ويُخْلُوا بَيْنِي وَبَينَ النَّاسِ، فإنْ أظْهَرْ فإنْ شاؤوا أن يَدْخُلُوا فِيما دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإلاَّ فَقَدْ جَمُّوا وَإنْ هُمْ أبَوْا فَوَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لأُقَاتِلَنَّهُمْ على أمْرِي هَذَا حتى تَنْفَرِدَ سالِفَتِي، أوْ لَيُنْفِذَنَ اللَّهُ أمْرَهُ» فقال بديل: سنبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى

---

(١) حل حل: زجر للإبل وحث لها لتسير.

(٢) خلأت الناقة تخلأ (كفتح): وقفت عن السير والخلاء في الإبل: كالحران في الخيل «اللسان» خلأ.

قريشاً، فقال: إنا جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا قال سفهاؤهم: لا حاجة لنا في أن تحدّثنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم هات ما سمعته يقول: قال سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبيّ ﷺ، فقام عُروة بن مسعود الثقفي، فقال: أيْ قوم، ألستم بالولد؟ قالوا: بلى قال: أو لست بالوالد؟ قالوا: بلى قال: فهل أنتم تتهموني؟ قالوا: لا قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ، فلما بلحوا عليّ جئتكم بأهلي وَولدِي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى قال: فإن هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، ودعوني آته فقالوا: ائته، فأتاه، فجعل يكلم النبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ نحواً من مقالته لبُديل فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت إن استأصلت قومك، فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فوالله إني لأرى وجوهاً وأوباشاً من الناس خليقاً أن يفرّوا ويدعوك، فقال أبو بكر: امصَصْ بظر اللات، واللاتُ: طاغية ثقيف الذي كانوا يعبدون، أنحن نفرّ وندعه؟ فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو بكر، فقال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك وجعل يكلم النبيّ ﷺ، فكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبيّ ﷺ ومعه السيف، وعليه المغفر فكلما أهوى عروة إلى لحية رسول الله ﷺ، ضرب يده بنصل السيف، وقال: أخِّر يدك عن لحيته، فرفع رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، قال: أي غُدَرُ أو لست أسعى في غدرتك. وكان المُغيرة بن شعبة صحب قوماً في الجاهلية، فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبيّ ﷺ: «أمَّا الإسْلامُ فَقَدْ قَبِلْناهُ، وأمَّا المَالُ فإنَّه مالُ غَدْرٍ لا حاجَةَ لَنا فِيهِ». وإن عُروة جعل يرمق أصحاب النبيّ ﷺ بعينه، فوالله إن تنخم النبيّ ﷺ نخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون النظر إليه تعظيماً له، فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشيّ، والله ما رأيت مَلِكاً قطّ يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم، وما يحدّون النظر إليه تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من كنانة: دعوني آته، فقالوا: ائته فلما أشرف على النبيّ ﷺ وأصحابه، قال النبيّ ﷺ: «هَذَا فُلانٌ، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له»، فبعثت له، واستقبله قوم يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له مِكْرز بن حفص، فقال: دعوني آته، فقالوا ائته، فلما أشرف على النبيّ ﷺ

وأصحابه، قال النبيّ ﷺ: «هَذَا مِكْرِز بْنُ حَفْصٍ، وَهُوَ رَجُلٌ فاجِرٌ» فجاء فجعل يكلم النبيّ ﷺ، فبينما هو يكلمه، إذ جاء سُهَيل بن عمرو، قال أيوب، قال عكرِمة: إنه لما جاء سُهَيل، قال النبيّ ﷺ: «قد سهل لكم من أمركم». قال الزهري. فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات نكتب بيننا وبينك كتاباً فدعا الكاتب فقال النبيّ ﷺ: «اكْتُبْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، فقال: ما الرحمن؟ فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبيّ ﷺ: «اكْتُبْ: باسْمِكَ اللَّهُمَّ» ثم قال: «اكْتُبْ: هَذَا ما قاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ االلَّهِ»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبيّ ﷺ: «وَاللَّهِ إنّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإنْ كَذَّبْتُمُوني، ولَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» قال الزهري: وذلك لقوله: «وَاللَّهِ لا يَسأَلُوني خُطَّةً يُعَظِّمُونَ بِها حُرُماتِ اللَّهِ إلاَّ أعْطَيْتُهُمْ إيَّاها» فقال النبيّ ﷺ: «عَلى أنْ تُخَلُّوا بَيْنَنا وَبَينَ البَيْتِ، فَنَطُوفُ بِهِ» قال سُهيل: والله لا تتحدّث العرب أنا أُخِذنا ضغطة، ولكن لك من العام المقبل، فكتب فقال سهيل، وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، فقال المسلمون: سبحان الله، وكيف يُرَدّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فبينما هم كذلك، إذا جاء أبو جَنْدل بن سُهيل بن عمرو يرسُف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أوّل من أقاضيك عليه أن تردّه إلينا، فقال النبيّ ﷺ: «فَأَجِزْهُ لي»، فقال: ما أنا بمجيره لك، قال: «بلى فافعل»، قال: ما أنا بفاعل قال صاحبه مِكْرِزٍ وسهيل إلى جنبه: قد أجرناه لك فقال أبو جندل أي معاشر المسلمين، أأُردّ إلى المشركين وقد جئتُ مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ كان قد عُذّب عذاباً شديداً في الله.

قال عمر بن الخطاب: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذٍ، فأتيت النبيّ ﷺ، فقلت: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: «بلى»، قلت: فلِم نعطَى الدنية في ديننا إذن؟ قال: «إنّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ ناصِري»، قلت: ألست تحدِّثنا أنا سنأتي البيت، فنطوف به؟ قال: «بَلى»، قال: «فأخبرتك أنك تأتيه العام»؟ قلت: لا قال: «فإنَّكَ آتِيهِ وَمُتَطَوِّفٌ به» قال: ثم أتيت أبا بكر، فقلت: أليس هذا نبيّ الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطَى الدنية في ديننا إذاً؟ قال أيها الرجل إنه رسول الله، وليس يعصِي ربه، فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحقّ قلت: أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قال: لا، قال: فإنك آتيه ومتطوّف به. قال الزُهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً فلما فرغ من قصته، قال النبيّ ﷺ لأصحابه: «قُومُوا فانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا»، قال: فوالله ما قام منا رجل حتى قال ذلك ثلاث مرّات فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أمّ سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أمّ

سلمة: يا رسول الله أتحبّ ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحُر بُدْنَك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلم أحداً منهم كلمة، حتى نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً ثم جاءه نسوة مؤمنات، فأنزل الله عزّ وجلّ عليه: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ﴾ حتى بلغ ﴿بِعِصَمِ الكَوَافِرِ﴾ قال: فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك قال: فنهاهم أن يردوهنّ، وأمرهم أن يردّوا الصداق حينئذٍ قال رجل للزهريّ: أمن أجل الفروج؟ قال: نعم، فتزوّج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع النبيّ ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير، رجل من قريش، وهو مسلم، فأرسل في طلبه رجلان، فقالا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به، حتى إذا بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً، فاستله الآخر فقال: والله إنه لجيد، لقد جربت به وجربت فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه فأمكنه منه، فضربه به حتى برد وفرّ الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال النبيّ ﷺ: «رأى هَذَا ذُعْراً»، فقال: والله قتل صاحبي، وإني والله لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: قد والله أوفى الله ذمتك ورددتني إليهم، ثم أغاثني الله منهم، فقال النبيّ ﷺ: «وَيْلُ امِّهِ مِسْعَرُ حَرْب لَوْ كانَ لَهُ أحَدٌ» فلما سمع عرف أنه سيردّه إليهم قال: فخرج حتى أتى سيف البحر، وتفلَّت أبو جندل بن سهيل بن عمرو، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لهم فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبيّ ﷺ يناشدونه الله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه فهو آمن فأنزل الله ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ حتى بلغ ﴿حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ﴾ وكانت حميتهم أنهم لم يقرّوا أنه نبيّ، ولم يقرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا معمر، عن الزهريّ، عن عروة، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحُديبية في بضع عشرة مئة، ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال في حديثه، قال الزهريّ، فحدثني القاسم بن محمد، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فأتيت النبيّ ﷺ، فقلت: ألست برسول الله ﷺ؟ قال: «بَلى»، قال أيضاً: وخرج أبو بصير والذين أسلموا من الذين رَدّ رسولُ الله ﷺ حتى لحقوا بالساحل على طريق عير قريش، فقتلوا من فيها من الكفار وتغنَّموها فلما رأى ذلك كفار قريش، ركب نفر منهم إلى رسول الله ﷺ، فقالوا له: إنها لا تغني مدتك شيئاً، ونحنُ نقتل وتُنهب أموالُنا، وإنا نسألك أن تدخل هؤلاء في الذين أسلموا

منا في صلحك وتمنعهم، وتحجز عنا قتالهم، ففعل ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ**﴾، ثم ساق الحديث إلى آخره، نحو حديث ابن عبد الأعلى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهريّ، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم أنهما حدّثاه، قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحُديبية، يريد زيارة البيت، لا يريد قتالاً، وساق معه هديه سبعين بدنة، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبيّ، فقال له: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العوذُ المطافيلُ قد لبسوا جلود النمور، ونزلوا بذي طوى يعاهدون الله، لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم، قد قدموها إلى كراع الغميم قال: فقال ﷺ: «يا وَيْحَ قُرَيْشٍ لَقَدْ أهْلَكَتْهُمُ الحَرْبُ، ماذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ سائِرِ العَرَب فإنْ هُمْ أصابُوني كانَ ذلكَ الَّذِي أرَادُوا، وَإنْ أظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَيْهِم دَخَلُوا في الإسْلامِ دَاخِرِينَ» ثم ذكر نحو حديث معمر بزيادات فيه كثيرة، على حديث معمر تركت ذكرها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**والهَدْيَ مَعْكُوفاً أنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ**﴾ قال: كان الهدي بذي طوى، والحُديبية خارجة من الحرم، نزلها رسول الله ﷺ حين غَوَّرت قريش عليه الماء.

وقوله: ﴿**وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بغَيرِ عِلْمٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: ولولا رجال من أهل الإيمان ونساء منهم أيها المؤمنون بالله أن تطئوهم بخيلكم ورجلكم لم تعلموهم بمكة، وقد حبسهم المشركون بها عنكم، فلا يستطيعون من أجل ذلك الخروج إليكم فتقتلوهم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ**﴾... حتى بلغ ﴿**بِغَيرِ عِلْمٍ**﴾ هذا حين ردّ محمد ﷺ وأصحابه أن يدخلوا مكة، فكان بها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات، فكره الله أن يؤذوا أو يوطئوا بغير علم، فتصيبكم منهم معرّة بغير علم.

واختلف أهل التأويل في المعرة التي عناها الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى بها الإثم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلَوْلا رِجالٌ**

﴿مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بغَيرِ عِلْمٍ﴾ قال: إثم بغير علم.

وقال آخرون: عنى بها غرم الدية.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ﴿فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بغَيرِ عِلْمٍ﴾ فتخرجوا ديته، فأما إثم فلم يحسبه عليهم. والمعرّة: هي المفعلة من العرّ، وهو الجرب. وإنّما المعنى: فتصيبكم من قبلهم معرّة تعرّون بها، يلزمكم من أجلها كفّارة قتل الخطأ، وذلك عتق رقبة مؤمنة، من أطاق ذلك، ومن لم يطق فصيام شهرين.

وإنما اخترت هذا القول دون القول الذي قاله ابن إسحاق، لأن الله إنما أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يكن هاجر منها، ولم يكن قاتله علم إيمانه الكفارة دون الدية، فقال: ﴿وإنْ كانَ مِنْ قَوْم عَدُوٍّ لَكُمْ وهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ لم يوجب على قاتله خطأ ديته، فلذلك قلنا: عنى بالمعرّة في هذا الموضع الكفارة، و﴿أن﴾ من قوله: ﴿أنْ تَطَئُوهُمْ﴾ في موضع رفع ردّا على الرجال، لأن معنى الكلام: ولولا أن تطئوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم، فتصيبكم منهم معرّة بغير علم لأذن الله لكم أيها المؤمنون في دخول مكة، ولكنه حال بينكم وبين ذلك ﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ في رَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ يقول: ليدخل في الإسلام من أهل مكة من يشاء قبل أن تدخلوها، وحذف جواب لولا استغناء بدلالة الكلام عليه.

وقوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلوا﴾ يقول: لو تميز الذين في مشركي مكة من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات الذين لم تعلموهم منهم، ففارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم ﴿لَعَذَّبْنا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُم عَذَاباً أَلِيماً﴾ يقول: لقتلنا من بقي فيها بالسيف، أو لأهلكناهم ببعض ما يؤلمهم من عذابنا العاجل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾... الآية، إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ يعني أهل مكة كان فيهم مؤمنون مستضعفون: يقول الله لولا أولئك المستضعفون لو قد تزيّلوا، لعذّبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ لو تفرّقوا، فتفرّق المؤمن من الكافر، لعذّبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦)﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِم الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّةِ**﴾ حين جعل سُهيل بن عمرو في قلبه الحمية، فامتنع أن يكتب في كتاب المقاضاة الذي كتب بين يدي رسول الله ﷺ والمشركين: بسم الله الرحمن الرحيم، وأن يكتب فيه: محمد رسول الله، وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله ﷺ عامه ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهريّ، قال: كانت حميتهم التي ذكر الله، إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية، حمية الجاهلية، أنهم لم يقرّوا «بسم الله الرحمن الرحيم» وحالوا بينهم وبين البيت.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، عن معمر، عن الزهري بنحوه.

حدثني عمرو بن محمد العثماني، قال: ثنا إسماعيل بن أبي أويس، قال: ثني أخي، عن سليمان، عن يحيى بن سعيد، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة أخبره أن رسول الله ﷺ قال: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتى يَقُولُوا لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ، فَمَنْ قال لا إله إلاَّ اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مالَهُ وَنَفْسَهُ إلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسابُهُ على الله». وأنزل الله في كتابه، فذكر قوماً استكبروا فقال: ﴿**إِنَّهُمْ كانُوا إذَا قِيلَ لَهُمْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُون**﴾ وقال الله: ﴿**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّة فأنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلى المُؤْمِنِينَ وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وكانُوا أَحَقَّ بِها وأهْلَها**﴾ وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله، استكبر عنها المشركون يوم الحُديبية، يوم كاتبهم رسول الله ﷺ على قضية المدّة.

و «إذ» من قوله: ﴿**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ من صلة قوله: لعذّبنا. وتأويل الكلام: لعذّبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً، حين جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية، والحمية فعيلة من

قول القائل: حمى فلان أنفه حمية ومحمية ومنه قول المتلمس:

أَلا إِنَّنِي مِنْهُمْ وَعِرْضِي عِرْضُهُمْ كَذا الرأس يَحْمِي أَنْفَهُ أَنْ يُكَشَّما[١]

يعني بقوله: «يحمي»: يمنع. وقال ﴿حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّةِ﴾ لأن الذي فعلوا من ذلك كان جميعه من أخلاق أهل الكفر، ولم يكن شيء منه مما أذن الله لهم به، ولا أحد من رسله.

وقوله: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعلى المُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره فأنزل الله الصبر والطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المؤمنين، إذ حمى الذين كفروا حمية الجاهلية، ومنعوهم من الطواف بالبيت، وأبوا أن يكتبوا في الكتاب بينه وبينهم بسم الله الرحمن الرحيم، ومحمد رسول الله ﴿وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ يقال: ألزمهم قول لا إله إلّا الله التي يتقون بها النار، وأليم العذاب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف في ذلك منهم، ورُوي به الخبر عن رسول الله ﷺ.

ذكر قائلي ذلك بما قلنا فيه، والخبر الذي ذكرناه عن رسول الله ﷺ:

حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي، قال: ثنا سفيان بن حبيب، قال: ثنا شعبة، عن ثور بن أبي فاختة، عن أبيه، عن الطفيل، عن أبيه، سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قال: «لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ».

حدثني محمد بن خالد بن خداش العَتَكِيّ، قال: سمعت سالماً، سمع شعبة، سمعَ سَلَمة بن كُهَيل، سمعِ عبَايَة، سمع علياً رضي الله عنه في قوله: ﴿وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قال: لا إله إلّا الله.

حدثني ابن بشار، قال: ثنا يحيى وعبد الرحمن، قالا: ثنا سفيان، عن سلمة، عن عباية بن ربعي، عن عليّ رضي الله عنه، في قوله: ﴿وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قال: لا إله إلاَّ الله، والله أكبر.

حدثني محمد بن عيسى الدامغاني، قال: ثنا ابن المبارك، عن سفيان وشعبة، عن سلمة بن كهيل، عن رجل، عن عليّ رضي الله عنه قال: لا إله إلاَّ الله، والله أكبر.

---

(١) البيت للمتلمس جرير بن عبد المسيح (شعراء النصرانية ٣٣٨) وكشم أنفه يكشمه (كيضربه) كشماً: قطعه مستأصلا له. ويقال: حمى فلان أنفه يحميه حمية ومحمية وفلان ذو حمية منكرة: إذا كان ذا غضب وأنفة. وقفد استهشد به المؤلف عند قوله تعالى: ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية﴾ وهي مصدر على فعيلة، بمعنى الأنفة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا وهب بن جرير، عن شعبة، عن سلمة، عن عباية، عن رجل من بني تميم عن عليّ رضي الله عنه ﴿**وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى**﴾ قال: لا إله إلاَّ الله.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى**﴾ يقول: شهادة أن لا إله إلاَّ الله، فهي كلمة التقوى، يقول: فهي رأس التقوى.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت أبا إسحاق يحدّث عن عمرو بن ميمون أنه كان يقول في هذه الآية ﴿**وأَلْزَمَهُم كَلِمَةَ التَّقْوَى**﴾ قال: لا إله إلاَّ الله.

حدثني محمد بن عيسى، قال: أخبرنا ابن المبارك، قال: أخبرني سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون ﴿**وأَلْزَمَهَمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى**﴾ قال: لا إله إلاَّ الله.

قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى**﴾ قال: لا إله إلاَّ الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى**﴾ وهي: شهادة أن لا إله إلا الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى**﴾ قال: هي لا إله إلاَّ الله.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى**﴾ هي لا إله إلاَّ الله.

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا حفص بن عمر، قال: ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، في قوله: ﴿**وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى**﴾ قال: شهادة أن لا إله إلاَّ الله.

حدثني ابن البرقيّ، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد بن عبد العزيز، عن عطاء الخراسانيّ ﴿**وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى**﴾ قال: لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله.

حدثني الصواريّ محمد بن إسماعيل، قال: ثنا محمد بن سوار، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن يزيد بن أبي خالد المكي، عن عليّ الأزديّ، قال: كنت مع ابن عمر بين مكة ومنى بالمأزمين، فسمع الناس يقولون: لا إله إلاَّ الله، والله أكبر، فقال: هي هي، فقلت: ما هي؟

قال: ﴿وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ الإخلاص ﴿وكَانُوا أَحَقَّ بِها وَأَهْلَهَا﴾.

وقال آخرون: بل: هي كلمة التقوى، للإخلاص.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن الحسين الأزديّ، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد ﴿وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قال: الإخلاص.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ كلمة الإخلاص.

وقال آخرون: هي قوله: بسم الله الرحمن الرحيم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عيسى، قال: ثنا ابن المبارك، عن معمر، عن الزهريّ، في قوله: ﴿وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قال: بسم الله الرحمن الرحيم.

وقال آخرون: هي قول لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، قال: أخبرنا ابن جُرَيج، عن مجاهد وعطاء ﴿وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قال: أحدهما الإخلاص، وقال الآخر: كلمة التقوى: لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له له المُلك وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير.

وقوله: ﴿وكانُوا أحَقَّ بِها وأهْلَها﴾ يقول تعالى ذكره: وكان رسول الله ﷺ: والمؤمنون أحقّ بكلمة التقوى من المشركين وأهلها: يقول: وكان رسول الله ﷺ والمؤمنون أهل كلمة التقوى دون المشركين. وذُكر أنها في قراءة عبد الله «وكانُوا أهْلَها وأحَقَّ بِها».

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وكانُوا أَحَقَّ بها وأهْلَها﴾ وكان المسلمون أحقّ بها، وكانوا أهلها: أي التوحيد، وشهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

وقوله: ﴿وكانَ اللَّهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَليماً﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يزل الله بكل شيء ذا علم، لا يخفى عليه شيء هو كائن، ولعلمه أيها الناس بما يحدث من دخولكم مكة وبها رجال مؤمنون، ونساء مؤمنات لم تعلموهم، لم يأذن لكم بدخولكم مكة في سفرتكم هذه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لقد صدق الله رسوله محمداً رؤياه التي أراها إياه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين، لا يخافون أهل الشرك، مقصِّراً بعضهم رأسه، ومحلِّقاً بعضهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الْحَرَامَ إنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ قال هو دخول محمد ﷺ البيت والمؤمنون، محلقين رؤوسهم ومقصرين.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿الرُّؤْيا بالحَقّ﴾ قال: أُرِيَ بالحدُيبية أنه يدخل مكة وأصحابه محلقين، فقال أصحابه حين نحر بالحُديبية: أين رؤيا محمد ﷺ؟

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقّ﴾ قال: رأى رسول الله ﷺ أنه يطوف بالبيت وأصحابه، فصدّق الله رؤياه، فقال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَام إنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾... حتى بلغ ﴿لا تَخافُونَ﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقّ﴾ قال: أُرِيَ في المنام أنهم يدخلون المسجد الحرام، وأنهم آمنون محلِّقين رؤوسهم ومقصِّرين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقّ**﴾... إلى آخر الآية. قال: قال لهم النبيّ ﷺ: «إنّي قَدْ رأيْتُ أنَّكُمْ سَتَدْخُلُونَ المَسْجِدَ الحَرَام مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ» فلما نزل بالحُديبية ولم يدخل ذلك العام طعن المنافقون في ذلك، فقالوا: أين رؤياه؟ فقال الله ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقّ**﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿**وَمُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ**﴾ إني لم أره يدخلها هذا العام، وليكوننّ ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقّ**﴾... إلى قوله: ﴿**إنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾ لرؤيا رسول الله ﷺ التي أُرِيَها أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف، يقول: محلقين ومقصرين لا تخافون.

وقوله: ﴿**فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا**﴾ يقول تعالى ذكره: فعلم الله جلّ ثناؤه ما لم تعلموا، وذلك علمه تعالى ذكره بما بمكة من الرجال والنساء المؤمنين، الذين لم يعلمهم المؤمنون، ولو دخلوها في ذلك العام لوطئوهم بالخيل والرّجل، فأصابتهم منهم معرّة بغير علم، فردّهم الله عن مكة من أجل ذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا**﴾ قال: ردّه لمكان من بين أظهرهم من المؤمنين والمؤمنات، وأخره ليدخل الله في رحمته من يشاء من يريد أن يهديه.

وقوله: ﴿**فجَعَلَ مِنْ دُون ذلكَ فَتْحاً قَرِيباً**﴾ اختلف أهل التأويل في الفتح القريب، الذي جعله الله للمؤمنين دون دخولهم المسجد الحرام محلّقين رؤوسهم ومقصّرين، فقال بعضهم: هو الصلح الذي جرى بين رسول الله ﷺ وبين مشركي قريش.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**مِنْ دُونِ ذلكَ فَتْحاً قَرِيباً**﴾ قال: النحر بالحُديبية، ورجعوا فافتتحوا خَيبر، ثم اعتمر بعد ذلك، فكان تصديق رؤياه في السنة القابلة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهريّ، قوله: ﴿**فجعَلَ مِنْ دُونِ ذلكَ فَتْحاً قَرِيباً**﴾ يعني: صلح الحُديبية، وما فتح في الإسلام فتح كان أعظم منه، إنما كان

القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة وضعت الحرب، وأمن الناس كلهم بعضهم بعضاً، فالتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، فلقد دخل في تينك السنتين في الإسلام مثل من كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ﴿**فجعَلَ مِنْ دُونِ ذلكَ فَتْحاً قَرِيباً**﴾ قال: صلح الحُديبية.

وقال آخرون: عنى بالفتح القريب في هذا الموضع: فتح خيبر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلكَ فَتْحاً قَرِيباً**﴾ قال: خيبر حين رجعوا من الحُديبية، فتحها الله عليهم، فقسمها على أهل الحديبية كلهم إلا رجلاً واحداً من الأنصار، يقال له: أبو دجانة سماك بن خرشة، كان قد شهد الحُديبية وغاب عن خَيبر.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه جعل لرسوله والذين كانوا معه من أهل بيعة الرضوان فتحاً قريباً من دون دخولهم المسجد الحرام، ودون تصديقه رؤيا رسول الله ﷺ وكان صلح الحُديبية وفتح خيبر دون ذلك، ولم يخصص الله تعالى ذكره خبره ذلك عن فتح من ذلك دون فتح، بل عمّ ذلك، وذلك كله فتح جعله الله من دون ذلك.

والصواب أن يعمه كما عمه، فيقال: جعل الله من دون تصديقه رؤيا رسول الله ﷺ بدخوله وأصحابه المسجد الحرام محلِّقين رؤوسهم ومقصِّرين، لا يخافون المشركين صلح الحُديبية وفتح خيبر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ﴾ الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالبيان الواضح، وَدِين الحَق، وهو الإسلام الذي أرسله داعياً خلقه إليه ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ يقول: ليبطل به الملل كلها، حتى لا يكون دين سواه، وذلك كان كذلك حتى ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الدجال، فحينئذٍ تبطل الأديان كلها، غير دين الله الذي بعث به محمداً ﷺ، ويظهر الإسلام على الأديان كلها.

وقوله: ﴿وكَفَى باللَّهِ شَهِيداً﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه ﷺ: أشهدك يا محمد ربك على نفسه، أنه سيظهر الدين الذي بعثك به ﴿وكَفَى باللَّهِ شَهِيداً﴾ يقول: وحسبك به شاهداً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا أبو بكر الهُذليّ، عن الحسن ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى وَدِين الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّهِ وكَفَى بِاَللهِ شَهِيداً﴾ يقول: أشهد لك على نفسه أنه سيُظْهِر دينك على الدين كله، وهذا إعلام من الله تعالى نبيه ﷺ، والذين كرهوا الصلح يوم الحُديبية من أصحابه، أن الله فاتح عليهم مكة وغيرها من البلدان، مسليهم بذلك عما نالهم من الكآبة والحزن، بانصرافهم عن مكة قبل دخولهموها، وقبل طوافهم بالبيت.

وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِين مَعَهُ أَشِدَّاءُ على الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: محمد رسول الله وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه، أشدّاء على الكفار، غليظة عليهم قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم ﴿رُحَماءُ بَيْنَهُمْ﴾ يقول: رقيقة قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم لهم، هينة عليهم لهم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿رُحَماءُ بَيْنَهُمْ﴾ ألقى الله في قلوبهم الرحمة، بعضهم لبعض ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾ يقول: تراهم ركعاً أحيانا لله في صلاتهم سجداً أحياناً ﴿يبتغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ﴾ يقول: يلتمسون بركوعهم وسجودهم وشدّتهم على الكفار ورحمة بعضهم بعضاً، فضلاً من الله، وذلك رحمته إياهم، بأن يتفضل عليهم، فيُدخلهم جنته ﴿وَرِضْوَاناً﴾ يقول: وأن يرضى عنهم ربهم.

وقوله: ﴿سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنَ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ يقول: علامتهم في وجوههم من أثر السجود في صلاتهم. ثم اختلف أهل التأويل في السيما الذي عناه الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: ذلك علامة يجعلها الله في وجوه المؤمنين يوم القيامة، يعرفون بها لما كان من سجودهم له في الدينا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ قال: صلاتهم تبدو في وجوههم يوم القيامة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد الله العتكي، عن خالد الحنفي، قوله: ﴿**سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ قال: يعرف ذلك يوم القيامة في وجوههم من أثر سجودهم في الدنيا، وهو كقوله: ﴿**تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ**﴾.

حدثني عبيد بن أسباط بن محمد، قال: ثنا أبي، عن فضيل بن مروزق، عن عطية، في قوله: ﴿**سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ قال: مواضع السجود من وجوههم يوم القيامة أشد وجوههم بياضاً.

حدثنا محمد بن عمارة، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا ابن فضيل، عن فضيل، عن عطية بنحوه.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن فضيل، عن فضيل، عن عطية بنحوه.

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا فضيل، عن عطية مثله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت شبيباً يقول عن مقاتل بن حيان، قال: ﴿**سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ قال: النور يوم القيامة.

حدثنا ابن سنان القزاز، قال: ثنا هارون بن إسماعيل، قال: قال عليّ بن المبارك: سمعت غير واحد عن الحسن، في قوله: ﴿**سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ قال: بياضاً في وجوههم يوم القيامة.

وقال آخرون: بل ذلك سيما الإسلام وسَمْته وخشوعه، وعنى بذلك أنه يرى من ذلك عليهم في الدنيا

ذكر من قال ذلك:

حدثنا علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ**﴾ قال: السَّمْت الحَسَن.

قال: ثنا مجاهد، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا الحسن بن عُمارة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ قال: أما إنه ليس بالذي تَرَوْن، ولكنه سيما الإسلام وسَحْنته وسَمْته وخشوعه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا سفيان، عن حميد الأعرج، عن مجاهد ﴿**سِيماهُمْ في وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السُّجُودِ**﴾ قال: الخشوع والتواضع.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن حميد الأعرج، عن مجاهد مثله.

قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السُّجُودِ**﴾ قال: الخشوع.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، في هذه الآية ﴿**سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السُّجُودِ**﴾ قال: السَّحْنة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿**سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السُّجُودِ**﴾ قال: هو الخشوع، فقلت: هو أثر السجود، فقال: إنه يكون بين عينيه مثل ركبة العَنْز، وهو كما شاء الله.

وقال آخرون: ذلك أثر يكون في وجوه المصلين، مثل أثر السَّهَر، الذي يظهر في الوجه مثل الكَلَف والتهيج والصفرة، وما أشبه ذلك مما يظهره السهر والتعب في الوجه، ووجهوا التأويل في ذلك إلى أنه سيما في الدنيا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن رجل، عن الحسن ﴿**سِيماهُمْ في وجُوُهِهِمْ مِنْ أثَرِ السُّجُودِ**﴾ قال: الصفرة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، قال: زعم الشيخ الذي كان يقصّ في عُسر، وقرأ ﴿**سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السُّجُودِ**﴾ فزعم أنه السَّهَر يُرى في وجوههم.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يعقوب القُمِّيّ، عن حفص، عن شَمِر بن عَطية، في قوله: ﴿**سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ**﴾ قال: تهيُّج في الوجه من سهر الليل.

وقال آخرون: ذلك آثار ترى في الوجه من ثَرَى الأرض، أو نَدَى الطَّهُور.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا حَوْثرة بن محمد المِنقري، قال: ثنا حماد بن مسعدة وحدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير جميعاً عن ثعلبة بن سهيل، عن جعفر بن أبي المُغيرة، عن سعيد بن جُبير، في قوله: ﴿**سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السُّجُودِ**﴾ قال: ثَرى الأرض، ونَدى الطَّهُور.

حدثنا ابن سنان القزّاز، قال: ثنا هارون بن إسماعيل، قال: ثنا عليّ بن المبارك، قال: ثنا مالك بن دينار، قال: سمعت عكرِمة يقول: **﴿سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾** قال: هو أثر التراب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود، ولم يخصّ ذلك على وقت دون وقت. وإذ كان ذلك كذلك، فذلك على كلّ الأوقات، فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته، وآثار أداء فرائضه وتطوّعه، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغرّة في الوجه والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجوه من أثر السجود.

وبنحو الذي قلنا في معنى السيما قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾** يقول: علامتهم أو أعلمتهم الصلاة.

وقوله: **﴿ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾** يقول: هذه الصفة التي وصفت لكم من صفة أتباع محمد ﷺ الذين معه صفتهم في التوراة.

وقوله: **﴿وَمَثَلُهُمْ في الإنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾** يقول: وصفتهم في إنجيل عيسى صفة زرع أخرج شطأه، وهو فراخه، يقال منه: قد أشطأ الزرع: إذا فرّخ فهو يشطىء إشطاء، وإنما مثلهم بالزرع المشطىء، لأنهم ابتدأوا في الدخول في الإسلام، وهم عدد قليلون، ثم جعلوا يتزايدون، ويدخل فيه الجماعة بعدهم، ثم الجماعة بعد الجماعة، حتى كثر عددهم، كما يحدث في أصل الزرع الفرخ منه، ثم الفرخ بعده حتى يكثر وينمى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾** أصحابه مثلهم، يعني نعتهم مكتوباً في التوراة والإنجيل قبل أن يخلق السموات والأرض.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد، عن الضحاك **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ على الكُفَّارِ﴾**... إلى قوله: **﴿ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾** ثم قال:

﴿وَمَثَلُهُمْ في الإنجيل كَزَرْعٍ أخْرَجَ شَطْأَهُ﴾... الآية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ذلك ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾: أي هذا المثل في التوراة ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجِيلِ كَزَرْعٍ أخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ فهذا مثل أصحاب رسول الله ﷺ في الإنجيل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السُّجُودِ﴾ قال ﴿ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجِيلِ كَزَرْعٍ أخْرَجَ شطأَهُ﴾.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿سيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السُّجُودِ ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاة﴾ يعني السيما في الوجوه مثلهم في التوراة، وليس بمَثَلهم في الإنجيل، ثم قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجِيلِ كَزَرْعٍ أخْرَجَ شَطْأَهُ﴾... الآية، هذا مثلهم في الإنجيل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السُّجُودِ ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجِيلِ كَزَرْعٍ أخْرَجَ شَطْأَهُ﴾.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن جُوَيبر، عن الضحاك في قول الله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾... الآية، قال: هذا مثلهم في التوراة، ومثل آخر في الإنجيل ﴿كَزَرْعٍ أخْرَجَ شَطْأَهُ فآزَرَهُ﴾ الآية.

وقال آخرون: هذان المَثَلان في التوراة والإنجيل مثلهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ والإنجيل واحد.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: مثلهم في التوراة، غير مثَلهم في الإنجيل، وإن الخبر عن مَثلهم في التوراة متناهٍ عند قوله: ﴿ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ وذلك أن القول لو كان كما قال مجاهد من أن مثلهم في التوراة والإنجيل واحد، لكان التنزيل: ومثلهم في الإنجيل، وكزرع أخرج شطأه، فكان تمثيلهم بالزرع معطوفاً على قوله: ﴿سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السُّجُودِ﴾ حتى يكون ذلك خبراً عن أن ذلك مَثلهم في التوراة والإنجيل، وفي مجيء الكلام بغير واو في قوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ دليل بيِّن على صحة ما قُلنا، وأن قولهم ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي

الإِنجِيلِ﴾ خبر مبتدأ عن صفتهم التي هي في الإنجيل دون ما في التوراة منها. وبنحو الذي قلنا في قوله **﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾** قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعوديّ، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن خيثمة، قال: بينا عبد الله يقرىء رجلاً عند غروب الشمس، إذ مرّ بهذه الآية **﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾** قال: أنتم الزرع، وقد دنا حصادكم.

قال: ثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن حُميد الطويل، قال: قرأ أنس بن مالك: **﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ﴾** قال: تدرون ما شطأه؟ قال: نباته.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾** قال: سنبله حين يتسلع نباته عن حباته.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾** قال: هذا مثل أصحاب محمد ﷺ في الإنجيل، قيل لهم: إنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، منهم قوم يأمرون بالمعروف، وينهوّن عن المنكر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة والزهريّ **﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾** قالا: أخرج نباته.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾** يعني: أصحاب محمد ﷺ، يكونون قليلاً، ثم يزدادون ويكثرون ويستغلظون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾** أولاده، ثم كثرت أولاده.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾** قال: ما يخرج بجنب الحقلة فيتمّ وينمى.

وقوله: **﴿فَآزَرَهُ﴾** يقول: فقوّاه: أي قوّى الزرعَ شطأه وأعانه، وهو من المؤازرة التي بمعنى المعاونة **﴿فاسْتَغْلَظَ﴾** يقول: فغلظ الزرع **﴿فاسْتَوَى على سُوقِهِ﴾** والسوق: جمع ساق، وساق الزرع والشجر: حاملته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿**فَآزَرَهُ**﴾ يقول: نباته مع التفافه حين يسنبل ﴿**ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإنْجِيلِ**﴾ فهو مثل ضربه لأهل الكتاب إذا خرج قوم ينبتون كما ينبت الزرع فيبلغ فيهم رجال يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ثم يغلظون، فهم أولئك الذين كانوا معهم. وهو مَثل ضربه الله لمحمد ﷺ يقول: بعث الله النبي ﷺ وحده، ثم اجتمع إليه ناس قليل يؤمنون به، ثم يكون القليل كثيراً، ويستغلظون، ويغيظ الله بهم الكفار.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله ﴿**فَآزَرَهُ**﴾ قال: فشدّه وأعانه.

وقوله: ﴿**عَلى سُوقِهِ**﴾ قال: أصوله.

حدثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة والزهري ﴿**فآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فاسْتَوَى عَلى سُوقِهِ**﴾ يقول: فتلاحق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فآزَرَهُ**﴾ اجتمع ذلك فالتفّ قال: وكذلك المؤمنون خرجوا وهم قليل ضعفاء، فلم يزل الله يزيد فيهم، ويؤيدهم بالإسلام، كما أيّد هذا الزرع بأولاده، فآزره، فكان مثلاً للمؤمنين.

حدثني عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن جُوَيبر، عن الضحاك ﴿**كَزَرْعٍ أخْرَجَ شَطْأَهُ فآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فاسْتَوَى عَلى سُوقِهِ**﴾ يقول: حبُّ برّ نُثِرَ متفرّقاً، فتنبت كلّ حبة واحدة، ثم أنبتت كلّ واحدة منها، حتى استغلظ فاستوى على سوقه قال: يقول: كان أصحاب محمد ﷺ قليلاً، ثم كثروا، ثم استغلظوا ﴿**لِيَغِيظَ**﴾ الله ﴿**بِهِمُ الكُفَّارَ**﴾.

وقوله: ﴿**يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ**﴾ يقول تعالى ذكره: يعجب هذا الزرعُ الذي استغلظ فاستوى على سوقه في تمامه وحُسن نباته، وبلوغه وانتهائه الذين زرعوه ﴿**لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ**﴾ يقول: فكذلك مَثل محمد ﷺ وأصحابه، واجتماع عددهم حتى كثروا ونموا، وغلظ أمرهم كهذا الزرع الذي وصف جلّ ثناؤه صفته، ثم قال: ﴿**لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ**﴾ فدلّ ذلك على متروك من الكلام، وهو أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد ﷺ وأصحابه ليغيظ بهم الكفار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ**﴾ يقول الله: مثلهم كمثل زرع أخرج شطأه فآزره، فاستغلظ، فاستوى على سوقه، حتى بلغ أحسن النبات، يُعْجِب الزرّاع من كثرته، وحُسن نباته.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**يُعْجِبُ الزرّاع**﴾ قال: يعجب الزرّاع حُسنه ﴿**لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ**﴾ بالمؤمنين، لكثرتهم، فهذا مثلهم في الإنجيل.

وقوله: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَملُوا الصَّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وأجْراً عَظِيماً**﴾ يقول تعالى ذكره: وعد الله الذين صدّقوا الله ورسوله ﴿**وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ**﴾ يقول: وعملوا بما أمرهم الله به من فرائضه التي أوجبها عليهم.

وقوله: ﴿**مِنْهُمْ**﴾ يعني: من الشطء الذي أخرجه الزرع، وهم الداخلون في الإسلام بعد الزرع الذي وصف ربنا تبارك وتعالى صفته. والهاء والميم في قوله ﴿**مِنْهُمْ**﴾ عائدة على معنى الشطء لا على لفظه، ولذلك جمع فقيل: «منهم»، ولم يقل «منه». وإنما جمع الشطء لأنه أريد به من يدخل في دين محمد ﷺ إلى يوم القيامة بعد الجماعة الذين وصف الله صفتهم بقوله: ﴿**وَالَّذِين مَعَهُ أشِدَّاءُ عَلى الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُم رُكَّعا سُجَّداً**﴾.

وقوله ﴿**وَمَغْفِرَةً**﴾ يعني: عفواً عما مضى من ذنوبهم، وسيء أعمالهم بحسنها. وقوله: ﴿**وأجْراً عَظيماً**﴾ يعني: وثواباً جزيلاً، وذلك الجنة.

آخر تفسير سورة الفتح

(٤٩) سورة الحجرات مدنية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا﴾**: يا أيها الذين أقروا بوحدانية الله، وبنبوّة نبيه محمد ﷺ **﴿لا تُقَدِّمُوا بَينَ يَدَيِ اللَّهَ وَرَسُولِهِ﴾** يقول: لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله، محكيّ عن العرب فلان يقدّم بين يدي إمامه، بمعنى يعجل بالأمر والنهي دونه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم بالبيان عن معناه

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿لا تُقَدِّموا بينَ يَدَي اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** يقول: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بينَ يَدَي اللَّهِ ورَسُولِهِ﴾**... الآية قال: نُهُوا أن يتكلموا بين يدي كلامه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَينَ يَدَي اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** قال: لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَينَ يَدَي اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** ذُكر لنا أن ناساً كانوا يقولون: لو أنزل في كذا لوضع كذا وكذا، قال: فكره الله عزّ وجلّ ذلك، وقدم فيه.

وقال: الحسن: أناس من المسلمين ذبحوا قبل صلاة رسول الله ﷺ يوم النحر، فأمرهم نبيّ الله ﷺ أن يعيدوا ذبحاً آخر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَينَ يَدَي اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** قال: إن أُناساً كانوا يقولون: لو أنزل في كذا، لو أنزل في كذا، وقال الحسن: هم قوم نحروا قبل أن يصلي النبيّ ﷺ، فأمرهم النبيّ ﷺ أن يعيدوا الذبح.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَينَ يَدَي اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** يعني بذلك في القتال، وكان[1] من أمورهم لا يصلح أن يُقْضَى إلا بأمره ما كان من شرائع دينهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله جلّ ثناؤه: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَينَ يَدَي اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** قال: لا تقطعوا الأمر دون الله ورسوله.

وحدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَينَ يَدَي اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** قال: لا تقضوا أمراً دون رسول الله، وبضم التاء من قوله: **﴿لا تُقَدِّمُوا﴾** قرأ قرّاء الأمصار، وهي القراءة التي لا أستجيز القراءة بخلافها، لإجماع الحجة من القرّاء عليها، وقد حكي عن العرب قدّمت في كذا، وتقدّمت في كذا، فعلى هذه اللغة لو كان قيل: «لا تَقَدَّمُوا» بفتح التاء[2] كان جائزاً.

وقوله: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** يقول: وخافوا الله أيها الذين آمنوا في قولكم، أن تقولوا ما لم يأذن لكم به الله ولا رسوله، وفي غير ذلك من أموركم، وراقبوه، إن الله سميع لما تقولون، عليم بما تريدون بقولكم إذا قلتم، لا يخفى عليه شيء من ضمائر صدوركم، وغير ذلك من أموركم وأمور غيركم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾.

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: وكل ما كان..... الخ.

(٢) والدال مشددة وهي قراءة مشهورة ليعقوب الحضرمي.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت رسول الله تتجهموه بالكلام، وتغلظون له في الخطاب ﴿**وَلا تجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ**﴾ يقول: ولا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضاً: يا محمد، يا محمد، يا نبيّ الله، يا نبي الله، يا رسول الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ**﴾، قال لا تنادُوه نداء، ولكن قولاً ليناً يا رسول الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ**﴾ كانوا يجهرون له بالكلام، ويرفعون أصواتهم، فوعظهم الله، ونهاهم عن ذلك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، كانوا يرفعون، ويجهرون عند النبيّ ﷺ، فوعظوا، ونهوا عن ذلك.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**لا تَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيّ**﴾... الآية، هو كقوله: ﴿**لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً**﴾ نهاهم الله أن ينادوه كما ينادي بعضهم بعضاً وأمرهم أن يشرّفوه ويعظّموه، ويدعوه إذا دعوه باسم النبوّة.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا زيد بن حباب، قال: ثنا أبو ثابت بن ثابت قيس بن الشماس، قال: ثني عمي إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس، عن أبيه، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿**لا تَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ**﴾ قال: قعد ثابت في الطريق يبكي، قال: فمرّ به عاصم بن عديّ من بني العَجلان، فقال: ما يُبكيك يا ثابت؟ قال: لهذه الآية، أتخوّف أن تكون نزلت فيّ، وأنا صيّت رفيع الصوت قال: فمضى عاصم بن عديّ إلى رسول الله ﷺ، قال: وغلبه البكاء، قال: فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أُبيّ ابن سلول، فقال لها: إذا دخلتُ بيت فرسي، فشدّي على الضبة بمسمار، فضربته بمسمار حتى إذا خرج عطفه وقال: لا أخرج حتى يتوفاني الله، أو يرضى عني رسول الله ﷺ قال: وأتى عاصم رسول الله ﷺ فأخبره خبره، فقال: «اذْهَبْ فادْعُهُ لي» فجاء عاصم إلى المكان، فلم يجده، فجاء إلى أهله، فوجده في بيت الفرس، فقال له: إن رسول الله ﷺ يدعوك، فقال: اكسر الضّبة،

قال: فخرجا فأتيا نبيّ الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يُبْكِيكَ يا ثابِتُ»؟ فقال: أنا صيِّت، وأتخوّف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ **﴿لا تَرْفَعوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ القَوْلِ﴾** فقال له رسول الله ﷺ: «أما تَرْضَى أنْ تَعِيشَ حَمِيداً، وتُقْتَلَ شَهِيداً، وَتَدْخُلَ الجَنَّةَ»؟ فقال: رضيت ببُشرى الله ورسوله، لا أرفع صوتي أبداً على رسول الله، فأنزل الله **﴿إنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أصوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ للتَّقْوَى...﴾** الآية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن حفص، عن شمر بن عطية، قال: جاء ثابت بن قيس بن الشماس إلى رسول الله ﷺ وهو محزون، فقال: «يا ثابت ما الذي أرى بك»؟ فقال: آية قرأتها الليلة، فأخشى أن يكون قد حَبِط عملي **﴿يا أيُّها الَّذِين آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيّ﴾** وكان في أُذنه صمم، فقال: يا نبيّ الله أخشى أن أكون قد رفعت صوتي، وجهرت لك بالقول، وأن أكون قد حبط عملي، وأنا لا أشعر: فقال النبيّ ﷺ: «امْشِ على الأرْضِ نَشِيطاً فإنَّكَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ».

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه، قال: ثنا أيوب، عن عكرِمة، قال: لما نزلت: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيّ﴾**... الآية، قال ثابت بن قيس: فأنا كنت أرفع صوتي فوق صوت النبيّ ﷺ، وأجهر له بالقول، فأنا من أهل النار، فقعد في بيته، فتفقده رسول الله ﷺ، وسأل عنه، فقال رجل: إنه لجاري، ولئن شئت لأعلمنّ لك علمه، فقال: «نعم»، فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد تفقدك، وسأل عنك، فقال: نزلت هذه الآية **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيّ﴾**... الآية وأنا كنت أرفع صوتي فوق صوت رسول الله ﷺ، وأجهر له بالقول، فأنا من أهل النار، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «بَلْ هُوَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ» فلما كان يوم اليمامة انهزم الناس، فقال: «أفّ لهؤلاء وما يعبدون، وأفّ لهؤلاء وما يصنعون»، يا معشر الأنصار خلوا لي بشيء لعلي أصلى بحرّها ساعة قال: ورجل قائم على ثلمة، فقتل وقُتِل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزُّهريّ، أن ثابت بن قيس بن شماس، قال: لما نزلت **﴿لا تَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيّ﴾** قال: يا نبيّ الله، لقد خشيت أن أكون قد هلكت، نهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك، وإني امرؤ جهير الصوت، ونهى الله المرء أن يحبّ أن يُحمد بما لم يفعل، فأجدني أحبّ أن أُحمد ونهى الله عن الخُيَلاء وأجدني أحبّ الجمال قال: فقال له رسول الله ﷺ: «يا ثابِتُ أما تَرْضَى أنْ تَعِيشَ حَمِيداً، وَتُقْتَلَ شَهِيداً، وَتَدْخُلَ الجَنَّةَ؟» فعاش حميداً، وقُتل شهيداً يوم مُسَيلمة.

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا نافع بن عمر بن جُمَيْل الجمحي،

قال: ثني ابن أبي مليكة، عن الزبير، قال: «قدم وفد أراه قال تميم، على النبيّ ﷺ، منهم الأقرع بن حابس، فكلم أبو بكر النبيّ ﷺ أن يستعمله على قومه، قال: فقال عمر: لا تفعل يا رسول الله، قال: فتكلما حتى ارتفعت أصواتهما عند النبيّ ﷺ، قال: فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك. قال: ونزل القرآن: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنوا لا تَرْفَعوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيّ**﴾... إلى قوله: ﴿**وأجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ قال: فما حدّث عمر النبيّ ﷺ بعد ذلك، فَيُسْمِعَ النبيّ ﷺ، قال: وما ذكر ابن الزبير جدّه، يعني أبا بكر.

وقوله: ﴿**أنْ تَحْبَطَ أعمالُكُمْ**﴾ يقول: أن لا تحبط أعمالكم فتذهب باطلة لا ثواب لكم عليها، ولا جزاء برفعكم أصواتكم فوق صوت نبيكم، وجهركم له بالقول كجهر بعضكم لبعض.

وقد اختلف أهل العربية في معنى ذلك، فقال بعض نحوِّيي الكوفة: معناه: لا تحبط أعمالكم. قال: وفيه الجزم والرفع إذا وضعت «لا» مكان «أن». قال: وهي في قراءة عبد الله «فَتَحْبَطْ أعمالُكُمْ» وهو دليل على جواز الجزم، وقال بعض نحويي البصرة: قال: أن تحبط أعمالكم: أي مخافة أن تحبط أعمالكم وقد يقال: أسند الحائط أن يميل.

وقوله: ﴿**وأنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾ يقول: وأنتم لا تعلمونَ ولا تدرون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين يكفون رفع أصواتهم عند رسول الله، وأصل الغضّ: الكفّ في لين. ومنه: غضّ البصر، وهو كفه عن النظر، كما قال جرير:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ ... فَلا كَعْباً بَلَغْتَ وَلا كِلابا[1]

---

(١) البيت لجرير بن الخطفي، من قصيدة يهجو بها الراعي النميري الشاعر. (ديوانه ٦٤) يقول له: غض نظرك أي كف بصرك ذلا ومهانة. وهذا موضع الشاهد عند المؤلف عند قوله تعالى: ﴿يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾ وهو من ذلك. قال في «اللسان» غض: وغض طرفه وبصره، يغضه غضاً وغضاضاً (ككتاب) وغضاضة (كسحابة) فهو مغضوض وغضيض: كفه وخفضه وكسره. وقيل: هو إذا داني بين جفونه ونظر. وقيل: الغضيض: الطرف المسترخي الأجفان. وفي الحديث «كان إذا فرح غض طرفه»، أي كسره وأطرق، ولم يفتح عينيه. وإنما كان يفعل ذلك، ليكون أبعد من الأشر والمرح ا هـ. وكعب وكلاب حيان من تميم.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله، هم الذين اختبر الله قلوبهم بامتحانه إياها، فاصطفاها وأخلصها للتقوى، يعني لاتقائه بأداء طاعته، واجتناب معاصيه، كما يمتحن الذهب بالنار، فيخلص جيدها، ويبطل خبثها[١]. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ قال: أخلص.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ قال: أخلص الله قلوبهم فيما أحبّ.

وقوله: ﴿**لَهُمْ مَغْفِرَةٌ**﴾ يقول: لهم من الله عفو عن ذنوبهم السالفة، وصفح منه عنها لهم ﴿**وأَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ يقول: وثواب جزيل، وهو الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن الذين ينادونك يا محمد من وراء حجراتِك، والحجرات: جمع حجرة، والثلاث: حُجَر، ثم تجمع الحجر فيقال: حَجُرات وحُجْرات، وقد تجمع بعض العرب الحجر: حَجَرات بفتح الجيم، وكذلك كلّ جمع كان من ثلاثة إلى عشرة على فُعَلٍ يجمعونه على فعَلات بفتح ثانيه، والرفع أفصح وأجود ومنه قول الشاعر:

أمـا كـانَ عَـبَّـادٌ كَـفِـيـئـاً لِـدَارِمٍ ... بَـلـى، وَلأبْـيـاتٍ بِـهـا الـحُـجُـرَاتُ[٢]

---

(١) الضمير في جيدها وخبثها: راجع إلى الذهب، لأنه مؤنثة، وقد تذكر.

(٢) في كتاب الكامل للمبرد (طبعة الحلبي ٥٨) يقال: فلان كفاء فلان، وكفيء فلان، وكفء فلان؛ أي عديله. ويروى أن الفرزدق بلغه أن رجلاً من الحبطات بن عمرو بن تميم خطب امرأة من بني دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، فقال الفرزدق:

بَـنُـو دَارِمٍ أكْـفـاؤُهُـمْ آلُ مِـسْـمَـعٍ ... وَتُـنْـكَـحُ فـي أكـفـائـهـا الـحَـبِـطـاتُ

(آل مسمع بيت بكر بن وائل في الاسلام، وهم من بني قيس بن ثعلبة بن عكابة) قال: فقال رجل من الحبطات:

يقول: بلى ولبني هاشم.

وقوله: ﴿وأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ يقول: أكثرهم جهال بدين الله، واللازم لهم من حقك وتعظيمك. وذُكر أن هذه الآية والتي بعدها نزلت في قوم من الأعراب جاؤوا ينادون رسول الله ﷺ من وراء حجراته: يا محمد اخرج إلينا. ذكر الرواية بذلك:

حدثنا أبو عمار المروزي، والحسن بن الحارث، قالا: ثنا الفضل بن موسى، عن الحسين بن واقد، عن أبي إسحاق، عن البراء في قوله: ﴿إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ﴾ قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ، فقال: يا محمد إنْ حمدي زين، وإن ذمّي شين، فقال: «ذَاكَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعَالى».

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن أبي إسحاق، عن البراء بمثله، إلا أنه قال: ذاكم الله عزّ وجلّ.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا المعتمر بن سليمان التيمي، قال: سمعت داود الطُّفاوي يقول: سمعت أبا مسلم البجلي يحدّث عن زيد بن أرقم، قال: جاء أناس من العرب إلى النبيّ ﷺ، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يكن نبياً فنحن أسعد الناس به، وإن يكن ملِكاً نعش في جناحه قال: فأتيت النبيّ ﷺ، فأخبرته بذلك، قال: ثم جاؤوا إلى حجر النبيّ ﷺ، فجعلوا ينادونه. يا محمد، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ قال: فأخذ نبيّ الله بأذني فمدّها، فجعل يقول: «قَدْ صَدَّقَ اللَّهُ قَوْلَكَ يا زَيْدُ، قَدْ صَدَّقَ اللَّهُ قَوْلَكَ يا زَيْدُ».

حدثنا الحسن بن أبي يحيى المقدمي، قال: ثنا عفان، قال: ثنا وُهَيب، قال: ثنا موسى بن عقبة، عن أبي سَلَمة، قال: ثني الأقرع بن حابس التميميّ أنه أتى النبيّ ﷺ، فناداه، فقال: يا محمد إنّ مدحي زَيْن، وإنّ شتمي شَيْن فخرج إليه النبيّ ﷺ فقال: «وَيْلَكَ ذلكَ اللَّهُ» فأنزل الله ﴿إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاء الحُجُرَاتِ﴾... الآية.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

= «أما كان عباد كفيئاً..... البيت»

يعني بني هاشم (يريد أبيات بني هاشم) من قول الله عز وجل: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾. والشاهد في البيت قوله «الحجرات» بضم الحاء والجيم، وهي جمع حجرة، وتجمع الحجرة وما شابهها على حجرات بضمتين، وبضم ففتح، وبضم فسكون. ويروي المؤلف أن الجمع الأول أفصح وأجود ا هـ.

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ**﴾: أعراب بني تميم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة أن رجلاً جاء إلى النبيّ ﷺ، فناداه من وراء الحُجَر، فقال: يا محمد إنْ مدحي زين، وإنّ شتمي شَيْن فخرج إليه النبيّ ﷺ، فقال: «وَيْلَكَ ذلكَ اللَّهُ» فأنزل الله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ**﴾ . . . الآية، ذُكر لنا أن رجلاً جعل ينادي يا نبيّ الله يا محمد، فخرج إليه النبيّ ﷺ، فقال: «ما شأنُكَ»؟ فقال: والله إنّ حمده لزين، وإنّ ذمَّه لشَيْن، فقال نبيّ الله ﷺ: «ذَاكُمُ اللَّهُ»، فأدبر الرجل، وذُكر لنا أن الرجل كان شاعراً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن حبيب بن أبي عمرة، قال: كان بشر بن غالب ولَبيد بن عُطارد، أو بشر بن عُطارد ولبيد بن غالب، وهما عند الحجاج جالسان، يقول بشر بن غالب للبيد بن عطارد نزلت في قومك بني تميم ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ**﴾ فذكرت ذلك لسعيد بن جُبَير، فقال: أما إنه لو علم بآخر الآية، أجابه: ﴿**يَمُنُّون عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا**﴾ قالوا: أسلمنا، ولم يقاتلك بنو أسد.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن المبارك بن فضالة، عن الحسن، قال: «أتى أعرابيّ إلى النبيّ ﷺ من وراء حجرته، فقال: يا محمد، يا محمد فخرج إليه النبيّ ﷺ فقال: «مالَكَ مالَكَ»، فقال: تعلم أنْ مدحي لزين، وأن ذمّي لشين، فقال النبيّ ﷺ: «ذَاكُمُ اللَّهُ»، فنزلت ﴿**يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوقَ صَوْتِ النَّبِيّ**﴾».

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ**﴾ فقرأته قرّاء الأمصار بضمّ الحاء والجيم من الحُجُرات، سوى أبي جعفر القارىء، فإنه قرأ بضم الحاء وفتح الجيم على ما وصفت من جمع الحُجْرة حُجَر، ثم جمع الحُجَر: حُجَرات.

والصواب من القراءة عندنا الضم في الحرفين كليهما لما وصفت قبل.

وقوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حتى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: ولو أن هؤلاء الذين ينادونك يا محمد من وراء الحجرات صبروا فلم ينادوك حتى تخرج إليهم إذا خرجت، لكان خيراً لهم عند الله، لأن الله قد أمرهم بتوقيرك وتعظيمك، فهم بتركهم نداءك تاركون ما قد نهاهم الله عنه، ﴿**والله غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: الله ذو عفو عمن ناداك

من وراء الحجاب، إن هو تاب من معصية الله بندائك كذلك، وراجع أمر الله في ذلك وفي غيره رحيم به أن يعاقبه على ذنبه ذلك من بعد توبته منه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ﴿إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ عن قوم ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة «فَتَثَبَّتُوا» بالثاء، وذُكر أنها في مصحف عبد الله منقوطة بالثاء. وقرأ ذلك بعض القرّاء فتبيَّنوا بالباء، بمعنى: أمهلوا حتى تعرفوا صحته، لا تعجلوا بقبوله، وكذلك معنى «فَتَثَبَّتُوا».

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وذُكر أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط. ذكر السبب الذي من أجله قيل ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا جعفر بن عون، عن موسى بن عبيدة، عن ثابت مؤلى أمّ سلمة، عن أمّ سلمة، قالت: بعث رسول الله ﷺ رجلاً في صدقات بني المصطلق بعد الوقعة، فسمع بذلك القوم، فتلقوه يعظمون أمر رسول الله ﷺ، قال: فحدّثه الشيطان أنهم يريدون قتله، قالت: فرجع إلى رسول الله ﷺ، فقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم، فغضب رسول الله ﷺ والمسلمون قال: فبلغ القوم رجوعه قال: فأتوا رسول الله ﷺ فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت إلينا رجلاً مصدّقاً، فسررنا بذلك، وقرّت به أعيننا، ثم إنه رجع من بعض الطريق، فخشينا أن يكون ذلك غضباً من الله ومن رسوله، فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال، وأذّن بصلاة العصر قال: ونزلت ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾... الآية، قال: كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ثم أحد بني عمرو بن أمية، ثم أحد بني أبي معيط إلى بني المصطلق، ليأخذ منهم الصدقات، وإنه لما أتّاهم الخبر فرحوا، وخرجوا لِيَتَلقَّوْا رسول رسول الله ﷺ، وإنه لما حدّث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه، رجع إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا

رسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، فبينما هو يحدّث نفسه أن يغزوهم، إذ أتاه الوفد، فقالوا: يا رسول الله، إنا حدّثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق، وإنا خشينا أن يكون إنما ردّه كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فأنزل الله عذرهم في الكتاب، فقال ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبإٍ فَتَبَيَّنُوا أنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ**﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبإٍ**﴾ قال: الوليد بن عقبة بن أبي معيط، بعثه نبيّ الله ﷺ إلى بني المصطلق، ليصدّقهم، فتلقوه بالهدية فرجع إلى محمد ﷺ، فقال: إن بني المصطلق جمعت لتقاتلك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبإٍ**﴾... حتى بلغ ﴿**بِجَهالَةٍ**﴾ وهو ابن أبي معيط الوليد بن عقبة، بعثه نبيّ الله ﷺ مصدّقاً إلى بني المصطلق، فلما أبصروه أقبلوا نحوه، فهابهم، فرجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره أنهم قد ارتدّوا عن الإسلام، فبعث نبيّ الله ﷺ خالد بن الوليد، وأمره أن يتثبّت ولا يعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلاً، فبعث عيونه فلما جاؤوا أخبروا خالداً أنهم مستمسكون بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد، فرأى الذي يعجبه، فرجع إلى نبيّ الله ﷺ، فأخبره الخبر، فأنزل الله عزّ وجلّ ما تسمعون، فكان نبيّ الله يقول: «التَّبَيُّنُ مِنَ اللَّهِ، والعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطانِ».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبإٍ**﴾ فذكر نحوه.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن هلال الوزّان، عن ابن أبي ليلى، في قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ قال: نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن حُمَيد، عن هلال الأنصاري، عن عبد الرحمن بن أبي لَيلى ﴿**إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبإٍ**﴾ قال: نزلت في الوليد بن عقبة حين أُرسل إلى بني المصطلق.

قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان، أن رسول الله ﷺ بعث إلى بني المصطلق بعد إسلامهم، الوليد بن أبي معيط فلما سمعوا به ركبوا إليه فلما سمع بهم

خافهم فرجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره أن القوم قد همّوا بقتله، ومنعوا ما قِبَلهم من صدقاتهم، فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى همّ رسول الله ﷺ بأن يغزوهم، فبينما هم في ذلك قَدِم وفدهم على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا، فخرجنا إليه لنكرمه، ولنؤدّي إليه ما قبلنا من الصدقة، فاستمرّ راجعاً، فبلغنا أنه يزعم لرسول الله ﷺ أنا خرجنا إليه لنقاتله، ووالله ما خرجنا لذلك فأنزل الله في الوليد بن عقبة وفيهم: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾**... الآية.

قال(١): بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى قوم يصدقهم، فأتاهم الرجل، وكان بينه وبينهم إحنة في الجاهلية فلما أتاهم رحبوا به، وأقرّوا بالزكاة، وأعطوا ما عليهم من الحقّ، فرجع الرجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، منع بنو فلان الصدقة، ورَجعوا عن الإسلام، فغضب رسول الله ﷺ، وبعث إليهم فأتوْه فقال: «أمَنَعْتُمُ الزَّكاةَ، وَطَرَدْتُمْ رَسُولي؟» فقالوا: والله ما فعلنا، وإنا لنعلم أنك رسول الله، ولا بدّ لنا، ولا منعنا حقّ الله في أموالنا، فلم يصدقهم رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، فعذرهم.

وقوله: **﴿أنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ﴾** يقول تعالى ذكره: فتبيَّنوا لئلا تصيبوا قوماً برآء مما قُذفوا به بجناية بجهالة منكم **﴿فَتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ﴾** يقول: فتندموا على إصابتكم إياهم بالجناية التي تصيبونهم بها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبيّ الله ﷺ: واعلموا أيها المؤمنون بالله ورسوله، **﴿أنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾** فاتقوا الله أن تقولوا الباطل، وتفتروا الكذب، فإن الله يخبره أخباركم، ويعرّفه أنباءكم، ويقوّمه على الصواب في أموره.

وقوله: **﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾** يقول تعالى ذكره: لو كان رسول الله ﷺ يعمل في الأمور بآرائكم ويقبل منكم ما تقولون له فيطيعكم **﴿لَعَنِتُّمْ﴾** يقول: لنالكم عنت، يعني الشدّة والمشقة في كثير من الأمور بطاعته إياكم لو أطاعكم لأنه كان يخطىء في أفعاله كما لو

(١) يظهر أن هذا بدء رواية أخرى، أوردها في الدر عن جابر.

قبل من الوليد بن عقبة قوله في بني المصطلق: إنهم قد ارتدّوا، ومنعوا الصدقة، وجمعوا الجموع لغزو المسلمين، فغزاهم فقتل منهم، وأصاب من دمائهم وأموالهم كان قد قتل، وقتلتم من لا يحلّ له ولا لكم قتله، وأخذ وأخذتم من المال ما لا يحلّ له ولكم أخذه من أموال قوم مسلمين، فنالكم من الله بذلك عنت ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمانَ﴾ بالله ورسوله، فأنتم تطيعون رسول الله، وتأتمون به فيقيكم الله بذلك من العنت ما لو لم تطيعوه وتتبعوه، وكان يطيعكم لنالكم وأصابكم.

وقوله: ﴿وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ يقول: وحسن الإيمان في قلوبكم فآمنتم ﴿وكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ﴾ بالله ﴿وَالفُسُوقَ﴾ يعني الكذب، ﴿والعِصْيانَ﴾ يعني ركوب ما نهى الله عنه في خلاف أمر رسول الله ﷺ، وتضييع ما أمر الله به ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ يقول: هؤلاء الذين حبَّب الله إليهم الإيمان، وزيَّنه في قلوبهم، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون السالكون طريق الحقّ.

وقوله: ﴿فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ يقول: ولكن الله حبَّب إليكم الإيمان، وأنعم عليكم هذه النعمة التي عدّها فضلاً منه، وإحساناً ونعمة منه أنعمها عليكم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يقول: والله ذو علم بالمحسن منكم من المسيء، ومن هو لنعم الله وفضله أهل، ومن هو لذلك غير أهل، وحكمةٍ في تدبيره خلقه، وصرفه إياهم فيما شاء من قضائه. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُم فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ . . . حتى بلغ ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ هؤلاء أصحاب نبيّ الله ﷺ، لو أطاعهم نبيّ الله في كثير من الأمر لعنتم، فأنتم والله أسخف رأياً، وأطيش عقولاً، اتهم رجل رأيه، وانتصح كتاب الله، فإن كتاب الله ثقة لمن أخذ به، وانتهى إليه، وإن ما سوى كتاب الله تغرير.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، قال: قال معمر، تلا قتادة ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ قال: فأنتم أسخف رأياً وأطيش أحلاماً، ، فاتهم رجل رأيه، وانتصح كتاب الله وكذلك كما قلنا أيضاً في تأويل قوله: ﴿وَلَكِنَّ الله حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمَانَ﴾ قالوا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ قال: حببه إليهم وحسَّنه في قلوبهم.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿وكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ والفُسُوقَ وَالعِصْيانَ أولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ قالوا أيضاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وكَرَّهَ إلَيْكُمُ الكُفْرَ والفُسُوقَ**﴾ قال: الكذب والعصيان قال: عصيان النبيّ ﷺ ﴿**أُولَئِكَ هُم الرَّاشِدونَ**﴾ من أين كان هذا؟ قال: فضل من الله ونعمة قال: والمنافقون سماهم الله أجمعين في القرآن الكاذبين قال: والفاسق: الكاذب في كتاب الله كله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل ﴿**فإنْ بَغَتْ إحْدَاهُما عَلى الأُخْرَى**﴾ يقول: فإن أبَت إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله له، وعليه وتعدّت ما جعل الله عدلاً بين خلقه، وأجابت الأخرى منهما ﴿**فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي**﴾ يقول: فقاتلوا التي تعتدي، وتأبى الإجابة إلى حكم الله ﴿**حتى تَفِيءَ إلى أمْرِ اللَّهِ**﴾ يقول: حتى ترجع إلى حكم الله الذي حكم في كتابه بين خلقه ﴿**فإنْ فاءَتْ فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بالعَدْلِ**﴾ يقول: فإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياهم إلى الرضا بحكم الله في كتابه، فأصلحوا بينها وبين الطائفة الأخرى التي قاتلتها بالعدل: يعني بالإنصاف بينهما، وذلك حكم الله في كتابه الذي جعله عدلاً بين خلقه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأصْلِحُوا بَيْنَهُما فإنْ بَغَت إحْدَاهُما على الأُخْرَى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حتى تَفِيءَ إلى أمْرِ اللَّهِ**﴾ فإن الله سبحانه أمر النبيّ ﷺ والمؤمنين إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله، وينصف بعضهم من بعض، فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله، حتى ينصف المظلوم من الظالم، فمن أبى منهم أن يجيب فهو باغٍ، فحقّ على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويقرّوا بحكم الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**﴾... إلى آخر الآية، قال: هذا أمر من الله أمر به الوُلاة كهيئة ما تكون

العصبة بين الناس، وأمرهم أن يصلحوا بينهما، فإن أبوْا قاتل الفئة الباغية، حتى ترجع إلى أمر الله، فإذا رجعت أصلحوا بينهما، وأخبروهم أن المؤمنين إخوة، فأصلحوا بين أخويكم قال: ولا يقاتل الفئة الباغية إلا الإمام.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في طائفتين من الأوس والخزرج اقتتلتا في بعض ما تنازعتا فيه، مما سأذكره إن شاء الله تعالى. ذكر الرواية بذلك:

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أنس، قال: قيل للنبيّ ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أُبيّ، قال: فانطلق إليه وركب حماراً، وانطلق المسلمون، وهي أرض سبخة فلما أتاه رسول الله ﷺ قال: إليك عني، فوالله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لنتن حمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، قال: فغضب لعبد الله بن أُبيّ رجل من قومه قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنه نزلت فيهم ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما**﴾.

حدثني أبو حُصَين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: ثنا عبثر، قال: ثني حصين، عن أبي مالك في قوله: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾ قال: رجلان اقتتلا فغضب لذا قومه، ولذا قومه، فاجتمعوا حتى اضّربوا بالنعال حتى كاد يكون بينهم قتال، فأنزل الله هذه الآية.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا هشيم، عن حصين، عن أبي مالك، في قوله: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**﴾ قال: كان بينهم قتال بغير سلاح.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن أبي مالك، في قوله: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما**﴾ قال: كانا حيين من أحياء الأنصار، كان بينهما تنازع بغير سلاح.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: أخبرنا جرير، عن منصور، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَإِنْ طائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما**﴾ قال: كان قتالهم بالنعال والعصيّ، فأمرهم أن يصلحوا بينهم.

قال: ثنا مهران، قال: ثنا المُبارك بن فَضَالة، عن الحسن ﴿**وَإِنْ طائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِين اقْتَتَلُوا**﴾ قال: كانت تكون الخصومة بين الحيين، فيدعوهم إلى الحكم، فيأبَون أن يجيبوا فأنزل الله: ﴿**وَإِنْ طائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِين اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فإنْ بَغَتْ إحْدَاهُما على الأُخْرَى فَقاتِلُوا الَّتي تَبْغِي حتى تَفِيءَ إلى أمْرِ اللَّهِ**﴾ يقول: ادفعوهم إلى الحكم، فكان قتالهم الدفع.

قال: ثنا مهران، قال: ثنا سفيان، عن السديّ ﴿**وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحوا بَيْنَهُما**﴾ قال: كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد، تحت رجل، فكان بينها وبين زوجها شيء، فرقاها إلى علية، فقال لهم: احفظوا، فبلغ ذلك قومها، فجاؤوا وجاء قومه، فاقتتلوا بالأيدي والنعال فبلغ ذلك النبيّ ﷺ، فجاء ليصلح بينهم، فنزل القرآن ﴿**وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فإنْ بَغَتْ إحْداهُما على الأخْرَى**﴾ قال: تبغي: لا ترضى بصلح رسول الله ﷺ، أو بقضاء رسول الله ﷺ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**﴾ قال: الأوس والخزرج اقتتلوا بالعصيّ بينهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**﴾... الآية، ذُكر لنا أنها نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مدارأة في حقّ بينهما، فقال أحدهما للآخر: لآخذنه عنوة لكثرة عشيرته، وأن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبيّ الله ﷺ، فأبى أن يتبعه، فلم يزل الأمر حتى تدافعوا، وحتى تناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، ولم يكن قتال بالسيوف، فأمر الله أن تُقاتل حتى تفيء إلى أمر الله، كتاب الله، وإلى حكم نبيه ﷺ وليست كما تأوّلها أهل الشبهات، وأهل البدع، وأهل الفراء على الله وعلى كتابه، أنه المؤمن يحلّ لك قتله، فوالله لقد عظَّم الله حُرمة المؤمن حتى نهاك أن تظنّ بأخيك إلا خيراً، فقال: ﴿**إنَّما المُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ...**﴾ الآية.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، أن قوماً من المسلمين كان بينهم تنازع حتى اضطربوا بالنعال والأيدي، فأنزل الله فيهم ﴿**وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**﴾ قال قتادة: كان رجلان بينهما حقّ، فتدارآ فيه، فقال أحدهما: لآخذنَّه عنوة، لكثرة عشيرته وقال الآخر: بيني وبينك رسول الله ﷺ، فتنازعا حتى كان بينهما ضرب بالنعال والأيدي.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قال: ثني عبد الله بن عباس، قال: قال زيد، في قول الله تعالى: ﴿**وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما**﴾، وذلك الرجلان يقتتلان من أهل الإسلام، أو النفر والنفر، أو القبيل والقبيلة فأمر الله أئمة المسلمين أن يقضوا بينهم بالحقّ الذي أنزله في كتابه: إما القصاص والقود، وإمَّا العقل والعير، وإمَّا العفو، ﴿**فإنْ بَغَتْ إحْدَاهُما على الأُخْرَى**﴾ بعد ذلك كان المسلمون مع المظلوم على الظالم، حتى يفيء إلى أمر الله، ويرضى به.

حدثنا ابن البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا نافع بن يزيد، قال: أخبرنا ابن جُرَيج، قال: ثني ابن شهاب وغيره: يزيد في الحديث بعضهم على بعض، قال: جلس رسول الله ﷺ في مجلس فيه عبد الله بن رواحة، وعبد الله بن أُبيّ ابن سلول: فلما ذهب رسول الله ﷺ قال عبد الله بن أبيّ ابن سلول: لقد آذانا بول حماره، وسدّ علينا الروح، وكان بينه وبين ابن رواحة شيء حتى خرجوا بالسلاح، فأتى رسول الله ﷺ، فأتاهم، فحجز بينهم، فلذلك يقول عبد الله بن أُبيّ:

مَتى ما يَكُنْ مَوْلاكَ خَصْمَكَ جاهداً تُظَلَّمْ وَيَصْرَعْكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ[١]

قال: فأنزلت فيهم هذه الآية **﴿وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾**.

وقوله: **﴿وَأَقْسِطُوا﴾** يقول تعالى ذكره: واعدلوا أيها المؤمنون في حكمكم بين من حكمتم بينهم بأن لا تتجاوزوا في أحكامكم حكم الله وحكم رسوله **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾** يقول: إن الله يحبّ العادلين في أحكامهم، القاضين بين خلقه بالقسط.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾.

يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به **﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾** في الدين **﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾** إذا اقتتلا بأن تحملوهما على حكم الله وحكم رسوله. ومعنى الأخوين في هذا الموضع: كل مقتتلين من أهل الإيمان، وبالتثنية قرأ ذلك قرّاء الأمصار. وذُكر عن ابن سيرين أنه قرأ «بين إخوانكم» بالنون على مذهب الجمع، وذلك من جهة العربية صحيح، غير أنه

(١) البيت لعبد الله بن أبي ابن سلول، كما عزاه المؤلف. وقد وردت قصيدة ابن سلول هذه في «السيرة» لابن هشام الطبعة الأولى بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة (٢/٢٣٦ ـ ٢٣٧) وورد في أثنائها البيت ومعه بيت آخر، رواه ابن هشام عن غير ابن إسحاق وهما:

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل تذل ويصرعك الذين تصارع

وهل ينهض البازي بغير جناحه وإن جذ يوماً ريشه فهو واقع

وكان النبي ﷺ ركب حماراً، قاصداً إلى سعد بن عبادة يعوده من شكو أصابه، فمر بطريقه بأطم ابن سلول، فنزل يسلم عليه، وتلا عنده شيئاً من القرآن. فكلم رسول الله كلاماً خشناً، ونهاه أن يغشى مجالس الأنصار، ويعرض عليهم القرآن. وكان ابن رواحة حاضراً، فتلطف برسول الله ﷺ وقال: بل فاغشنا به، وائتنا في مجالسنا ودورنا وبيوتنا، فهو والله مما نحب، ومما أكرمنا الله به، وهدانا له، فقال ابن أبي حين رأى من خلاف قومه ما رأى....... البيتين.

خلاف لما عليه قرّاء الأمصار، فلا أحبّ القراءة بها ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: وخافوا الله أيها الناس بأداء فرائضه عليكم في الإصلاح بين المقتتلين من أهل الإيمان بالعدل، وفي غير ذلك من فرائضه، واجتناب معاصيه، ليرحمكم ربكم، فيصفح لكم عن سالف إجرامكم إذا أنتم أطعتموه، واتبعتم أمره ونهيه، واتقيتموه بطاعته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١)﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، لا يهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين ﴿**عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ**﴾ يقول: المهزوء منهم خير من الهازئين ﴿**وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ**﴾ يقول: ولا يهزأ نساء مؤمنات من نساء مؤمنات، عسى المهزوء منهنّ أن يكنْ خيراً من الهازئات.

واختلف أهل التأويل في السخرية التي نهى الله عنها المؤمنين في هذه الآية، فقال بعضهم: هي سخرية الغنيّ من الفقير، نُهِي أن يُسخر من الفقير لفقره.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ**﴾ قال: لا يهزأ قوم بقوم أن يسأل رجل فقير غنياً، أو فقيراً، وإن تفضل رجل عليه بشيء فلا يستهزىء به.

وقال آخرون: بل ذلك نهي من الله من ستر عليه من أهل الإيمان أن يسخر ممن كشف في الدنيا ستره منهم

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسَى أنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ**﴾ قال: ربما عثر على المرء عند خطيئته عسى أن يكونوا خيراً منهم، وإن كان ظهر على عثرته هذه، وسترت أنت على عثرتك، لعلّ هذه التي ظهرت خير له في الآخرة عند الله، وهذه

التي سترت أنت عليها شرّ لك، ما يدريك لعله ما يغفر لك قال: فنُهي الرجل عن ذلك، فقال: ﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ﴾ وقال في النساء مثل ذلك.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله عمّ بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السخرية، فلا يحلّ لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره، ولا لذنب ركبه، ولا لغير ذلك.

وقوله: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أنْفُسَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يغتب بعضكم بعضاً أيها المؤمنون، ولا يطعن بعضكم على بعض وقال: ﴿لا تَلْمِزُوا أنْفُسَكُمْ﴾ فجعل اللامز أخاه لامزاً نفسه، لأن المؤمنين كرجل واحد فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره، وطلب صلاحه، ومحبته الخير. ولذلك رُوي الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المُؤْمِنُونَ كالجَسَدِ الوَاحِدِ إذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سائِرُ جَسَدِهِ بالحُمَّى والسَّهَر». وهذا نظير قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بالباطِلِ إلاَّ أنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ﴾ بمعنى: ولا يقتل بعضكم بعضاً. وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أنْفُسَكُمْ﴾ قال: لا تطعنوا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أنْفُسَكُمْ﴾ يقول: ولا يطعن بعضكم على بعض.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة مثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أنْفُسَكُمْ﴾ يقول: لا يطعن بعضكم على بعض.

قوله: ﴿وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ﴾ يقول: ولا تداعوا بالألقاب والنبز واللقب بمعنى واحد، يُجمع النبز: أنبازاً، واللقب: ألقاباً.

واختلف أهل التأويل في الألقاب التي نهى الله عن التنابز بها في هذه الآية، فقال بعضهم: عنى بها الألقاب التي يكره النبز بها الملقَّب، وقالوا: إنما نزلت هذه الآية في قوم كانت لهم أسماء في الجاهلية، فلما أسلموا نهوا أن يدعو بعضهم بعضاً بما يكره من أسمائه التي كان يدعى بها في الجاهلية.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، عن عامر، قال: قال أبو جبيرة بن الضحاك: فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة، قدِم رسول الله ﷺ، وما منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعا الرجل بالاسم، قلنا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فنزلت هذه الآية ﴿**وَلا تَنابَزُوا بالألْقاب**﴾... الآية كلها.

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عامر، عن أبي جُبَيرة بن الضحاك، قال: كان أهل الجاهلية يسمون الرجل بالأسماء، فدعا النبيّ ﷺ رجلاً باسم من تلك الأسماء، فقالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فأنزل الله ﴿**وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ**﴾.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، قال: ثني أبو جُبَيرة بن الضحاك، فذكر عن النبيّ ﷺ، نحوه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، قال: أخبرنا داود عن الشعبيّ، قال: ثني أبو جبيرة بن الضحاك، قال: نزلت في بني سلمة ﴿**وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ**﴾ قال: قَدِم رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان يدعو الرجل، فتقول أمه: إنه يغضب من هذا، قال: فنزلت ﴿**وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ**﴾. وقال مرّة: كان إذا دعا باسم من هذا، قيل: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فنزلت الآية.

وقال آخرون: بل ذلك قول الرجل المسلم للرجل المسلم: يا فاسق، يا زاني.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا أبو الأحوص، عن حصين، قال: سألت عكرِمة، عن قول الله ﴿**وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ**﴾ قال: هو قول الرجل للرجل: يا منافق، يا كافر.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عكرِمة، في قوله ﴿**وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ**﴾ قال: هو قول الرجل للرجل: يا فاسق، يا منافق.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن حصين، عن عكرِمة ﴿**وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ**﴾ قال: يا فاسق، يا كافر.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد أو عكرِمة ﴿**وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ**﴾ قال: يقول الرجل للرجل: يا فاسق، يا كافر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ**﴾ قال: دُعي رجل بالكفر وهو مسلم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ**﴾ يقول للرجل: لا تقل لأخيك المسلم: ذاك فاسق، ذاك منافق، نهى الله المسلم عن ذلك وقدّم فيه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ**﴾ يقول: لا يقولنّ لأخيه المسلم: يا فاسق، يا منافق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ**﴾ قال: تسميته بالأعمال السيئة بعد الإسلام زان فاسق.

وقال آخرون: بل ذلك تسمية الرجل الرجل بالكفر بعد الإسلام، وبالفسوق والأعمال القبيحة بعد التوبة

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**وَلا تَنابَزُوا بالألْقاب بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ**﴾... الآية، قال: التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها، وراجع الحقّ، فنهى الله أن يُعيَّر بما سلف من عمله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن: كان اليهودي والنصرانيّ يسلم، فيلقب، فيقال له: يا يهوديّ، يا نصراني، فنهوا عن ذلك.

والذي هو أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب والتنابز بالألقاب: هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعمّ الله بنهيه ذلك، ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض، فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه، أو صفة يكرهها. وإذا كان ذلك كذلك صحّت الأقوال التي قالها أهل التأويل في ذلك التي ذكرناها كلها، ولم يكن بعض ذلك أولى بالصواب من بعض، لأن كلّ ذلك مما نهى الله المسلمين أن ينبز بعضهم بعضاً.

وقوله: ﴿**بِئْسَ الاِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ**﴾ يقول تعالى ذكره: ومن فعل ما نهينا عنه، وتقدّم على معصيتنا بعد إيمانه، فسخر من المؤمنين، ولمز أخاه المؤمن، ونبزه بالألقاب، فهو

فاسق ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ يقول: فلا تفعلوا فتستحقوا إن فعلتموه أن تسموا فساقاً، بئس الاسم الفسوق، وترك ذكر ما وصفنا من الكلام، اكتفاء بدلالة قوله: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الفُسُوقُ﴾ عليه.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

حدثنا به يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وقرأ ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ قال: بئس الاسم الفسوق حين تسميه بالفسق بعد الإسلام، وهو على الإسلام. قال: وأهل هذا الرأي هم المعتزلة، قالوا: لا نكفره كما كفره أهل الأهواء، ولا نقول له مؤمن، كما قالت الجماعة، ولكنا نسميه باسمه إن كان سارقاً فهو سارق، وإن كان خائناً سموه خائناً وإن كان زانياً سموه زانياً قال: فاعتزلوا الفريقين أهل الأهواء وأهل الجماعة، فلا بقول هؤلاء قالوا، ولا بقول هؤلاء، فسموا بذلك المعتزلة.

فوجه ابن زيد تأويل قوله: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ إلى من دعي فاسقاً، وهو تائب من فسقه، فبئس الاسم ذلك له من أسمائه.. وغير ذلك من التأويل أولى بالكلام، وذلك أن الله تقدّم بالنهي عما تقدّم بالنهي عنه في أوّل هذه الآية، فالذي هو أولى أن يختمها بالوعيد لمن تقدّم على بغيه، أو بقبيح ركوبه ما ركب مما نهي عنه، لا أن يخبر عن قُبح ما كان التائب أتاه قبل توبته، إذ كانت الآية لم تفتتح بالخبر عن ركوبه ما كان ركب قبل التوبة من القبيح، فيختم آخرها بالوعيد عليه أو بالقبيح.

وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن لم يتب من نبزه أخاه بما نهى الله عن نبزه به من الألقاب، أو لمزه إياه، أو سخريته منه، فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم، فأكسبوها عقاب الله بركوبهم ما نهاهم عنه.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قال: ومن لم يتب من ذلك الفسوق فأولئك هم الظالمون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، لا تقربوا كثيراً من الظنّ بالمؤمنين، وذلك أن تظنوا بهم سوءاً، فإن الظانّ غير محق، وقال جلّ ثناؤه: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ﴾ ولم يقل: الظنّ كله، إذ كان قد أذِن للمؤمنين أن يظنّ بعضهم ببعض الخير، فقال: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ فأذن الله جلّ ثناؤه للمؤمنين أن يظنّ بعضهم ببعض الخير وأن يقولوه، وإن لم يكونوا من قيله فيهم على يقين. وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثني أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ﴾ يقول: نهى الله المؤمن أن يظنّ بالمؤمن شرّاً.

وقوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ يقول: إن ظنّ المؤمن بالمؤمن الشرّ لا الخير إثم، لأن الله قد نهاه عنه، ففعل ما نهى الله عنه إثم.

وقوله: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾ يقول: ولا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فاحمدوا أو ذموا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾ يقول: نهى الله المؤمن أن يتتبع عورات المؤمن.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾ قال: خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا﴾ هل تدرون ما التجسس أو التجسيس؟ هو أن تتبع، أو تبتغي عيب أخيك لتطلع على سرّه.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾ قال: البحث.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا﴾ قال: حتى أنظر في ذلك وأسأل

عنه، حتى أعرف حقّ هو، أم باطل؟ قال: فسماه الله تجسساً، قال: يتجسس كما يتجسس الكلاب،

وقرأ قول الله: ﴿**وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**﴾ وقوله: ﴿**ولا يغتب بعضكم بعضاً**﴾ يقول: ولا يقل بعضكم في بعض بظهر الغيب ما يكره المقول فيه ذلك أن يقال له في وجهه. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ وقال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك، والأثر عن رسول الله ﷺ:

حدثني يزيد بن مخلد الواسطيّ، قال: ثنا خالد بن عبد الله الطحان، عن عبد الرحمن ابن إسحاق، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: سُئل رسول الله ﷺ عن الغيبة، فقال: «هُوَ أنْ تَقُولَ لأخِيكَ ما فِيهِ، فإنْ كُنْتَ صَادِقاً فَقَدِ اغْتَبْتَه، وَإنْ كُنْتَ كاذِباً فَقَدْ بَهَتَّهُ».

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحوه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت العلاء يحدّث، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «هَلْ تَدْرُونَ ما الْغِيبَةُ»؟ قال: قالوا الله ورسوله أعلم قال: «ذِكْرُكَ أخاكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ»، قال: أرأيت إن كان في أخي ما أقول له قال: «إنْ كان فِيهِ ما تَقُولُ فَقَد اغْتَبْتَهُ، وَإنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ما تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا سعيد بن الربيع، قال: ثنا شعبة، عن العباس، عن رجل سمع ابن عمر يقول: إذا ذكرت الرجل بما فيه، فقد اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بَهَتَّه. وقال شعبة مرّة أخرى: وإذا ذكرته بما ليس فيه، فهي فِرْية قال أبو موسى: هو عباس الجَريريّ:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن سليمان، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروق قال: إذا ذكرت الرجل بأسوإ ما فيه فقد اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بَهتَه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: إذا قلت في الرجل أسوأ ما فيه فقد اغتبته، وإذا قلت ما ليس فيه فقد بَهتَه.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا عمر بن عبيد، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال الغيبة: أن يقول للرجل أسوأ ما يعلم فيه، والبهتان: أن يقول ما ليس فيه.

حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني معاوية بن صالح، عن كثير بن الحارث، عن القاسم، مولى معاوية، قال: سمعت ابن أمّ عبد يقول: ما التقم أحد لقمة أشرّ من اغتياب المؤمن، إن قال فيه ما يعلم فقد اغتابه، وإن قال فيه ما لا يعلم فقد بَهَتَه.

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، قال: إذا ذكرت الرجل بما فيه فقد اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فذلك البهتان.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت يونس، عن الحسن أنه قال في الغيبة: أن تذكر من أخيك ما تعلم فيه من مساوىء أعماله، فإذا ذكرته بما ليس فيه فذلك البهتان.

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا سليمان الشيبانيّ، قال: ثنا حسان بن المخارق أن امرأة دخلت على عائشة فلما قامت لتخرج أشارت عائشة بيدها إلى النبيّ ﷺ، أي أنها قصيرة، فقال النبيّ ﷺ: «اغْتَبْتِيها».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: لو مرّ بك أقطع، فقلت: ذاك الأقطع، كانت منك غيبة قال: وسمعت معاوية بن قرة يقول ذلك.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت معاوية بن قُرة يقول: لو مرّ بك رجل أقطع، فقلت له: إنه أقطع كنت قد اغتبته، قال: فذكرت ذلك لأبي إسحاق الهمداني فقال: صدق.

حدثني جابر بن الكرديّ، قال: ثنا ابن أبي أويس، قال: ثني أخي أبو بكر، عن حماد ابن أبي حميد، عن موسى بن وردان، عن أبي هريرة أن رجلاً قام عند رسول الله ﷺ، فرأوا في قيامه عجزاً، فقالوا: يا رسول الله ما أعجز فلاناً، فقال رسول الله ﷺ: «أَكَلْتُمْ أخاكُمْ وَاغْتَبْتُمُوه».

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا حبان بن علي العنزيّ عن مثنى بن صباح، عن عمرو بن شعيب، عن معاذ بن جبل، قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فذكر القوم رجلاً، فقالوا: ما يأكل إلا ما أطعم، وما يرحل إلا ما رحل له، وما أضعفه فقال رسول الله ﷺ: «اغْتَبْتُمْ أخاكُمْ»، فقالوا يا رسول الله وغيبته أن نحدّث بما فيه؟ قال: «بحَسْبِكُمْ أنْ تُحَدّثُوا عَنْ أخِيكُمْ ما فِيهِ».

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا خالد بن محمد، عن محمد بن جعفر، عن العلاء، عن

أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا ذَكَرْتَ أَخاكَ بِمَا يَكْرَهُ فإنْ كانَ فِيهِ ما تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ما تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كنا نحدّث أن الغيبة أن تذكر أخاك بما يشينه، وتعيبه بما فيه، وإن كذبت عليه فذلك البهتان.

وقوله ﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يأكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين أيحبّ أحدكم أيها القوم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته ميتاً، فإن لم تحبوا ذلك وكرهتموه، لأن الله حرّم ذلك عليكم، فكذلك لا تحبوا أن تغتابوه في حياته، فاكرهوا غيبته حياً، كما كرهتم لحمه ميتاً، فإن الله حرّم غيبته حياً، كما حرّم أكل لحمه ميتاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يأكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً**﴾ قال: حرّم الله على المؤمن أن يغتاب المؤمن بشيء، كما حرّم المَيْتة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يأكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً**﴾ قالوا: نكره ذلك، قال: فكذلك فاتقوا الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يأكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ يقول: كما أنت كاره لو وجدت جيفة مدوّدة أن تأكل منها، فكذلك فاكره غِيبته وهو حيّ.

وقوله: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: فاتقوا الله أيها الناس، فخافوا عقوبته بانتهائكم عما نهاكم عنه من ظنّ أحدكم بأخيه المؤمن ظنّ السوء، وتتبع عوراته، والتجسس عما ستر عنه من أمره، واغتيابه بما يكرهه، تريدون به شينه وعيبه، وغير ذلك من الأمور التي نهاكم عنها ربكم ﴿**إنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾ يقول: إن الله راجع لعبده إلى ما يحبه إذا رجع العبد لربه إلى ما يحبه منه، رحيم به بأن يعاقبه على ذنب أذنبه بعد توبته منه.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً**﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة بالتثقيل «مَيِّتاً»، وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة ﴿**مَيْتاً**﴾ بالتخفيف، وهما قراءتان عندنا معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس إنا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال، وماء أنثى من النساء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قال: خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة، وقد قال تبارك وتعالى ﴿**يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى**﴾.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، قال: ثنا عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قوله: ﴿**إنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى**﴾ قال: ما خلق الله الولد إلا من نطفة الرجل والمرأة جميعاً، لأن الله يقول ﴿**خَلَقْناكمْ مِنْ ذكَرٍ وأُنْثَى**﴾.

وقوله: ﴿**وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا**﴾ يقول: وجعلناكم متناسبين، فبعضكم يناسب بعضاً نسباً بعيداً، وبعضكم يناسب بعضاً نسباً قريباً فالمناسب النسب البعيد من لم ينسبه أهل الشعوب، وذلك إذا قيل للرجل من العرب: من أي شعب أنت؟ قال: أنا من مضر، أو من ربيعة. وأما أهل المناسبة القريبة أهل القبائل، وهم كتميم من مضر، وبكر من ربيعة، وأقرب القبائل الأفخاذ وهما كشيبان من بكر ودارم من تميم، ونحو ذلك، ومن الشَّعْب قول ابن أحمر الباهلي:

مِن شَعْبِ هَمْدانَ أوْ سَعْدِ العَشِيرَةِ أوْ ... خَوْلانَ أوْ مَذْحِجٍ هاجُوا لَهُ طَرَبا[1]

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿**وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ**﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا بكر بن عياش، قال: ثنا أبو حُصين، عن سعيد بن جبير،

---

(١) البيت لابن أحمر الباهلي، كما نسبه المؤلف. والشاهد فيه كلمة «الشعب»، وهو الفرع الكبير من الأصل، يجمع عدداً من القبائل، كما أوضحه المؤلف. وقال النويري في «**نهاية الأرب**» (٢/ ٢٨٤) الشعب: هو الذي يجمع القبائل، وتتشعب منه. وفي «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة (الورقة ٢٢٥ ـ١) ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ يقال: من أي شعب أنت؟ فتقول: من مضر، من ربيعة، والقبائل دون ذلك. قال ابن أحمر:

«من شعب همدان.... البيت»

عن ابن عباس ﴿وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ﴾ قال: الشعوب: الجُمّاع، والقبائل: البطون.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ﴾ قال: الشعوب: الجُمّاع. قال خلاد، قال أبو بكر: القبائل العظام، مثل بني تميم، والقبائل: الأفخاذ.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن عطية، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي حصين، عن سعيد ابن جُبَير ﴿وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ﴾ قال: الشعوب: الجمهور، والقبائل: الأفخاذ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿شُعُوباً﴾ قال: النسب البعيد. ﴿وَقَبائِلَ﴾ دون ذلك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ﴾ قال: الشعوب: النسب البعيد، والقبائل كقوله: فلان من بني فلان، وفلان من بني فلان.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً﴾ قال: هو النسب البعيد. قال: والقبائل: كما تسمعه يقال: فلان من بني فلان.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً﴾ قال: أما الشعوب: فالنسب البعيد.

وقال بعضهم: الشعوب: الأفخاذ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد ابن جُبير ﴿وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ﴾ قال: الشعوب: الأفخاذ، والقبائل: القبائل.

وقال آخرون: الشعوب: البطون، والقبائل: الأفخاذ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يحيى بن طلحة، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس ﴿وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ﴾ قال: الشعوب: البطون، والقبائل: الأفخاذ الكبار.

وقال آخرون: الشعوب: الأنساب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ**﴾ قال: الشعوب: الأنساب.

وقوله: ﴿**لِتَعارَفُوا**﴾ يقول: ليعرف بعضكم بعضاً في النسب، يقول تعالى ذكره: إنما جعلنا هذه الشعوب والقبائل لكم أيها الناس، ليعرف بعضكم بعضاً في قرب القرابة منه وبعده، لا لفضيلة لكم في ذلك، وقُربة تقرّبكم إلى الله، بل أكرمكم عند الله أتقاكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا**﴾ قال: جعلنا هذا لتعارفوا، فلان بن فلان من كذا وكذا.

وقوله: ﴿**إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أتْقاكُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم، أشدّكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، لا أعظمكم بيتاً ولا أكثركم عشيرة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن عليّ بن رباح، عن عقبة بن عامر، عن رسول الله ﷺ قال: «النَّاسُ لآدَمَ وَحَوَّاءَ كَطَفِّ الصَّاعِ لَمْ يَملأوه، إنَّ اللَّهَ لا يسألُكُمْ عَنْ أحْسابِكُمْ وَلا عَنْ أنْسابِكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ، إن أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أتْقاكُمْ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد عن عليّ بن رباح، عن عقبة بن عامر، أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أنْسابَكُمْ هَذِه لَيْسَتْ بِمَسابٍّ عَلى أحَدٍ، وإنَّمَا أنْتُمْ وَلَدُ آدَمَ طَفَّ الصَّاعِ لَمْ تملأوه، لَيْسَ لأحَدٍ على أحَد فَضْلٌ إلاَّ بِدَيْنٍ أوْ عَمَلٍ صالِحٍ حَسْبُ الرَّجُل أنْ يَكُونَ فاحِشاً بَذِيّاً بَخِيلاً جَباناً».

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن ابن جُرَيج، قال: سمعت عطاء يقول: قال ابن عباس: ثلاث آيات جحدهنّ الناس: الإذن كله، وقال: ﴿**إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أتْقاكُمْ**﴾ وقال الناس أكرمكم: أعظمكم بيتاً وقال عطاء: نسيت الثالثة.

وقوله: ﴿**إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الناس ذو علم بأتقاكم عند الله وأكرمكم عنده، ذو خبرة بكم وبمصالحكم، وغير ذلك من أموركم، لا تخفى عليه خافية.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قالت الأعراب: صدّقنا بالله ورسوله، فنحن مؤمنون، قال الله لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهم ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ ولستم مؤمنين ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا﴾. وذُكر أن هذه الآية نزلت في أعراب من بني أسد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿قالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ قال: أعراب بني أسد بن خُزيمة.

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل للنبيّ ﷺ: قل لهؤلاء الأعراب: قولوا أسلمنا، ولا تقولوا آمنا، فقال بعضهم: إنما أمر النبيّ ﷺ بذلك، لأن القوم كانوا صدّقوا بألسنتهم، ولم يصدّقوا قولهم بفعلهم، فقيل لهم: قولوا أسلمنا، لأن الإسلام قول، والإيمان قول وعمل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري ﴿قالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا﴾ قال: إن الإسلام: الكلمة، والإيمان: العمل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، وأخبرني الزهريّ، عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: أعطى النبيّ ﷺ رجالاً، ولم يعط رجلاً منهم شيئاً، فقال سعد: يا رسول الله أعطيت فلاناً وفلاناً، ولم تُعط فلاناً شيئاً، وهو مؤمن، فقال النبيّ ﷺ: «أَوْ مُسْلِمٌ»؟ حتى أعادها سعد ثلاثاً، والنبيّ ﷺ يقول: «أَوْ مُسْلِمٌ»، ثم قال النبيّ ﷺ «إنّي أُعْطِي رِجالاً وأَدَعُ مَنْ هُوَ أَحَبُّ إليَّ مِنْهُمْ، لا أُعْطِيهِ شَيْئاً مَخافَةَ أنْ يُكَبُّوا فِي النَّارِ عَلى وُجُوهِهِمْ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ قال: لم يصدّقوا إيمانهم بأعمالهم، فردّ الله ذلك عليهم ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا﴾، وأخبرهم أن المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون، صدّقوا إيمانهم بأعمالهم فمن قال

منهم: أنا مؤمن فقد صدق قال: وأما من انتحل الإيمان بالكلام ولم يعمل فقد كذب، وليس بصادق.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مُغيرة، عن إبراهيم **﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا﴾** قال: هو الإسلام.

وقال آخرون: إنما أمر النبيّ ﷺ بقيل ذلك لهم، لأنهم أرادوا أن يتسموا بأسماء المهاجرين قبل أن يهاجروا، فأعلمهم الله أن لهم أسماء الأعراب، لا أسماء المهاجرين.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿قالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا﴾**... الآية، وذلك أنهم أرادوا أن يتسَمَّوا باسم الهجرة، ولا يتسَمَّوا بأسمائهم التي سماهم الله، وكان ذلك في أوّل الهجرة قبل أن تنزل المواريث لهم.

وقال آخرون: قيل لهم ذلك لأنهم منوا على رسول الله ﷺ بإسلامهم، فقال الله لنبيه ﷺ: قل لهم لم تؤمنوا، ولكن استسلمتم خوف السباء والقتل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿قالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾** ولعمري ما عمت هذه الآية الأعراب، إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، ولكن إنما أُنزلت في حيّ من أحياء الأعراب امتنوا بإسلامهم على نبيّ الله ﷺ، فقالوا: أسلمنا، ولم نقاتلك، كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، فقال الله: لا تقولوا آمنا، ولكن قولوا أسلمنا حتى بلغ في قلوبكم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا﴾** قال: لم تعمّ هذه الآية الأعراب، إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويتخذ ما ينفق قربات عند الله، ولكنها في طوائف من الأعراب.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن رَباح، عن أبي معروف، عن سعيد بن جُبَير **﴿قالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا﴾** قال: استسلمنا لخوف السباء والقتل.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن رجل، عن مجاهد **﴿قُولُوا أَسْلَمْنا﴾** قال: استسلمنا.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وقرأ قول الله ﴿**قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا**﴾ استسلمنا: دخلنا في السلم، وتركنا المحاربة والقتال بقولهم: لا إله إلاَّ الله، وقال قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتى يَقُولُوا لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ، فإذا قالُوا لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ، عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ وأمْوَالَهُمْ إلاَّ بِحَقِّها وَحِسابُهُمْ على اللَّهِ».

وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن الزهريّ وهو أن الله تقدّم إلى هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في الملة إقراراً منهم بالقول، ولم يحققوا قولهم بعملهم أن يقولوا بالإطلاق آمنا دون تقييد قولهم بذلك بأن يقولوا آمنا بالله ورسوله، ولكن أمرهم أن يقولوا القول الذي لا يشكل على سامعيه والذي قائله فيه محقّ، وهو أن يقولوا أسلمنا، بمعنى: دخلنا في الملة والأموال، والشهادة الحقّ(١).

قوله: ﴿**وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: ولما يدخل العلم بشرائع الإيمان، وحقائق معانيه في قلوبكم.

وقوله: ﴿**وَإنْ تُطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أعمالِكُمْ شَيْئاً**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء الأعراب القائلين آمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، إن تطيعوا الله ورسوله أيها القوم، فتأتمروا لأمره وأمر رسوله، وتعملوا بما فرض عليكم، وتنتهوا عما نهاكم عنه، ﴿**لا يَلِتْكُمْ مِنْ أعمالِكُمْ شَيْئاً**﴾ يقول: لا يظلمكم من أجور أعمالكم شيئاً ولا ينقصكم من ثوابها شيئاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**لا يَلِتْكُمْ**﴾ لا ينقصكم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**لا يَلِتْكُمْ مِنْ أعمالِكُمْ شَيْئاً**﴾ يقول: لن يظلمكم من أعمالكم شيئاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في ﴿**وَإنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ قال: إن تصدقوا إيمانكم بأعمالكم يقبل ذلك منكم. وقرأت قرّاء الأمصار ﴿**لا يَلِتْكُمْ مِنْ أعمالِكُمْ**﴾ بغير همز ولا ألف، سوى أبي عمرو، فإنه قرأ ذلك «لا يألِتْكُمْ» بألف اعتباراً منه

(١) لعله دخلنا في الملة لحفظ الأنفس والأموال بالشهادة... الخ.

في ذلك بقوله: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ فمن قال: ألت، قال: يألت. وأما الآخرون فإنهم جعلوا ذلك من لات يليت، كما قال رُؤبةُ بن العجاج:

وَلَيْلَةٍ ذَاتِ نَدىً سَرَيْتُ ... ولَمْ يَلِتْنِي عَنْ سُرَاهَا لَيْتُ[1]

والصواب من القراءة عندنا في ذلك، ما عليه قرّاء المدينة والكوفة ﴿لا يَلِتْكُمْ﴾ بغير ألف ولا همز، على لغة من قال: لات يليت، لعلتين: إحداهما: إجماع الحجة من القرّاء عليها. والثانية أنها في المصحف بغير ألف، ولا تسقط الهمزة في مثل هذا الموضع، لأنها ساكنة، والهمزة إذا سكنت ثبتت، كما يقال: تأمرون وتأكلون، وإنما تسقط إذا سكن ما قبلها، ولا يحمل حرف في القرآن إذا أتى بلغة على آخر جاء بلغة خلافها إذا كانت اللغتان معروفتين في كلام العرب. وقد ذكرنا أن ألت ولات لغتان معروفتان من كلامهم.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله ذو عفو أيها الأعراب لمن أطاعه، وتاب إليه من سالف ذنوبه، فأطيعوه، وانتهوا إلى أمره ونهيه، يغفر لكم ذنوبكم، رحيم بخلقه التائبين إليه أن يعاقبهم بعد توبتهم من ذنوبهم على ما تابوا منه، فتوبوا إليه يرحمكم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ غفور للذنوب الكثيرة أو الكبيرة، شكّ يزيد، رحيم بعباده.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للأعراب الذين قالوا آمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم: إنما المؤمنون أيها القوم الذين صدّقوا الله ورسوله، ثم لم يرتابوا، يقول: ثم لم يشكوا في وحدانية الله، ولا في نبوّة نبيه ﷺ، وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شكّ منه في وجوب ذلك عليه ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: جاهدوا

(١) البيتان نسبهما المؤلف إلى رؤبة بن العجاج، ولم أجدهما في ديوانه ولا في ديوان أبيه العجاج. وأوردهما صاحب «اللسان» في (حنن) محمد ونسبهما إلى أبي الفقعسي. وقد استشهد بهما المؤلف مرة قبل هذه في (١٥/٢) من هذه المطبوعة، عند أول سورة الإسراء. وشرحناهما شرحاً مفصلاً يناسب هذا المقام، فراجعهما ثمة.

المشركين بإنفاق أموالهم، وبذل مُهَجِهم في جهادهم، على ما أمرهم الله به من جهادهم، وذلك سبيله لتكون كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

وقوله: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ يقول: هؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الصادقون في قولهم: إنا مؤمنون، لا من دخل في الملة خوف السيف ليحقن دمه وماله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ قال: صدّقوا إيمانهم بأعمالهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿**قل**﴾ يا محمد لهؤلاء الأعراب القائلين آمنا ولمَّا يدخل الإيمان في قلوبهم: ﴿**أتُعَلِّمُونَ اللَّهَ**﴾ أيها القوم بدينكم، يعني بطاعتكم ربكم ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما في السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأرْضِ**﴾ يقول: والله الذي تعلِّمونه أنكم مؤمنون، عَلاَّم جميع ما في السموات السبع والأرضين السبع، لا يخفى عليه منه شيء، فكيف تعلمونه بدينكم، والذي أنتم عليه من الإيمان، وهو لا يخفى عليه خافية، في سماء ولا أرض، فيخفى عليه ما أنتم عليه من الدين ﴿**وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ يقول: والله بكلّ ما كان، وما هو كائن، وبما يكون ذو علم. وإنما هذا تقدّم من الله إلى هؤلاء الأعراب بالنهي، عن أن يكذّبوا ويقولوا غير الذي هم عليه في دينهم. يقول: الله محيط بكلّ شيء عالم به، فاحذروا أن تقولوا خلاف ما يعلم من ضمائر صدوركم، فينالكم عقوبته، فإنه لا يخفى عليه شيء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يمنّ عليك هؤلاء الأعراب يا محمد أن أسلموا ﴿**قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أنْ هَدَاكُمْ للإيمَانِ**﴾ يقول: بل الله يمن عليكم أيها القوم

أن وفقكم للإيمان به وبرسوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقول: إن كنتم صادقين في قولكم آمنا، فإن الله هو الذي منّ عليكم بأن هداكم له، فلا تمنوا عليّ بإسلامكم.

وذُكر أن هؤلاء الأعراب من بني أسد، امتنوا على رسول الله ﷺ، فقالوا: آمنا من غير قتال، ولم نقاتلك كما قاتلك غيرنا، فأنزل الله فيهم هذه الآيات.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد ابن جُبَير في هذه الآية ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ أهم بنو أسد؟ قال: قد قيل ذلك.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا سهل بن يوسف، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، قال: قلت لسعيد بن جُبَير ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ أهم بنو أسد؟ قال: يزعمون ذاك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن حبيب بن أبي عمرة، قال: كان بشر بن غالب ولبيد بن عطارد، أو بشر بن عطارد، ولبيد بن غالب عند الحجاج جالسين، فقال بشر بن غالب للبيد بن عطارد: نزلت في قومك بني تميم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ﴾ فذكرت ذلك لسعيد بن جُبير، فقال: إنه لو علم بآخر الآية أجابه ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ قالوا أسلمنا ولم نقاتلك بنو أسد.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿لا تَمُنُّوا﴾ أنا أسلمنا بغير قتال لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، فقال الله لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ﴾ قال: فهذه الآيات نزلت في الأعراب.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الأعراب لا يخفى عليه الصادق منكم من الكاذب، ومن الداخل منكم في ملة الإسلام رغبة فيه، ومن الداخل فيه رهبة من رسولنا محمد ﷺ وجنده، فلا تعلمونا دينكم وضمائر صدوركم، فإن الله يعلم ما تكنه ضمائر صدوركم، وتحدّثون به أنفسكم، ويعلم ما غاب عنكم، فاستسرّ في خبايا السموات والأرض، لا يخفى عليه شيء من ذلك ﴿واللَّهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾ يقول: والله ذو بصر بأعمالكم التي تعملونها، أجهراً تعملون أم

سرّاً، طاعة تعملون أو معصية؟ وهو مجازيكم على جميع ذلك، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ وكُفُؤه.

و﴿أنْ﴾ في قوله: ﴿يَمُنُّوا عَلَيْكَ أنْ أسْلَمُوا﴾ في موضع نصب بوقوع يمنون عليها، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ إسْلامَهُمْ»، وذلك دليل على صحة ما قلنا، ولو قيل: هي نصب بمعنى: يمنون عليك لأن أسلموا، لكان وجهاً يتجه. وقال بعض أهل العربية: هي في موضع خفض. بمعنى: لأن أسلموا.

وأما ﴿أن﴾ التي في قوله: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أنْ هَدَاكُمْ﴾ فإنها في موضع نصب بسقوط الصلة لأن معنى الكلام: بل الله يمنّ عليكم بأن هداكم للإيمان.

آخر تفسير سورة الحجرات

(٥٠) سورة قٓ مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾.

اختلف أهل التأويل في قوله: ﴿قٓ﴾، فقال بعضهم: هو اسم من أسماء الله تعالى أُقسم به.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس في قوله: ﴿قٓ - وٓ - نٓ﴾ وأشباه هذا، فإنه قسم أقسمه الله، وهو اسم من أسماء الله.

وقال آخرون: هو اسم من أسماء القرآن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿ق﴾ قال: اسم من أسماء القرآن.

وقال آخرون: ﴿قٓ﴾ اسم الجبل المحيط بالأرض، وقد تقدّم بياننا في تأويل حروف المعجم التي في أوائل سور القرآن بما فيه الكفاية عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿وَالقُرآنِ المَجِيدِ﴾ يقول: والقرآن الكريم. كما:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن أشعث بن إسحاق، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جُبَير ﴿قَ والقرآن المَجِيدِ﴾ قال: الكريم.

واختلف أهل العربية في موضع جواب هذا القسم، فقال بعض نحوِّيي البصرة ﴿قَ والقُرآنِ المَجِيدِ﴾ قسم على قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ﴾ وقال بعض نحوِّيي أهل الكوفة: فيها المعنى الذي أقسم به، وقال: ذكر أنها قضي والله، وقال: يقال: إن قاف جبل

محيط بالأرض، فإن يكن كذلك فكأنه في موضع رفع: أي هو قاف والله قال: وكان ينبغي لرفعه أن يظهر لأنه اسم وليس بهجاء قال: ولعلّ القاف وحدها ذكرت من اسمه، كما قال الشاعر:

قُلْت لهَا قِفِي لَنَا قالَتْ قافْ[1]

ذُكرت القاف إرادة القاف من الوقف: أي إني واقفة.

وهذا القول الثاني عندنا أولى القولين بالصواب، لأنه لا يعرف في أجوبة الإيمان قد، وإنما تجاب الأيمان إذا أجيبت بأحد الحروف الأربعة: اللام، وإن، وما، ولا، أو بترك جوابها فيكون ساقطاً.

وقوله: ﴿**بَلْ عَجِبُوا أنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ما كذّبك يا محمد مشركو قومك أن لا يكونوا عالمين بأنك صادق محقّ، ولكنهم كذّبوك تعجباً من أن جاءهم منذر ينذرهم عقاب الله منهم، يعني بشراً منهم من بني آدم، ولم يأتهم مَلك برسالة من عند الله وقوله: ﴿**فَقالَ الكافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: فقال المكذّبون بالله ورسوله من قريش إذ جاءهم منذر منهم ﴿**هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ**﴾: أي مجيء رجل منا من بني آدم برسالة الله إلينا، ﴿**هَلاَّ**[2] **أُنْزِلَ إلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً**﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾﴾.

يقول القائل: لم يجر للبعث ذكر، فيخبر عن هؤلاء القوم بكفرهم ما دعوا إليه من ذلك، فما وجه الخبر عنهم بإنكارهم ما لم يدعوا إليه، وجوابهم عما لم يُسألوا عنه. قيل: قد اختلف

(١) في «اللسان» وقف غير منسوب. قال: وقوله:

قلت لها قفي لنا قالت قاف

بسكون الكاف الفاء: إنما أراد: قد وقفت فاكتفى بذكر القاف. قال ابن جني: ولو نقل هذا الشاعر إلينا شيئاً من جملة الحال، فقال مع قوله: قالت قاف، وأمسكت زمام بعيرها، أو عاجته عليها، لكان أبين، لما كانوا عليه، وأدل على أنها أرادت قفي لنا، أي يقول لي قفي لنا! متعجبة منه وهو إذا شاهدها وقد وقفت علم أن قولها: قاف إجابة لقوله، وتعجب منه في قوله قفي لنا. ا هـ. وفي «**معاني القرآن**» للفراء (الورقة ٣٠٨) أورد البيت ثم قال: ذكرت القاف إرادة القاف من الوقت، أي إني واقفة ا هـ.

قلت: ولو ذهب قائل إلى أن قاف اسم صوت أريد به اسم الفعل وقفت لكان وجهاً.

(٢) التلاوة «لولا». ا هـ. مصححه.

أهل العربية في ذلك، فنذكر ما قالوا في ذلك، ثم نتبعه البيان إن شاء الله تعالى، فقال في ذلك بعض نحوِّيي البصرة قال: ﴿أئذا مِتْنا وكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾، لم يذكر أنه راجع، وذلك والله أعلم لأنه كان على جواب، كأنه قيل لهم: إنكم ترجعون، فقالوا: ﴿أَئِذَا متنا وكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ وقال بعض نحوِّيي الكوفة قوله: ﴿أَئِذَا مِتْنا وكُنَّا تُرَاباً﴾ كلام لم يظهر قبله، ما يكون هذا جواباً له، ولكن معناه مضمر، إنما كان والله أعلم: ﴿قَ والقرآن المجيد﴾ لَتُبْعَثنّ بعد الموت، فقالوا: أئذا كنا تراباً بُعثنا؟ جحدوا البعث، ثم قالوا: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ جحدوه أصلاً، قوله: ﴿بَعِيدٌ﴾ كما تقول للرجل يخطىء في المسألة، لقد ذهبت مذهباً بعيداً من الصواب: أي أخطأت.

والصواب من القول في ذلك عندنا، أن في هذا الكلام متروكاً استغني بدلالة ما ذُكر عليه من ذكره، وذلك أن الله دلّ بخبره عن تكذيب هؤلاء المشركين الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عن تكذيبهم رسوله محمداً ﷺ بقوله: ﴿بَلْ عَجِبُوا أنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقالَ الكافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ على وعيده إياهم على تكذيبهم محمداً ﷺ، فكأنه قال لهم: إذ قالوا منكرين رسالة الله رسوله محمداً ﷺ ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ ستعلمون أيها القوم إذا أنتم بُعثتم يوم القيامة ما يكون حالكم في تكذيبكم محمداً ﷺ، وإنكاركم نبوّته، فقالوا مجيبين رسول الله ﷺ ﴿أئِذَا مِتْنا وكُنَّا تُراباً﴾ نعلم ذلك، ونرى ما تعدنا على تكذيبك ﴿ذلكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾: أي أن ذلك غير كائن، ولسنا راجعين أحياء بعد مماتنا، فاستغني بدلالة قوله: ﴿بَلْ عَجِبُوا أنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فقال الكافرون هَذَا شَيْءٌ عَجيبٌ﴾ من ذكر ما ذكرت من الخبر عن وعيدهم. وفيما:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿أئِذَا متْنا وكُنَّا تُرَاباً ذلكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ قالوا: كيف يحيينا الله، وقد صرنا عظاماً ورفاتاً، وضللنا في الأرض، دلالة على صحة ما قلنا من أنهم أنكروا البعث إذا توعَّدوا به.

وقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما تأكل الأرض من أجسامهم بعد مماتهم، وعندنا كتاب بما تأكل الأرض وتفني من أجسامهم، ولهم كتاب مكتوب مع علمنا بذلك، حافظ لذلك كله، وسماه الله تعالى حفيظاً، لأنه لا يدرس ما كتب فيه، ولا يتغير ولا يتبدل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ﴾ يقول: ما تأكل الأرض من لحومهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ﴾** قال: من عظامهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: **﴿قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ﴾** يقول: ما تأكل الأرض منهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ﴾** قال: يعني الموت، يقول: من يموت منهم، أو قال: ما تأكل الأرض منهم إذا ماتوا.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، قال الله **﴿قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ﴾** يقول: ما أكلت الأرض منهم ونحن عالمون به، وهم عندي مع علمي فيهم في كتاب حفيظ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ما أصاب هؤلاء المشركون القائلون **﴿أئِذَا مِتْنا وكُنَّا تُراباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾** في قيلهم هذا **﴿بَلْ كَذَّبُوا بالحَقّ﴾**، وهو القرآن **﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾** من الله. كالذي:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿بَلْ كَذَّبُوا بالحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ﴾** أي كذّبوا بالقرآن **﴿فَهُمْ فِي أمْرٍ مَرِيجٍ﴾** يقول: فهم في أمر مختلط عليهم ملتبس، لا يعرفون حقه من باطله، يقال: قد مرج أمر الناس إذا اختلط وأهمل.

وقد اختلفت عبارات أهل التأويل في تأويلها، وإن كانت متقاربات المعاني، فقال بعضهم: معناها: فهم في أمر منكر وقال: المريج: هو الشيء المنكر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن خالد بن خداش، قال: ثني سلم بن قُتيبة، عن وهب بن حبيب

(١) زيادة لربط الكلام، ونظن أنها سقطت من قلم الناسخ.

الآمديّ، عن أبي حمزة، عن ابن عباس أنه سُئِل عن قوله: ﴿أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ قال: المريج: الشيء المنكر أما سمعت قول الشاعر:

فَجالَتْ والْتَمَسَتْ بِهِ حَشاهَا ... فَخَرَّ كأنَّهُ خُوطٌ مَرِيجُ[1]

وقال آخرون: بل معنى ذلك: في أمر مختلف.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ يقول: مختلف.

وقال آخرون: بل معناه: في أمر ضلالة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ قال: هم في أمر ضلالة.

وقال آخرون: بل معناه: في أمر مُلْتبِس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن أشعث بن إسحاق، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جُبَير، في قوله: ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ قال: مُلْتَبِسٍ.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ قال: ملتبس.

---

(١) البيت للداخل بن حرام الهذلي، كما في شرح أشعار الهذليين للسكري طبعة أوربا، (ص ـ ٢٦٩) وليس لأبي ذؤيب، كما قال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢٢٥ ب) والضمير في جالت للبقرة. وفى به إلى السهم الذي وصفه. ويروى: فراغت: في موضع «فجالت». أي حادت عن السهم. والحشا: حشوة الجوف. وخر: سقط. وخوط: غصن أو قضيب. ومريج: أي قد طرح وترك، يقال: مرج إذا وقع فترك، ويقال مريج: قلق، يقال مرج الخاتم في يدي، أي انسل يمرج مرجاً أي قلق وتقلقل واضطرب ومرج، وفي «**اللسان**» مرج المرج بالتحريك: مصدر قولك: مرج الخاتم في يدي مرجاً: أي قلق. وفي التنزيل: ﴿فهم في أمر مريج﴾ يقول: في ضلال. وقال أبو إسحاق: في أمر مختلف، ملتبس عليهم، يقولون للنبي ﷺ مرة: ساحر. ومرة شاعر، ومرة معلم مجنون. وهذا الدليل على أن قوله ﴿مريج﴾ ملتبس عليهم ا هـ. وفي «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة (الورقة ٢٢٥ ب) مريج مختلط؛ يقال قد مرج أمر الناس: اختلط وأهمل. وقال أبو ذؤيب (كذا) «فخر كأنه خوط مريج» أي سهم ا هـ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ ملتبس عليهم أمره.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: والتبس عليه دينه.

وقال آخرون: بل هو المختلط.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ قال: المريج: المختلط.

وإنما قلت: هذه العبارات وإن اختلفت ألفاظها فهي في المعنى متقاربات، لأن الشيء مختلف ملتبس، معناه مشكل. وإذا كان كذلك كان منكراً، لأن المعروف واضح بين، وإذا كان غير معروف كان لا شكّ ضلالة، لأن الهدى بيِّن لا لبس فيه.

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إلى السَّماء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها﴾ يقول تعالى ذكره: أفلم ينظر هؤلاء المكذّبون بالبعث بعد الموت المُنكرون قُدرتنا على إحيائهم بعد بلائهم ﴿إلى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها﴾ فسوّيناها سقفاً محفوظاً، وزيناها بالنجوم ﴿وَما لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ يعني: وما لها من صدوع وفُتوق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿مِنْ فُرُوجٍ﴾ قال: شَقّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ قلت له، يعني ابن زيد: الفروج: الشيء المتبرىء بعضه من بعض، قال: نعم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾.

وقوله: ﴿والأرْضَ مَدَدْناها﴾ يقول: والأرض بسطناها ﴿وألْقَيْنا فِيها رَوَاسِيَ﴾ يقول: وجعلنا فيها جبالاً ثوابت، رست في الأرض، ﴿وأنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وأنبتنا في الأرض من كلّ نوع من نبات حسن، وهو البهيج. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿بَهِيجٍ﴾ يقول: حسن.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وأَلْقَيْنا فِيها رَوَاسِيَ﴾ والرواسي الجبال ﴿وأَنْبَتْنا فيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾: أي من كلّ زوج حسن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قلت لابن زيد البهيج: هو الحسن المنظر؟ قال نعم: وقوله ﴿تَبْصِرَةً﴾ يقول: فعلنا ذلك تبصرة لكم أيها الناس بنصركم بها قدرة ربكم على ما يشاء، ﴿وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ يقول: وتذكيراً من الله عظمته وسلطانه، وتنبيهاً على وحدانيته ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ يقول: لكل عبد رجع إلى الإيمان بالله، والعمل بطاعته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿تَبْصِرَةً﴾ نعمة من الله يبصرها العباد ﴿وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾: أي مقبل بقلبه إلى الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى﴾ قال: تبصرة من الله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿تَبْصِرَةً﴾ قال: بصيرة.

حدثنا ابن حُمَيد قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن عطاء ومجاهد ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ قالا: مجيب.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَنَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً﴾ مطراً مباركاً، فأنبتنا به بساتين أشجاراً، وحبّ الزرع المحصود من البرّ والشعير، وسائر أنواع الحبوب. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَحَبَّ الحَصِيدِ﴾ هذا البرّ والشعير.

حدثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ قال: هو البرّ والشعير.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَحَبَّ الحَصِيدِ﴾ قال: الحِنطة.

وكان بعض أهل العربية يقول في قوله: ﴿وحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ الحبّ هو الحصيد، وهو مما أضيف إلى نفسه مثل قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ﴾.

وقوله: ﴿والنَّخْلَ باسِقاتٍ﴾ يقول: وأنبتنا بالماء الذي أنزلنا من السماء النخل طوالاً، والباسق: هو الطويل يقال للجبل الطويل: جبل باسق، كما قال أبو نوفل لابن هُبَيرة:

يَا ابْنَ الَّذِينَ بِفَضْلِهِمْ بَسَقَتْ عَلَى قَيْسٍ فَزَارَهْ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿باسِقاتٍ﴾ يقول: طوال.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿والنَّخْلَ باسِقاتٍ﴾ قال: النخل الطوال.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله ابن شدّاد في قوله: ﴿والنَّخْلَ باسِقاتٍ﴾ قال: بُسوقها: طولها في إقامة.

---

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢٢٥ ب) قال: ﴿والنخل باسقات﴾: طوال. يقال جبل باسق، وحسب باسق، قال أبو نوفل لابن هبيرة:

«يابن الذين.... البيت».

وفي «**اللسان**» بسق (بسق الشيء يبسق بسوقا: تم طوله). وفي التنزيل: ﴿والنخل باسقات﴾ الفراء: باسقات: طوالاً، فهن طوال النخل، وبسق على قومه: علاهم في الفضل. وأنشد ابن بري لأبي نوفل:

«يابن الذين...... البيت» اهـ.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرِمة، في قوله: ﴿والنَّخْلَ باسِقاتٍ﴾ الباسقات: الطوال.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿باسِقاتٍ﴾ قال: الطوال.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿والنَّخْلَ باسِقاتٍ﴾ قال: بسوقها طولها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿والنَّخْلَ باسِقاتٍ﴾ قال: يعني طولها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿والنَّخْلَ باسِقاتٍ﴾ قال: البسوق: الطول.

وقوله: ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ يقول: لهذا النخل الباسقات طلع وهو الكُفُرَّي، نضيد: يقول: منضود بعضه على بعض متراكب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ قال: يقول بعضه على بعض.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿نَضِيدٌ﴾ قال: المنضَّد.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ يقول: بعضه على بعض.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ ينضد بعضه على بعض.

وقوله: ﴿رِزْقاً لِلْعِبادِ﴾ يقول: أنبتنا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء هذه الجنات، والحبّ والنخل قوتاً للعباد، بعضها غذاء، وبعضها فاكهة ومتاعاً.

وقوله: ﴿وأَحْيَيْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾ يقول تعالى ذكره وأحيينا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء بلدة ميتاً قد أجدبت وقحطت، فلا زرع فيها ولا نبت.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ الخُرُوجُ﴾ يقول تعالى ذكره: كما أنبتنا بهذا الماء هذه الأرض الميتة، فأحييناها به، فأخرجنا نباتها وزرعها، كذلك نخرجكم يوم القيامة أحياء من قبوركم من بعد بلائكم فيها بما ينزل عليها من الماء.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿كذَّبتْ﴾ قبل هؤلاء المشركين الذين كذّبوا محمداً ﷺ من قومه ﴿قَوْمُ نوحٍ وأصحْابُ الرَّسِّ﴾ وقد مضى ذكرنا قبل أمر أصحاب الرسّ، وأنهم قوم رسُّوا نبيهم في بئر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي بكر، عن عكرِمة بذلك.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿أصْحابُ الرَّسِّ﴾ والرس: بئر قُتل فيها صاحب يس.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿أصْحابُ الرَّسِّ﴾ قال: بئر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن عمرو بن عبد الله، عن قتادة أنه قال: إن أصحاب الأيكة، ﴿والأيكة﴾: الشجر الملتفّ، وأصحاب الرّسّ كانتا أمتين، فبعث الله إليهم نبياً واحداً شعيباً، وعذّبهما الله بعذابين ﴿وثَمُودُ وعَادٌ وَفِرْعُوْنُ وَإخْوَانُ لُوطٍ وأصْحابُ الأيْكَةِ﴾ وهم قوم شعيب، وقد مضى خبرهم قبل ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾.

وكان قوم تُبَّعٍ أهل أوثان يعبدونها، فيما:

حدثنا به ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق.

وكان من خبره وخبر قومه ما:

حدثنا به مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا عمران بن حُدَير، عن أبي مجلز، عن ابن عباس، أنه سأل عبد الله بن سلام، عن تُبَّع ما كان؟ فقال: إن تبعاً كان رجلاً من العرب، وإنه ظهر على الناس، فاختار فِتية من الأخيار فاستبطنهم واستدخلهم، حتى أخذ منهم وبايعهم، وإن قومه استكبروا ذلك وقالوا: قد ترك دينكم، وبايع الفِتية فلما فشا ذلك، قال للفتية، فقال الفتية: بيننا وبينهم النار تُحرِق الكاذب، وينجو منها الصادق، ففعلوا، فعلق الفتية مصاحفهم في أعناقهم، ثم غدوا إلى النار، فلما ذهبوا أن يدخلوها، سفعت النار في[1] وجوههم، فنكصوا عنها، فقال لهم تبَّع: لتدخلنها فلما دخلوها أفرجت عنهم حتى قطعوها، وأنه قال لقومه ادخلوها فلما ذهبوا يدخلونهاسفعت النار وجوههم، فنكصوا عنها، فقال لهم تُبَّع: لتدخلنها، فلما دخلوها أفرجت عنهم، حتى إذا توسطوا أحاطت بهم، فأحرقتهم، فأسلم تُبع، وكان تُبَّع رجلاً صالحاً.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن أبي مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي، قال: سمعت إبراهيم بن محمد القرظي، قال: سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبد الله يحدّث أن تبعاً لما دنا من اليمن ليدخلها، حالت حِمْيَر بينه وبين ذلك، وقالوا لا تدخلها علينا، وقد فارقت ديننا فدعاهم إلى دينه، وقال: إنه دين خير من دينكم، قالوا: فحاكمنا إلى النار، قال نعم، قال: وكانت في اليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم فيما بينهم فيما يختلفون فيه، تأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم فلما قالوا ذلك لتبَّع، قال: أنصفتم، فخرج قومه بأوثانهم، وما يتقرّبون به في دينهم قال: وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديهما، حتى قعدوا للنار عند مخرجها التي تخرج منه، فخرجت النار إليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها، فرموهم من حضرهم من الناس، وأمروهم بالصبر لها، فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قرّبوا معها، ومن حمل ذلك من رجال حِمْيَر وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما، تعرق جباههما لم تضرّهما، فأطبقت حِمْيَر، عند ذلك على دينه، فمن هنالك وغير ذلك كان أصل اليهودية باليمن.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق عن بعض أصحابه أن الحَبرين، ومن خرج معهما من حِمْيَر، إنما اتبعوا النار ليردّوها، وقالوا: من ردّها فهو أولى بالحقّ فدنا منهم رجال من حمير بأوثانهم ليردُّوها، فدنت منهم لتأكلهم، فحادوا فلم يستطيعوا ردّها، ودنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يتلوان التوراة، وتنكص حتى ردّاها إلى مخرجها الذي خرجت منه،

---

(١) كذا في الأصل، وسيجيء نظيره قريباً بإسقاط (في) من الكلام. ولعله زاد (في) على التضمين.

فأطبقت عند ذلك على دينهما، وكان رئام بيتاً لهم يعظمونه، وينحرون عنده، ويكلمون منه، إذ كانوا على شركهم، فقال الحبران لتبّع إنما هو شيطان يعينهم ويلعب بهم، فخلّ بيننا وبينه، قال: فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلباً أسود، فذبحاه، ثم هدما ذلك البيت، فبقاياه اليوم باليمن كما ذُكر لي.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن لهيعة، عن عمرو بن جابر الحضرميّ، حدثه قال: سمعت سهل بن سعد الساعدي، يحدّث عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تَلْعَنُوا تُبَّعاً فإنَّهُ كانَ قَدْ أسْلَمَ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد أن شعيب بن زرعة المعافريّ، حدثه، قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وقال له رجل: إن حِمْيَر تزعم أن تبعاً منهم، فقال: نعم والذي نفسي بيده، وإنه في العرب كالأنف بين العينين، وقد كان منهم سبعون ملكاً.

وقوله: ﴿**كُلّ كَذَّب الرُّسُلَ فَحَق وَعَيدِ**﴾ يقول تعالى ذكره: كلّ هؤلاء الذين ذكرناهم كذّبوا رسل الله الذين أرسلهم ﴿**فَحَقَّ وَعِيد**﴾ يقول: فوجب لهم الوعيد الذي وعدناهم على كفرهم بالله، وحل بهم العذاب والنقمة. وإنما وصف ربنا جلّ ثناؤه ما وصف في هذه الآية من إحلاله عقوبته بهؤلاء المكذّبين الرسل ترهيباً منه بذلك مشركي قريش وإعلاماً منه لهم أنهم إن لم ينيبوا من تكذيبهم رسوله محمداً ﷺ، أنه محلّ بهم من العذاب، مثل الذي أحلّ بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**فَحَقَّ وَعِيدِ**﴾ قال: ما أهلكوا به تخويفاً لهؤلاء.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)﴾.

وهذا تقريع من الله لمشركي قريش الذين قالوا: ﴿**أئِذَا مِتْنَا وكُنَّا تُرَاباً ذَلِك رَجْعٌ بَعِيدٌ**﴾ يقول لهم جلّ ثناؤه: أفعيينا بابتداع الخلق الأوّل الذي خلقناه، ولم يكن شيئاً فنعيا بإعادتهم خلقاً جديداً بعد بلائهم في التراب، وبعد فنائهم يقول: ليس يعيينا ذلك، بل نحن عليه قادرون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**أَفَعَيِينا بالخَلْقِ الأوَّلِ**﴾ يقول: لم يعينا الخلق الأوّل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**أَفَعَيِينا بالخَلْقِ الأوَّلِ**﴾ يقول: أفعيي علينا حين أنشأناكم خلقاً جديداً، فتمتروا بالبعث.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن أبي ميسرة ﴿**أَفَعَيِينا بالخَلْقِ الأوَّلِ**﴾ قال: إنا خلقناكم.

وقوله: ﴿**بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: ما يشكّ هؤلاء المشركون المكذّبون بالبعث أنا لم نعي بالخلق الأوّل، ولكنهم في شكّ من قُدرتنا على أن نخلقهم خلقاً جديداً بعد فنائهم، وبَلائهم في قبورهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**بَلْ هُمْ في لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ يقول: في شكّ من البعث.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن أبي ميسرة ﴿**بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ**﴾ قال: الكفار ﴿**مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ قال: أن يخلقوا من بعد الموت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ**﴾: أي شكّ والخلق الجديد: البعث بعد الموت، فصار الناس فيه رجلين: مكذّب، ومصدّق.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله ﴿**فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ قال: البعث من بعد الموت.

وقوله: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ**﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تحدّث به نفسه، فلا يخفى علينا سرائره وضمائر قلبه ﴿**ونَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ**﴾ يقول: ونحن أقرب للإنسان من حبل العاتق؛ والوريد: عرق بين الحلقوم والعلباوين، والحبل: هو الوريد، فأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظ اسميه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿ونَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ﴾** يقول: عرق العنق.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿حَبْلِ الوَرِيدِ﴾** قال: الذي يكون في الحلق.

وقد اختلف أهل العربية في معنى قوله: **﴿ونَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ﴾** فقال بعضهم: معناه: نحن أملك به، وأقرب إليه في المقدرة عليه. وقال آخرون: بل معنى ذلك: **﴿ونَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيد﴾** بالعلم بما تُوَسْوس به نفسه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ونحن أقرب إلى الإنسان من وريد حلقه، حين يتلقى الملَكان، وهما المتلقيان **﴿عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشّمالِ قَعِيد﴾** وقيل: عنى بالقعيد: الرصد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿قَعِيدٌ﴾** قال: رَصَد.

واختلف أهل العربية في وجه توحيد قعيد، وقد ذُكر من قبل متلقيان، فقال بعض نحويي البصرة: قيل: **﴿عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشّمالِ قَعِيدٌ﴾** ولم يقل: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، أي أحدهما، ثم استغنى، كما قال: **﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾** ثم استغنى بالواحد عن الجمع، كما قال: **﴿فإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً﴾**. وقال بعض نحويي الكوفة **﴿قَعِيدٌ﴾** يريد: قعوداً عن اليمين وعن الشمال، فجعل فعيل جمعاً، كما يجعل الرسول للقوم وللاثنين، قال الله عزّ وجلّ: **﴿إنا رَسُولُ رَبّ العالَمِينَ﴾** لموسى وأخيه، وقال الشاعر:

أَلِكْنِي إلَيْهَا وَخَيْرُ الرَّسُو لِ أعْلَمُهُمْ بِنَوَاحِي الخَبَرْ[(١)]

فجعل الرسول للجمع، فهذا وجه وإن شئت جعلت القعيد واحداً اكتفاء به من صاحبه، كما قال الشاعر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنا وأنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ والرَّأيُ مُخْتَلِفُ[(٢)]

ومنه قول الفَرَزدق:

إنّي ضَمِنْتُ لِمَنْ أتانِي ما جَنى وأبى فَكانَ وكُنْتُ غَيرَ غَدُورِ[(٣)]

ولم يقل: غَدُورَيْن. وقوله: ﴿**ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: ما يلفظ الإنسان من من قول فيتكلم به، إلا عندما يلفظ به من قول رقيب عَتيد، يعني حافظ يحفظه، عتيد مُعَدّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) البيت لأبي ذؤيب «**اللسان**»: رسل وروايته فيه كرواية المؤلف هنا، وقد نقلها المؤلف عن «**معاني القرآن**» للفراء (الورقة ٣٠٩) وفي «**اللسان**» ألك: بخبر الرسول. وأعلمهم بهمزة المتكلم في المضارع. وقال في رسل: وفي التنزيل العزيز: ﴿إنا رسول رب العالمين﴾ ولم يقل رسل لأن فعولاً وفعيلاً يستوى فيهما المذكر والمؤنث، والواحد والجمع مثل عدو وصديق. وقول أبي ذؤيب:

«ألكني إليها...... البيت»

أراد بالرسول: الرسل، فوضع الواحد موضع الجمع، كقولهم: كثر الدينار والدرهم لا يريدون به الدينار بعينه، إنما يريدون كثرة الدنانير والدراهم. وفي «**اللسان**» ألك ألكني: أي أبلغ رسالتي، من الألوك والمألكة، وهي الرسالة. وقال الفراء في «**معاني القرآن**» عند قوله تعالى: ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ لم يقل قعيدان: وروي عن ابن عباس قال: قعيدان، عن اليمين وعن الشمال، يريد قعود (بضم القاف) فجعل القعيد جمعاً، كما تجعل الرسول للقوم وللاثنين، كما قال الله: ﴿إنا رسول رب العالمين﴾ لموسى وأخيه، وقال الشاعر:

«ألكني إليها...... البيت» اهـ

(٢) البيت لقيس بن الخطيم، وقد تقدم الاستشهاد به في (١٠/١٢٢) من هذه الطبعة وشرحناه هناك شرحاً مفصلاً، فارجع إليه ثمة. وانظر الكتاب لسيبويه (١/٣٨).

(٣) البيت للفرزدق الكتاب لسيبويه طبعة مصر (١/٣٨) وهو من شواهد النحويين في باب التنازع. فإن قوله كان وكنت يطلب الخبر وهو قوله «غير غدور» والأصل: وكنت غير غدور وكان غير غدور. والعرب تحذف في مثل هذا خبر أحد العاملين، اكتفاء بدلالة خبره على المحذوف. وعند البصريين أن الخبر الموجود هو خبر الثاني لا الأول فقد حذف خبره، وهو ظاهر في الشاهد الذي قبل هذا:

«نحن بما عندنا....

الخ (وقال الفراء في «**معاني القرآن**» الورقة ٣٠٩ ومثله) أي مثل الشاهد الذي قبله، قول الفرزدق:

«إني ضمنت.....

البيت»، ولم يقل غدورين. وقد نقل المؤلف كلامه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**عن اليمين وَعَنِ الشّمالِ قَعِيدٌ**﴾ قال: عن اليمين الذي يكتب الحسنات، وعن الشمال الذي يكتب السيئات.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم التيميّ، في قوله: ﴿**إِذْ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشّمالِ قَعِيدٌ**﴾ قال: صاحب اليمين أمير أو أمين على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: أمسك لعله يتوب.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عمرو، عن منصور، عن مجاهد ﴿**إذ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيانِ عنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشّمالِ قَعِيدٌ**﴾ قال ملك عن يمينه، وآخر عن يساره، فأما الذي عن يمينه فيكتب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشرّ.

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، قال: مع كل إنسان مَلكان: ملك عن يمينه، وملك عن يساره قال: فأما الذي عن يمينه، فيكتب الخير، وأما الذي عن يساره فيكتب الشرّ.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ**﴾... إلى ﴿**عَتِيدٌ**﴾ قال: جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل، وحافظين في النهار، يحفظان عليه عمله، ويكتبان أثره.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إِذْ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشّمالِ قَعِيدٌ**﴾، حتى بلغ ﴿**عَتِيدٌ**﴾ قال الحسن وقتادة ﴿**ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ**﴾ أي ما يتكلم به من شيء إلا كتب عليه. وكان عكرِمة يقول: إنما ذلك في الخير والشرّ يكتبان عليه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: تلا الحسن ﴿**عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشّمالِ قَعِيدٌ**﴾ قال: فقال: يا ابن آدم بُسِطت لك صحيفة، ووكل بك ملَكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل بما شئت أقلل أو أكثر، حتى إذا متّ طويت صحيفتك، فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول: ﴿**وكُلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ...**﴾ حتى بلغ ﴿**حَسِيباً**﴾ عَدَل والله عليك من جعلك حسيب نفسك.

حدثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ**﴾ قال: كاتب الحسنات عن يمينه، وكاتب السيئات عن شماله.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: بلغني أن كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا أذنب قال له: لا تعجل لعله يستغفر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ قال: جعل معه من يكتب كلّ ما لفظ به، وهو معه رقيب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن هشام الحمصي، أنه بلغه أن الرجل إذا عمل سيئة قال كاتب اليمين لصاحب الشمال: اكتب، فيقول: لا بل أنت اكتب، فيمتنعان، فينادي مناد: يا صاحب الشمال اكتب ما ترك صاحب اليمين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝٢٠﴾.

وفي قوله: ﴿**وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقّ**﴾ وجهان من التأويل، أحدهما: وجاءت سكرة الموت وهي شدّته وغلبته على فهم الإنسان، كالسكرة من النوم أو الشراب بالحقّ من أمر الآخرة، فتبينه الإنسان حتى تثبته وعرفه. والثاني: وجاءت سكرة الموت بحقيقة الموت.

وقد ذُكر عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه أنه كان يقرأ «وَجاءَتْ سَكْرَةُ الحَقّ بالمَوْتِ». ذكر الرواية بذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن واصل، عن أبي وائل، قال: لما كان أبو بكر رضي الله عنه يقضي، قالت عائشة رضي الله عنها هذا، كما قال الشاعر:

إذَا حَشْرَجَتْ يَوْماً وَضَاقَ بِها الصَّدْرُ[1]

---

(١) هذا عجز بيت، وصدره كما في «اللسان» حشرج

لعمرك ما يغني الثراء ولا الغنى

قال: الحشرجة تردد صوت النفس وهو الغرغرة في الصدور. وفي حديث عائشة ودخلت على أبيها ـ رضي الله عنهما ـ عند موته، فأنشدت:

«لعمرك...... البيت»

=

فقال أبو بكر رضي الله عنه: لا تقولي ذلك، ولكنه كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقّ[(١)] ذلكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾. وقد ذُكر أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود. ولقراءة من قرأ ذلك كذلك من التأويل وجهان: :

أحدهما: وجاءت سكرة الله بالموت، فيكون الحقّ هو الله تعالى ذكره. والثاني: أن تكون السكرة هي الموت أُضيفت إلى نفسها، كما قيل: ﴿إنَّ هذَا لهُوَ حَقُّ اليَقِينِ﴾. ويكون تأويل الكلام: وجاءت السكرةُ الحقُّ بالموت.

وقوله: ﴿ذلكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ يقول: هذه السكرة التي جاءتك أيها الإنسان بالحقّ هو الشيء الذي كنت تهرب منه، وعنه تروغ.

وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذلكَ يَوْمُ الوَعِيدِ﴾ قد تقدّم بياننا عن معنى الصُّور، وكيف النَّفخ فيه بذكر اختلاف المختلفين. والذي هو أولى الأقوال عندنا فيه بالصواب، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿ذلكَ يَوْمُ الوَعِيدِ﴾ يقول: هذا اليوم الذي ينفخ فيه هو يوم الوعيد الذي وعده الله الكفار أن يعذّبهم فيه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: وجاءت يوم ينفخ في الصور كلّ نفس ربها، معها سائق يسوقها إلى الله، وشهيد يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير أو شرّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

= فقال: ليس كذلك، ولكن: «وجاء سكرة الحق بالموت». وهي قراءة منسوبة إليه وقال الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٠٩) عند قوله تعالى: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾: وفي قراءة عبد الله (ابن مسعود) وإن شئت جعلت السكرة هي الموت، أضفتها إلى نفسها كأنك قلت: جاءت السكرة الحق بالموت ا هـ. قلت: وهذا البيت لحاتم الطائي، وروايته في ديوانه (لندن سنة ١٨٧٢ ص ـ ٣٩).

أماوِيَّ ما يُغْنِي الثَّرَاءُ عنِ الفَتَى ... إذا حَشْرَجَتْ يوماً وَضَاقَ بها الصَّدْرُ

(١) لعله سكرة الحق بالموت فإنها قراءة الصديق رضي الله عنه إلا أن تكون القراءة الأخرى رويت عنه أيضاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن يحيى بن رافع مولى لثقيف، قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب، فقرأ هذه الآية ﴿**سائِقٌ وشَهِيدٌ**﴾ قال: سائق يسوقها إلى الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت.

قال: ثنا حكام، عن إسماعيل، عن أبي عيسى، قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب، فقرأ هذه الآية ﴿**وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ**﴾ قال: السائق يسوقها إلى أمر الله، والشهيد يشهد عليها بما عملت.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ**﴾ قال: السائق من الملائكة، والشهيد: شاهد عليه من نفسه.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سفيان، عن مهران، عن خصِيف، عن مجاهد ﴿**سائِقٌ وشَهِيدٌ**﴾ سائق يسوقها إلى أمر الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**سائِقٌ وشَهِيدٌ**﴾ سائق يسوقها إلى أمر الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله ﴿**سائِقٌ وشَهِيدٌ**﴾ قال: المَلكان: كاتب، وشهيد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ**﴾ قال: سائق يسوقها إلى ربها، وشاهد يشهد عليها بعملها.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان بن حرب، قال: ثنا أبو هلال، قال: ثنا قتادة، في قوله: ﴿**وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ**﴾ قال: سائق يسوقها إلى حسابها، وشاهد يشهد عليها بما عملت.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن ﴿**مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ**﴾ قال: سائق يسوقها، وشاهد يشهد عليها بعملها.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس ﴿**سائِقٌ وشَهِيدٌ**﴾ قال: سائق يسوقها، وشاهد يشهد عليها بعملها.

وحُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ**﴾ السائق من الملائكة، والشاهد من أنفسهم: الأيدي، والأرجل، والملائكة أيضاً شهداء عليهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**سائِقٌ وشَهِيدٌ**﴾ قال: مَلك وُكِّل به يحصي عليه عمله، ومَلك يسوقه إلى محشره حتى يوافي محشره يوم القيامة.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بهذه الآيات فقال بعضهم: عنى بها النبيّ ﷺ. وقال بعضهم: عنى أهل الشرك، وقال بعضهم: عُني بها كلّ أحد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: ثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهريّ، قال: سألت زيد بن أسلم، عن قوله الله: ﴿**وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقّ**﴾... الآية، إلى قوله: ﴿**سائِقٌ وشَهِيدٌ**﴾، فقلت له: من يُراد بهذا؟ فقال رسول الله ﷺ، فقلت له رسول الله؟ فقال: ما تنكر؟ قال الله عزّ وجلّ: ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى**﴾ قال: ثم سألت صالح بن كيسان عنها، فقال لي: هل سألت أحداً؟ فقلت: نعم، قد سألت عنها زيد بن أسلم، فقال: ما قال لك؟ فقلت: بل تخبرني ما تقول، فقال: لأخبرنك برأيي الذي عليه رأيي، فأخبرني ما قال لك؟ قلت: قال: يُراد بهذا رسول الله ﷺ، فقال: وما علم زيد؟ والله ما سنٌّ عالية، ولا لسان فصيح، ولا معرفة بكلام العرب، إنما يُراد بهذا الكافر. ثم قال: اقرأ ما بعدها يدلك على ذلك، قال: ثم سألت حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، فقال لي مثل ما قال صالح: هل سألت أحداً فأخبرني به؟ قلت: إني قد سألت زيد بن أسلم وصالح بن كيسان، فقال لي: ما قالا لك؟ قلت: بل تخبرني بقولك، قال: لأخبرنك بقولي، فأخبرته بالذي قالا لي، قال: أخالفهما جميعاً، يريد بها البرّ والفاجر، قال الله: ﴿**وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقِّ ذلكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ**﴾ قال: فانكشف الغطاء عن البرّ والفاجر، فرأى كلّ ما يصير إليه.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ**﴾ يعني المشركين.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى بها البرّ والفاجر، لأن الله أتبع هذه الآيات قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُه﴾ والإنسان في هذا الموضع بمعنى: الناس كلهم، غير مخصوص منهم بعض دون بعض. فمعلوم إذا كان ذلك كذلك أن معنى قوله: ﴿وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقّ﴾ وجاءتك أيها الإنسان سكرة الموت بالحق ﴿ذلكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ وإذا كان ذلك كذلك كانت بينةً صحة ما قلنا.

وقوله: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ يقول تعالى ذكره: يقال له: لقد كنت في غفلة من هذا الذي عاينت اليوم أيها الأنسان من الأهوال والشدائد ﴿فَكَشَفْنا عَنْكَ غطاءَكَ﴾ يقول: فجلينا ذلك لك، وأظهرناه لعينيك، حتى رأيته وعاينته، فزالت الغفلة عنك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفوا في المقول ذلك له، فقال بعضهم: المقول ذلك له الكافر.

وقال آخرون: هو نبيّ الله ﷺ.

وقال آخرون: هو جميع الخلق من الجنّ والإنس. ذكر من قال: هو الكافر.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ﴾ وذلك الكافر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ﴾ قال: للكافر يوم القيامة.

حدثنا ابن حُميَد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿فَكَشَفْنا عَنْك غِطاءَكَ﴾ قال: في الكافر. ذكر من قال: هو نبيّ الله ﷺ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ قال: هذا رسول الله ﷺ، قال: لقد كنت في غفلة من هذا الأمر يا محمد، كنت مع القوم في جاهليتهم ﴿فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

وعلى هذا التأويل الذي قاله ابن زيد يجب أن يكون هذا الكلام خطاباً من الله لرسوله ﷺ أنه كان في غفلة في الجاهلية من هذا الدين الذي بعثه به، فكشف عنه غطاءه الذي كان عليه في الجاهلية، فنفذ بصره بالإيمان وتبيَّنه حتى تقررّ ذلك عنده، فصار حادّ البصر به. ذكر من قال: هو جميع الخلق من الجنّ والإنس.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهريّ، قال: سألت عن ذلك الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، فقال: يريد به البرّ والفاجر،

﴿فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ قال: وكُشِف الغطاء عن البرّ والفاجر، فرأى كلّ ما يصير إليه. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: **﴿فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ﴾** قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ﴾** قال: الحياة بعد الموت.

حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ﴾** قال: عاين الآخرة.

وقوله: **﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾** يقول: فأنت اليوم نافذ البصر، عالم بما كنت عنه في الدنيا في غفلة، وهو من قولهم: فلان بصير بهذا الأمر: إذا كان ذا علم به، وله بهذا الأمر بصر: أي علم.

وقد رُوي عن الضحاك إنه قال: معنى ذلك **﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾** لسان الميزان، وأحسبه أراد بذلك أن معرفته وعلمه بما أسلف في الدنيا شاهد عدل عليه، فشبَّه بصره بذلك بلسان الميزان الذي يعدل به الحقّ في الوزن، ويعرف مبلغه الواجب لأهله عما زاد على ذلك أو نقص، فكذلك علم من وافى القيامة بما اكتسب في الدنيا شاهد عليه كلسان الميزان.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال قرين هذا الإنسان الذي جاء به يوم القيامة معه سائق وشهيد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَقالَ قَرِينُهُ هَذَا ما لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾** الملك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وقَالَ قَرِينُهُ هَذَا ما لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾**... إلى آخر الآية، قال: هذا سائقه الذي وُكّل به، وقرأ **﴿وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهيدٌ﴾**.

وقوله: **﴿هَذَا ما لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾** يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل قَرِينِ هذا الإنسان عند

موافاته ربه به، ربّ هذا ما لديّ عتيد: يقول: هذا الذي هو عندي معدّ محفوظ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ**﴾ قال: والعتيد: الذي قد أخذه، وجاء به السائق والحافظ معه جميعاً.

وقوله: ﴿**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾ فيه متروك استغنى بدلالة الظاهر عليه منه، وهو: يقال ألقيا في جهنم، أو قال تعالى: ألقيا، فأخرج الأمر للقرين، وهو بلفظ واحد مخرج خطاب الاثنين. وفي ذلك وجهان من التأويل: أحدهما: أن يكون القرين بمعنى الاثنين، كالرسول، والاسم الذي يكون بلفظ الواحد في الواحد، والتثنية والجمع، فردّ قوله: ﴿**أَلْقِيَا في جَهَنَّمَ**﴾ إلى المعنى. والثاني: أن يكون كما كان بعض أهل العربية يقول، وهو أن العرب تأمر الواحد والجماعة بما تأمر به الاثنين، فتقول للرجل ويلك أرحلاها وازجراها، وذكر أنه سَمِعها من العرب قال: وأنشدني بعضهم:

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لا تَحْبِسانا ... بِنَزْعِ أُصُولِهِ واجْتَزَّ شِيحا[(١)]

وقال: وأنشدني أبو ثروان:

فإنْ تَزْجُرانِي يا بْنَ عَفَّانَ أنْزَجِرْ ... وَإنْ تَدَعانِي أحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعا[(٢)]

---

(١) البيت لمضرس بن ربعي الفقعسي الأسدي، وليس ليزيد بن الطثرية كما نسبه الكسائي وثعلب إليه، وأخذه عنه الجوهري في «**الصحاح**» قاله ياقوت فيما كتبه على «**الصحاح**». وفي روايته: «الحاطبي» في موضع لصاحبي، وقوله: «لا تحبسنا»، فإن العرب ربما خاطبت الواحد بلفظ الاثنين (انظر شرح شواهد الشافية لعبد القادر البغدادي طبع القاهرة). وقال الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٣٠٩) عند قوله تعالى: ﴿ألقيا في جهنم﴾. العرب تأمر الواحد والقوم بما يؤمر به الاثنان، فيقولان للرجل قوما عنا. وسمعت بعضهم يقول: ويحك أرحلاها وازجراها وأنشدني بعضهم:

«فقلت لصاحبي.... البيت».

قال: ويروى: واجدز يريد: اجتز. ا هـ.

(٢) وهذا البيت أيضاً من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٣٠٩) على ما تقدم في نظيره من أن العرب قد تخاطب القوم والواحد بما تخاطب به الاثنين. قال بعد أن أنشد البيت: ونرى أن ذلك منهم أن الرجل أدنى أعوانه في إبله وغنمه اثنان، وكذلك الرفقة أدنى ما يكونون ثلاثة، فجرى كلام الواحد على صاحبيه ا هـ.

وقال في «**اللسان**» جزر إن العرب ربما خاطبت الواحد بلفظ الاثنين، كما قال سويد بن كراع العكلي:

تقول ابنة العوفي ليلى ألا ترى ... إلى ابن كراع لا يزال مفزعاً

مخافة هذين الأميرين سهدت ... رقادي وغشتني بياضاً مقزعاً

فإن أنتما أحكمتماني فازجرا ... أراهط تؤذيني من الناس رضعا =

قال: فيروي أن ذلك منهم أن الرجل أدنى أعوانه في إبله وغنمه اثنان، وكذلك الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة، فجرى كلام الواحد على صاحبيه، وقال: ألا ترى الشعراء أكثر شيء قيلاً يا صاحبيّ يا خليليّ، وقال امرؤ القيس:

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلى أُمّ جُنْدَبِ نُقَضِّ لُباناتِ الفُؤادِ المُعَذَّبِ(١)

ثم قال:

أَلَمْ تَرَ أنّي كُلَّما جِئْتُ طارِقاً وَجَدْتُ بِها طِيْبا وَإنْ لَّمْ تَطَيَّبِ(٢)

فرجع إلى الواحد، وأوّل الكلام اثنان؛ قال: وأنشدني بعضهم:

خَلِيلَيَّ قُوما في عَطالَةَ فانْظُرَا: أنارٌ تُرَى مِنْ ذِي أبانَيْنِ أَمْ بَرْقا(٣)

وبعضهم يروي: أناراً نرى.

= وإن تزجراني... البيت.

قال: وهذا يدل على أنه خاطب اثنين: سعيد بن عثمان، ومن ينوب عنه، أو يحضر معه. وقوله فإن أنتما أحكمتماني: دليل أيضاً على أنه يخاطب اثنين. وقوله: أحكمتماني: أي منعتماني من هجائه. وأصله من أحكمت الدابة: إذا جعلت فيها حكمة اللجام وقوله: «وإن تدعاني» أي إن تركتماني حميت عرضي ممن يؤذيني. وإن زجرتماني انزجرت وصبرت والرضع: جمع راضع، وهو اللئيم ا هـ. وعلى هذا لا يكون في البيت شاهد للفراء، ولا للمؤلف.

(١) هذا البيت مطلع قصيدة لامرىء القيس قالها في زوجته أم جندب من طيىء **«مختار الشعر الجاهلي»** بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي (ص - ٤٣) والشاهد فيه أن يخاطب خليله، بلفظ التثنية، لأنهم كانوا ثلاثة في سفر. وبعد هذا المطلع قوله:

فإنكما إن تنظراني ساعة من الدهر تنفعني لدى أم جندب

(٢) وهذا البيت هو ثالث البيتين في القصيدة، وهو لامرىء القيس أيضاً. قال الفراء بعد كلامه الذي سبق في الشاهد الذي قبله: ثم قال: ألم ترى، فرجع إلى الواحد، وأول كلامه اثنان. قلت: وكلام الفراء بناء على روايته في البيت. وهناك رواية أخرى في قوله «ألم ترى» وهي: «ألم تريا» بصيغة الخطاب للمثنى، وهما رفيقاه، ولا شاهد عليها في البيت. وهي رواية الأعلم الشنتمري في شرحه للأشعار الستة، وأثبتها شارح **«مختار الشعر الجاهلي»**.

(٣) البيت لسويد بن كراع العكلي عن **«التاج»**: (عطل) وعطالة: جبل لبني تميم وذو أبانين: أي المكان الذي فيه الجبلان: أبان الأبيض، وهو لبني جريد من بني فزارة خاصة، والأسود لبني والبة من بني الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، ويشركهم فيه فزارة. وبين الجبلين نحو فرسخ، ووادي الرمة يقطع بينهما. قاله البكري في **«معجم ما استعجم»** (ص - ٩٥) وقال الفراء بعد أن روى البيت: بعضهم يرويه: «أنارا ترى» ا هـ. وعلى هذه الرواية الأخيرة لا يكون في البيت شاهد على ما أراده المؤلف من أن العرب تخاطب الواحد بما تخاطب به المثنى. وقوله: «من ذي أبانين» هذه رواية الطبري في الأصل، وهي تختلف عن رواية الفراء في **«معاني القرآن»** (٣٠٩) وهي: «من نحو بابين». قال في **«التاج»** وبابين - مثنى - موضع بالبحرين.

﴿**كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾ يعني: كل جاحد وحدانية الله عنيد، وهو العاند عن الحقّ وسبيل الهدى.

وقوله: ﴿**مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ**﴾ كان قتادة يقول في الخير في هذا الموضع: هو الزكاة المفروضة.

حدثنا بذلك بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة.

والصواب من القول في ذلك عندي أنه كلّ حقّ وجب لله، أو لآدمي في ماله، والخير في هذا الموضع هو المال.

وإنما قلنا ذلك هو الصواب من القول، لأن الله تعالى ذكره عمّ بقوله ﴿**منَّاعٍ للخَيْرِ**﴾ عنه أنه يمنع الخير ولم يخصص منه شيئاً دون شيء، فذلك على كلّ خير يمكن منعه طالبه.

وقوله: ﴿**مُعْتَدٍ**﴾ يقول: معتد على الناس بلسانه بالبذاء والفحش في المنطق، وبيده بالسطوة والبطش ظلماً. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: معتد في منطقه وسيرته وأمره.

وقوله: ﴿**مُرِيبٍ**﴾ يعني: شاكّ في وحدانية الله وقُدرته على ما يشاء. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**مُرِيبٍ**﴾: أي شاكّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الذي أشرك بالله فعبد معه معبوداً آخر من خلقه ﴿**فألْقِياهُ فِي العَذَابِ الشَّدِيدِ**﴾ يقول: فألقياه في عذاب جهنم الشديد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال قرين هذا الإنسان الكفّار المنّاع للخير، وهو شيطانه الذي كان موكلاً به في الدنيا. كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿**قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أطْغَيْتُهُ**﴾ قال: قرينه شيطانه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿قالَ قَرِينُهُ﴾** قال: الشيطان قُيِّض له.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إلَهاً آخَرَ﴾** هو المشرك **﴿قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أطْغَيْتُهُ﴾** قال: قرينه الشيطان.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أطْغَيْتُهُ﴾** قال: قرينه الشيطان.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أطْغَيْتُهُ﴾** قال: قرينه شيطانه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أطْغَيْتُهُ﴾** قال: قرينه من الجنّ: ربنا ما أطغيته، تبرأ منه.

وقوله: **﴿رَبَّنا ما أطْغَيْتُهُ﴾** يقول: ما أنا جعلته طاغياً متعدّياً إلى ما ليس له، وإنما يعني بذلك الكفر بالله **﴿وَلَكِنْ كانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾** يقول: ولكن كان في طريق جائر عن سبيل الهدى جوراً بعيداً. وإنما أخبر تعالى ذكره هذا الخبر، عن قول قرين الكافر له يوم القيامة، إعلاماً منه عباده، تبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿رَبَّنا ما أطْغَيْتُهُ﴾** قال: تبرأ منه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: ثنا عبد الله بن أبي بكر، قال: ثنا جعفر، قال: سمعت أبا عمران يقول في قوله: **﴿رَبَّنا ما أطْغَيْتُهُ﴾** تبرأ منه.

وقوله: **﴿لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾** يقول تعالى ذكره: قال الله لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم، وصفة قرنائهم من الشياطين **﴿لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾** اليوم **﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إلَيْكُمْ﴾** في الدنيا قبل اختصامكم هذا، بالوعيد لمن كفر بي، وعصاني، وخالف أمري ونهيي في كتبي، وعلى ألسن رسلي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: ثنا عبد الله بن أبي بكر، قال: ثنا جعفر، قال: سمعت أبا عمران يقول في قول الله: ﴿**وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بالوَعِيدِ**﴾ قال: بالقرآن.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ**﴾ قال: إنهم اعتذروا بغير عذر، فأبطل الله حجتهم، وردّ عليهم قولهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بالوَعِيدِ**﴾ قال: يقول: قد أمرتكم ونهيتكم، قال: هذا ابن آدم وقرينه من الجن.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع، قال: قلت لأبي العالية ﴿**لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بالوَعِيدِ**﴾ قال أبو جعفر الطبريّ: أحسبه قال: هم أهل الشرك، وقال في آية أخرى ﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ**﴾ فهم أهل القبلة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيله للمشركين وقرنائهم من الجنّ يوم القيامة، إذ تبرأ بعضهم من بعض: ما يغير القول الذي قلته لكم في الدنيا، وهو قوله ﴿**لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أجمَعِينَ**﴾، ولا قضائي الذي قضيته فيهم فيها. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**ما يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ**﴾ قد قضيت ما أنا قاض.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد، في قوله: ﴿**ما يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ**﴾ قال: قد قضيت ما أنا قاض.

وقوله: ﴿**وَما أنا بِظَلاَّمٍ للْعَبِيدِ**﴾ يقول: ولا أنا بمعاقب أحداً من خلقي بجرم غيره، ولا حامل على أحد منهم ذنب غيره فمعذّبه به.

وقوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ يقول: وما أنا بظلام للعبيد في ﴿يَوْمَ نَقُولُ لجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلأْتِ﴾ وذلك يوم القيامة، ويوم نقول من صلة ظلاّم. وقال تعالى ذكره لجهنم يوم القيامة: ﴿هَلِ امْتَلأْتِ﴾؟ لما سبق من وعده إياها بأنه يملؤها من الجِنَّة والناس أجمعين.

وأما قوله: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معناه: ما من مزيد. قالوا: وإنما يقول الله لها: هل امتلأت بعد أن يضع قدمه فيها، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قطِ قطِ، من تضايقها فإذا قال لها وقد صارت كذلك: هل امتلأت؟ قالت حينئذ: هل من مزيد: أي ما من مزيد، لشدّة امتلائها، وتضايق بعضها إلى بعض.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ قال ابن عباس: إن الله الملك تبارك وتعالى قد سبقت كلمته ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ﴾ فلما بعث الناس وأحضروا، وسيق أعداء الله إلى النار زمراً، جعلوا يقتحمون في جهنم فوجاً فوجاً، لا يلقى في جهنم شيء إلا ذهب فيها، ولا يملؤها شيء، قالت: ألستَ قد أقسمت لتملأني من الجِنَّة والناس أجمعين؟ فوضع قدمه، فقالت حين وضع قدمه فيها: قدِ قدِ، فإني قد امتلأت، فليس لي مزيد، ولم يكن يملؤها شيء، حتى وَجَدَتْ مسّ ما وُضع عليها، فتضايقت حين جُعل عليها ما جعل، فامتلأت فما فيها موضع إبرة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ قال: وعدها الله ليملأنها، فقال: هلا وفيتِك؟ قالت: وهل من مَسلِك.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ كان ابن عباس يقول: إن الله الملك، قد سبقت منه كلمة ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ لا يلقى فيها شيء إلا ذهب فيها، لا يملؤها شيء، حتى إذا لم يبق من أهلها أحد إلا دخلها، وهي لا يملؤها شيء، أتاها الربّ فوضع قدمه عليها، ثم قال لها: هل امتلأتِ يا جهنم؟ فتقول: قطِ قطِ قد امتلأت، ملأتني من الجنّ والإنس فليس فيّ مزيد قال ابن عباس: ولم يكن يملؤها شيء حتى وجدت مسّ قدم الله تعالى ذكره، فتضايقت، فما فيها موضع إبرة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: زدني، إنما هو هل من مزيد، بمعنى الاستزادة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن ثابت، عن أنس، قال: يلقى في جهنم وتقول: هل من مزيد ثلاثاً، حتى يضع قدمه فيها، فينزوي بعضها إلى بعض، فتقول: قطِ قطِ، ثلاثاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ لأنها قد امتلأت، وهل من مزيد: هل بقي أحد؟ قال: هذان الوجهان في هذا، والله أعلم، قال: قالوا هذا وهذا.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو بمعنى الاستزادة، هل من شيء أزداده؟

وإنما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ بما:

حدثني أحمد بن المقدام العجلي، قال: ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاويّ، قال: ثنا أيوب، عن محمد، عن أبي هُريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ، لَمْ يَظْلِمِ اللَّهُ أحَداً مِنْ خَلْقِهِ شَيْئاً، وَيُلْقِي فِي النَّارِ، تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حتى يَضَعَ عَلَيْها قَدَمَهُ، فَهُنالكَ يَمْلؤُها، وَيُزْوَى بَعْضُها إلى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ».

حدثنا أحمد بن المقدام، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي يحدّث عن قتادة، عن أنس، قال: ما تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الله عليها قدمه، فتقول: قدِ قدِ، وما يزال في الجنة فضل حتى ينشيء الله خلقاً، فيُسكنه فضول الجنة.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا أيوب وهشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هُريرة، قال: اختصمت الجنة والنار، فقالت الجنة: ما لي إنما يدخلني فقراء الناس وسقطهم وقالت النار: ما لي إنما يدخلني الجبارون والمتكبرون، فقال: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء، وأنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكلّ واحدة منكما ملؤها. فأما الجنة فإن الله ينشيء لها من خلقه ما شاء. وأما النار فيُلقون فيها وتقول: هل من مزيد؟ ويلقون فيها وتقول هل من مزيد، حتى يضع فيها قدمه، فهناك تملأ، ويزوى بعضها إلى بعض، وتقول: قط، قط[١].

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ثور، عن محمد بن سيرين،

---

(١) قط قط، وتقدم قبله: قد قد. وهما بمعنى: كفى كفى.

عن أبي هريرة أن النبيّ ﷺ قال: «احْتَجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ، فَقالَتِ الجَنَّةُ: مالي لا يَدْخُلُنِي إلا فُقَرَاءُ النَّاسِ؟ وَقالتِ النَّارُ: مالي لا يَدْخُلُنِي إلاَّ الجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ؟ فَقالَ للنَّارِ: أنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أشاءُ وَقالَ لِلْجَنَّةِ: أنْتِ رَحْمَتِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أشاءُ، وَلِكُلّ وَاحِدَةٍ مِنْكُما مِلْؤُها فأمَّا الجَنَّةُ فإنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يُنْشىءُ لَهَا ما شاء وأمَّا النَّارَ فَيُلْقَوْنَ فِيها وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حتى يَضَعَ قَدَمَهُ فِيها، هُنالَكَ تَمْتَلِىء، وَيَنْزوِي بَعْضُها إلى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ، قَطْ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيها وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حتى يَضَعَ رَبُّ العالَمِينَ قَدَمَهُ، فيَنْزَوِي بَعْضُها إلى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَدْ، قَدْ، بِعِزَّتِك وكَرَمِكَ، وَلا يَزَالُ فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ حتى يُنْشىءَ اللَّهُ لَهَا خَلْقاً فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجَنَّةِ».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا أبان العطار، قال: ثنا قتادة، عن أنس، أن رسول الله ﷺ، قال: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُول هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حتى يَضَعَ رَبُّ العالَمِينَ فِيها قَدَمَه، فَيَنْزَوِي بَعْضُها إلى بَعْض، فَتَقُولُ: بِعِزَّتِكَ قَطْ، قَطْ وَما يَزَالُ فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ حتى يُنْشِىءَ اللَّهُ خَلْقاً فَيُسْكِنَه في فَضْلِ الجَنَّةِ».

قال: ثنا عمرو بن عاصم الكلابي، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، قال: ثنا قتادة، عن أنس، قال: ما تزال جهنم تقول: هل من مزيد، فذكر نحوه غير أنه قال: أو كما قال.

حدثنا زياد بن أيوب، قال: ثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس، عن النبيّ ﷺ، قال: «احْتَجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ، فَقالَتِ النَّارُ: يَدْخُلُنِي الجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ وَقالَتِ الجَنَّةُ: يَدْخُلُنِي الفُقَرَاءُ وَالمَساكِينُ فأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إلى الجَنَّة: أنْتِ رَحْمَتِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أشاءُ وأَوْحَى إلى النَّارِ: أنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ مَن أشاءُ، وَلِكُلّ وَاحِدَةٍ مِنْكُما مِلْؤُها فأَمَّا النَّارُ فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حتى يَضَعَ قَدَمَهُ فِيها، فتَقُولُ: قَطْ قَطْ». ففي قول النبيّ ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» دليل واضح على أن ذلك بمعنى الاستزادة لا بمعنى النفي، لأن قوله: «لا تزال» دليل على اتصال قول بعد قول.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣)﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيرَ بَعِيدٍ﴾ وأُدنيت الجنة وقرّبت للذين

اتقوا ربهم، فخافوا عقوبته بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ يقول: وأدنيت ﴿**غَيرَ بَعِيدٍ**﴾.

وقوله: ﴿**هَذَا ما تُوعَدُونَ**﴾ يقول: قال لهم: هذا الذي توعدون أيها المتقون، أن تدخلوها وتسكنوها وقوله: ﴿**لِكُلِّ أوَّابٍ**﴾ يعني: لكل راجع من معصية الله إلى طاعته، تائب من ذنوبه.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: هو المسبح، وقال بعضهم: هو التائب، وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك فيما مضى بما أغني عن إعادته، غير أنا نذكر في هذا الموضع ما لم نذكره هنالك.

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿**لِكُلِّ أوَّابٍ**﴾ قال: لكلّ مسبِّح.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مسلم الأعور، عن مجاهد، قال: الأوّاب: المسبح.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثني يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية، قال: ثني أبي، عن الحكم بن عُتيبة في قول الله: ﴿**لِكُلِّ أوَّابٍ حَفِيظٍ**﴾ قال: هو الذاكر الله في الخلاء.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن يونس بن خباب، عن مجاهد ﴿**لِكُلِّ أوَّابٍ حَفِيظٍ**﴾ قال: الذي يذكر ذنوبه فيستغفر منها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**هَذَا ما تُوعَدُونَ لِكُلِّ أوَّابٍ**﴾.

قال: ثنا مهران، عن خارجة، عن عيسى الحناط، عن الشعبيّ، قال: هو الذي يذكر ذنوبه في خلاء فيستغفر منها ﴿**حَفِيظٍ**﴾: أي مطيع لله كثير الصلاة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**لِكُلِّ أوَّابٍ حَفِيظٍ**﴾ قال: الأوّاب: التوّاب الذي يؤوب إلى طاعة الله ويرجع إليها.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن يونس بن خباب في قوله: ﴿**لِكُلِّ أوَّابٍ حَفِيظٍ**﴾ قال: الرجل يذكر ذنوبه، فيستغفر الله لها.

وقوله: ﴿حَفِيظٍ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: حفظ ذنوبه حتى تاب منها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن أبي إسحاق، عن التميمي، قال: سألت ابن عباس، عن الأوّاب الحفيظ، قال: حفظ ذنوبه حتى رجع عنها.

وقال آخرون: معناه: أنه حفيظ على فرائض الله وما ائتمنه عليه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿حَفِيظٍ﴾ قال: حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمته.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره وصف هذا التائب الأوّاب بأنه حفيظ، ولم يخصّ به على حفظ نوع من أنواع الطاعات دون نوع، فالواجب أن يعمّ كما عمّ جلّ ثناؤه، فيقال: هو حفيظ لكلّ ما قرّ به إلى ربه من الفرائض والطاعات والذنوب التي سلَفت منه للتوبة منها والاستغفار.

وقوله: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بالغَيْبِ﴾ يقول: من خاف الله في الدنيا من قبل أن يلقاه، فأطاعه، واتبع أمره.

وفي ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿مَنْ خَشِيَ﴾ وجهان من الإعراب: الخفض على إتباعه كلّ في قوله: ﴿لِكُلّ أوّابٍ﴾ والرفع على الاستئناف، وهو مراد به الجزاء من خشي الرحمن بالغيب، قيل له ادخل الجنة فيكون حينئذ قوله: ﴿ادْخُلُوها بِسَلامٍ﴾ جواباً للجزاء أضمر قبله القول، وجعل فعلاً للجميع، لأن ﴿مَن﴾ قد تكون في مذهب الجميع.

وقوله: ﴿وَجاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ يقول: وجاء الله بقلب تائب من ذنوبه، راجع مما يكرهه الله إلى ما يرضيه. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَجاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾: أي منيب إلى ربه مُقْبل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ادْخُلُوها بِسَلامٍ﴾ ادخلوا هذه الجنة بأمان من الهمّ والغضب والعذاب، وما كنتم تَلقَونه في الدنيا من المكاره. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ادْخُلُوها بِسَلامٍ﴾ قال: سَلِموا من عذاب الله، وسلَّم عليهم.

وقوله: ﴿ذلكَ يَوْمُ الخُلُودِ﴾ يقول: هذا الذي وصفت لكم أيها الناس صفته من إدخالي الجنة من أدخله، هو يوم دخول الناس الجنة، ماكثين فيها إلى غير نهاية. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ذلكَ يَوْمُ الخُلُودِ﴾ خلدوا والله، فلا يموتون، وأقاموا فلا يَظْعُنون، ونَعِمُوا فلا يبأسون.

وقوله: ﴿لَهُمْ ما يَشاءُونَ فِيها﴾ يقول: لهؤلاء المتقين ما يريدون في هذه الجنة التي أُزلفت لهم من كل ما تشتهيه نفوسهم، وتلذّه عيونهم.

وقوله: ﴿وَلَدَيْنا مَزِيدٌ﴾ يقول: وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التي وصف جلّ ثناؤه صفتها مزيد يزيدهم إياه. وقيل: إن ذلك المزيد: النظر إلى الله جلّ ثناؤه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أحمد بن سُهيل الواسطي، قال: ثنا قُرةُ بن عيسى، قال: ثنا النضر بن عربيّ جده، عن أنس، إن الله عزّ وجلّ إذا أسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، هبط إلى مَرْج من الجنة أفيح، فمدّ بينه وبين خلقه حُجُباً من لؤلؤ، وحُجُباً من نور ثم وُضعت منابر النور وسُرُرُ النور وكراسيّ النور، ثم أُذِن لرجل على الله عزّ وجلّ بين يديه أمثال الجبال من النور يُسْمَع دَويّ تسبيح الملائكة معه، وصَفْق أجنحتهم فمدّ أهل الجنة أعناقهم، فقيل: من هذا الذي قد أُذِن له على الله؟ فقيل: هذا المجعول بيده، والمُعَلَّم الأسماء، والذي أُمرت الملائكة فسجدت له، والذي له أبيحت الجنة، آدم عليه السلام، قد أُذِن له على الله تعالى قال: ثم يؤذَن لرجل آخر بين يديه أمثال الجبال من النور، يُسْمع دَوِيّ تسبيح الملائكة معه، وصَفْقُ أجنحتهم فمدّ أهل الجنة أعناقهم، فقيل: من هذا الذي قد أُذِن له على الله؟ فقيل: هذا الذي اتخذه الله خليلاً، وجعل عليه النار بَرْداً وسلاماً، إبراهيم قد أُذِن له على الله. قال: ثم أُذِن لرجل آخر على الله، بين يديه أمثال الجبال من النور يُسْمَع دَوِيّ تسبيح الملائكة معه، وصَفْق أجنحتهم فمدّ أهل الجنة أعناقهم، فقيل: من هذا الذي قد أُذن له على الله؟ فقيل: هذا الذي اصطفاه الله برسالته[1]

(١) كذا في «**الدر المنثور**» للسيوطي (٦/١٠٨) نقلا عن المؤلف. وفي الأصل برسالاته، وقد سقط من الأصل بعض عبارات ضرورية وضعناها بين هذين المعقوفين ().

وقرّبه نجياً، وكلّمه [كلاماً] موسى عليه السلام، قد أُذِن له على الله. قال: ثم يُؤذن لرجل آخر معه مثلُ جميع مواكب النبيين قبله، بين يديه أمثال الجبال، [من النور] يسمع دَوِيّ تسبيح الملائكة معه، وصَفْق أجنحتهم فمدّ أهل الجنة أعناقهم، فقيل: من هذا الذي قد أُذِن له على الله؟ فقيل: هذا أوّل شافع، وأوّل مشفَّع، وأكثر الناس واردة، وسيد ولد آدم وأوّل من تنشقّ عن ذُؤابتيه الأرض، وصاحب لواء الحمد، أحمد ﷺ، قد أُذِن له على الله. قال: فجلس النبيون على منابر النور، [والصدّيقون على سُرُر النور والشهداء على كراسيّ النور] وجلس سائر الناس على كُثْبان المسك الأذفر الأبيض، ثم ناداهم الربّ تعالى من وارء الحُجب: مَرْحَباً بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي. يا ملائكتي، انهضوا إلى عبادي، فأطعموهم. قال: فقرّبت إليهم من لحوم طير، كأنها البُخت لا ريش لها ولا عظم، فأكلوا، قال: ثم ناداهم الربّ من وراء الحجاب: مرحباً بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي، أكلوا اسقوهم. قال: فنهض إليهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المكنون بأباريق الذهب والفضة بأشربة مختلفة لذيذة، لذة آخرها كلذّة أوّلها، لا يُصَدّعون عنها ولا يُنْزَفون ثم ناداهم الربّ من وراء الحُجب: مرحباً بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا، فكّهوهم. قال: فيقرّب إليهم على أطباق مكلّلة بالياقوت والمرجان ومن الرُّطَب الذي سَمَّى الله، أشدّ بياضاً من اللبن، وأطيب عذوبة من العسل. قال: فأكلوا ثم ناداهم الربّ من وراء الحُجُب: مرحباً بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا، وفُكِّهوا اكسوهم قال ففتحت لهم ثمار الجنة بحلل مصقولة بنور الرحمن فألبسوها. قال: ثم ناداهم الربّ تبارك وتعالى من وراء الحجب: مرحباً بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي أكلوا وشربوا وفُكِّهوا وكُسُوا طَيِّبوهم. قال: فهاجت عليهم ريح يقال لها المُثِيرة، بأباريق المسك [الأبيض] الأذفر، فنفحت على وجوههم من غير غُبار ولا قَتام. قال: ثم ناداهم الربّ عزّ وجلّ من وراء الحُجب: مرحباً بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا وفكهوا، وكسوا وطُيِّبوا، وعزّتي لأتجلينّ لهم حتى ينظروا إليّ قال: فذلك انتهاء العطاء وفضل المزيد قال: فتجلى لهم الربّ عزّ وجلّ، ثم قال: السلام عليكم عبادي، انظروا إليّ فقد رضيت عنكم. قال: فتداعت قصور الجنة وشجرها، سبحانك أربع مرّات، وخرّ القوم سجداً قال: فناداهم الربّ تبارك وتعالى: عبادي ارفعوا رؤوسكم فإنها ليست بدار عمل، ولا دار نَصَب إنما هي دار جزاء وثواب، وعزّتي وجلالي ما خلقتها إلا من أجلكم، وما من ساعة ذكرتموني فيها في دار الدنيا، إلا ذكرتكم فوق عرشي.

حدثنا عليّ بن الحسين بن أبجر، قال: ثنا عمر بن يونس اليمامي، قال: ثنا جهضم بن عبد الله بن أبي الطفيل قال: ثني أبو طيبة، عن معاوية العبسيّ، عن عثمان بن عمير، عن أنس

بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ وفي كَفِّهِ مِرْآةٌ بَيْضاءُ، فِيها نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ» فَقُلْتُ: يا جِبْرِيلُ ما هَذِهِ؟ قالَ: هَذِهِ الجُمُعَةُ، قُلْتُ: فَمَا هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ فِيها؟ قالَ: هِيَ السَّاعَةُ تَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الأَيَّامِ عِنْدَنا، ونَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الآخِرَةِ يَوْمَ المَزِيدِ قُلْتُ: وَلِمَ تَدْعُونَ يَوْمَ المَزِيدِ قالَ: إنَّ رَبَّكَ تَبارَكَ وَتَعالى اتَّخَذَ فِي الجَنَّةِ وَادِياً أَفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ، فإذَا كانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ نَزَلَ مِنْ عِلِّيِّينَ على كُرْسِيِّهِ، ثُمَّ حَفَّ الكُرْسِيَّ بِمَنابِرَ مِنْ نُورٍ، ثُمَّ جاءَ النَّبِيُّونَ حتى يَجْلِسُوا عَلَيْها ثُمَّ تَجِيءُ أَهْلُ الجَنَّةِ حتى يَجْلِسُوا على الكُثُبِ فَيَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ حتى يَنْظُرُوا إلى وَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ: أنا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ عِدَتِي، وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، فَهَذَا مَحلُّ كَرَامَتِي، فَسَلُونِي، فَيَسأَلُونَهُ الرِّضَا، فَيَقُولُ: رضَايَ أَحَلَّكُمْ دَارِي وأنا لَكُم كَرَامَتِي، سَلُونِي، فَيَسأَلُونَهُ حتى تَنْتَهِيَ رَغْبَتُهُمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ عِنْدَ ذلكَ ما لا عين رأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ، إلى مِقْدارِ مُنْصَرَفِ النَّاسِ مِنَ الجُمُعَةِ حتى يَصْعَدَ على كُرْسِيِّهِ فَيَصْعَدُ مَعَهُ الصِّدِّيقُونَ والشُّهَدَاءُ، وَتَرْجِعُ أَهْلُ الجَنَّةِ إلى غُرَفِهِمْ دُرَّةً بَيْضَاءَ، لا نَظْمَ فِيها وَلا فَصْمَ، أَوْ ياقُوتَةً حَمْرَاءَ، أَوْ زَبَرْجَدَةً خَضْرَاءَ، مِنْها غُرَفُها وأَبْوَابُها، فَلَيْسُوا إلى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إلى يَوْمِ الجُمُعَةِ، لِيَزْدَادُوا مِنْهُ كَرَامَةً، وَلِيَزْدَادُوا نَظَراً إلى وَجْهِهِ، وَلِذَلكَ دُعِيَ يَوْمَ المَزِيدِ».

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن ليث بن أبي سليم، عن عثمان بن عمير، عن أنس بن مالك، عن النبيّ ﷺ، نحو حديث عليّ بن الحسين.

حدثنا الربيع بن سليمان، قال: ثنا أسد بن موسى، قال: ثنا يعقوب بن إبراهيم، عن صالح بن حيان عن أبي بُرَيدة، عن أنس بن مالك، عن النبيّ ﷺ بنحوه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا ابن عون، عن محمد، قال: حدثنا، أو قال: قالوا: إن أدنى أهل الجنة منزلة، الذي يقال له تمنّ، ويذكّره أصحابه فيتمنى، ويذكره أصحابه فيقال له ذلك ومثله معه. قال: قال ابن عمر: ذلك لك وعشرة أمثاله، وعند الله مزيد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو بن الحارث أن درّاجاً أبا السَّمْح، حدثه عن أبي الهَيثم، عن أبي سعيد الخُدريّ، أنه قال عن رسول الله ﷺ: «إنَّ الرَّجُلَ فِي الجَنَّةِ لَيَتَّكِيءُ سَبْعِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ ثُمَّ تَأْتِيهِ امْرأَتُهُ فَتَضْرِبُ على مَنْكِبَيْهِ، فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ فِي خَدِّها أَصْفَى مِنْ المِرْآةِ، وإنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عَلَيْها لَتُضِيءُ ما بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِب، فَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَيَرُدُّ السَّلامَ، وَيَسألُها مَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أنا مِنَ المَزِيدِ وَإنَّهُ لَيَكُونَ عَلَيْها سَبْعُونَ ثَوْباً أَدْناها مِثْلُ النُّعْمانِ مِنْ طُوبى فَيَنْفُذُها بَصَرُهُ حتى يَرَى مُخَّ ساقِها مِنْ وَرَاءِ ذلكَ، وَإنَّ عَلَيْها مِنَ التِّيجانِ، وَإنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ فِيها لَتُضِيءُ ما بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ».

وقوله: ﴿وكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وكثيراً أهلكنا قبل هؤلاء المشركين من قريش من القرون، ﴿هُمْ أَشَدُّ﴾ من قريش الذين كذّبوا محمداً ﴿بَطْشاً فَنَقَّبُوا في البِلادِ﴾ يقول: فَخَرَقُوا[1] البلادَ فساروا فيها، فطافوا وتوغّلوا إلى الأقاصي منها قال امرؤ القَيس:

لَقَدْ نَقَّبْتُ فِي الآفاقِ حتَّى رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بالإيابِ[2]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿فَنَقَّبُوا فِي البِلادِ﴾ قال: أثّروا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿فَنَقَّبُوا فِي البِلادِ﴾ قال: يقول: عملوا في البلاد ذاك النقْب.

ذكر من قال ذلك:

وقوله: ﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ يقول جلّ ثناؤه: فهل كان لهم بتنقبهم في البلاد من معدل عن الموت ومَنْجي من الهلاك إذ جاءهم أمرنا. وأضمرت كان في هذا الموضع، كما أضمرت في قوله ﴿وكأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ التي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْناهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ﴾ بمعنى: فلم يكن لهم ناصر عند إهلاكهم. وقرأت القرّاء قوله ﴿فَنَقَّبُوا﴾ بالتشديد وفتح القاف على وجه

---

(١) «قوله فخرقوا البلاد.... الخ»
هذا من كلام الفراء في «**معاني القرآن**» (ص - ٣١٠). وفي المطبوعة: خربوا في البلاد تحريف.

(٢) البيت لامرىء القيس بن حجر «**مختار الشعر الجاهلي**» بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي (ص - ٨٠) وفي روايته «وقد طوفت. مكان «لقد نقبت» ورواية أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢٢٦) كرواية المؤلف. قال: عند قوله تعالى: ﴿فنقبوا في البلاد﴾: طافوا وتباعدوا قال امرؤ القيس:
«لقد نقبت.... البيت».
وفي «**اللسان**»: نقب (ونقب في الأرض: ذهب) وفي التنزيل العزيز: ﴿فنقبوا في البلاد هل من محيص﴾ قال الفراء: قرأ القراء: فنقبوا مشدداً. يقول خرقوا البلاد، فساروا فيها طلباً للمهرب، فهل كان لهم محيص من الموت؟ قال: ومن قرأ: فنقبوا بكسر القاف، فإنه كالوعيد، أي اذهبوا في البلاد وجيئوا وقال الزجاج: فنقبوا: طرفوا فتشوا. قال: وقرأ الحسن: فنقبوا بالتخفيف. قال امرؤ القيس:
«وقد نقبت.... البيت»
أي ضربت في البلاد: أقبلت وأدبرت اهـ.

الخبر عنهم. وذُكر عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ ذلك «فَنَقِبُوا» بكسر القاف على وجه التهديد والوعيد: أي طوّفوا في البلاد، وتردّدوا فيها، فإنكم لن تفوتونا بأنفسكم. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿مِنْ مَحِيصٍ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾... حتى بلغ ﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ قد حاص الفَجرة فوجدوا أمر الله مُتَّبِعاً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: ﴿فَنَقَّبُوا فِي البِلادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ قال: حاص أعداء الله، فوجدوا أمر الله لهم مُدْرِكاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ قال: هل من منجي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا القرون التي أهلكناها من قبل قريش ﴿لَذِكْرَى﴾ يُتَذَكَّر بها ﴿لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ يعني: لمن كان له عقل من هذه الأمة، فينتهي عن الفعل الذي كانوا يفعلونه من كفرهم بربهم، خوفاً من أن يحلّ بهم مثل الذي حلّ بهم من العذاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ فِي ذلكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ﴾: أي من هذه الأمة، يعني بذلك القلب: القلبَ الحيّ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ قال: من كان له قلب من هذه الأمة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ قال: قلب يعقل ما قد سمع من الأحاديث التي ضرب الله بها من عصاه من الأمم. والقلب في هذا الموضع: العقل. وهو من قولهم: ما لفلان قلب، وما قلبه معه: أي ما عقله معه. وأين ذهب قلبك؟ يعني أين ذهب عقلك.

وقوله: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ يقول: أو أصغى لإخبارنا إياه عن هذه القرون التي

أهلكناها بسمعه، فيسمع الخبر عنهم، كيف فعلنا بهم حين كفروا بربهم، وعصوا رسله ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ يقول: وهو متفهم لما يخبرُ به عنهم شاهد له بقلبه، غير غافل عنه ولا ساه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظهم فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّ فِي ذلكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ يقول: إن استمع الذكر وشهد أمره، قال في ذلك: يجزيه إن عقله[1].

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ قال: وهو لا يحدّث نفسه، شاهد القلب.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ قال: العرب تقول: ألقى فلان سمعه: أي استمع بأذنيه، وهو شاهد، يقول: غير غائب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿إِنَّ فِي ذَلَكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ قال: يسمع ما يقول، وقلبه في غير ما يسمع.

وقال آخرون: عنى بالشهيد في هذا الموضع: الشهادة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ يعني بذلك أهل الكتاب، وهو شهيد على ما يقرأ في كتاب الله من بعث محمد ﷺ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ على ما في يده من كتاب الله أنه يجد النبي ﷺ مكتوباً.

قال: ثنا ابن ثور، قال: قال معمر، وقال الحسن: هو منافق استمع القول ولم ينتفع.

حدثنا أحمد بن هشام، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن السديّ، عن أبي صالح في قوله: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ قال: المؤمن يسمع القرآن، وهو شهيد على ذلك.

---

(١) كذا في الأصل، ولعل صواب العبارة: فإن ذلك يجزيه إن عقله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ قال: ألقى السمع يسمع ما قد كان مما لم يعاين من الأحاديث عن الأمم التي قد مضت، كيف عذّبهم الله وصنع بهم حين عَصوا رسله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا السموات السبع والأرض وما بينهما من الخلائق في ستة أيام، وما مسَّنا من إعياء. كما:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن أبي بكر، قال: جاءت اليهود إلى النبيّ ﷺ، فقالوا: يا محمد أخبرنا ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة؟ فقال: «خَلَقَ اللَّهُ الأرْضَ يَوْمَ الأحَدِ وَالاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الجِبالَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ، وَخَلَقَ المَدائِنَ والأقْوَاتَ والأنهارَ وعُمْرانها وَخَرَابَها يَوْمَ الأرْبِعاءِ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالمَلائِكَةَ يَوْمَ الخَمِيس إلى ثَلاثِ ساعاتٍ، يعْنِي مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ، وَخَلَقَ فِي أوَّلِ الثَّلاثِ السَّاعاتِ الآجالَ، وفي الثَّانِيَةِ الآفَة، وفي الثَّالِثَةِ آدَمَ»، قالوا: صدقت إن أتممت، فعرف النبيّ ﷺ ما يريدون، فغضب، فأنزل الله ﴿**وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوب فاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ**﴾».

قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ**﴾ قال: من سآمة.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ**﴾ يقول: من إزحاف(١).

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه عن ابن عباس: ﴿**وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ**﴾ يقول: وما مسنا من نَصَب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ**﴾ قال: نصب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنا السَّمَوَاتِ والأرْضَ**﴾... الآية، أكذب الله اليهود والنصارى وأهل الفري على الله، وذلك أنهم قالوا: إن

---

(١) الإزحاف: الإعياء، وهو بمعنى اللغوب «اللسان» زحف.

الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استراح يوم السابع، وذلك عندهم يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**مِنْ لُغُوبٍ**﴾ قالت اليهود: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ففرغ من الخلق يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، فأكذبهم الله، وقال: ﴿**ما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ**﴾.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنا السَّمَوَاتِ والأرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أيَّامٍ**﴾ كان مقدار كلّ يوم ألف سنة مما تعدّون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَما مَسَّنا من لُغُوبٍ**﴾ قال: لم يَمَسَّنا في ذلك عناء، ذلك اللغوب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء اليهود، وما يفترون على الله، ويكذبون عليه، فإن الله لهم بالمِرصاد ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ**﴾ يقول: وصلّ بحمد ربك صلاة الصبح قبل طلوع الشمس وصلاة العصر قبل الغروب. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ**﴾ لصلاة الفجر، وقبل غروبها: العصر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قبلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ**﴾ قبل طلوع الشمس: الصبح، وقبل الغروب: العصر.

وقوله: ﴿**وَمِنَ اللَّيْل فَسَبِّحْهُ**﴾ اختلف أهل التأويل في التسبيح الذي أُمر به من الليل، فقال بعضهم: عنى به صلاة العَتَمة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ**﴾ قال: العَتَمة.

وقال آخرون: هي الصلاة بالليل في أيّ وقت صلى.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ**﴾ قال: من الليل كله.

والقول الذي قاله مجاهد في ذلك أقرب إلى الصواب، وذلك أن الله جلّ ثناؤه قال: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ**﴾ فلم يَحُدّ وقتاً من الليل دون وقت. وإذا كان ذلك كذلك كان على جميع ساعات الليل. وإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا، فهو بأن يكون أمراً بصلاة المغرب والعشاء، أشبه منه بأن يكون أمراً بصلاة العَتَمة، لأنهما يصلّيان ليلاً.

وقوله: ﴿**وأَدْبارَ السُّجُودِ**﴾ يقول: سبح بحمد ربك أدبار السجود من صلاتك.

واختلف أهل التأويل في معنى التسبيح الذي أمر الله نبيه أن يسبحه أدبار السجود، فقال بعضهم: عُنِي به الصلاة، قالوا: وهما الركعتان اللتان يصليان بعد صلاة المغرب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنبسة، عن أبي إسحاق، عن الحارث، قال: سألت علياً، عن أدبار السجود، فقال: الركعتان بعد المغرب.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، قال: ثنا ابن جُرَيج، عن مجاهد، قال: قال عليّ رضي الله عنه: ﴿**أَدْبارَ السُّجُودِ**﴾: الركعتان بعد المغرب.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا مصعب بن سلام، عن الأجلح، عن أبي إسحاق، عن الحارث، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: ﴿**أَدْبارَ السُّجُودِ**﴾: الركعتان بعد المغرب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن عليّ رضي الله عنه، في قوله: ﴿**وأَدْبارَ السُّجُودِ**﴾ قال: الركعتان بعد المغرب.

قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن عاصم بن ضمرة، عن الحسن بن عليّ رضي الله عنهما، قال: ﴿**أَدْبارَ السُّجُودِ**﴾: الركعتان بعد المغرب.

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا حماد، قال: ثنا عليّ بن زيد، عن أوس بن خالد، عن أبي هريرة، قال: ﴿**أدبار السجود**﴾: ركعتان بعد صلاة المغرب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن علوان بن أبي مالك، عن الشعبيّ، قال: ﴿**أَدْبارَ السُّجُودِ**﴾ الركعتان بعد المغرب.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن عكرِمة، عن ابن عباس وإبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد ﴿أَدْبَارَ السُّجُودِ﴾: الركعتان بعد المغرب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن إبراهيم مثله.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن إبراهيم بن مهاجر، عن إبراهيم في هذه الآية ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وأَدْبارَ السُّجُودِ﴾ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ قال: الركعتان قبل الصبح، والركعتان بعد المغرب، قال شعبة: لا أدري أيتهما أدبار السجود، ولا أدري أيتهما إدبار النجوم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وأَدْبارَ السُّجُودِ﴾ قال: كان مجاهد يقول: ركعتان بعد المغرب.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وأَدْبارَ السُّجُودِ﴾ قال: هما السجدتان بعد صلاة المغرب.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا أبو فضيل، عن رشدين بن كُرَيب، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا ابْنَ عَبَّاس رَكْعَتانِ بَعْدَ المَغْرِب أدْبارَ السُّجُود».

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: أخبرنا أبو زرعة، وهبة الله بن راشد، قال: أخبرنا حيوة بن شريح، قال: أخبرنا أبو صخر، أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصهباء البكريّ يقول: سألت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن ﴿أَدْبارَ السُّجُودِ﴾ قال: هما ركعتان بعد المغرب.

حدثني سعيد بن عمرو السكوني، قال: ثنا بقية، قال: ثنا جرير، قال: ثنا حمير بن يزيد الرحبي، عن كُرَيب بن يزيد الرحبي قال: وكان جبير بن نفير يمشي إليه، قال: كان إذا صلى الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب أخفّ، وفسّر إدبار النجوم، وأدبار السجود.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن عيسى بن يزيد، عن أبي إسحاق الهمداني، عن الحسن ﴿وأَدْبارَ السُّجُودِ﴾: الركعتان بعد المغرب.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنبسة، عن المغُيرة، عن إبراهيم، قال: كان يقال: ﴿أَدْبارَ السُّجُودِ﴾: الركعتان بعد المغرب.

قال: ثنا عنبسة، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد ﴿**وأدْبارَ السُّجُودِ**﴾: الركعتان بعد المغرب.

قالَ: ثنا جرير، عن عطاء، قال: قال عليّ: ﴿**أدبار السجود**﴾: الركعتان بعد المغرب.

حدثنا ابن البرّ، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: سُئل الأوزاعيّ عن الركعتين بعد المغرب، قال: هما في كتاب الله ﴿**فَسَبِّحْهُ وأدْبارَ السُّجُودِ**﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن حُمَيد، عن الحسن، عن عليّ رضي الله عنه، في قوله: ﴿**وأدْبارَ السُّجُودِ**﴾ قال: الركعتان بعد المغرب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**وأدْبارَ السُّجُودِ**﴾ قال: ركعتان بعد المغرب.

وقال آخرون: عنى بقوله ﴿**وأدْبارَ السُّجُودِ**﴾: التسبيح في أدبار الصلوات المكتوبات، دون الصلاة بعدها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: قال ابن عباس في ﴿**فَسَبِّحْهُ وأدْبارَ السُّجُودِ**﴾ قال: هو التسبيح بعد الصلاة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وأدْبارَ السُّجُودِ**﴾ قال: كان ابن عباس يقول: التسبيح. قال ابن عمرو: في حديثه في إثر الصلوات كلها. وقال الحارث في حديثه في دُبر الصلاة كلها.

وقال آخرون: هي النوافل في أدبار المكتوبات.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وأدْبارَ السُّجُودِ**﴾: النوافل.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: هما الركعتان بعد المغرب، لإجماع

الحجة من أهل التأويل على ذلك، ولولا ما ذكرت من إجماعها عليه، لرأيت أن القول في ذلك ما قاله ابن زيد، لأن الله جلّ ثناؤه لم يخصص بذلك صلاة دون صلاة، بل عمّ أدبار الصلوات كلها، فقال: وأدبار السجود، ولم تقم بأنه معنيّ به: دبر صلاة دون صلاة، حجة يجب التسليم لها من خبر ولا عقل.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**وأدْبارَ السُّجُودِ**﴾ فقرأته عامة قرّاء الحجاز والكوفة، سوى عاصم والكسائيّ «وإدْبارَ السُّجُودِ» بكسر الألف، على أنه مصدر أدبر يُدبر إدباراً. وقرأه عاصم والكسائيّ وأبو عمرو ﴿**وأدْبارَ**﴾ بفتح الألف على مذهب جمع دبر وأدبار.

والصواب عندي الفتح على جمع دبر.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واستمع يا محمد صيحة يوم القيامة، يوم ينادي بها منادينا من موضع قريب. وذُكر أنه ينادي بها من صخرة بيت المقدس.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن سعيد بن بشر، عن قتادة، عن كعب، قال: ﴿**وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِي المُنادِي مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ**﴾ قال مَلك قائم على صخرة بيت المقدس ينادي: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة ﴿**وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِي المُنادِي مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ**﴾ قال: كنا نحدّث أنه ينادي من بيت المقدس من الصخرة، وهي أوسط الأرض.

وحُدّثنا أن كعباً قال: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**يَوْمَ يُنادِي المُنادِي مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ**﴾ قال: بلغني أنه ينادي من الصخرة التي في بيت المقدس.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِي المُنادِي مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ**﴾ قال: هي الصيحة.

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثني بعض أصحابنا، عن الأغرّ، عن مسلم بن حيان، عن ابن بُريدة، عن أبيه بريدة، قال: مَلك قائم على صخرة بيت المقدس، واضع أصبعيه في أُذنيه ينادي، قال: قلتُ: بماذا ينادي؟ قال: يقول يا أيها الناس هلموا إلى الحساب قال: فيقبلون كما قال الله ﴿**كأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ**﴾.

وقوله: ﴿**يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بالحَقّ**﴾ يقول تعالى ذكره: يوم يسمع الخلائق صيحة البعث من القبور بالحقّ، يعني بالأمر بالإجابة لله إلى موقف الحساب.

وقوله: ﴿**ذلكَ يَوْمُ الخُرُوجِ**﴾ يقول تعالى ذكره: يوم خروج أهل القبور من قبورهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إنا نحن نُحيي الموتى ونميت الأحياء، وإلينا مصير جميعهم يوم القيامة ﴿**يَوْمَ تَشَقَّقُ الأرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً**﴾ يقول جلّ ثناؤه وإلينا مصيرهم يوم تشقَّق الأرض، فاليوم من صلة مصير.

وقوله: ﴿**تَشَقَّقُ الأرْضُ عَنْهُمْ**﴾ يقول: تصدّع الأرض عنهم. وقوله ﴿**سِرَاعاً**﴾ ونُصبت سراعاً على الحال من الهاء والميم في قوله عنهم. والمعنى: يوم تشقَّق الأرض عنهم فيخرجون منها سراعاً، فاكتفى بدلالة قوله: ﴿**يَوْمَ تَشَقَّقُ الأرْضُ عَنْهُمْ**﴾ على ذلك من ذكره.

وقوله: ﴿**ذلكَ حَشْرٌ عَلَيْنا يَسِيرٌ**﴾ يقول: جمعهم ذلك جمع في موقف الحساب، علينا يسير سهل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: نحن يا محمد أعلم بما يقول هؤلاء المشركون بالله من فِريتهم على الله، وتكذيبهم بآياته، وإنكارهم قُدرة الله على البعث بعد الموت ﴿**وَما أنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ**﴾ يقول: وما أنت عليهم بمسلط. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَما أنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ قال: لا تتجبر عليهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَما أنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ فإن الله عزّ وجلّ كره الجبرية، ونهى عنها، وقدّم فيها. وقال الفرّاء: وضع الجبار في موضع السلطان من الجبرية وقال: أنشدني المفضل:

وَيَوْمَ الحَزْنِ إذْ حَشَدَتْ مَعَدّ وكانَ النّاسُ إلا نَحْنُ دِينا

عَصَيْنا عَزْمَةَ الجَبَّارِ حَتَّى صَبَحْنا الجَوْفَ ألْفا مُعْلَمِينا[1]

ويروى: «الجوف» وقال: أراد بالجبار: المنذر لوَلايته.

قال: وقيل: إن معنى قوله: ﴿وَما أنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ لم تُبعث لتجْبُرَهم على الإسلام، إنما بعثت مذكِّراً، فذكِّر. وقال: العرب لا تقول فعال من أفعلت، لا يقولون: هذا خراج، يريدون: مُخْرِج، ولا يقولون: دخَال، يريدون: مُدْخِل، إنما يقولون: فعال، من فعلت ويقولون: خراج، من خرجت ودخال: من دخلت وقتّال، من قتلت. قال: وقد قالت العرب في حرف واحد: درّاك، من أدركت، وهو شاذّ.

قال: فإن قلت الجبار على هذا المعنى، فهو وجه. قال: وقد سمعت بعض العرب يقول: جبره على الأمر، يريد: أجبره، فالجبار من هذه اللغة صحيح، يراد به: يقهرهم ويجبرهم.

وقوله: ﴿فَذَكِّرْ بالقُرآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ﴾ يقول تعالى ذكره: فذكر يا محمد بهذا القرآن

---

(١) البيتان من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣١٠) رواهما عن المفضل، ولم أجدهما في المفضليات. والبيت الأول قد سبق استشهاد المؤلف به عند قوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (٢/ ٢١١) من هذه الطبعة. والشاهد هنا في البيت الثاني في كلمة «الجبار» يريد به الملك المسلط. وقال الفراء: وقوله ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾: يقول لست عليهم بمسلط. جعل الجبار في موضع السلطان من الجبرية. قال: أنشدني المفضل:

«ويوم الحزن...... البيتين»

قال: وقال الكلبي بإسناده: «لست عليهم بجبار» يقول: لم تبعث لتجبرَهم على الإسلام والهدى إنما بعثت مذكراً فذكر، وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم. والعرب لا تقول فعال من أفعلت، لا يقولون هذا إخراج ولا دخال، يريدون مدخل ولا مخرج من أدخلت وأخرجت؛ إنما يقولون دخال من دخلت وفعال من فعلت وقد قالت العرب: دراك من أدركت، وهو شاذ. فإن حملت الجبار على هذا المعنى فهو وجه وقد سمعت بعض العرب يقول جبره على الأمر، يريد أجبره. فالجبار: من هذه اللغة صحيح، يراد به: يقهرهم ويجبرهم.

الذي أنزلته إليه من يخاف الوعيد الذي أوعدته من عصاني وخالف أمري.

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأوديّ، قال: ثنا حكام الرازي، عن أيوب، عن عمرو الملائي، عن ابن عباس، قال: قالوا يا رسول الله لو خوّفتنا؟ فنزلت ﴿**فَذَكِّرْ بالقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ**﴾.

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا حكام، عن أيوب بن سيار أبي عبد الرحمن، عن عمرو بن قيس، قال: قالوا: يا رسول الله، لو ذكَّرتنا، فذكر مثله.

آخر تفسير سورة ق

(٥١) سورة الذاريات مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿وَالذَّارِياتِ ذَرْواً﴾ يقول: والرياح التي تذرو التراب ذرواً، يقال: ذرت الريح التراب وأذرت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هنّاد بن السَّريّ، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن خالد بن عُرعرة، قال: قام رجل إلى عليّ رضي الله عنه، فقال: ما الذاريات ذرواً، فقال: هي الريح.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سِماك، قال: سمعت خالد بن عرعرة، قال: سمعت علياً رضي الله عنه وقد خرج إلى الرحْبة، وعليه بُرْدان، فقالوا: لو أن رجلاً سأل وسمع القوم، قال: فقام ابن الكوّاء، فقال: ما الذاريات ذَرْواً؟ فقال: هي الرياح.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبيد الهلالي ومحمد بن بشار، قالا: ثنا محمد بن خالد ابن عثمة، قال: ثنا موسى بن يعقوب الزمعي، قال: ثنا أبو الحويرث، عن محمد بن جُبَير بن مطعم، أخبره، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يخطب الناس، فقام عبد الله بن الكوّاء، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالذَّارِياتِ ذَرْواً﴾ قال: هي الرياح.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، قال: سُئل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، عن الذاريات ذَرْواً، فقال: الريح.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن عليّ ﴿وَالذَّارِياتِ ذَرْواً﴾ قال: الريح.

قال: مهران، حُدِّثنا عن سماك، عن خالد بن عرعرة، قال: سألت علياً رضي الله عنه عن ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً﴾ فقال: الريح.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن القاسم بن أبي بَزّة، قال: سمعت أبا الطفيل، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: لا تسألوني عن كتاب ناطق، ولا سنة ماضية، إلا حدّثتكم، فسأله ابن الكوّاء عن الذاريات، فقال: هي الرياح.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا طلق، عن زائدة، عن عاصم، عن عليّ بن ربيعة، قال: سأل ابن الكوّاء علياً رضي الله عنه، فقال: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً﴾ قال: هي الريح.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن عبد الله بن رفيع، عن أبي الطفيل، قال: قال ابن الكوّاء لعلي رضي الله عنه: ما الذاريات ذَرْواً؟ قال: الريح.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني يحيى بن أيوب، عن أبي صخرة، عن أبي معاوية البجليّ، عن أبي الصهباء البكريّ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: وهو على المنبر لا يسألني أحد عن آية من كتاب الله إلا أخبرته، فقام ابن الكوّاء، وأراد أن يسأله عما سأل عنه صبيغٌ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: ما الذاريات ذرواً؟ قال عليّ: الرياح.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، أن رجلاً سأل علياً عن الذاريات، فقال: هي الرياح.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن وهب بن عبد الله، عن أبي الطفيل، قال سأل ابن الكوّاء علياً، فقال: ما الذاريات ذرواً؟ قال: الرياح.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً﴾ قال: كان ابن عباس يقول: هي الرياح.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ قال: الرياح.

وقوله: ﴿فَالْحَامِلاتِ وِقْراً﴾ يقول: فالسحاب التي تحمل وقرها من الماء.

وقوله: ﴿فَالجَارِيَاتِ يُسْراً﴾ يقول: فالسفن التي تجري في البحار سهلاً يسيراً ﴿فَالمُقَسِّمَاتِ أمْراً﴾ يقول: فالملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن خالد بن عرعرة، قال: قام رجل إلى عليّ رضي الله عنه، فقال: ما الجاريات يسراً؟ قال: هي السفن؛ قال: فما الحاملات وقراً؟ قال: هي السحاب؛ قال: فما المقسمات أمراً؟ قال: هي الملائكة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سِماك، قال: سمعت خالد بن عرعرة، قال: سمعت علياً رضي الله عنه. وقيل له: ما الحاملات وقراً؟ قال: هي السحاب؛ قال: فما الجاريات يُسراً؟ قال: هي السفن؛ قال: فما المقسِّمات أمراً؟ قال: هي الملائكة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سماك، عن خالد بن عرعرة، عن عليّ بنحوه.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبيد الله الهلالي ومحمد بن بشار، قالا: ثنا محمد بن خالد بن عثمة، قال: ثنا موسى الزمعي، قال: ثني أبو الحُوَيرث، عن محمد بن جُبَير بن مطعم أخبره، قال: سمعت علياً يخطب الناس، فقام عبد الله بن الكوّاء فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى: **﴿فالْحامِلاتِ وِقْراً﴾** قال: هي السحاب **﴿فالجارِياتِ يُسْراً﴾** قال: هي السفن **﴿فالمُقَسّمات أمْراً﴾** قال: الملائكة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن القاسم بن أبي بزّة، قال: سمعت أبا الطفيل، قال: سمعت علياً رضي الله عنه، فذكر نحوه.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي الطفيل، قال: قال ابن الكوّاء لعليّ، فذكر نحوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن وهب بن عبد الله، عن أبي الطفيل، قال: شهدت علياً رضي الله عنه، وقام إليه ابن الكوّاء، فذكر نحوه.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا طَلْق بن غنام، عن زائدة، عن عاصم، عن عليّ بن ربيعة، قال: سأل ابن الكوّاء علياً، فذكر نحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني يحيى بن أيوب، عن أبي صخر، عن أبي معاوية البجليّ، عن أبي الصهباء البكريّ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، نحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، أن رجلاً سأل علياً، فذكر نحوه.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن عليّ مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، قال: سُئل فذكر مثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿فالْحامِلاتِ وِقْراً﴾** قال: السحاب، قوله: **﴿فالمُقَسّماتِ أمْراً﴾** قال: الملائكة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿فالْحامِلاتِ وِقْراً﴾** قال: السحاب تحمل المطر، **﴿فالجارِياتِ يُسْراً﴾** قال: السفن **﴿فالمُقَسّماتِ أمْراً﴾** قال: الملائكة ينزلها بأمره على من يشاء.

قوله: **﴿إنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾** يقول تعالى ذكره: إن الذي توعدون أيها الناس من قيام الساعة، وبعث الموتى من قبورهم لصادق، يقول: لكائن حقّ يقين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿إنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾** والمعنى: لصدق، فوضع الاسم مكان المصدر **﴿وَإنَّ الدّينَ لَوَاقِعٌ﴾** يقول: وإن الحساب والثواب والعقاب لواجب، والله مجازٍ عباده بأعمالهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿وَإنَّ الدّينَ لَوَاقِعٌ﴾** قال: الحساب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿إنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإنَّ الدّينَ لَوَاقِعٌ﴾** وذلك يوم القيامة، يوم يُدان الناس فيه بأعمالهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ قال: يوم يدين الله العباد بأعمالهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ قال: لكائن.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾.

يقول تعالى ذكره: والسماء ذات الخَلْق الحسن. وعنى بقوله: ﴿ذَاتِ الحُبُكِ﴾: ذات الطرائق، وتكسير كل شيء: حُبُكه، وهو جمع حِباك وحَبيكة يقال لتكسير الشعرة الجعدة: حُبك وللرملة إذا مرّت بها الريح الساكنة، والماء القائم، والدرع من الحديد لها: حُبُك ومنه قول الراجز:

كَأَنَّمَا جَلَّلَهَا الحَوَّاكُ طِنْفِسَةٌ فِي وَشْيِهَا حِبَاكُ
أَذْهَبَهَا الخُفُوقُ والدِّرَاكُ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظ قائليه فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: ثنا عَبْثَر، قال: ثنا حصين، عن عكرِمة، عن ابن عباس، قوله: ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾ قال: ذات الخَلْق الحسن.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن

(١) الراجز يصف ظهر أتان من حمر الوحش بأن فيه وشياً ورقماً وخطوطاً وطرائق، فكأن حائكاً. وهو الذي ينسج الثياب ألبسها طنفسة موشاة فيها خطوط مستقيمة ذات ألوان. ومعنى البيت الثالث؛ أن الخطوط في ظهرها تلوح كأنها مذهبة عند تحركها ومتابعتها السير والشاهد في هذه الأبيات قوله «حباك» والحباك: الخط في الرمل أو في الثوب أو في الشعر، ، وجمعه حبك بضمتين. ومثله الحبيكة،وجمعها حبائك. واستشهد المؤلف بهذه الأبيات الثلاثة من مشطور الرجز، عند قوله تعالى: ﴿والسماء ذات الحبك﴾ وهي طرائق الضوء ترى في السماء في غياب القمر، وهي ما تسمى المجرة. أو هي الأفلاك تدور فيها الكواكب. والبيت الثالث جاء في الأصل محرفاً هكذا:

أذهبها الحقوق الدين الداك

وقد بحثنا عنه كثيراً، فلم نجده، ثم أصلحناه على ما ترى. والخفوق: الحركة والاضطراب. والدراك: السير المتابع.

سعيد بن جُبير عن ابن عباس ﴿وَالسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾ قال: حُسنها واستواؤها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد بن جُبَير ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾ قال: حبكها: حسنها واستواؤها.

قال: ثنا حكام، قال: ثنا عمرو، عن عمر بن سعيد بن مسروق أخي سفيان، عن خصيف، عن سعيد بن جُبَير ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾ قال: ذات الزينة.

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا بشر بن المفضل، عن عوف، عن الحسن، قوله: ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾ قال: حبكت بالخلق الحسن، حبكت بالنجوم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هوذة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾ قال: حبكت بالخلق الحسن، حبكت بالنجوم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عثمان بن الهيثم، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾ قال: ذات الخَلْق الحَسَن، حُبِكَت بالنجوم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا عمران بن حُدَير، قال: سُئل عكرِمة، عن قوله: ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾ قال: ذات الخلْق الحسن، ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب قال: ما أحسن ما حبكه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَية، قال: ثنا أيوب، عن أبي قِلابة، عن رجل من أصحاب النبيّ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ الكَذَّابَ المُضِلَّ، وَإنَّ رأسَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُبُكٌ حُبُكٌ» يعني بالحبك: الجعودة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾ قال: استواؤها: حسنها.

قال: ثنا مهران، عن عليّ بن جعفر، عن الربيع بن أنس ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾ قال: ذات الخلْق الحسن.

قال: ثنا مهران، عن سعيد، عن قتادة، قال: حُبُكها نجومها. وكان ابن عباس يقول: ﴿الْحُبُكِ﴾ ذات الخَلْق الحَسن.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾: أي ذات الخَلْق الحسن. وكان الحسن يقول: حبكها: نجومها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ قال: ذات الخَلْق الحَسَن.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾ قال: المتقن البنيان.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾ يقول: ذات الزينة، ويقال أيضاً: حبكها مثل حبك الرمل، ومثل حبك الدرع، ومثل حبك الماء إذا ضربته الريح، فنسجته طرائق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ قال: الشدة حُبِكَت شُدَّت. وقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعا شِدَاداً﴾.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ قال: ذات الخَلْق الحسن ويقال: ذات الزينة.

وقيل: عنى بذلك السماء السابعة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي وأبو داود، قالا: ثنا عمران القطان، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن عمرو البكاليّ، عن عبد الله بن عمرو ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ قال: السماء السابعة.

حدثني القاسم بن بشير بن معروف، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا عمران القطان، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان، عن عمرو البكاليّ، هكذا قال القاسم، عن عبد الله ابن عمرو نحوه.

وقوله: ﴿إنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ يقول: إنكم أيها الناس لفي قول مختلف في هذا القرآن، فمن مصدّق به ومكذّب. كما:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿إنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ قال: مصدّق بهذا القرآن ومكذّب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ**﴾ قال: يتخرّصون يقولون: هذا سحر، ويقولون: هذا أساطير، فبأيّ قولهم يؤخذ، قتل الخرّاصون هذا الرجل، لا بدّ له من أن يكون فيه أحد هؤلاء، فما لكم لا تأخذون أحد هؤلاء، وقد رميتموه بأقاويل شتى، فبأيّ هذا القول تأخذون، فهو قول مختلف. قال: فذكر أنه تخرّص منهم ليس لهم بذلك علم قالوا: فما منع هذا القرآن أن ينزل باللسان الذي نزلت به الكتب من قبلك، فقال الله: أعجميّ وعربيّ؟ لو جعلنا هذا القرآن أعجمياً لقلتم نحن عرب وهذا القرآن أعجميّ، فكيف يجتمعان.

وقوله: ﴿**يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ**﴾ يقول: يصرف عن الإيمان بهذا القرآن من صرف، ويدفع عنه من يُدْفع، فيُحْرَمه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ**﴾ قال ابن عمرو في حديثه: يوفى، أو يُؤْفَن، أو كلمة تشبهها. وقال الحارث: يُؤْفَن، بغير شك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن الحسن ﴿**يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ**﴾ قال: يُصرف عنه من صُرف.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ**﴾ فالمأفوك عنه اليوم، يعني كتابَ الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ**﴾ قال: يُؤْفَك عنه المشركون.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لُعِن المتكهنون الذين يتخرّصون الكذب والباطل فيتظننونه.

واختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بقوله ﴿**قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ**﴾ فقال بعضهم: عُنَي به المرتابون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿قُتِلَ الخَرّاصُونَ﴾** يقول: لعن المُرتابون.

وقال آخرون في ذلك بالذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ﴾** قال: الكهنة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ﴾** قال: الذين يتخرّصون الكذب كقوله في عبس **﴿قُتِلَ الإنْسانُ﴾**، وقد حدثني كل واحد منهما بالإسناد الذي ذكرت عنه، عن مجاهد، قوله: **﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ﴾** قال: الذين يقولون: لا نُبْعَث ولا يُوقِنون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ﴾**: أهل الظنون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ﴾** قال: القوم الذين كانوا يتخرّصون الكذب على رسول الله ﷺ، قالت طائفة: إنما هو ساحر، والذي جاء به سحر. وقالت طائفة: إنما هو شاعر، والذي جاء به شعر وقالت طائفة: إنما هو كاهن، والذي جاء به كهانة وقالت طائفة **﴿أساطِيرُ الأوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأصِيلاً﴾** يتخرّصون على رسول الله ﷺ.

وقوله: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ﴾** يقول تعالى ذكره: الذين هم في غمرة الضلالة وغَلَبتها عليهم متمادون، وعن الحقّ الذي بعث الله به محمداً ﷺ ساهون، قد لَهُوا عنه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم في البيان عنه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ﴾** يقول: في ضلالتهم يتمادَون.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ**﴾ قال: في غفلة لاهون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ**﴾ يقول: في غمرة وشُبهة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**غَمْرَةٍ ساهُونَ**﴾ قال: في غفلة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ**﴾ قال: ساهون عما أتاهم، وعما نزل عليهم، وعما أمرهم الله تبارك وتعالى، وقرأ قول الله جلّ ثناؤه ﴿**بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا...**﴾ الآية، وقال: ألا ترى الشيء إذا أخذته ثم غمرته في الماء.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ**﴾: قلبه في كِنانة.

وقوله: ﴿**يَسألُونَ أيَّانَ يَوْمُ الدّينِ**﴾ يقول تعالى ذكره: يسأل هؤلاء الخرّاصون الذين وصف صفتهم متى يوم المجازاة والحساب، ويوم يُدِينُ الله العباد بأعمالهم. كما:

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أيَّانَ يَوْمُ الدّينِ**﴾ قال: الذين كانوا يجحدون أنهم يُدانون، أو يُبعثون.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**يَسألُونَ أيَّانَ يَوْمُ الدّينِ**﴾ قال: يقولون: متى يوم الدين، أو يكون يوم الدين.

وقوله: ﴿**يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: يوم هم على نار جهنم يفتنون.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿**يُفْتَنُونَ**﴾ في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى به أنهم يعذّبون بالإحراق بالنار.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ**﴾ يقول: يعذّبون.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يَسألُونَ أيَّانَ يَوْمُ الدّينِ يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ**﴾ قال: فتنتهم أنهم سألوا

عن يوم الدين وهم موقوفون على النار ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فقالوا حين وقفوا: ﴿يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾، وقال الله تبارك وتعالى ﴿هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ قال: كما يفتن الذهب في النار.

حدثني يعقوب، قال: ثني هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عكرِمة، في قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ قال: يعذّبون في النار يحرقون فيها، ألم تر أن الذهب إذا ألقي في النار قيل فتن.

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدينة، عن حصين، عن عكرِمة ﴿يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ قال: يعذّبون.

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن مجاهد ﴿يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ يقول: يُنْضَجون بالنار.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الحصين، عن عكرِمة ﴿يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ قال: يحرقون.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ يقول: يحرقون.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في ﴿يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ قال: يطبخون، كما يفتن الذهب بالنار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ قال: يحرقون بالنار.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد ﴿يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ قال: يحرقون.

وقال آخرون: بل عنى بذلك أنهم يكذبون.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ يقول: يطبخون، ويقال أيضاً ﴿يُفْتَنُونَ﴾ يكذّبون كل هذا يقال.

واختلف أهل العربية في وجه نصب اليوم في قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ فقال بعض نحويي البصرة: نصبت على الوقت والمعنى في ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾: أي متى يوم الدين، فقيل لهم: في ﴿يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾، لأن ذلك اليوم يوم طويل فيه الحساب، وفيه فتنتهم على النار.

وقال بعض نحويي الكوفة: إنما نصبت ﴿يَوْمَ هُمْ﴾ لأنك أضفته إلى شيئين، وإذا أضيف اليوم والليلة إلى اسم له فعل، وارتفعا نصب اليوم، وإن كان في موضع خفض أو رفع إذا أضيف إلى فَعَل أو يَفْعَلُ أو إذا كان كذلك[1]، ورفعه في موضع الرفع، وخفضه في موضع الخفض يجوز: فلو[2] قيل ﴿يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ فرفع يومُ، لكان وجهاً، ولم يقرأ به أحد من القرّاء.

وقال آخر منهم: إنها نصب ﴿يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ لأنه إضافة غير محضة فنصب، والتأويل رفع، ولو رفع لجاز لأنك تقول: متى يومك؟ فتقول: يوم الخميس، ويوم الجمعة، والرفع الوجه، لأنه اسم قابل اسماً فهذا الوجه.

وأولى القولين بالصواب في تأويل قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ قول من قال: يعذّبون بالإحراق، لأن الفتنة أصلها الاختبار، وإنما يقال: فتنت الذهب بالنار: إذا طبختها بها لتعرف جودتها، فكذلك قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ يحرقون بها كما يحرق الذهب بها، وأما النصب في اليوم فلأنها إضافة غير محضة على ما وصفنا من قول قائل ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ يقال لهم: ذوقوا فتنتكم وترك يقال لهم لدلالة الكلام عليها.

---

(١) كذا في «معاني القرآن» للفراء. وفي الأصل: وإذا قال.
(٢) كذا في «معاني القرآن» وفي الأصل: يقول لو قيل.

ويعني بقوله: ﴿فِتْنَتَكُمْ﴾: عذابكم وحريقكم. واختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم بالذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فِتْنَتَكُمْ﴾ قال: حريقكم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾: ذوقوا عذابكم ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ يقول: يوم يعذّبون، فيقول: ذوقوا عذابكم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ يقول: حريقكم.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ يقول: احتراقكم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ قال: ذوقوا عذابكم.

وقال آخرون: عنى بذلك: ذوقوا تعذيبكم أو كذبكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ يقول: تكذيبكم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ يقول: حريقكم، ويقال: كذبكم.

وقوله: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: يقال لهم: هذا العذاب الذي تُوفَّوْنَهُ اليوم، هو العذاب الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا.

وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله بطاعته، واجتناب معاصيه في الدنيا في بساتين وعيون ماءٍ في الآخرة.

وقوله: ﴿آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: عاملين ما أمرهم به ربهم مؤدّين فرائضه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي عمر، عن مسلم البطين، عن ابن عباس، في قوله: ﴿آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قال: الفرائض.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُحْسِنِينَ﴾ يقول: إنهم كانوا قبل أن يفرض عليهم الفرائض محسنين، يقول: كانوا لله قبل ذلك مطيعين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي عمر، عن مسلم البطين، عن ابن عباس ﴿إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُحْسِنِينَ﴾ قال: قبل الفرائض محسنين يعملون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ قال بعضهم: معناه كانوا قليلا من الليل لا يهجعون، وقالوا: «ما» بمعنى الجحد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: ثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عدي، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ قال: يتيقظون يصلون ما بين هاتين الصلاتين، ما بين المغرب والعشاء.

حدثني زريق بن الشحب، قال: ثنا عبد الوهاب بن عطاء، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بنحوه.

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: ثنا أبو داود، قال: ثنا بكير بن أبي السمط، عن قتادة، عن محمد بن عليّ، في قوله: ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ قال: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة.

قالا: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، عن مطرف، في قوله: ﴿**كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ**﴾ قال: قلّ ليلة أتت عليهم إلا صلوا فيها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال مطرف بن عبد الله في قوله: ﴿**كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ**﴾ قلّ ليلة تأتي عليهم لا يصلون فيها لله. إما من أوّلها، وإما من وسطها.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، قال: ثنا ابن أبي ليلى، عن المنهال، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿**كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ**﴾ قال لم يكن يمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئاً.

قال: ثنا ابن يمان، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: كانوا يصيبون فيها حظاً.

حدثني عليّ بن سعيد الكنديّ، قال: ثنا حفص بن عاصم، عن أبي العالية، في قوله: ﴿**كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ**﴾ قال: لا ينامون بين المغرب والعشاء.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام ومهران، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿**كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ**﴾ قال: كانوا يصيبون من الليل حظاً.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن سعيد بن أبي عروبة، عن مطرّف، في قوله: ﴿**كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ**﴾ قال: قلّ ليلة أتت عليهم هجعوها كلها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ**﴾ قال: كان لهم قليل من الليل ما يهجعون، كانوا يصلونه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: سمعت ابن أبي نجيح، يقول في قوله: ﴿**كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ**﴾ قال: كانوا قليلاً ما ينامون ليلة حتى الصباح.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ**﴾ قال: قليل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: كانوا قليلاً من الليل يهجعون، ووجهوا ما التي في قوله: ﴿**ما يَهْجَعُونَ**﴾ إلى أنها صلة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، في قوله: ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ قال: قال الحسن: كابدوا قيام الليل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: لا ينامون منه إلا قليلاً.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن بعض أصحابنا، عن الحسن، في قوله: ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ قال: لا ينامون من الليل إلا أقله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا عوف، عن سعيد بن أبي الحسن، في قوله: ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ قال: قلّ ليلة أتت عليهم هجوعاً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الأحنف بن قيس، في قوله: ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ قال: كانوا لا ينامون إلا قليلاً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا الحكم بن عطية، عن قتادة، قال: قال الأحنف بن قَيس، وقرأ هذه الآية ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ قال: لست من أهل هذه الآية.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، في قوله: ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ قال: قيام الليل.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن يونس، عن الحسن، قال: نشطوا فمدّوا إلى السحر.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، قال: مدّوا في الصلاة ونشطوا، حتى كان الاستغفار بسحر.

قال: ثنا مهران، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن قال: كانوا لا ينامون من الليل إلا قليلاً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، في قوله: ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ قال: كان الحسن والزهري يقولان: كانوا كثيراً من الليل ما يصلون. وقد يجوز أن تكون ﴿ما﴾ على هذا التأويل في موضع رفع، ويكون تأويل الكلام: كانوا قليلاً من الليل

هجوعهم وأما من جعل ﴿ما﴾ صلة، فإنه لا موضع لها ويكون تأويل الكلام على مذهبه كانوا يهجعون قليل الليل، وإذا كانت ﴿ما﴾ صلة كان القليل منصوباً بيهجعون.

حدثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا جرير، عن منصور عن إبراهيم ﴿**كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ**﴾ قال: ما ينامون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: كانوا يصلون العتمة، وعلى هذا التأويل ﴿ما﴾ في معنى الجحد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، في قوله: ﴿**كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ**﴾ قال: قال رجل من أهل مكة: سماه قتادة، قال: صلاة العتمة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: كان هؤلاء المحسنون قبل أن تفرض عليهم الفرائض قليلاً من الناس، وقالوا الكلام بعد قوله ﴿**إنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُحْسِنِينَ**﴾ كانوا قليلاً مستأنف بقوله: ﴿**مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ**﴾ فالواجب أن تكون ﴿ما﴾ على هذا التأويل بمعنى الجحد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد، عن الضحاك، في قوله: ﴿**كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ**﴾ يقول: إن المحسنين كانوا قليلاً، ثم ابتدىء فقيل ﴿**مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ وبالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ كما قال: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا باللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ**﴾ ثم قال: ﴿**والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الزبير، عن الضحاك بن مزاحم ﴿**كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ**﴾ قال: كانوا من الناس قليلاً.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن الزبير بن عديّ، عن الضحاك ابن مزاحم، في قوله: ﴿**كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ**﴾ قال: كانوا قليلاً من الناس من يفعل ذلك.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الزبير بن عديّ، عن الضحاك بن مزاحم ﴿**كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ**﴾ قال: كانوا قليلاً من الناس إذ ذاك.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ قال الله: ﴿إن المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ...﴾ إلى ﴿مُحْسِنِينَ﴾ كانوا قليلاً، يقول: المحسنون كانوا قليلاً، هذه مفصولة، ثم استأنف فقال: ﴿مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾.

وأما قوله: ﴿يَهْجَعُونَ﴾ فإنه يعني: ينامون، والهجوع: النوم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ يقول: ينامون.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ قال: ينامون.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم مثله.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ الهجوع: النوم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ قال: كانوا قليلاً ما ينامون من الليل، قال: ذاك الهجع. قال: والعرب تقول: إذا سافرت اهجع بنا قليلاً. قال: وقال رجل من بني تميم لأبي: يا أبا أُسامة صفة لا أجدها فينا، ذكر الله تبارك وتعالى قوماً فقال: ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ ونحن والله قليلاً من الليل ما نقوم قال: فقال أبي طُوَبى لمن رقد إذا نعس وألقى الله إذا استيقظ.

وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله: ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ قول من قال: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحاً لهم، وأثنى عليهم به، فوصفهم بكثرة العمل، وسهر الليل، ومكابدته فيما يقرّبهم منه ويرضيه عنهم أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل، وكثرة النوم، مع أن الذي اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التنزيل.

وقوله: ﴿وَبالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: وبالأسحار يصلون.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَبالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يقول: يقومون فيصلون، يقول: كانوا يقومون وينامون، كما قال الله لمحمد ﷺ: ﴿إنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أنَّكَ تَقُومُ أدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ﴾ فهذا نوم، وهذا قيام ﴿وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ كذلك يقومون ثلثاً ونصفاً وثلثين: يقول: ينامون ويقومون.

حدثنا ابن حَميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جبلة بن سحيم، عن ابن عمر، قوله: ﴿وَبالأسَحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال: يصلون.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَبالأسَحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال: يصلون.

وقال آخرون: بل عنى بذلك أنهم أخروا الاستغفار من ذنوبهم إلى السحر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، قال: مدّوا في الصلاة ونَشِطوا، حتى كان الاستغفار بسحر.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَبالأسَحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال: هم المؤمنون، قال: وبلغنا أن نبيّ الله ﷺ يعقوب حين سألوه أن يستغفر لهم ﴿قالوا يا أبانا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا قالَ سَوْفَ أسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ قال: قال بعض أهل العلم: إنه أخرَّ الاستغفار إلى السحر. قال: وذكر بعض أهل العلم أن الساعة التي تفتح فيها أبواب الجنة: السحر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن زيد يقول: السحر: هو السدس الأخير من الليل.

وقوله: ﴿وفِي أمْوَالِهِمْ حَقٌّ للسَّائِلِ والمَحْرُومِ﴾ يقول تعالى ذكره: وفي أموال هؤلاء المحسنين الذين وصف صفتهم حقّ لسائلهم المحتاج إلى ما في أيديهم والمحروم. وبنحو الذي قلنا في معنى السائل، قال أهل التأويل، وهم في معنى المحروم مختلفون، فمن قائل: هو المحارَف الذي ليس له في الإسلام سهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن قيس بن كركم، عن ابن عباس سألته عن السائل والمحروم، قال: السائل: الذي يسأل الناس، والمحروم: الذي ليس له في الإسلام سهم وهو محارَف.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه عن ابن عباس، قوله: ﴿**وفِي أَمْوَالهِمْ حَقٌّ للسَّائِلِ والمَحْرُومِ**﴾ قال: المحروم: المحارف.

حدثنا سهل بن موسى الرازي، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن قيس بن كركم، عن ابن عباس، قال: السائل: السائل. والمحروم: المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم.

حدثنا سهل بن موسى، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن قيس بن كركم، عن ابن عباس، قال: المحروم: المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم.

حدثنا حُمَيد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا شعبة عن أبي إسحاق، عن قيس بن كركم، عن ابن عباس في هذه الآية ﴿**للسَّائِلِ والمَحْرُومِ**﴾ قال: السائل: الذي يسأل، والمحروم: المحارَف.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت أبا إسحاق يحدّث عن قيس بن كركم، عن ابن عباس بنحوه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول: الله تبارك وتعالى: المحروم، قال: المحارف.

وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَالمَحْرُومِ**﴾: هو الرجل المحارف الذي لا يكون له مال إلا ذهب، قضى الله له ذلك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن قيس بن كركم، قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿**للسائل وَالمَحْرُومِ**﴾ قال: السائل: الذي يسأل، والمحروم: المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم.

حدثني محمد بن عمرو المقدمي، قال: ثنا قريش بن أنس، عن سليمان، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب: المحروم: المحارَف.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن إبراهيم، قال في المحروم: هو المحارف الذي ليس له أحد يعطف عليه، أو يعطيه شيئاً.

حدثني ابن المثنى، قال: ثني وهب بن جرير، قال: ثنا شعبة، عن عاصم، عن أبي قِلابة، قال: جاء سيل باليمامة، فذهب بمال رجل، فقال رجل من أصحاب النبيّ ﷺ: هذا المحروم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا أيوب، عن نافع، قال: المحروم: المحارف.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني مسلم بن خالد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: المحروم: المحارف.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حجاج، عن الوليد بن العيزار عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس أنه قال: المحروم: هو المحارف.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن أبي بشر، قال: سألت سعيد بن جُبَير، عن المحروم، فلم يقل فيه شيئاً، فقال عطاء: هو المحدود المحارف.

ومن قائل: هو المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني نافع بن يزيد، عن عمرو بن الحارث، عن بكير بن الأشجّ، عن سعيد بن المسيب، أنه سُئل عن المحروم فقال: المحارف(١).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وفي أمْوَالِهِمْ حَقّ للسَائل وَالمَحْرُومِ**﴾ هذان فقيرا أهل الإسلام، سائل يسأل في كفِّه، وفقير متعفِّف، ولكليهما عليك حقّ يا ابن آدم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري ﴿**للسَّائِلِ**

---

(١) هذا الأثر يناسب القول الأول، فلعله مؤخر من تقديم.

﴿وَالمَحْرُومِ﴾ قال: السائل: الذي يسأل، والمحروم: المتعفف الذي لا يسأل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، قال: قال معمر، وحدثني الزهريّ، أن النبيّ ﷺ قال: «لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ والتَّمْرَتانِ والأكْلَةُ والأكْلَتانِ»، قالوا فمن المسكين يا رسول الله؟ قال: «الَّذِي لا يَجِدُ غِنيً، وَلا يُعْلَمُ بِحاجَتِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ فَذلكَ المَحْرُومُ».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: **﴿للسَّائِلِ والمَحْرُومِ﴾** قال: السائل الذي يسأل بكفه، والمحروم: المتعفف، ولكليهما عليك حقّ يا ابن آدم.

وقائل: هو الذي لا سهم له في الغنيمة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، عن الحسن بن محمد، إن رسول الله ﷺ بعث سرية، فغنموا، فجاء قوم يشهدون الغنيمة، فنزلت هذه الآية: **﴿وفِي أمْوَالِهِمْ حَقّ للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ﴾**.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، عن سفيان، عن قيس بن مسلم الجدلي، عن الحسن بن محمد، قال: بعثت سرية فغنموا، ثم جاء قوم من بعدهم، قال: فنزلت **﴿للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ﴾**.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن إبراهيم أن أُناساً قدموا على عليّ رضي الله عنه الكوفة بعد وقعة الجمل، فقال: اقسموا لهم، قال: هذا المحروم.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن قيس بن مسلم، عن الحسن بن محمد أن قوماً في زمان النبيّ ﷺ أصابوا غنيمة، فجاء قوم بعد، فنزلت **﴿وفِي أمْوَالِهِمْ حَقٌّ للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ﴾**.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عمرو، عن منصور، عن إبراهيم، قال: المحروم: الذي لا فيء له في الإسلام، وهو محارف من الناس.

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، قوله: **﴿لِلّسائِلِ وَالمَحْرُومِ﴾** قال: المحروم: الذي لا يجري عليه شيء من الفيء، وهو محارف من الناس.

وقائل: هو الذي لا ينمى له مال.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن حصين، قال: سألت عكرِمة، عن السائل والمحروم؟ قال: السائل: الذي يسألك، والمحروم: الذي لا ينمى له مال.

وقائل: هو الذي قد ذهب ثمره وزرعه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وفي أمْوَالِهِمْ حَقّ للسَّائِلِ والمَحْرُومِ﴾** قال: المحروم: المصاب ثمره وزرعه، وقرأ **﴿أفرأيْتُمْ ما تَحْرُثُون أأنْتُم تَزْرَعُونَهُ﴾**... حتى بلغ **﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾** وقال أصحاب الجنة: **﴿إنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾**.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عبد الله بن عياش، قال: قال زيد ابن أسلم في قول الله: **﴿وَفي أمْوَالِهِمْ حَقٌّ للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ﴾** قال: ليس ذلك بالزكاة، ولكن ذلك مما ينفقون من أموالهم بعد إخراج الزكاة، والمحروم: الذي يُصاب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته، فيكون له حقّ على من لم يصبه ذلك من المسلمين، كما قال لأصحاب الجنة حين أهلك جنتهم **﴿قالُوا بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾** وقال أيضاً: **﴿لَوْ نَشاءُ لجَعَلْناهُ حُطاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾**.

وكان الشعبيّ يقول في ذلك ما.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن ابن عون، قال: قال الشعبيّ: أعياني أن أعلم ما المحروم.

والصواب من القول في ذلك عندي أنه الذي قد حُرم الرزق واحتاج، وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره، فصار ممن حرمه الله ذلك، وقد يكون بسبب تعففه وتركه المسألة، ويكون بأنه لا سهم له في الغنيمة لغيبته عن الوقعة، فلا قول في ذلك أولى بالصواب من أن تعمّ، كما قال جلّ ثناؤه: **﴿وفي أمْوَالِهِمْ حَقٌّ للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ﴾**.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: وفي الأرض عِبر وعظات لأهل اليقين بحقيقة ما عاينوا ورأوا إذا ساروا

فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**وفي الأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ**﴾ قال: يقول: معتبر لمن اعتبر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وفي الأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ**﴾ إذا سار في أرض الله رأى عِبراً وآيات عظاماً.

وقوله: ﴿**وفي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: وفي سبيل الخلاء والبول في أنفسكم عِبرة لكم، ودليل لكم على ربكم، أفلا تبصرون إلى ذلك منكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصاريّ، قال: ثنا أبو أُسامة، عن ابن جُرَيج، عن ابن المرتفع، قال: سمعت ابن الزُّبير يقول: ﴿**وفي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ قال: سبيل الغائط والبول.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن جُرَيج، عن محمد بن المرتفع، عن عبد الله بن الزُّبير ﴿**وفي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ قال: سبيل الخلاء والبول.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وفي تسوية الله تبارك وتعالى مفاصل أبدانكم وجوارحكم دلالة لكم على أن خلقتم لعبادته.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وفي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾، وقرأ قول الله تبارك وتعالى ﴿**وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ**﴾ قال: وفينا آيات كثيرة، هذا السمع والبصر واللسان والقلب، لا يدري أحد ما هو أسود أو أحمر، وهذا الكلام الذي يتلجلج به، وهذا القلب أيّ شيء هو، إنما هو مضغة في جوفه، يجعل الله فيه العقل، أفيدري أحد ما ذاك العقل، وما صفته، وكيف هو؟.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: وفي أنفسكم أيضاً أيها الناس آيات وعِبر تدلُّكم على وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواه، إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم ﴿**أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ يقول: أفلا تنظرون في ذلك فتتفكروا فيه، فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم.

وقوله: ﴿وفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وفي السماء: المطر والثلج اللذان بهما تخرج الأرض رزقكم، وقوتكم من الطعام والثمار وغير ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا النضر، قال: ثنا جُوَيبر، عن الضحاك، في قوله: ﴿وفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ﴾ قال: المطر.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: ﴿وفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ﴾ قال: الثلج، وكلّ عين ذائبة من الثلج لا تنقص.

حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: ثنا سفيان، عن عبد الكريم، عن الحسن، قال: في السحاب فيه والله رزقكم، ولكنكم تُحْرَمونه بخطاياكم وأعمالكم.

قال: أخبرنا سفيان، عن إسماعيل بن أمية، قال: أحسبه أو غيره أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً ومطروا، يقول: ومطرنا ببعض عثانين الأسد، فقال: «كَذَبْتَ، بَلْ هُوَ رِزْقُ اللَّهِ».

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مجاهد ﴿وفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ﴾ قال: رزقكم المطر.

قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿وفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ﴾ قال: رزقكم المطر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ومن عند الله الذي في السماء رزقكم، وممن تأوّله كذلك واصل الأحدب.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا هارون بن المُغيرة من أهل الرأي، عن سفيان الثوري، قال: قرأ واصل الأحدب هذه الآية ﴿وفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ﴾ فقال: ألا إن رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض، فدخل خرِبة فمكث ثلاثاً لا يصيب شيئاً، فلما كان اليوم الثالث إذا هو بدو خلّة رطب، وكان له أخ أحسن نية منه، فدخل معه، فصارتا دوخلّتين، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرّق الموت بينهما.

واختلف أهل التأويل في تأويل، قوله: ﴿وَما تُوعَدُونَ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: وما توعدون من خير، أو شرّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مجاهد ﴿وَما تُوعَدُونَ﴾ قال: وما

توعدون من خير أو شرّ.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ**﴾ يقول: الجنة في السماء، وما توعدون من خير أو شرّ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما توعدون من الجنة والنار.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا النضر، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، في قوله: ﴿**وَما تُوعَدُونَ**﴾ قال: الجنة والنار.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان ﴿**وَما تُوعَدُونَ**﴾ من الجنة.

وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي، القول الذي قاله مجاهد، لأن الله عمّ الخبر بقوله: ﴿**وَما تُوعَدُونَ**﴾ عن كلّ ما وعدنا من خير أو شرّ، ولم يخصص بذلك بعضاً دون بعض، فهو على عمومه كما عمه الله جلّ ثناؤه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مقسماً لخلقه بنفسه: فوربّ السماء والأرض، إن الذي قلت لكم أيها الناس: إن في السماء رزقكم وما توعدون لحقّ، كما حقّ أنكم تنطقون. وقد:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿**فَوَرَبِّ السَّماءِ والأرْضِ إنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أنَّكُمْ تَنْطِقُونَ**﴾ قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدّقوه» وقال الفرّاء: للجمع بين «ما» و«إنّ» في هذا الموضع وجهان: أحدهما: أن يكون ذلك نظير جمع العرب بين الشيئين من الأسماء والأدوات، كقول الشاعر في الأسماء:

مِنَ النَّفَرِ اللائِي الَّذِينَ إذَا هُمُ ... يَهابُ اللِّئامُ حَلْقَةَ الباب قَعْقَعُوا[1]

---

(١) هذا الباب من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٣١١) على أن العرب قد تجمع بين الشيئين من الأسماء والأدوات إذا اختلف لفظهما، مثل اللائي والذين، فإنهما بمعنى واحد، وأحدهما يجزىء عن الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ فقد جمع بين «ما» و«إن». وقد نقل المؤلف بقية كلام الفراء في توجيه ذلك الجمع بين اللفظين. واستشهد به النحويون على مثل ما استشهد به الفراء. وانظر تفصيل الكلام على البيت في «**خزانة الأدب الكبرى**» للبغدادي (٢/٥٢٩، ٥٣٤) وقد نسب البيت لأبي الربيس الثعلبي

فجمع بين اللائي والذين، وأحدهما مجزيء من الآخر وكقول الآخر في الأدوات:

مَـا إنْ رأيْـتُ وَلا سَـمِـعْـتُ بِـهِ كـالْـيَـوْمِ طـالِـيَ أَيْـنُـقٍ جُـرْبِ[1]

فجمع بين «ما» وبين «إن»، وهما جحدان يجزيء أحدهما من الآخر. وأما الآخر: فهو لو أن ذلك أفرد بما، لكان خبراً عن أنه حقّ لا كذب، وليس ذلك المعنيّ به. وإنما أُريد به: إنه لحقّ كما حقّ أن الآدميّ ناطق. ألا ترى أن قولك: أحقّ منطقك، معناه: أحقّ هو أم كذب، وأن قولك أحق أنك تنطق معناه للاستثبات لا لغيره، فأدخلت «أن» ليفرّق بها بين المعنيين، قال: فهذا أعجب الوجهين إليّ.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿مِثْلَ ما أَنَّكُمْ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة ﴿مِثْلَ ما﴾ نصباً بمعنى: إنه لحقّ حقاً يقيناً كأنهم وجهوها إلى مذهب المصدر. وقد يجوز أن يكون نصبها من أجل أن العرب تنصبها إذا رفعت بها الاسم، فتقول: مثل من عبد الله، وعبد الله مثلك، وأنت مثلُه، ومثلَهُ رفعاً ونصباً. وقد يجوز أن يكون نصبها على مذهب المصدر، إنه لحقّ كنطقكم. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة، وبعض أهل البصرة رفعاً «مِثْلُ ما أَنَّكُمْ» على وجه النعت للحقّ.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار، متقاربتا

وروايته كما في شعره في «**الخزانة**» (٥٣٢).

مـن الـنـفـر الـبـيـض الـذيـن إذا انـتـمـوا وهـاب الـرجـال حـلـقـة الـبـاب قـعـقـعـوا

يمدح عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهو صاحب الناقة التي سرقها أبو الربيس ومدح صاحبها وروى الجاحظ في «**البيان والتبيين**» أن الأبيات التي منها بيت الشاهد قالها شاعر يمدح بها أسيلم بن الأحنف الأسدي، قال: وكان ذابيان وأدب وعقل وجاه، وهو الذي يقول فيه الشاعر الأبيات. وقال الزبير بن بكار في أنساب قريش: إن أبا الريس عباد بن طهفة الثعلبي قال لعبد الله بن عمرو عثمان بن عفان... الأبيات وفيها البيت:

مـن الـنـفـر الـشـم الـذيـن إذا ابـتـدوا وهـاب الـلـئـام حـلـقـة الـبـاب قـعـقـعـوا

(١) هذا البيت من كلام دريد بن الصمة فارس جشم، وكان جاء إلى عمرو بن الشريد السلمي يخطب إليه ابنته الخنساء، وكانت تهنأ بالقطران إبلا لأبيها، فلما رآها قال أبياتاً يصفها، ومنها:

أَخُـنَـاس قَـدْ هَـامَ الـفُـؤاد بِـكُـمْ وأَصَـابَـهُ تَـبْـلٌ مِـنَ الـحُـبِّ

فلما أخبرها أبوها بما جاء له فارس جشم، رغبت عنه، لكبر سنه، ورغبت في بني أعمامها. انظر القصة في ترجمة الخنساء في «**الأغاني**» لأبي الفرج. والشاهد في هذا البيت كما قال الفراء في «**معاني القرآن**» إن العرب قد تجمع بين الشيئين من الأسماء والأدوات. إذا اختلف لفظهما، مثل جمع الشاعر بين «ما» و«إن» في هذا البيت، للتوكيد. وكما في قوله تعالى: ﴿إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ فما مصدرية، وكذلك إن حرف يؤول ما بعده المصدر، وكان في أحدهما غنية عن الآخر.

المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، يخبره أنه محلّ بمن تمادى في غيه، وأصرّ على كفره، فلم يتب منه من كفار قومه، ما أحلّ بمن قبلهم من الأمم الخالية، ومذكراً قومه من قريش بإخباره إياهم أخبارهم وقصصهم، وما فعل بهم، هل أتاك يا محمد حديث ضيف إبراهيم خليل الرحمن المكرمين.

يعني بقوله: ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ أن إبراهيم عليه السلام وسارّة خدماهم بأنفسهما.

وقيل: إنما قيل ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ قال: أكرمهم إبراهيم، وأمر أهله لهم بالعجل حينئذ.

وقوله: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ يقول: حين دخل ضيف إبراهيم عليه، فقالوا له سلاماً: أي أسلموا إسلاماً، قال سلام.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة، قال: ﴿سَلَامٌ﴾ بالألف بمعنى قال: إبراهيم لهم سلام عليكم. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة «سِلْمٌ» بغير ألف، بمعنى، قال: أنتم سلم.

وقوله: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ يقول: قوم لا نعرفكم، ورفع «قوم منكرون» باضمار أنتم.

وقوله: ﴿فَرَاغَ إِلى أَهْلِهِ﴾ يقول: عدل إلى أهله ورجع. وكان الفرّاء يقول: الروغ وإن كان على هذا المعنى فإنه لا ينطق به حتى يكون صاحبه مخفياً ذهابه أو مجيئه، وقال: ألا ترى أنك تقول قد راغ أهل مكة وأنت تريد رجعوا أو صدروا، فلو أخفى راجع رجوعه حسنت فيه راغ ويروغ.

وقوله: ﴿فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ يقول: فجاء ضيفَه بعجل سمين قد أنضجه شيًّا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَرَاغَ إِلى أَهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ قال: كان عامة مال نبيّ الله إبراهيم عليه السلام البقر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.

وقوله: ﴿فَقَرّبَهُ إلَيْهِمْ قالَ ألا تَأْكُلُونَ﴾؟ وفي الكلام متروك استغني بدلالة الظاهر عليه منه وهو فقرّبه إليهم، فأمسكوا عن أكله، فقال: ألا تأكلون؟ فأوجس منهم، يقول: فأوجس في نفسه إبراهيم من ضيفه خيفة وأضمرها ﴿قالُوا لا تَخَفْ وَبَشّرُوهُ بِغُلام عَلِيم﴾ يعني: بإسحاق، وقال: عليم بمعنى عالم إذا كبر، وذكر الفراء أن بعض المشيخة كان يقول: إذا كان للعلم منتظراً قيل: إنه لعالم عن قليل وغاية، وفي السيد سائد، والكريم كارم. قال: والذي قال حسن. قال: وهذا أيضاً كلام عربيّ حسن قد قاله الله في عليم وحكيم وميت. وروي عن مجاهد في قوله: ﴿بِغُلامٍ عليمٍ﴾ ما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ قال: إسماعيل.

وإنما قلت: عنى به إسحاق، لأن البشارة كانت بالولد من سارّة، وإسماعيل لهاجرَ لا لسارّة.

قوله: ﴿فأَقْبَلَتِ امْرأتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ يعني: سارّة، وليس ذلك إقبال نقلة من موضع إلى موضع، ولا تحوّل من مكان إلى مكان، وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني، بمعنى: أخذ في شتمي. وقوله: ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ يعني: في صيحة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ يقول: في صيحة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فأَقْبَلَتِ امْرأتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَها﴾ يعني بالصرّة: الصيحة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ قال: صيحة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فأَقْبَلَتِ امْرأَتُهُ فِي صَرَّةٍ**﴾: أي أقبلت في رنة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**صَرَّةٍ**﴾ قال: أقبلت ترنَ[١].

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن العلاء بن عبد الكريم اليامي، عن ابن سابَط، قوله: ﴿**فأَقْبَلَتِ امْرأَتُهُ فِي صَرَّةٍ**﴾ قال: في صيحة.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فأَقْبَلَتِ امْرأَتُهُ فِي صَرَّةٍ**﴾ قال: الصرّة: الصيحة.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**فِي صَرَّةٍ**﴾ يعني: صيحة. وقد قال بعضهم: إنّ تلك الصيحة أوّه مقصورة الألف.

وقوله: ﴿**فَصَكَّتْ وَجْهَها**﴾ اختلف أهل التأويل في معنى صكها، والموضع الذي ضربته من وجهها، فقال بعضهم: معنى صكها وجهها: لَطْمِها إياه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فَصَكَّتْ وَجْهَها**﴾ يقول: لَطَمت.

وقال آخرون: بل ضربت بيدها جبهتها تعجباً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: لما بَشَّر جبريل سارّة بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ضربت جبهتها عجباً، فذلك قوله: ﴿**فَصَكَّتْ وَجْهَها**﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**فَصَكَّتْ وَجْهَها**﴾ قال: جبهتها.

---

(١) الرنة: الصيحة الحزينة. ورنت ترن رنينا، وأرانت: صاحت.

حدثني ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن العلاء بن عبد الكريم اليامىّ، عن ابن سابَط، قوله: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ قال: قالت هكذا وضرب سفيان بيده على جبهته.

قال: ثنا مهران عن سفيان ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ وضعت يدها على جبهتها تعجباً، والصكّ عند العرب: هو الضرب. وقد قيل: إن صكها وجهها، أن جمعت أصابعها، فضربت بها جبهتها ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ يقول: وقالت: أتلد وحذفت أتلد لدلالة الكلام عليه، وبضمير أتلد رفعت عجوز عقيم، وعنى بالعقيم: التي لا تلد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا سليمان، أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن مشاش، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ قال: لا تلد.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا رجل من أهل خراسان من الأزد، يكنى أبا ساسان، قال: سألت الضحاك، عن قوله: ﴿عَقِيمٌ﴾ قال: التي ليس لها ولد.

تمّ الجزء السادس والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

ويليه الجزء السابع والعشرون

أوّله: القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالُوا كَذلِكَ﴾...

محتوى الجزء السادس والعشرون من تفسير الطبري

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	تفسير سورة الأحقاف	
١	حم	٥
٢	تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم	٥
٣	ما خلقنا السموات والأرض	٥
٤	قل أرأيتم ما تدعون من دون الله	٥
٥	ومن أضل ممن يدعوا من دون الله	٨
٦	وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء	٩
٧	وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات	٩
٨	أم يقولون افتراه	٩
٩	قل ما كنت بدعا من الرسل	١٠
١٠	قل أرأيتم إن كان من عند الله	١٣
١١	وقال الذين كفروا للذين آمنوا	١٨
١٢	ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة	١٨
١٣	إن الذين قالوا ربنا الله	٢٠
١٤	أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها	٢٠
١٥	ووصينا الإنسان بوالديه حسنا	٢٠
١٦	أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا	٢٣
١٧	والذي قال لوالديه أف لكما	٢٤
١٨	أولئك الذين حق عليهم القول	٢٦
١٩	ولكل درجات مما عملوا	٢٦
٢٠	ويوم يُعْرض الذين كفروا على النار	٢٦
٢١	واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه	٢٨
٢٢	قالوا أجئتنا لتأفِكنا عن آلهتنا	٣١
٢٣	قال: إنما العلم عند الله	٣١
٢٤	فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم	٣٢
٢٥	تدمِّر كل شيء بأمر ربها	٣٣
٢٦	ولقد مكناهم فيما إن مكناهم فيه	٣٥
٢٧	ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى	٣٥
٢٨	فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله	٣٥
٢٩	وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن	٣٧
٣٠	قالوا: يا قومنا إنا سمعنا كتابا	٤١
٣١	يا قومنا أجيبوا داعي الله	٤٢
٣٢	ومن لا يجب داعي الله	٤٢
٣٣	أولم يروا أن الله الذي خلق السموات	٤٣
٣٤	ويوم يعرض الذين كفروا على النار	٤٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٥	فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل	٤٥

تفسير سورة محمد ﷺ

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله	٤٧
٢	والذين آمنوا وعملوا الصالحات	٤٧
٣	ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل	٤٨
٤	فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب	٤٩
٥	سيهديهم ويصلِحُ بالهم	٥٣
٦	ويُدْخِلهم الجنة عرّفها لهم	٥٣
٧	يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله	٥٣
٨	والذين كفروا فتعسا لهم	٥٤
٩	ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله	٥٤
١٠	أفلم يسيروا في الأرض فينظروا	٥٥
١١	ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا	٥٦
١٢	إن الله يدخل الذين آمنوا	٥٦
١٣	وكأين من قرية هي أشد قوّة	٥٧
١٤	أفمن كان على بينة من ربه	٥٨
١٥	مثل الجنة التي وُعد المتقون	٥٨
١٦	ومنهم من يستمعُ إليك	٦٠
١٧	والذين اهتدوا زادهم هُدى	٦١
١٨	فهل ينظرون إلا الساعة	٦١
١٩	فاعلم أنه لا إله إلا الله	٦٤
٢٠	ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة	٦٤
٢١	طاعة وقول معروف	٦٤
٢٢	فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا	٦٦
٢٣	أولئك الذين لعنهم الله	٦٦
٢٤	أفلا يتدبَّرون القرآن؟	٦٨
٢٥	إن الذين ارتدوا على أدبارهم	٦٨
٢٦	ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا	٧٠
٢٧	فكيف إذا توفتهم الملائكة	٧١
٢٨	ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله	٧١
٢٩	أم حسب الذين في قلوبهم مرض	٧١
٣٠	ولو نشاء لأريناكهم	٧١
٣١	ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين	٧٢
٣٢	إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله	٧٢
٣٣	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله	٧٣
٣٤	إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله	٧٣
٣٥	فلا تَهِنوا وتدعوا إلى السلم	٧٤
٣٦	إنما الحياة الدنيا لعب ولهو	٧٦
٣٧	إن يسألكموها فيُحْفكم تبخلوا	٧٦
٣٨	هأنتم هؤلاء تدعوَن لتنفقوا	٧٧

تفسير سورة الفتح

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	إنا فتحنا لك فتحا مبيناً	٨٠
٢	ليغفرَ لك الله ما تقدم من ذنبك	٨٠
٣	وينصرَك الله نصراً عزيزاً	٨٠

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤	هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين	٨٤
٥	ليدخلَ المؤمنين والمؤمنات	٨٥
٦	ويعذِّب المنافقين والمنافقات	٨٥
٧	ولله جنود السموات والأرض	٨٦
٨	إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً	٨٦
٩	لتؤمنوا بالله ورسوله	٨٦
١٠	إن الذين يبايعونك	٨٩
١١	سيقول لك المخلَّفون من الأعراب	٩٠
١٢	بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول	٩١
١٣	ومن لم يؤمن بالله ورسوله	٩٢
١٤	ولله ملك السموات والأرض	٩٢
١٥	سيقول المخلفون إذا انطلقتم	٩٣
١٦	قل للمخلفين من الأعراب ستدعون	٩٥
١٧	ليس على الأعمى حرج	٩٨
١٨	لقد رضى الله عن المؤمنين	٩٩
١٩	ومغانم كثيرة يأخذونها	٩٩
١٠	وعَدَكم الله مغانم كثيرة تأخذونها	١٠٣
٢١	وأخرى لم تقدروا عليها	١٠٣
٢٢	ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار	١٠٧
٢٣	سنة الله التي قد خلت من قبل	١٠٧
٢٤	وهو الذي كف أيديهم عنكم	١٠٨
٢٥	هم الذين كفروا	١١٠
٢٦	إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم	١١٩
٢٧	لقد صدق الله رسوله الرؤيا	١٢٣
٢٨	هو الذي أرسل رسوله بالهدى	١٢٥
٢٩	محمد رسول الله والذين معه	١٢٥

تفسير سورة الحجرات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا	١٣٤
٢	يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا	١٣٥
٣	إن الذين يغضون أصواتهم	١٣٨
٤	إن الذين ينادونك من وراء الحُجُرات	١٣٩
٥	ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم	١٣٩
٦	يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم	١٤٢
٧	واعلموا أن فيكم رسول الله	١٤٤
٨	فضلا من الله ونعمة	١٤٤
٩	وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا	١٤٦
١٠	إنما المؤمنون إخوة	١٤٩
١١	يا أيها الذين آمنوا لا يسخَرْ قوم	١٥٠
١٢	يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا	١٥٤
١٣	يا أيها الناس إنا خلقناكم	١٥٩
١٤	قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا	١٦٢
١٥	إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله	١٦٥
١٦	قل أتعلمون الله بدينكم	١٦٦
١٧	يمنون عليك أن أسلموا	١٦٦
١٨	إن الله يعلم غيب السموات والأرض	١٦٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	تفسير سورة ق	
١	ق والقرآن المجيد	١٦٩
٢	بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم ..	١٦٩
٣	أإذا متنا وكنا تراباً	١٧٠
٤	قد علمنا ما تنقص الأرض منهم ..	١٧٠
٥	بل كذبوا بالحق لما جاءهم	١٧٢
٦	أفلم ينظروا إلى السماء	١٧٢
٧	والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي	١٧٤
٨	تبصرة وذكرى لكل عبد منيب	١٧٤
٩	ونزلنا من السماء ماء مباركاً	١٧٥
١٠	والنخل باسقات لها طلع نضيد	١٧٥
١١	رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً	١٧٥
١٢	كذبت قبلهم قوم نوح	١٧٨
١٣	وعاد وفرعون وإخوان لوط	١٧٨
١٤	وأصحاب الأيكة وقوم تبع	١٧٨
١٥	أفعيينا بالخلق الأول	١٨٠
١٦	ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس	١٨٠
١٧	إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين	١٨٢
١٨	ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب ...	١٨٢
١٩	وجاءت سكرة الموت بالحق	١٨٥
٢٠	ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد	١٨٥
٢١	وجاءت كل نفس	١٨٦
٢٢	لقد كنت في غفلة من هذا	١٨٦
٢٣	وقال قرينه هذا ما لدى عتيد	١٩٠
٢٤	ألقيا في جهنم كل كفار عنيد	١٩٠
٢٥	مناع للخير معتد مريب	١٩٠
٢٦	الذي جعل مع الله إلها آخر	١٩٣
٢٧	قال قرينه ربنا ما أطغيته	١٩٣
٢٨	قال لا تختصموا لدى	١٩٣
٢٩	ما يبدلُ القول لديّ	١٩٥
٣٠	يوم نقول لجهنم هل امتلأت	١٩٥
٣١	وأزلفت الجنة للمتقين	١٩٨
٣٢	هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ	١٩٨
٣٣	من خشي الرحمٰن بالغيب	١٩٨
٣٤	ادخلوها بسلام آمنين	٢٠٠
٣٥	لهم ما يشاءون فيها	٢٠٠
٣٦	وكم أهلكنا قبلَهم من قَرْن	٢٠٠
٣٧	إن في ذلك لذكرى لمن كان له ..	٢٠٥
٣٨	ولقد خلقنا السموات والأرض ...	٢٠٧
٣٩	فاصبر على ما يقولون	٢٠٨
٤٠	ومن الليل فسبحه وأدبار السجود	٢٠٨
٤١	واستمع يوم يناد المناد	٢١٢
٤٢	يوم يسمعون الصيحة بالحق	٢١٢
٤٣	إنا نحن نحيي ونميت	٢١٣
٤٤	يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ...	٢١٣
٤٥	نحن أعلم بما يقولون	٢١٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	تفسير سورة الذاريات	
١	والذاريات ذروا	٢١٦
٢	فالحاملات وقْرا	٢١٦
٣	فالجاريات يُسَرا	٢١٦
٤	فالمقسمات أمراً	٢١٦
٥	إنما توعدون لصادق	٢١٦
٦	وإن الدين لواقع	٢١٦
٧	والسماء ذات الحُبُك	٢٢٠
٨	إنكم لفي قول مختلف	٢٢٠
٩	يؤفك عنه من أفك	٢٢٠
١٠	قتل الخراصون	٢٢٣
١١	الذين هم في غمرة ساهون	٢٢٣
١٢	يسألون أيان يومُ الدين	٢٢٣
١٣	يوم هم على النار يُفتنون	٢٢٣
١٤	ذوقوا فتنتكم	٢٢٧
١٥	إن المتقين في جنات وعيون	٢٢٧
١٦	آخذين ما آتاهم ربهم	٢٢٧
١٧	كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون	٢٢٩
١٨	وبالأسحار هم يستغفرون	٢٢٩
١٩	وفي أموالهم حق للسائل والمحروم	٢٢٩
٢٠	وفي الأرض آيات لموقنين	٢٣٨
٢١	وفي أنفسكم أفلا تبصرون	٢٣٨
٢٢	وفي السماء رزقكم وما توعدون	٢٣٨
٢٣	فَورب السماء والأرض	٢٤١
٢٤	هل أتاك حديث ضعيف إبراهيم	٢٤٣
٢٥	إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً	٢٤٣
٢٦	فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين	٢٤٣
٢٧	فقربه إليهم قال ألا تأكلون	٢٤٤
٢٨	فأوجس منهم خِيفة	٢٤٤
٢٩	فأقبلت امرأته في صَرّة	٢٤٤